عبد الكريم فرحان

حصاد ثورة

مذكرات

تجربة السلطة في العراق

(١٩٥٨ ـ ١٩٦٨)

الطبعة الثانية



دار البراق

حصاد ثورة

* حصاد ثورة (تجربة السلطة في العراق)
مذكرات
* عبد الكريم فرحان
* الطبعة الثانية ١٩٩٦
* دار البراق «لندن»
* دمشق - ص.ب : ٤١٧٣
هاتـف : ٦٦٦٩٧٨٦

عبد الكريم فرحان

حصاد ثورة

«مذكرات»

تجربة السلطة في العراق

١٩٥٨ ـ ١٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا كتاب (حصاد ثورة) تأخر نشره لأكثر من سبب، آن له أن يظهر بعد أن تقادم الزمن، ووارى التراب بعض المسؤولين والمساهمين في الأحداث، وكثر المتحذلقون، واستشرى النفاق الاجتماعي، ليطلع المواطن العراقي على حقائق ظلت مكتومة، وأحداث ووقائع طمست أو شوهت طمعاً في إرضاء الحاكم واتقاء لغضبه ودفعاً لاذاه.

ليس هذا كتاب تاريخ أو يوميات أو اعترافات ذاتية، إنه حصاد مر لثورة سرعان ما انحرفت وسجل لحقبة، حفلت بأحداث مؤلمة ومؤامرات ودسائس.

كان هاجس الثوار وحلمهم قيام وطن قوي بلا طائفية، واسلام بلا مذاهب أو بلا تعصب وتحقيق وحدة عربية، وتحرير فلسطين.

حاولت السباحة ضد التيار فأدى ذلك إلى اعتقالي أربع مرات، تعرضت لألوان الأذى والتعذيب وما زلت أعاني بعض آثاره، واضطررت إلى اتلاف بعض الأوراق والمذكرات إذ لم تكن الكتابة سهلة لبعدي عن الوطن حيث ما زالت هناك أوراق هامة فضلاً عن قلة المراجع، وتقدمي في العمر، واضطراري أحياناً للتوقف عن الكتابة بسبب المرض، لقد اعتمدت على ذاكرتي وهي ضعيفة فيما يتصل بالتواريخ والأرقام والأسماء، لكنها قوية فيما يتعلق بالأحداث والوقائع إذ ما زلت أذكرها بكل تفاصيلها، لمشاركتي فيها واطلاعي عليها بحكم منصبي، أو كان لي رأي فيها، ومهما يكن من أمر فقد أخطأت وعارضت واجتهدت برأي، وأحسنت الظن، لكن لم أبخل بجهد أو نصيحة أو مشورة فالثائر صاحب رسالة يريد لوطنه الخير ولأمته العزة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها والسلام على من اتبع الهدى.

عبد الكريم فرحان

الفصل الأول

بداية العاصفة.

انسحاب اللواء المدرع السادس
أكاذيب واتهامات
عود على بدء
حركة الشواف
في السجن العسكري رقم ١
معتقل الدبابات
الأنتقال الى معسكر الهندسة
سهرة في وزارة الدفاع
أنتصار الواجب
عودة الى الكفاح
دماء وثار سريع
عبادة الطغاة وتالية الحكام
اجراءات أمن جديدة
تأليف اللجنة القومية العليا
انقسام واتهامات
لقاء عاصف
خطط ومحاولات لم تنفذ

بدأ الخلاف بين الزعيم عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف في الأسابيع الأولى لثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ وأتسع بسرعة وتعذر التفاهم بينهما وفشلت جميع جهود الأخيار والطيبين للتوسط وحل الخلاف ثم ظهر الصراع للملأ بعد أن كان خفياً وراح الاثنان يجمعان الأنصار والأعوان وأصبح التصادم قاب قوسين أو أدنى، كان السابق عبد الكريم قاسم وفجأة سمع الناس من الاذاعة في وقت متأخر من يوم ١١ أيلول ١٩٥٨ نبأ يتضمن اعفاء عبد السلام عارف من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة ثم جرد من مناصبه الباقية في ٣٠ أيلول ١٩٥٨ وعين سفيراً للجمهورية العراقية في بون واكره على السفر إلى المانيا برغم تقديم استقالته لاصرار عبد الكريم قاسم وضغط بعض قادة الجيش الذين وقفوا إلى جانب عبد الكريم قاسم حرصاً منهم على وحدة الصف وجمع الكلمة.

عاد عبد السلام فجأة من المانيا فوصل بغداد صباح يوم ١٩٥٨/١١/١٤ وتوجه إلى داره ثم استدعاه عبد الكريم قاسم إلى وزارة الدفاع وأمر باعتقاله ونقل إلى السجن رقم (١) بمعسكر الرشيد تمهيداً لمحاكمته، أحيل عبد السلام عارف إلى المحكمة العسكرية العليا الخاصة بموجب المادة (٨٠) من قانون العقوبات البغدادي ووجهت إليه عدة تهم ثم اضافت المحكمة تهمة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم بعد أن تلقت من الزعيم نفسه خطاباً جاء فيه)يحاكم المتهم عن جميع الوقائع التي قد تظهر اثناء المحاكمة وتوجه له المحكمة التهمة التي تراها) بالرغم من أنهما تصالحا في وزارة الدفاع في الليلة السابقة لسفر عبد السلام عارف لألمانيا ووعد عبد الكريم قاسم بالصفح ونسيان المحاولة.

بدأت المحاكمة في ٢٧ كانون الأول ١٩٥٨ وكانت جلساتها سرية. تعمدت المحكمة إذلال عبد السلام عارف والغض من شأنه وبخس دوره في الثورة، فانحنى للعاصفة واشاد بدور الزعيم عبد الكريم قاسم وبطولته طمعاً في عطفه وتجنباً لاغضابه. كان جو

المحكمة ينضح بالحقد والكراهية يضاف إلى ذلك أن الشهود لم يذكروا كل الحقائق بل تعمدوا تجاهل دور عبد السلام عارف وتضخيم وابراز دور عبد الكريم قاسم. لم يطعن عبد السلام عارف بهيئة المحكمة بالرغم من تحيزها الواضح فالعقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة ابن خالة الزعيم عبد الكريم قاسم وهو الذي قاد حملة التشهير ضد المتهم، فقد دأب على انتقاد خطبه وتصرفاته، وكان يفتخر بقرابته للزعيم ويستغل كل مناسبة للإشادة بعبقرية الزعيم وشجاعته وخططه الممتازة أما المدعي العام العقيد الركن ماجد محمد أمين فكان لا يؤمن بالوحدةالعربية، وليس من العدل والمنطق أن يكون القاضي خصماً وحكماً.

كان رئيس المحكمة الحقيقي عبد الكريم قاسم نفسه وكانت وقائع الجلسات تنقل إليه يومياً وهو الذي يتولى وضع اسئلة الجلسة المقبلة كما أنه اختار الشهود من بين عشرات الشهود لتوفر مواصفات خاصة بهم ثم صدر الحكم في ٥ شباط عام ١٩٥٩ باعدام العقيد الركن عبد السلام عارف شنقاً حتى الموت وبطرده من القوات المسلحة وتضمن قرار الحكم الفقرة التالية: تودع الرأفة له لأمر الزعيم عبد الكريم قاسم وذلك باستعمال سلطته الواردة في المادة (٢٠) من قانون معاقبة المتأمرين[١] لكن عبد السلام عارف ظل في السجن العسكري رقم (١) في معسكر الرشيد وفي نفس الغرفة المنعزلة والتي غطيت نوافذها من الخارج بستائر من الجنفاص وبقي قرار الحكم في مكتب الزعيم عبد الكريم قاسم دون تصديق أو تخفيض أو إعفاء حتى أيلول ١٩٦١ حيث أطلق سراحه[٢] وهكذا انفرد عبد الكريم قاسم بالسلطة وأصبح بطل الثورة بدون منازع بعد أن قضى على منافسه، وسرعان ما التف حوله الشيوعيون بالاضافة إلى الانتهازيين.

لقد خلا الجو لعبد الكريم قاسم وبدأ في الحال ابعاد العناصر الوطنية والقومية من مراكزها ومناصبها في القطاعين المدني والعسكري، يستوي في ذلك المستقل والحزبي، لقد لعب الحزب الشيوعي دوراً مهماً في تثبيت سلطان عبد الكريم قاسم وتدعيم حكمه بعد أن آزره في محنته ووقف إلى جانبه في صراعه مع عبد السلام عارف وهيمنت المجموعة المؤلفة من:

١ ـ العقيد الركن طه الشيخ أحمد مدير التخطيط في وزارة الدفاع

---

١ ـ المحاكمات ج (٥)، ص ٤٧٥ ، لسنة ١٩٥٩ .

ـ زرت عبد السلام عارف في داره في الأعظمية عقب اطلاق سراحه وكان معي الأخ عبد اللطيف الكمالي كانت غرفة الاستقبال مزدحمة بالزوار وبدأ عبد السلام كعادته يتحدث في أمور أكره الخوض فيها في مثل هذا الوقت وفي هذا المكان فضلت الانصراف ووعدته بزيارة أخرى، لم أف بوعدي لعدم جدوى اللقاء ودفعاً للضرر والأذى.

٢ ـ العقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية الخاصة.

٣ ـ العقيد وصفي طاهر مرافق عبد الكريم قاسم.

٤ ـ عقيد الجو جلال جعفر الأوقاتي قائد القوة الجوية.

على سياسة البلاد الداخلية والخارجية بعد أن اكتسبت ثقة الزعيم عبد الكريم قاسم وساهمت في انتصاره على خصمه. كان مقرها في وزارة الدفاع وقد ينضم إليها في بعض الأحيان أحد أقطاب الحزب الشيوعي البارزين أمثال عبد القادر اسماعيل البستاني وزكي خيري وعامر عبد الله وعن طريق هذه اللجنة غير الرسمية كانت تنفذ الخطط لتصفية القوى القومية، وتغلغل الشيوعيون في أجهزة الدولة ومؤسساتها ونقاباتها وأصبحت جريدة اتحاد الشعب الناطقة بلسان الحزب الشيوعي، الموجهة لسياسة البلاد وكانت تنفذ من الأسواق بسرعة وتباع بأكثر من سعرها المقدر وأصبحت جواز مرور يحملها المواطن بصورة ظاهرة ليثبت اخلاصه للجمهورية والثورة وينفي عن نفسه تهمة التآمر والرجعية.

انسحاب اللواء المدرع السادس

توجهت إلى بغداد بإجازة قصيرة في الأسبوع الثاني من شهر تشرين الأول ١٩٥٨ ولقد عزمت أن اقابل الزعيم عبد الكريم قاسم في اثنائها لتذكيره بوعده حول عودة وحدات اللواء المدرع السادس إلى معسكراتها الدائمة قبل حلول الشتاء واشتداد البرد، غادرت (ايج ثرى) بسيارة (تكسي) وكان معي ثلاثة ضباط في الصباح الباكر فوصلت بغداد عصراً وفي المساء ذهبت إلى وزارة الدفاع... دخلت غرفة المرافقين وكانت مزدحمة بالضباط وتبين لي تعذر مقابلة الزعيم عبد الكريم قاسم هذه الليلة بسبب اجتماعه مع بعض قادة الجيش لتسوية الأزمة الناشئة عن امتناع عبد السلام عارف عن قبول منصب السفير وسفره إلى ألمانيا الغربية، فقررت الانصراف والعودة في اليوم التالي ولم أكد أغادر غرفة المرافقين واخطو في الممر بضع خطوات حتى التقيت بالزعيم الركن ناظم الطبقجلي الذي خرج لتوه من غرفة الاجتماع فتصافحنا وأعلمني أن المشكلة على وشك الحل وإن الجهود مستمرة لاقناع عبد السلام عارف بالسفر فودعته ومضيت في طريقي.

توجهت في اليوم التالي إلى مقر القيادة في وزارة الدفاع لمقابلة الزعيم عبد الكريم قاسم ومكثت بعض الوقت في غرفة المرافقين منتظراً الاذن بالدخول ثم دخلت فرحب بي القائد العام كعادته وكان بادى الارتياح ثم سألني عن وضع القطعات في ايج ثرى ومعنويات الجنود وهل هناك مشاكل إدارية فأجبته أن المشاكل الادارية قد حلت جميعها فقد نقل أمر المنطقة الادارية والتحق غيره ولن تنشأ في المستقبل أية مشاكل إذا عرف الطرفان حدود اختصاصهما وواجباتهما وقد سُحب الطحين القديم بعد أن قرر ممثل مديرية الميره والتموين

الزعيم الركن نصرت القيسي عدم صلاحه لكثرة الدود فيه ولم يعد متعهد الأرزاق يتلكأ في تجهيز الفاكهة بحجة عدم توفرها في الأسواق بعد أن قامت لجنة المبايعة في مقر اللواء بشراء الفاكهة من أسواق الرمادي وبغداد على حساب المتعهد تنفيذاً لشروط العقد[٣].

أما معنويات الجنود فمرتفعة والوحدات ما زالت تنتظر أمر العودة إلى المعسكرات الدائمية، ثم سألني عن اسكانها بعد الانسحاب فأجبته أن الفوج الآلي الأول سيتوجه إلى المسيب وستتوجه كتيبة مدفعية الميدان العاشرة إلى معسكر المحاويل وستلتحق بقية الوحدات الفرعية الساندة بوحداتها الأم وسيكون مقري في معسكر الرشيد ولقد علمت أن المقر ضيق ولا بد من بناء بضع غرف أخرى بسرعة وسأراجع مديرية الهندسة والاشغال لهذا الغرض... ثم قال فجأة لقد قررت سحب اللواء وستظل في ايج ثرى سرية مدرعات وسرية حراسة حدود فقط وسيصلكم أمر العودة قريباً.

عدت إلى معسكر ايج ثرى بعد يومين، ثم جاء الأمر بعودة وحدات اللواء المدرع السادس إلى ثكناتها الدائمة في بغداد والمحاويل والمسيب.

فرح الجنود بنبأ العودة وشرعت الوحدات بالتهيؤ والاستعداد ثم صدر أمر الحركة الذي تضمن وقفة طويلة في الحبانية للاستراحة والتزود بالوقود والخبز.

تحرك اللواء في الصباح الباكر وفي الموعد وسبقته الجماعة المتقدمة بقيادة ضابط ركن اللواء، وتوقف الرتل عند مفرق الحبانية، ثم طلبت من عامل جهاز اللاسلكي في سيارة الجيب التي ترافقني فتح الجهاز لسماع إذاعة بغداد ففتحه وتبين أن الإذاعة تنقل خطاباً للزعيم عبد الكريم قاسم فأمرته باغلاقه. وبعد استراحة طويلة استأنف الرتل سيره وقبيل دخول بغداد انفصلت عنه كتيبة مدفعية الميدان العاشرة والفوج الآلي الأول فسلكا طريق الحلة.

وصل مقر اللواء إلى معسكر الرشيد وكانت قد سبقته اشاعات مغرضة صادرة عن الحزب الشيوعي فحواها أن اللواء سيقوم بانقلاب عسكري عند دخوله بغداد وهي أشاعة سخيفة لا يصدقها عاقل يدحضها صغر حجم القوات. فكرت في زيارة الزعيم عبد الكريم قاسم عقب وصولي لشكره واخباره بوصول الوحدات إلى معسكراتها الدائمة لكني ترددت فالوضع لا يشجع على الزيارة فقد انحرفت الثورة وأقسم الشعب وأصبح المحيطون بعبد الكريم قاسم لا يرتاحون من مجيئي لمقابلته.

وأخيراً قررت زيارته في اليوم التالي فتوجهت إلى وزارة الدفاع... ودخلت غرفة

---

٣ ــ دأب متعهدوا الجيش على تأخير تجهيز الفاكهة في بداية موسمها بحجة عدم تيسرها ريثما يكثر عرضها في السوق ويهبط سعرها.

المرافقين وجلست بعض الوقت منتظراً الاذن بالدخول وتبين من حديثي مع العقيد وصفي طاهر[4] مرافق الزعيم عبد الكريم قاسم. أن مقر القيادة ووزارة الدفاع يعلمان بوصولنا، فقد أتصل به هاتفياً المقدم عدنان الخيال وكان أمر سرية الدبابات الملحقة باللواء، وكانت لهجته جافة ونظراته تنضح بالحقد والكراهية وبعد قليل سمح لي بالدخول فسلمت على الزعيم عبد الكريم قاسم وصافحني وجلسنا وجيء بالشاي فأخبرته بوصول الوحدات إلى معسكراتها الدائمة وتعمدت ذكر تفاصيل اسكانها الحالي لأزيد من اطمئنانه وأبدد شكوكه - ثم سألني فجأة هل سمعت خطابي الأخير؟ فأجبته على الفور كان خطاباً رائعاً لأقطع الطريق واتجنب الخوض فيه لأنني لم أسمعه، فعلت وجهه الأبتسامة ثم رفع يده إلى رأسه وقال: " كانت الأفكار تأتيني خمسة خمسة" فلم أعلق ومضى يشرح نواياه وخططه المقبلة ليحول العراق إلى جنة عدن..

لقد آثرت الاستماع والاصغاء إذ فات وقت التعليق وتبادل الآراء بعد أن أصبح عبد الكريم قاسم مستبداً برأيه يكره أن ينافسه أحد ثم بين خطة إسكان القطعات المدرعة وأنه اختار التاجي والورار وتطلع إلي وقال إن معسكر اللواء المدرع السادس سيقام في التاجي... ودخل العقيد الركن عبد الوهاب الأمين يحمل عرضاً قدمته أحدى الشركات لتجهيز الجيش العراقي بالملابس وسرد تفاصيل الأسعار والكميات التي يحتاجها الجيش العراقي وبين توفر المال... كانت الأسعار فعلاً مناسبة فوافق الزعيم على عقد الصفقة... ثم خرج عبد الوهاب الأمين ومضى الزعيم عبد الكريم قاسم يتحدث عن خيرات العراق وثرواته ودوره القيادي... كان يتكلم بحماس وثقة... ثم استأذنته بالانصراف لأوفر عليه الوقت بسبب كثرة أعبائه وأتساع مسؤولياته فتصافحنا وطلب مني زيارته بين حين وآخر.

عدت إلى مقري في معسكر الرشيد حيث لم تنته ساعات الدوام الرسمي بعد، لقد غمرني اليأس والحزن كنا بحاجة إلى ربان ماهر فالعاصفة تقترب، وكنا بحاجة إلى نخبة ممتازة فالعبء كبير والمهمة خطيرة وشاقة. إن بناء عراق حديث يحتاج إلى تعبئة جميع الطاقات والموارد وتجنيد جميع الكفاءات والقابليات والمواهب... لقد كان جمع الكلمة

---

٤ ـ لعب وصفي طاهر دوراً مهماً في ايغار صدر عبد الكريم قاسم وزرع الشكوك في نفسه وتحذيره من خطر بقائي بمنصبي الحالي متأثراً بوشايات آمر كتيبة مدفعية الميدان العاشرة الذي كان في أوربا عند قيام ثورة ١٤ تموز ولما عاد ليلتحق بوحدته في ايج ثرى. قرر الزعيم محي الدين عبد الحميد قائد القوة الغربية استخدامه في مقر القيادة الغربية. كما صدق وصفي وشاية أحد آمري سرايا الفوج الآلي الأول والذي نقل من الفوج بناء على طلبي الى كركوك لاستهتاره وسكره أثناء الدوام الرسمي وكان في الوقت نفسه من أصدقاء رئيس المحكمة العسكرية الخاصة العقيد فاضل عباس المهداوي حيث عمل الاثنان في معسكر المسيب.

وترسيخ الوحدة الوطنية من أولى المهام فيما انصرف هم الحاكم وحاشيته إلى الاستئثار بالسلطة وابعاد جميع العناصر الوطنية والقومية المخلصة وهكذا توالت المآسي والمحن التي عاقت تقدم العراق وكانت خسارته فادحة بالرجال والطاقات والوقت والثروات.

أكاذيب واتهامات

أ ـ دأب الشيوعيون على اختلاق واذاعة الاشاعات لتشويه سمعة العناصر الوطنية والمخلصة تمهيداً لابعادها عن حقل العمل السياسي وحينئذ يتسنى عزل عبد الكريم قاسم والسيطرة عليه وهكذا بتنا نمسي ونصبح على اشاعة أو مؤامرة أو مخطط رجعي يهدف إلى تقويض صرح (الجمهورية العراقية) والانقضاض على مكتسبات ثورة ١٤ تموز المجيدة. وكانت حصتي من هذه الاشاعات كبيرة، فعندما كنت في معسكر ايج ثري اشيع عن انتقادي لعبد الكريم قاسم وقولي أن بطل الثورة ومفجرها هو عبد السلام عارف، وقبيل عودة اللواء المدرع السادس إلى معسكره الدائم انتشرت اشاعة فحواها أن اللواء سيقوم بانقلاب عند دخوله بغداد وأخيراً وعندما تركت معهد اللغات العالي[٥] وصرفت النظر عن تعلم اللغة الفرنسية حرصاً على سمعتي وكرامتي بعد أن توقف الدرس وتحول الصف إلى حلبة لتبادل الاتهامات والشتائم بين القوميين والشيوعيين وعجز الاستاذ عن ضبط الصف والسيطرة عليه، ظهرت اشاعة فحواها إني قمت بتوزيع المناشير في باب المطعم. اشاعة لا يصدقها عاقل امل لكنها كانت تلقى أذناً صاغية من عبد الكريم قاسم وفجأة سمع الناس ببغداد نبأ أكتشاف مؤامرة خطيرة يدبرها رشيد عالي الكيلاني[٦] للإطاحة بنظام الحكم بالتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة ثم نزلت (المقاومة الشعبية) وهي تنظيم شيوعي[٧] فاحتلت مفارق الطرق والنقاط الهامة في بغداد وبدأت بتفتيش السيارات وكانت معاملتهم للركاب في غاية الفظاظة والخشونة واتذكر أني كنت متجهاً في المساء

---

٥ ـ أسس معهد اللغات العالي في كانون الأول ١٩٥٩ وكانت الدراسة فيه مسائية، وقد وافقت وزارة المعارف على قبول عشرة ضباط في المعهد ويرجع هذا الفضل الى جهود العقيد الركن محمد خالد سكرتير رئيس أركان الجيش بعد أن أقنعته بمدى الفائدة التي تعود على وزارة الدفاع والضباط أنفسهم.

٦ ـ سياسي عراقي بارز ترأس الحكومة العراقية أربع مرات كانت آخرها حكومة الدفاع الوطني وهي حكومة عسكرية تألفت اثر استقالة وزارة العميد الركن طه الهاشمي في أول نيسان ١٩٤١ ،، اذ اجتمع مجلس النواب ومجلس الأعيان في جلسة مشتركة بتاريخ ١٠ نيسان فقررا عزل عبد الاله من منصب الوصاية وتعين الشريف شرف وصياً على فيصل الثاني واسناد رئاسة الوزارة الى السيد رشيد عالي الكيلاني الذي اضطر للهرب خارج العراق بعد فشل حركة مايس ١٩٤١ وعاد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

٧ ـ في هذه الفترة وبعدها بقليل ظهرت تنظيمات شيوعية اتخذت أسماء مختلف كأنصار السلام والمقاومة الشعبية والشبيبة الديمقراطية ولجان الدفاع عن الجمهورية... الخ.

بسيارتي من الأعظمية إلى بغداد وكانت معي زوجتي فأوقفنا عند نادي الأولمبي أي في ساحة عنتر وطلبوا مني النزول وفتح الصندوق الخلفي للسيارة فاستجبت للطلب بكل هدوء ثم سألوني عن هويتي فأجبتهم إني ضابط في الجيش وإني أدعى عبد الكريم فرحان ثم أذنوا لي بمواصلة السير لكني آثرت العودة بعد قليل حفظاً لكرامتي وتجنباً للمشاكل.

أحيل كل من رشيد عالي الكيلاني ومبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي إلى المحكمة العسكرية العليا الخاصة في ٩ كانون الأول ١٩٥٨ ليحاكموا وفق المادة (٨٠) من قانون العقوبات البغدادي بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم ثم صدر الحكم بتاريخ ١٠ كانون الأول ويقضي بأعدام كل من عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني وبراءة رشيد عالي الكيلاني الذي لم يثبت اشتراكه في المؤامرة أو علمه بها وفي ١٤ كانون الأول أحيل رشيد عالي الكيلاني إلى المحكمة العسكرية الخاصة إثر اعتراف كل من المحكومين عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني بتحريض رشيد عالي الكيلاني لهما على القيام بالمؤامرة والانصال بدولة أجنبية والظاهر أنهما قد انهارا ووُعدا بعدم تنفيذ حكم الاعدام بحقهما،يؤيد ذلك عدم تصديق الحكم. وفي ١٥ كانون الأول ١٩٥٨ عقدت المحكمة العسكرية الخاصة جلسة سرية لمحاكمة رشيد عالي الكيلاني بموجب المادة الثانية من الباب الثاني عشر من قانون العقوبات البغدادي وفي ١٧ كانون الأول حكمت عليه المحكمة بالاعدام شنقاً حتى الموت وبقي حكم الاعدام في مكتب رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم دون تصديق فلم ينفذ.

وسواء كانت المؤامرة صحيحة أو ملفقة، خطيرة أو تافهة، فإن الشيوعيين تعمدوا كشفها، ظناً منهم أنها لن تنفذ أو يشرع بها وستقتصر على التذمر وانتقاد السلطة في المجالس الخاصة لا سيما وأنهم متلهفون ومستعجلون للسيطرة والأنفراد لقد لعب الحزب الشيوعي دوراً فدس أحد أعضائه مع المتآمرين وسجلوا حديث عبد الرحيم الراوي بعد أن دفعوه وشجعوه وما أكثر المتذمرين عندما تنحرف الثورة وكل يدعي أنه قادر على تصحيح الانحراف ولديه من القوة والانصار ما يضمن ذلك... استغل الشيوعيون المؤامرة استغلالاً ذكياً فأبرزوا خطورتها فضخموها فهي لا تهدف لقلب نظام الحكم فحسب وإنما تسعى لاغتيال عبد الكريم قاسم وهي مستعدة للتعاون مع الشيطان في سبيل ذلك وهكذا سنحت لهم فرصة ذهبية لترسيخ نفوذهم والتخلص من العناصر القومية وتوسيع الهوة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة وكسب ثقة الزعيم عبد الكريم قاسم. كان انكشاف المؤامرة والحكم على المتآمرين واعتقال الضباط القوميين بداية لحملة تشهير ضد الجمهورية العربية المتحدة واعتقال واقصاء العناصر القومية والوطنية، وأبعادالضباط القوميين عن وحداتهم ومراكزهم القيادية، وهيمنة الحزب الشيوعي على أجهزة الاعلام وسياسة البلاد الداخلية وظهر جلياً انحراف الثورة وانحياز عبد الكريم قاسم إلى الحزب الشيوعي الذي استأثر بكل

شيء، ومنعت الأحزاب القومية والوطنية من ممارسة نشاطها فاستقال الوزراء القوميون[8] لعدم استجابة عبد الكريم قاسم لمطالبهم المشروعة يوم ٥ شباط ١٩٥٩ كما قدم في الوقت نفسه الأستاذ محمد مهدي كبة استقالته من مجلس السيادة وهكذا تخلص عبد الكريم قاسم من الوزراء الحزبيين وبخاصة القوميين فتألفت حكومة جديدة في ٧ شباط ١٩٥٩ كان وزراؤها من المعتدلين واغلبهم اعضاء في الحزب الوطني الديموقراطي أو من المؤيدين لمنهجه وآرائه ويؤكد السيد صديق شنشل[9] إن وزارة ٧ شباط ١٩٥٩ هي وزارة كامل الجادرجي لأن أغلب وزرائها إما أعضاء في حزبه وإما مؤيدون له ولأفكاره[10].

لقد خلا الجو لعبد الكريم قاسم ولم يعد هناك من معارض أو منتقد لسياسته في مجلس الوزراء الذي أصبح برمته مؤيداً له منفذاً لأوامره وتعرضت القوى القومية والوحدوية لألوان من الأذى والاضطهاد وتصاعد الاتجاه المعادي للوحدة العربية والجمهورية العربية المتحدة، وهاجم الشيوعيون احتفالاً اقيم في السفارة المصرية بمناسبة لذكرى الأولى لقيام الجمهورية العربية المتحدة وألقى عامر عبد الله عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي محاضرة في جمعية الخريجين بعنوان "الطريق التاريخي لوحدة الأمة العربية" ذكر فيها عدم جدوى الحديث عن دولة عربية واحدة وإن هذا الحلم العربي ليس بالأمر اليسير أو قريب المنال فأقر التجزئة ورضى بالاقليمية فقد قال: "ليس من المجدي في أيامنا هذه الافراط في الحديث عن دولة عربية واحدة، مثلما هو مجد الحديث عن أمة متحررة، تستطيع أن تصون استقلالها... إن الركب العربي غير محشود في نقطة واحدة على الطريق.. إن تحقيق حلم العرب في توحيداتهم ليس أمراً يسيراً أو قريب المنال... إن البلدان العربية لا تسير على وتيرة واحدة، لا في حركة تطورها العام، ولا في مسيرتها نحو الوحدة. وواقع الحياة يدل على أن البلدان العربية ستستمر في مسالك متعددة متباينة" ويمضي في محاضرته فيقول: "إن التجزئة اصبحت واقعاً... وإن الظروف الخاصة لا يمكن تجاهلها... لقد أعطت تجربة الوحدة السورية ـ المصرية مردوداً سلبياً في وقف سورية عن سيرها الحثيث في طريق التطور العام، وردها خطوات عديدة إلى

---

٨ ــ الوزراء المستقيلون هم الزعيم الركن ناجي الطالب وزير الشؤون الاجتماعية والدكتور عبد الجبار الجومرد وزير الخارجية وبابا علي الشيخ محمود وزير المواصلات والأشغال والدكتور محمد صالح محمود وزير الصحة ومحمد صديق شنشل وزير الارشاد وفؤاد الركابي وزير الاعمار.

٩ ــ محامي وسياسي أحد أعضاء حزب الاستقلال البارزين كان وزيراً للارشاد في الوزارة الأولى للثورة ثم استقال.

١٠ ــ ليث عبد الحسن جواد الزبيدي ــ ثورة ١٤ تموز في العراق ــ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩ ص (٤٦٩).

١١ ــ سمير عبد الكريم ــ أضواء على الحركة الشيوعية في العراق ــ الجزء الثاني بيروت ص ٥٧ .

الوزراء"[11] وقد نشرت جريدة اتحاد الشعب الناطقة بلسان الحزب الشيوعي نص المحاضرة في ١٩٥٩/٢/١٦ لقد قاد الحزب الشيوعي حملة استعداء قاسم على القوى والعناصر الوطنية والجمهورية العربية المتحدة ولعبت جريدة اتحاد الشعب دوراً تحريضياً استفزازياً وكانت مقالاتها مليئة بالشتائم.

كتبت في ١٩٥٩/٢/١ تقول: "تجمعت العناصر الحاقدة والموتورة، القديمة منها والجديدة، وبدأت سلسلة من المؤامرات... وكانت بعض الجهات العربية تتربص بالنتائج، وتلتزم الصمت، بل وتردد تعبير "التضامن" و "وحدة الكفاح" وهكذا تكاثفت التجمعات والجهات والكتل الاسلامية والقومية المزيفة ضد الجمهورية"[12]. وعندما استقال الوزراء الستة القوميون فرحت وكتبت تقول: "ما إن بدأت الثورة تقطع خطواتها الأولى... حتى بدأت بوادر التخلف عن مسايرة نهج الثورة تتضح لدى فريق من المسؤولين الذين حملتهم الثورة إلى دست الحكم... وقد انعكس ذلك في عدد من المواقف السلبية لدى بعض الوزراء، ثم إعراض معجز هامس، فتذمر... ثم انتقادات مكتومة ومعلنة، تجسدت فيما بعد في تكتل واضح المعالم، اتخذ مظهر النقمة على سياسة الحكم وقيادته، واتخذ أحياناً طابع العطف المباشر أو غير المباشر على النشاطات المعادية للجمهورية في الداخل والخارج وكذلك المساهمة الفعلية عن قصد أو غير قصد، في حملة الافتراءات على سياسة العراق.. إن تقديرنا للتبديل الوزاري الأخير أنه عمل ايجابي ذو أهمية كبيرة في هذه المرحلة"[13].

ومضت جريدة اتحاد الشعب تستعدي قاسم على القوى والعناصر الوطنية باعتبارها عناصر رجعية متآمرة، وتكيل الشتائم والاتهامات للقوميين ورجال الدين، وجند الحزب الشيوعي كل قواه وطاقاته لخدمة عبد الكريم قاسم والدفاع عن سياسته "ولعب الدور الأول في الدعاية له وخلق الأوهام عنه"[14] واحكموا حوله حلقات التأثير فنفذ كل طلباتهم وتبنى مذكراتهم السياسية التي تحولت إلى سياسة رسمية للدولة[15].

لقد تحول عبد الكريم قاسم إلى دكتاتور لا يرد له أمر وبدأ الحزب الشيوعي يبسط نفوذه واحكام قبضته فسعى إلى السيطرة والهيمنة على النقابات والمنظمات المهنية والجمعيات الفلاحية ونجحت قائمته بانتخابات نقابة المعلمين بعد أن لجأ إلى التهديد والارهاب

---

١٢ ــ المصدر نفسه ص ٥٨ .

١٣ ــ جريدة اتحاد الشعب، ٩ شباط ١٩٥٩

١٤ ــ محاولة في تقييم سياسة حزبنا ــ ملحق جريدة واحدة القاعدة للحزب الشيوعي العراقي ١٩٧٦ ص ٨ .

١٥ ــ المرجع نفسه ص ٧ و٨ .

وتدخلت السلطة لمصلحته، وأصبحت مهرجانات "انصار السلام" التي أقامها الحزب في النجف والديوانية وديالى[١٦] استعراضاً ارهابياً لقوى الحزب وتحدياً واستفزازاً للقوى القومية، وتخويفاً للجماهير الفقيرة والكادحة.

عود على بدء

انحرفت ثورة ١٤ تموز، واستحوذ الحزب الشيوعي على المؤسسات والنقابات والاتحادات، ولقيت القوى القومية ألواناً من الاضطهاد والأذى، حينئذ ادرك الضباط الأحرار ضرورة العمل لاعادة المياه الى مجاريها قبل فوات الأوان.

شرع الضباط الأحرار باعادة تنظيمهم وجرى مسح عام للضباط والوحدات والمؤسسات والمعسكرات، وبدأت عملية فرز وتمحيص وتقييم لمعونة العناصر التي لا زالت متمسكة بمبادىء ثورة ١٤ تموز وأهدافها، بعد أن كثر الانتهازيون وضعفت مقاومة الضباط امام المغريات، وتضاعفت اعداد الضباط المؤيدين لسياسة عبد الكريم قاسم[١٧]. وتلت ذلك اتصالات ولقاءات واجتماعات مصّغرة ثم عهد إليّ مسؤولية معسكر المسيب والمحاويل، ففي المسيب كان يعسكر الفوج الآلي الأول وهو جزء من اللواء المدرع السادس وكان آمره بالوكالة المقدم كامل حسون الجنابي معاون آمر الفوج بسبب قيامي بوكالة آمرية اللواء المدرع السادس في بغداد وعلى مقربة من الفوج تقع ثكنات اللواء الأول وكان آمره الزعيم حميد سيد حسني وهو من انصار عبد الكريم قاسم والمؤيدين لسياسته وبخاصة بعد أن اعتبره متخرجاً في كلية الأركان بدرجة (ب) ومنحه قدماً ممتازاً لسنة واحدة ولقب ركن، أما مقدم اللواء المقدم الركن عيسى الشاوي فكان من الضباط الأحرار وكنت على صلة وثيقة به.

قررت زيارة معسكر المسيب بحجة تفتيش الفوج الالي الأول وتعمدت أن يرافقني في

---

١٦ ــ سمير عبد الكريم ــ أضواء على الحركة الشيوعية في العراق ــ الجزء الثاني ــ بيروت ص ٤٦ .

١٧ ــ سعى الزعيم عبد الكريم قاسم لزيادة عدد القاده ومؤيديه من الضباط قبيل ابتداء الصراع مع عبد السلام عارف ودأب مرافقه الأقدم العقيد وصفي طاهر على استدعاء الضباط المرشحين لمناصب قيادية لمقابلة الزعيم والتحدث اليه في وزارة الدفاع قبل تعيينهم في مناصبهم كما استخدم الزعيم عبد الكريم قاسم صلاحيته في بعض الأحيان لمصلحة بعض الضباط الذين يثق بهم ويعتمد عليهم ثم أصدر قانوناً جديداً لخدمة الضباط ورقمه ٨٩ لسنة ١٩٥٨ ارتفعت بموجبه رواتب الضباط ومخصصاتهم، وفي احدى زياراتي له تطرق الى القانون الجديد ومزاياه فقلت له ان صدور القانون يدل على محاباة الضباط وتمييزهم عن بقية المواطنين رغم أن رواتبهم ومخصصاتهم مجزية اذا قورنت برواتب بقية موظفي الدولة... أغضبه كلامي فقال هذا حق من حقوقهم. ثم أصدر قانون التقاعد العسكري الرقم ٥ لسنة ١٩٥٩ ترتب عليه زيادة رواتب التقاعد للضباط.

الزيارة أحد ضباط مقر اللواء والذي كلف بمراقبة نشاطي.

التقيت بمعاون آمر الفوج وتحدثت إليه كما بحثنا مشاكل الفوج الادارية واخبرته بخطة الاسكان الجديدة حيث تقرر إسكان اللواء المدرع في التاجي، ثم ذهبت إلى مقر اللواء الأول لزيارة المقدم الركن عيسى الشاوي والتحدث إليه بشأن استئناف العمل وما إن دخلت غرفة مقدم اللواء حتى دخل في أثري آمر اللواء الزعيم حميد سيد حسين والظاهر أن المراسل الذي يقف بباب دائرته قد أخبره بدخولي إلى غرفة مقدم اللواء فصافحته وتعانقنا واستدركت الموقف فقلت له اني على وشك الطلب من الأخ عيسى الشاوي باخبارك بوجودي ورغبتي في زيارتك ثم تحدثنا حديثاً عاماً وشربنا الشاي ثم قهوة عربية وأصرّ على تناول الغداء معه لكنّ اعتذرت وأخبرته أني وعدت ضباط الفوج بتناول الغداء معهم في مطعمهم ثم عدت عصراً إلى بغداد وتبين لي أن هناك رقابة شديدة على الضباط القوميين تقوم بها أكثر من جهة فبالاضافة لأجهزة الأمن والاستخبارات والحزب الشيوعي تطوعت العناصر الانتهازية للقيام بمهمة التجسس إرضاء لعبد الكريم قاسم وطمعاً في المكافأة وهي عناصر كثيرة، الأمر الذي يدعو إلى المزيد من الحذر واليقظة لذلك آثرت أن يتولى العقيد عبد الرزاق سيد محمود مسؤولية معسكر المحاويل وهو من صنف المدفعية والمعسكر يضم عدة كتائب مدفعية ولقد تأكدت من وجود رقابة على تلفوني وداري ودائرتي في معسكر الرشيد فلزمت جانب الحذر وحرصت على عدم الالتقاء بالضباط وتجنبت مراجعة وزارة الدفاع وحذرت الضباط من زيارتي في داري وكنت التقي بالعقيد عبد الرزاق محمود في دار صهره عبد الرحمن الأرحيم في محلة راغبة خاتون في الأعظمية وكان تفضيلي للدار يرجع إلى الصداقة التي تربط عبد الرحمن الأرحيمم بالمدعي العام ماجد محمد أمين والذي كان يزوره في بعض الأمسيات، وكان عبد الرحمن الأرحيم يملك متجراً في الشورجة وهو من ابناء الموصل ولن تحوم الشكوك حوله إن زاره قريب أو صديق، وقد التقيت بالزعيم الركن عبد العزيز العقيلي بنفس الدار وتبادلنا الاراء ووجهات النظر ثم فضلنا عدم الالتقاء والتعويل على عبد الرحمن الأرحيم بنقل الآراء والمعلومات، واطلعني عبد الرحمن الأرحيم على تقدير موقف وضعه الزعيم عزيز العقيلي قرأته بامعان وبينت رأيي، كما اتخذنا من معرض لمكائن خياطة سنجر في شارع الأمين مثابة أمينة نلتقي فيها أنا والمقدم الركن محمد مجيد والرئيس الأول صبحي عبد الحميد وكان صاحب المعرض خليل ابراهيم صديق حميم للمقدم الركن محمد مجيد، فكنا نتبادل الآراء ويطلع كل منا على نشاط الآخر والمرحلة التي وصلت إليها الاستعدادات بعد أن انيطت المسؤولية بمدير الاستخبارات العقيد رفعت الحاج سري يعاونه المقدم الركن محمد خالد سكرتير رئيس اركان الجيش وقد علمت ان هناك خطة وضعها العقيد الركن عبد الغني الراوي بتشجيع من فؤاد الركابي تتضمن القاء قنبلة او متفجرات من سطح احدى الدور أو نوافذها

على سيارة عبد الكريم قاسم اثناء مرورها في الشارع ثم صرف النظر عنها لصعوبة تنفيذها واحتمال فشلها. وتعمدت أكثر من مرة زيارة المقدم محسن الرفيعي آمر مدرسة الصنائع الجوية وهي قريبة من مقر اللواء بحجة طلب بعض المعونة الفنية والذي كان يزور عبد الكريم قاسم بين حين وآخر وكنت أتوخى الوقوف على وجهة نظره كما بيت أهمية الوحدة الوطنية وشكي باخلاص الشيوعيين للزعيم عبد الكريم قاسم وكنت آمل أن ينقل هذا الحديث إلى عبد الكريم قاسم لعلّه ينتبه ويقدر الأخطار قبل فوات الأوان.

وفي أوائل الأسبوع الأخير من شهر شباط ١٩٥٩ دخل إلى غرفتي الرئيس الركن داود عبد الجبار احد ضباط مقر اللواء بعد الاستئذان وبلغني تحية العقيد الركن عبد الوهاب الشواف ورغبته في مقابلتي قبل عودته للموصل فأجبته سأحاول ثم انصرف... لكنّي لم أقابل العقيد الركن عبد الوهاب الشواف ـ لأني كنت أعرف غرضه وكنا ماضين في الاستعداد والتهيؤ تجنباً للرقابة التي بدأت تشتد ولست أشك أن جميع اتصالاته في بغداد قد وصلت إلى الزعيم عبد الكريم قاسم بفضل الشيوعيين وعدم تروي العقيد عبد الوهاب وتقديره للظروف، ثم التقينا أنا ومحمد مجيد وصبحي عبد الحميد في المثابة في شارع الأمين عصراً بعد يومين أو ثلاث من عودة الشواف إلى الموصل وتحدثنا قليلاً ثم استأذن محمد مجيد بالذهاب لملاقاة ضابط قدم من الموصل يدعى محمد سليم ورجا منا الانتظار ريثما يعود وبقينا نتداول ونتناقش ثم عاد واعلمنا أن الوضع في الموصل متأزم وهي تستعد لثورة ضد نظام قاسم.

في صباح ٣ آذار ١٩٥٩ وبعد ابتداء الدوام بحوالي ساعتين وصلت برقية من وزارة الدفاع إلى مقر اللواء تتضمن نقلي من اللواء المدرع السادس إلى أمرة الادارة وبوجوب إلتحاقي بالإدارة فوراً، اطلعت على البرقية فجمعت أوراقي ثم ودعت ضباط مقر اللواء وتوجهت إلى وزارة الدفاع. قابلت مدير الادارة الزعيم الركن رشاد الحمامي فاقترح عليّ طلب مقابلة رئيس اركان الجيش اللواء الركن أحمد صالح العبدي فأجبته بعدم وجوب ما يستدعي طلب المواجهة، أني قد نفذت الأمر الصادر ولست أشك أنك ستخبره بالتحاقي وبوسعه استدعائي إذا رغب ثم استدعى مراسله ليدلني على الغرفة التي سأداوم فيها ودخلت الغرفة فوجدت فيها العقيد طاهر يحيى والعقيد الركن ابراهيم فيصل الانصاري والعقيد الركن عبد الغني الراوي وكان الثلاثة بأمرة الادارة أيضاً، انتهى الدوام الرسمي وتوجهت إلى داري في الأعظمية وركب معي العقيد الركن ابراهيم فيصل إذ كانت داره في نفس المحلة التي اسكن بها فتوجهنا إلى داره أولاً ثم توجهت إلى داري وقبيل نزولي من السيارة اخبرت السائق بالالتحاق بمقر اللواء وعدم المجيء فقد نقلت من اللواء وليس من حقي استخدام السيارة بعد اليوم. داومت بضعة أيام في مديرية الادارة وكنت استخدم سيارتي الخاصة في التنقل.. .انتهى الدوام الرسمي يوم ٨ مارس

وتوجهت إلى الأعظمية وكان معي العقيد الركن ابراهيم فيصل فأوصلته إلى بيته ثم توجهت إلى داري ولم أكد أفرغ من تناول طعام الغداء حتى دق جرس الباب فذهبت وفتحتها فرأيت المقاول داوود سلمان الجبوري وهو صديق من ابناء الصويرة وكان اهله يسكنون بدار قريبة من داري فسلم ودخل ثم اخبرني بقيام (حركة عسكرية) في الموصل فهرعت إلى التلفون لأتصل بوزارة الدفاع للتأكد من صحة النبأ لكن التلفون لم يشتغل وأدركت أن الخط قد قطع ثم انصرف بعد ن شرب القهوة وبعد قليل عادت زوجتي بسيارة تاكسي وكانت قد نزلت إلى بغداد لشراء بعض الأقمشة فأيدت النبأ وفي المساء وقفت سيارة عسكرية (تحمل علامة الأنضباط العسكري) عند مدخل الدار، ونزل منها ضابط من آمرية الانضباط العسكري واثنان من ضباط الصف... اخبرني الضابط أن الأمر قد صدر باعتقالي وطلب مني الذهاب إلى السجن العسكري رقم (١) في معسكر الرشيد فرجوته الانتظار بعض الوقت ريثما أعد حاجاتي، ثم خرجت بعد ربع ساعة مع امتعتي وقبيل ركوبي في السيارة سألني الضابط عن مكان دار الرئيس الأول الركن صبحي عبد الحميد فنفيت معرفتي بها... وركبت بجانب السائق وتحركت السيارة باتجاه بغداد ثم اتجهت نحو الوزيرية ووقفت عند مخفر الشرطة. ودخل الضابط إلى المخفر يسأل عن بيت صبحي عبد الحميد ثم خرج يرافقه شرطي وتحركت السيارة فوقفت عند دار الرئيس الأول الركن صبحي عبد الحميد... وبعد قليل خرج صبحي عبد الحميد مع متاعه وركب في القسم الخلفي من السيارة وهي من نوع (فانيت) وتحرت السيارة مخترقة شارع الرشيد ثم اتجهت إلى معسكر الرشيد وتوقفت في مدخل السجن ونزلنا منها مع امتعتنا واستقبلنا مدير السجن وكان برتبة رئيس أول عرفت فيما بعد أن اسمه وزير حمزة وجلسنا في دائرته قليلاً ريثما تعد الأمكنة وقال لي صبحي كنت أتصور أن الجالس بجانب السائق العقيد الركن عبد الغني الراوي لأنه يسكن في الوزيرية كما أن شدة الظلام حالت دون رؤية الجالس. وبعد قليل أعدّت الأماكن فخصصت لكل واحد منا غرفة، واقترح الرئيس الأول الركن صبحي عبد الحميد أن نكون في غرفة واحدة وكان يعرف مدير السجن وهما من دورة واحدة في الكلية العسكرية، لكن مدير السجن اعتذر واخبره أن أوامر آمر الانضباط العسكري العقيد عبد الكريم الجدة الأخيرة تمنع وضع ضابطي ركن في غرفة واحدة... ودخلت الغرفة مع متاعي وكانت غرفة حلاق المعتقل، ثم أخرجت فراشي ووضعته على السرير.. .تمددت على السرير وبدأت افكر واقدر النتائج... كان جو الغرفة بارداً وكان معي بطانية واحدة أمنت لي الدفء.. وبعد حوالي الساعة فتح باب الغرفة ودخل الرئيس الأول الركن صبحي عبد الحميد مع متاعه فاستغربت دخوله وقبيل أن أسأله قال: لقد زاد عدد المعتقلين وتقرر وضع شخصين في كل غرفة واقترحت على مدير السجن أن اكون معك فوافق... ثم رتب فراشه واستلقى

على السرير.. لكننا لم نتحدث وآثرنا الصمت وخلا كل منا إلى نفسه يفكر ويتأمل.

حركة الشواف

قبل الحديث عن حركة الشواف يتعين علينا الرجوع إلى الوراء سواء فيما يتعلق بالعقيد الركن الشواف، ومدينة الموصل، والزعيم الركن عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي لأن الخلفيات تساعدنا في فهم طبيعة الحركة وبواعثها وأسباب فشلها. رأيت عبد الوهاب الشواف لأول مرة في معسكر جلولاء عقب حركة مايس ١٩٤١ ببضعة أشهر، كان ملازماً أولاً في احدى كتيبتي المدفعية وكنت ملازماً في الفوج الثالث لواء المشاة الثالث، كنا نلتقي في أحيان نادرة جداً بسبب تباعد الثكنات وتباين الهوايات... كان سريع الغضب والانفعال، لا يسيطر على لسانه أو يتحكم في عواطفه... ثم تغيرت اماكننا والتقينا مرة ثانية وبعد أكثر من عشر سنوات، فقد اسند إليّ منصب مقدم لواء في لواء المشاة الرابع عشر عقب تخرجي من كلية الأركان وكان المقدم الركن عبد الوهاب الشواف احد آمري الأفواج وكان اللواء يعسكر في المنطقة المحصورة بين جلولاء والسعدية وهو يتأهب لتطبيق تمرين (مقداد) الفحص ثم يشترك بعده في تمرين (المثنى) ضمن الفرقة الأولى... لم يتغير الشواف كثيراً بل زاد اعتداده بنفسه واصبح يغضب لأتفه الاسباب... كان يعترض دوماً على الأوامر التي تصدر من مقر اللواء وأغلبها يتعلق بتنظيم المعسكر وارسال جنود شغل لتأشير طرقه ومداخله بالرغم من مجاملة آمر اللواء العقيد الركن نوري جميل له، وكانت معاملته لضباط الفوج خشنة فتجنبوا مراجعته، وسعى بعضهم إلى أمثال الرئيس شاكر مدحت السعود والملازم الأول فخري جاسم وغيره لحل مشاكلهم أو للتوسط لدى آمر الفوج نفسه، ثم انتقلت إلى دائرة الأركان العامة في وزارة الدفاع وضمنا تنظيم سرى واحد... كان العقيد الركن عبد الوهاب الشواف شديد الحماس والاندفاع.

يقول العقيد الركن صبيح علي غالب: "وكم مرة استدعاني العقيد الركن عبد الوهاب الشواف إلى خيمته وهو في حالة غضب شديد قائلاً: سأبدأ بالعمل واضع الجماعة (ويعني اللجنة العليا) أمام الأمر الواقع إذا لم يسرعوا بالتنفيذ. وأخيراً نفذ صبري من إصراره، فذهبت إلى وزارة الدفاع لمقابلة العقيد الركن عبد الوهاب الأمين عضو اللجنة العليا، وكان يشغل منصب مدير شعبة الحركات العسكرية وأخبرته بأننا قادرون على السيطرة على لواء المشاة الرابع عشر والزحف نحو بغداد لتنفيذ الثورة فلم يوافقني على رأيي قائلاً احبر

---

١٨ ــ العقيد الركن صبيح علي غالب ــ قصة ثورة ١٤ تموز والضباط الأحرار ــ دار الطليعة بيروت ص ٣٣

الشواف بالتريث لأن قواتنا لا تزال ضعيفة"[18]، لذلك قررت اللجنة العليا للضباط الاحرار تجميد نشاطه واخفاء أمر الاجتماعات عنه[19].

غضب العقيد الركن عبد الوهاب الشواف وتألم لقرار اللجنة فتمرد عليه واعتبره اهانة له وجحوداً لخدماته فازداد حماسة واندفاعه، وألف كتلة من الضباط عرفت باندفاعها وعدم تقيدها والتزامها[20] ثم انضم إليه المقدم الركن عبد الغني الراوي وأوشكت هذه الكتلة أن تشرع بمغامرة لاحتلال بغداد في ١٥ آذار (مارس) ١٩٥٨ لكنها توقفت في اللحظات الأخيرة لعدم تمكن المقدم الركن عبد الغني الراوي من تنفيذ تعهده[21]. ثم قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ واستأثر كل من الزعيم الركن عبد الكريم قاسم والعقيد الركن عبد السلام عارف بأخطر المناصب وأهمها وأمتنعا عن تشكيل مجلس قيادة الثورة، ولم يعين الشواف في المنصب الذي يطمح اليه[22] ورأى في تعيينه آمر حامية الموصل ابعاداً له وتخلصاً منه فازدادت نقمته وتذمره، ثم انجرفت الثورة وأنفرد عبد الكريم قاسم بالسلطة، ودخلت البلاد في صراع عقائدي فتمزق الصف الوطني...لقد انتصر الشيوعيون في بغداد والألوية الجنوبية وهيمنوا على النقابات والاتحادات والجمعيات وآن لهم أن يبسطوا نفوذهم على مدينة الموصل، فبدأ فيها الاحتكاك بين القوميين وهم غالبية السكان والشيوعيين وهم قلة تدعمهم السلطة والحزب الشيوعي.

إن لواء الموصل من أكبر ألوية العراق بالنسبة لعدد أقضيته، فهو يتاخم سورية وكل من لواء بغداد والرمادي واربيل ويضم عناصر مختلفة عربية وكردية ويزيدية وتركمانية، ومعظم سكان اللواء من المسلمين ويوجد فيه اقلية مسيحية ويزيدية وبعض النحل الأخرى من شبك وكاكائية وغيرها... أما مدينة الموصل نفسها فمدينة قومية محافظة، تتمسك بالدين الاسلامي الحنيف وتعتز بعروبتها وتراثها، ومدينة الموصل ثاني المدن بعد بغداد بالنسبة لعدد الضباط في الجيش لكن أغلبهم يسعى ويرغب في العمل بلواء الموصل أو المنطقة الشمالية شأن الضباط الآخرين ولما كان تنظيم الضباط الاحرار قد بدأ في بغداد لذلك لم يحتلوامواقع في اللجنة العليا كما كان عددهم قليلاً في منظمة الضباط الاحرار رغم أنهم لا يقلون حماسة وغيرة ووطنية عن بقية الضباط وآلمهم أن يكون دورهم في ثورة ١٤ تموز أقل من دور اخوانهم، فلا عجب أن يقفوا إلى جانب القوى القومية في صراعها ويؤيدوا

---

١٩ ــ عبد الكريم فرحان ــ ثورة ١٤ تموز في العراق ــ دار الطليعة بيروت ص ٥٠ .
٢٠ ــ عبد الكريم فرحات ــ ثورة ١٤ تموز في العراق ــ دار الطليعة بيروت ص ٦٠ و٦١
٢١ ــ نفس المرج ص ٦٣ .
٢٢ ــ ليث عبد الحسن الزبيدي ــ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ــ دار الرشيد للنشر ص ٤٣ .

لشواف بل ويدفعوه لاتخاذ موقف حاسم وهاهي دي الفرصة تسنح لهم لتصحيح الانحراف ولعب الدور الذي كانوا يطمحون إليه... لقد لعبت مدينة الموصل دوراً بارزاً في النضال الوطني والقومي وقامت فيها انتفاضات وطنية وقومية، آخرها انتفاضة عام ١٩٥٦ التي قامت انتصاراً وتأييداً للشعب العربي في مصر، واستنكاراً للعدوان الثلاثي الغادر..

لقد تحولت الموصل إلى قلعة قومية وحدوية بفضل تنامي وتعمق الوعي القومي، وهي تقض مضاجع قاسم وتؤرق عليه ليله، لتاخمتها الجمهورية العربية المتحدة ـ دولة الوحدة الرائدة ـ وصمودها بوجه المد الشيوعي لا سيما بعد أن فشلت الاصطدامات المحلية التي افتعلها الشيوعيون لفرض نفوذهم على المدينة، إن بقاء الموصل متأبية صامدة يهدد نظام قاسم الذي يسعى إلى عزل العراق وتكريس الأقليمية ويقف حجر عثرة بوجه الحزب الشيوعي الذي يخطط لتولي السلطة في مرحلة قادمة. لقد وقفت السلطة إلى جانب شيوعيي الموصل كما سخر الحزب الشيوعي كل أجهزته وطاقاته لدعمهم وقامت جريدة اتحاد الشعب لسان الحزب الشيوعي باستعداء قاسم أبناء مدينة الموصل فكتبت بعددها الصادرفي ٢٧ شباط ١٩٥٩ مقالاً افتتاحياً بعنوان (لإحباط مؤامرات الاستعمار، ينبغي المزيد من الحزم والتطهير) قالت فيه: "منذ امد، والانباء تتواتر عن وجود "شراذم" القوى القومية في الموصل، تمارس بعض الفعاليات المناوئة للثورة برعاية بعض الموظفين غير الأمناء على مصالح الجماهير، إلاّ أن نشاط هذه الزمر، اخذ يتفاقم، لدرجة لم يعد من الصحيح السكوت عنه. ومن المنطقي، ان "شراذم" لا يمكنها أن تفعل هذا كله لولا التساهل الملحوظ من بعض المسؤولين في اللواء، الذين لم تمتد إليهم يد الثورة بالاستئصال والتأديب.. وجرى ويجري اعتقال العناصر الديموقراطية، وعلى رؤوس الاشهاد، ويتخذ بعض ادعياء الدين من المنابر ابواقاً للفتنة.

إن صوت شعب الموصل الأبي (الشيوعي) قد ارتفع باستمرار في مذكراته وعرائضه ووفوده، شارحاً الحقائق للمسؤولين وراجياً من زعيم البلاد أن يتدخل لوضع حد حاسم لما يجري.

إن هذا يستلزم من "حكومة الثورة وقائدها المقدام" تشديد الحزم ضد الخونة والمتآمرين في كل أنحاء العراق واعتقال الرؤوس الشريرة. وليعلم الكائدون والعابثون ان الشعب لن يتركهم يعبثون بمكاسبه وإن يد الثورة العتيدة لهم بالمرصاد"[٢٣]. مقال كله شتائم وافتراءات، مليء بالدس والتشكيك يستعدي قاسم على القوى القومية ورجال الدين

---

٢٣ ــ سمير عبد الكريم ــ أضواء على الحركة الشيوعية في العراق ــ الجزء الثاني ــ دار الصياد ــ بيروت ص ٦٢ و ٦٣ .

ويطلب منه تشديد الحزم والقسوة واعتقال العناصر القومية النشيطة.

ونشرت جريدة اتحاد الشعب في اليوم التالي مذكرة الشيوعيين في الموصل إلى وزير الداخلية مليئة بالشتائم والتهديد والوعيد كما تطعن بجميع موظفي الدولة في الموصل وقالت الجريدة في ختامها "إننا على ثقة بأن شعبنا سيسير قدماً نحو حياته الأفضل ساحقاً تحت قدميه جميع رؤوس الخيانة والتآمر".

وأخيراً قرر الحزب الشيوعي اقامة مهرجان لانصار السلام في مدينة الموصل متحدياً مشاعر السكان ولكسر (شوكة القوى القومية)... عارضت مديرية الاستخبارات العسكرية عقد هذا المهرجان وحذرت من نتائجه المحتملة... توجه الشواف آمر حامية الموصل إلى بغداد يبين للمسؤولين وضع مدينة الموصل على حقيقته باعتباره المسؤول الأول عن أمن الموصل وحذر من اقامة المهرجان في المدينة، ولا ريب أن الشواف اتصل بعدد من الضباط الاحرار ليعرف وجهة نظرهم وليضمن وقوفهم بجانبه وتأييدهم له إذا دعا الداعي ولا بدّ أنه اطلع على المرحلة التي بلغتها الاستعدادات للإطاحة بعبد الكريم قاسم.

عاد الشواف إلى الموصل حانقاً متذمراً فقد أصرّ عبد الكريم قاسم على اقامة المهرجان في الموصل ولم يحفل بتحذيره واعتراض مدير الاستخبارات العسكرية، ثم بدأت الاستعدادات لاقامة المهرجان وصاحبها اعتداءات واستفزازات واهانات للقوميين ورجال الدين الذين التفوا حول الشواف وتعهدوا بالوقوف إلى جانبه في صراعه مع السلطة وذهب وفد منهم إلى كركوك لمقابلة قائد الفرقة الثانية الزعيم الركن ناظم الطبقجلي لبيان خطورة الحالة في الموصل وطلبوا تدخله لمنع اقامة المهرجان وكلف قائد الفرقة الثانية احد ضباط ركن مقر الفرقة بالتوجه إلى سورية سراً عبر منطقة الموصل لمقابلة المسؤولين[٢٤]. وكان السيد عبد الحميد السراج قد اتصل بالعقيد الشواف واتفقا على تدبير انقلاب ضد عبد الكريم قاسم يبدأ من الموصل وتعهد السراج بتقديم محطة إذاعة وارسال متطوعين إلى حامية الموصل[٢٥].

بدأ شيوعيو المنطقة الوسطى والجنوبية يتجمعون في بغداد تمهيداً للانتقال إلى الموصل فيما أخذ شيوعيو المنطقة الشمالية يتوافدون على الموصل، ثم تحرك (قطار السلام) مساء ٥

---

٢٤ ــ قام بهذه المهمة المقدم الركن عزيز أحمد وقد اعترف بذلك أمام الهيئة التحقيقية لكنه نفاها أمام المحكمة العسكرية العليا الخاصة وادعى أن اعترافه كان بسبب التعذيب الهائل... لقد التقيت به في معتقل الدبابات في معسكر الرشيد وسنحت لنا الفرصة للتحدث في الأيام الأخيرة بعد أن انتهى التحقيق وخف الضغط والتشديد... أظهر المرحوم ندمه ورجا مني التوسط لمصالحته مع الزعيم الركن ناظم الطبقجلي وأقسم أنه لن يعترف بافادته أمام المحكمة وبرّ بقسمه... وقد أخبرت المرحوم ناظم الطبقجلي في حينه كما أخبرت العقيد رجب عبد المجيد.

٢٥ ــ صلاح نصر ــ عبد الناصر وتجربة الوحدة ــ الوطن العربي ص ١٧٧ .

مارس ١٩٥٩ من بغداد متجهاً إلى الموصل ولم يجد اتصال الشواف الهاتفي بمديرية الاستخبارات العسكرية، وبدأت الاحداث تتحرك بسرعة عقب اقامة المهرجان في ملعب الادارة المحلية عصر يوم الجمعة ٦ مارس فتوتر الجو، ووقعت بعض الحوادث وأعلنت حامية الموصل منع التجول تطبيقاً لخطة الأمن، وتحرك أحد أفواج اللواء إلى داخل المدينة لفرض النظام وجرى اعتقال كبار الشيوعيين في الثكنة الحجرية، وفي هذه الأثناء تعرض الشواف لضغط قوى من المدنيين والضباط وبخاصة ضباط ركن مقر اللواء الذين نشطوا في الآونة الأخيرة وباتوا يخشون اجراءات عبد الكريم قاسم ضدهم[٢٦]. كما قتل كامل قزانجي احد أقطاب الشيوعيين والمقدم الشاوي آمر سرية الهندسة... ثم بدأ الشواف حركته، وأذيع البيان الأول من محطة إذاعة نصبت في معسكر الغزلاني يوم ٨ مارس ١٩٥٩ وتناول البيان انحراف الثورة ودكتاتورية عبد الكريم قاسم وطغيانه واضطهاد القوى القومية والتنكيل بالضباط الاحرار. ثم طالب البيان تنحي عبد الكريم قاسم بعد أن ذكر أن الحركة قامت بالاتفاق مع الزعيم الركن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية، ومع كافة الضباط الأحرار في الجيش الباسل وبعد التشاور مع سائر العناصر السياسية المخلصة[٢٧]... لقد تعمد الشواف في بيانه ذكر الاتفاق مع قائد الفرقة الثانية وجميع الضباط الاحرار ليدفعهم للمشاركة السريعة إذ أنه كان يعلم أن الاستعدادات أوشكت أن تتم، كما توخى التأثير على معنويات الزعيم الركن عبد الكريم قاسم علّه يتنحى بسبب اجماع الجيش. وكان رد فعل عبد الكريم قاسم سريعاً إذا كان يتوقع مثل هذه الانتفاضة في مدينة الموصل بناء على المعلومات التي وصلته وكان نشاط الشواف عند مجيئه إلى بغداد شبه مراقب كما اكتشفت أجهزة أمن قاسم نشاط المخابرات السورية[٢٨].

اتصل عبد الكريم قاسم تلفونياً بمقر حامية الموصل فتلقى جواباً قاسياً لا يعترف بزعامته فأصدر فوراً قراراً باحالة العقيد الركن عبد الوهاب الشواف على التقاعد وعين بدله الزعيم يونس محمد طاهر كما خصص مكافأة نقدية قدرها عشرة آلاف دينار لمن يقبض على الشواف حياً أو ميتاً وتوجهت طائرات من بغداد إلى الموصل، قصفت مقر الحامية فجرح العقيد الشواف كما فقد الرئيس الركن نافع داود بصره من جراء شظايا الزجاج، ثم قتل الشواف فانهارت الحركة وفرّ قسم من القائمين بها إلى سورية فاختل الأمن ودبت الفوضى وتمكن الشيوعيون من السيطرة على بعض مراكز الشرطة بعد ان انضم إليهم المعتقلون في

---

٢٦ ـــ كان من أشد المتحمسين الرئيس الأول الركن محمود عزيز مقدم لواء الخامس وقد هدد بالانتحار.

٢٧ ـــ ليث عبد الحسن الزبيدي ـــ ثورة ١٤ تموز في العراق ـــ دار الرشيد للنشر ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

٢٨ ـــ صلاح نصر ـــ عبد الناصر وتجربة الوحدة ـــ الوطن العربي ص ١٧٨ .

الثكنة الحجرية وعززتهم عناصر شيوعية قدمت من القرى المجاورة، بدأ الشيوعيون بالانتقام من أعدائهم القوميين من مدنيين وعسكريين فقتلوا تسعة وعشرين شخصاً سحلوا جثثهم في شوارع المدينة كما أقاموا (محكمة شعبية) حكمت على سبعة عشر شخصاً جرى أعدامهم في الدملماجة بالاضافة إلى اعتقال العشرات الذين جرى تسفيرهم مخفورين إلى بغداد تباعاً، فأودعوا في معتقل الدبابات في معسكر الرشيد تمهيداً لمحاكمتهم تلا ذلك اصدار ثلاث قوائم باحالة الضباط القوميين على التقاعد ضمن حوالي ثلاثمائة وخمسين ضابطاً.
لقد فشلت الحركة للأسباب التالية:

١ ــ قامت الحركة قبل موعدها وكانت مفاجئة للبعض وفي وقت تجري فيه الاستعدادات للقيام بحركة عامة تضم وحدات الموصل وكركوك ومواقع الجيش الأخرى المؤيدة للحركة كما لم يتم وضع الخطة بعد التي يتم بموجبها تثبيت المهام والواجبات وتخصيص القطعات لها وتحديد ساعة الصفر... علماً أن العمل الحاسم يتم في بغداد وفي مقر وزارة الدفاع.

٢ ــ اضطر العقيد رفعت الحاج سري مدير الاستخبارات العسكرية إلى التنسيق مع حركة الموصل بعد أن تأكد من تصميم الشواف وتعذر اقناعه بالتأجيل فأخذ الأمر على عاتقه، وقد توقع اعتقال الضباط المهمين فضم إليه العقيد الركن محمد خالد سكرتير رئيس أركان الجيش وقرر أن تبدأ مهمة وزارة الدفاع أي معالجة أمر عبد الكريم نفسه عقب نزول وحدات الجيش إلى مدينة بغداد فقد كان يعلق آمالاً كبيرة على ردّ الفعل ليجد مبرراً لاعتقال الزعيم عبد الكريم قاسم أو قتله إذا دعى الأمر[٢٩].

٣ ــ سرعة انهيار الحركة بعد مقتل الشواف الأمر الذي أدّى إلى توقف تنفيذ الخطة التي أملتها الظروف الراهنة.

٤ ــ طموح الشواف وتفاؤله الشديد أديّا إلى اهمال التدابير الأمنية ولم يقدر أهمية الصمود ريثما تبدأ الأعمال الأخرى وظنّ أن النجاح مؤكد ولا بدّ أن تبادر جميع وحدات الجيش بتأييده على غرار ما وقع في ثورة ١٤ تموز رغم تبدل الظروف والأحوال.

٥ ــ مبادرة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم السريعة واتخاذه تدابير واجراءات ناجعة وبخاصة قصف مقر الشواف واصابته، وهذا يؤكد توقعه للحركة وتسرب بعض المعلومات إليه من مصادر مختلفة من ضمنها السفير البريطاني "همفري تريفليان" الذي كان أول من حذر قاسم[٣٠].

---

٢٩ ــ ليث عبد الحسن الزبيدي ــ ثورة ١٤ تموز في العراق ــ دار الرشيد للنشر ص ٤٤٠ .
٣٠ ــ صلاح نصر ــ عبد الناصر وتجربة الوحدة ــ الوطن العربي ص ١٧٨ .

لقد أدى فشل الحركة إلى خسائر كثيرة في الأرواح كما أطال في عمر عبد الكريم قاسم نتيجة اقصاء العناصر القومية من الجيش وتلقي الأحزاب الوطنية والقوى القومية وبخاصة حزب البعث العربي الاشتراكي ضربات اضعفتها وشتت قواها، ومرت فترة عصيبة ذاق فيها المخلصون الأمرين وتخلف العراق عن دوره المنتظر فانضم إلى صفوف المعسكر المعادي للوحدة العربية وقام بدور المناوىء والمتحدة للجمهورية العربية المتحدة وبذلك شجع على قيام الانفصال بين سورية ومصر عام ١٩٦١ فانهار أول اتحاد سياسي في تاريخ العرب الحديث.

في السجن العسكري رقم ١

كانت الليلة الأولى طويلة وباردة لم تنقطع فيها حركة السيارات التي تنقل المزيد من المعتقلين وكانت الأصوات تصلنا عالية عند توقف السيارات ونزول المعتقلين وتوزيعهم على الغرف... كنت أرقب الفجر بقلق لأرى ما يخفيه الغد ولأعرف أسماء وعدد المعتقلين... وفي الصباح الباكر تحدثنا بعد التأكد والاطمئنان من سلامة المكان... قال الرئيس الأول الركن صحبي عبد الحميد، إن العقيد رفعت الحاج سري قد أخذ المهمة والمسؤولية يعاونه العقيد الركن محمد خالد سكرتير رئيس اركان الجيش وهو ينتظر قيام المظاهرات القومية في بغداد المؤيدة لحركة الموصل ونزول وحدات الجيش لتفريقها ثم يقوم بمعالجة أمر عبد الكريم قاسم في مقره بوزارة الدفاع. إنه قرار جريء وقد عرف المرحوم رفعت الحاج سري طيلة خدمته العسكرية بالجرأة والشجاعة والتصميم، لكن تنفيذه يتوقف على عوامل كثيرة أهمها صمود الموصل وتأييد المواقع والحاميات والمعسكرات الأخرى وبخاصة كركوك، وقيام مظاهرات في بغداد تؤيد حركة الموصل، لقد اضطر العقيد رفعت إلى هذا القرار، وهو مغامرة قد تفشل في اللحظة الأخيرة، أي عند دخول مقر عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع والذي سيأمر بمضاعفة حراسه وزيادة حجم القوات المخصصة للحماية بعد أن توجهت الطائرات من الموصل لقصف وزارة الدفاع ومرسلات الاذاعة في أبي غريب... ثم زارنا بعد قليل مدير السجن وجاء بعده جندي من الحانوت يحمل الشاي لنا، واصبحت هذه عادته عندما يزورنا إذ سرعان ما يوعز إلى مراسله بالذهاب إلى الحانوت لجلب الشاي...اخبرنا مدير السجن بأسماء المعتقلين... كانوا عناصر مهمة: عبد الغني الراوي، عارف عبد الرزاق، محمد مجيد نهاد فخري، حردان التكريتي وغيرهم... لم يقدر لها أن تشترك أو تنفذ المهمة الموكولة إليها... وفي العصر حدث فجأة هرج في السجن، هتافات... صياح...هوسات... أهازيج... سمعنا بعدها بمقتل الشواف... لم نصدق الخبر... إنها اشاعة اطلقها الشيوعيون لرفع المعنويات... كيف يقتل الشواف وهو في الموصل، قلعة القومية والضباط القوميون يحيطون به احاطة السوار بالمعصم ولما يمضي يوم

كامل على بدء الحركة!؟ وأخيراً عرفنا أن الشواف قد قتل حقيقة وإنّ جثته تسحل في شوارع الموصل. اذهلنا النبأ وكان كالصاعقة... لقد انهار كل شيء وبسرعة ولم يدر بخلدنا أن تنتهي حركة الموصل بهذا الشكل المرعب السريع.

وشهدت الموصل مأساة مروعة فقد ازهقت الأرواح البريئة وسحلت الجثث ومثّل بها، وعلقت على أعمدة الكهرباء واحرقت الممتلكات ونهبت الدور وشهدت مدن أخرى مثل هذه المجازر الوحشية: البصرة، كركوك، الديوانية، الكاظمية... وكانت افظعها مجزرة كركوك، واضطر عبد الكريم إلى مهاجمة مرتكبي جرائم القتل والتمثيل بالجثث فشبههم بالمغول، انقاذاً لسمعة نظامه التي هوت في نظر العالم ناسياً أنه المسؤول الأول، وهكذا خيم جو من الرعب والقهر والاضطهاد شمل العراق من أقصاه إلى أقصاه. وتمضي الأيام بطيئة بغيضة ويدفأ الجو ونقترح على مدير السجن شراء سخّان (بريمس) وقدر كبير لغلي الماء فيه على حسابنا لنستطيع الاستحمام فيوافق على الاقتراح ونجمع النقود ويتم الشراء ونختار زاوية منعزلة قريبة من غرفة عبد السلام عارف ونبدأ الاستحمام بموجب جدول وضعه مدير السجن... لم تنقطع زيارات مدير السجن لنا وأصبح مصدرنا الوحيد للحصول على المعلومات، إذ لم يسمح لنا بقراءة أية صحيفة أو استخدام الراديو أو مقابلة أي فرد من عوائلنا بحجة أن التحقيق لمّا يبدأ بعد، واخبرنا في احدى زياراته بتعرض المعتقلين بمعسكر الدبابات في معسكر الرشيد لألوان فظيعة من التعذيب وبخاصة المتهمين في حركة الشواف من ابناء الموصل وذكر أيضاً وقوع اعتداء على العميد الركن شاكر محمود شكري وآخرين... زار السجن العقيد عبد الكريم الجدة آمر الانضباط العسكري بعد مرور أكثر من اسبوعين على اعتقالنا لتفقد شؤون السجن والاطلاع على أحوال المعتقلين... دخل غرفتنا فجأة فسلم علينا ثم بدأ يتحدث عن عبقرية الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ومتانة أخلاقه ثم تطلع إلى صورة له كانت ملصقة على الجدار ومن حسن الحظ أنها لم تصب بأذى ثم قال انظروا إلى جبهته إنها كالهلال بعكس جبهة الخائن عبد السلام عارف إنها (مبتّلة) ثم القى اللوم كله على عبد السلام عارف الذي شق الصف وفرق الكلمة ثم تحول إلى مدير الاستخبارات العسكرية العقيد رفعت الحاج سري فهاجمه وشكك في اخلاصه وقال: "لقد عاد منذ أيام العقيد الركن اسماعيل عارف من الولايات المتحدة الأمريكية واطلع الزعيم عبد الكريم قاسم على معلومات خطيرة سبق له أن بينها تقرير سري أرسله إلى مدير الاستخبارات الذي لم يهتم به ولم يطلع الزعيم عليه فقد استطاع في احدى حفلات السفارة العراقية الحصول على معلومات خطرة من شخصية امريكية مرموقة تتضمن القيام بانقلاب في العراق... ثم قال ان حركة الموصل قد تمّ التخطيط لها في الخارج لكن العقيد رفعت تعمدّ عدم اخبار البطل عبد الكريم بالمؤامرة..." ومضى يشيد بحكمة وعبقرية الزعيم عبد الكريم قاسم وسهره على المصلحة العامة ولا بد أن ننصت لأقواله إذ لا فائدة من

مناقشته فهو من أصدقاء عبد الكريم قاسم المقربين كما عرف بشدة تأييده واخلاصه له. ثم سأله صبحي عبد الحميد عن سبب اعتقاله ودخلا في مناقشة لم تسفر عن نتيجة وتحول إليّ فسألني عن سبب اعتقالي فأجبته بأن وصفي طاهر كان من ورائه فهو ما فتىء يكيد لي ويوغر صدر الزعيم عليّ منذ انسحابي من الأردن إلى (ابج ثري)، وانصرف بعد قليل... وبدأنا نناقش في المعلومات التي ذكرها آمر الانضباط العسكري وتوصلنا إلى أن هذه بداية حملة ظالمة موجهة للنيل من العقيد رفعت الحاج سري واتهامه بالتواطؤ مع العقيد الركن عبد الوهاب الشواف ولا بدّ أن يعتقل عاجلاً أو آجلاً، لقد تعرضت مديرية الاستخبارات في هذه الفترة والأسابيع التي سبقتها لانتقادات شديدة بتشجيع من عبد الكريم قاسم ووصفي طاهر فكتبت إليه الملحقية العسكرية العراقية في انقرة كتاباً شديداً تتهمه بالتقاعس نعطت صورة منه إلى المرافق الأقدم وصفي طاهر.

مضت الأيام رتيبة مملة مشحونة بالقلق والانفعال، فقد انقضى أكثر من شهر على اعتقالنا ولمّا يبدأ التحقيق أو يسمح لنا بمطالعة الصحف والاستماع إلى الراديو ورؤية عوائلنا وهذه بعض حقوق المعتقلين بالرغم من ان القوانين العامة وحتى العسكرية تستوجب إجراء التحقيق في أقل من هذه المدة، لكن تطبيق الاحكام العرفية يعطل القوانين ويمنح الحاكم سلطات استثنائية لا حدود لها، ولقد ذاق العراق الأمرين من الأحكام العرفية في مختلف العهود، فقد أعلنت الاحكام العرفية في خلال العهد البائد أربع عشرة مرة وجاءت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فعطلت القوانين طيلة فترة الانتقال التي وعدت بقصرها، وما أكثر وعود الحاكمين وسرعة تنصلهم منها بحجج لا تسمن ولا تغني.

في الساعة الحادية عشرة من ليلة ٢٠/١٩ نيسان ١٩٥٩ بلغنا جميعاً بوجوب الاستعداد للانتقال إلى معتقل الدبابات في معسكر الرشيد في خلال ساعة واحدة وطلب منا رزم متاعنا وفراشنا وابقاءه في الغرفة ثم تجمعنا عند مدخل السجن فوجدنا السيارات بانتظارنا، وتقدم عدد من ضباط الصف لوضع القيود في أيدينا واستخدمت جامعة يد واحدة لكل شخصين وأحاطت احدى حلقتيها بمعصمي الأيمن بينما أحاطت الحلقة الثانية بمعصم محمد مجيد الأيسر وامتنع عبد الغني الراوي من وضع القيد في معصمه فانهال عليه الرئيس الأول الركن محمود سامي عبد الشكور بالضرب بخيزرانة قصيرة ثم أذعن بعد أن تلقى بضع ضربات وسيلاً من الشتائم، وركبنا في السيارات واتجهنا إلى المعسكر وتعمد الحراس والسواق اهانتنا واثارتنا فسبوا جميع المقدسات، وتوقفت احدى السيارات فتوقفت القافلة جميعها وبدأ السائق يفحص المحرك لمعرفة السبب ولسانه لا يتوقف عن سب الله والدين والرسول... ثم واصلنا المسير فبلغنا معتقل الدبابات بعد نصف ساعة تقريباً وكان في انتظارنا عدد من ضباط الكتيبة المقدم عدنان محي الدين والرئيس الأول سعدي وعدد من الملازمين... تعمدوا التأخر في فك القيود بحجة البحث عن المفتاح ثم فكت

قيودنا وجرى توزيعنا على الغرف التي كانت خاصة بالضباط والمدنيين معظمهم من مدينة الموصل وأدخلت إلى غرفة كانت فيما مضى دائرتي قبل أن انقل إلى أمرة الادارة، هكذا أراد المهيمنون على شؤون المعتقل وهو تدبير ينم عن الحقد والغباء.

معتقل الدبابات

يقع المعتقل في الزاوية الجنوبية الشرقية من معسكر الرشيد عند مدخل ثكنات كتيبة الدبابات ويمر على مقربة منه طريق بغداد ـ الكوت ويتألف من جناحين متباعدين كان يشغلهما مقر اللواء المدرع السادس: جناح قديم وهو عبارة عن قاعة صغيرة مستطيلة بناها البريطانيون اثناء فترة الاحتلال ثم قسمت إلى خمس غرف لتصبح مكاتب اللواء وجناح جديد يضم خمس غرف ومشجب للسلاح ومرافق صحية (حمام، مغسل، مرحاض) بناه اللواء عقب عودته من (ايج ثري) لضيق المكان. ثم تحول إلى معتقل بعد حركة الموصل مباشرة وأصبح آمره الرئيس الأول فاضل البياتي وهو شيوعي اعيد إلى الخدمة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ومن أصدقاء وصفي طاهر المرافق الأقدم للزعيم عبد الكريم قاسم وقد اسندت إليه هذه المهمة اعتماداً عليه فأداها بفظاظة وقسوة وكانت باكورة أعماله تغيير اسم المعتقل فسماه (معتقل الخونة والمتآمرين) ثم اصدر وصايا في غاية الصرامة والقسوة تعمد بها اهانة وإيذاء واقلاق المعتقلين، فقد وضع مصباح كهربائي قوي في كل زاوية من زوايا الغرف يظل مضيئاً طوال الليل، وكانت مفاتيح الغرف تسلم إليه في المساء ليضمن عدم فتح الغرف مطلقاً مهما كانت الأسباب وقد اضطر احد المعتقلين إلى التبرز في داخل الغرفة مستخدماً أحد قدور الطعام الفارغة والتي سبق أن حمل أهله الطعام به إليه.

لقد وزعنا على غرف المعتقل وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل واستيقظ جميع المعتقلين بسبب الجلبة والضوضاء وصرير الأبواب وغلق الاقفال... دخلت الغرفة التي كانت قبل دائرتي وكانت تضم أكثر من عشرة معتقلين عرفت منهم عبد الستار الدوري والذي سبق أن التقيت به أكثر من مرة في دار عبد اللطيف الكمالي، والعقيد يونس محمد شيت، وكان من ضمن المعتقلين شخص مصاب بجرح في بطنه من الموصل يتأوه أحياناً من شدة الألم لكن إدارة المعتقل رفضت إرساله إلى المستشفى أو استدعاء طبيب لمعالجته... لم تصل امتعتي برغم مرور أكثر من ساعتين على وصولنا... تبرع لي عبد الستار الدوري باحدى بطانيتيه... لم أنم... ثم طلعت الشمس وبدأ الحراس يفتحون الأبواب بالتناوب كي يذهب المعتقلون إلى المراحيض... ثم فتحت غرفتنا وخرجنا... رأيت ملصقات كثيرة على الجدران تتضمن عبارات من خطب فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العليا الخاصة أو صورته وراء منصة القضاء وهو يرفع مطرقة القاضي أو عبارة من خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي المشهورة (اني أرى رؤوساً قد أينعت) وعلقت فوق المغسل

صورة كبيرة فوتوغرافية لجثمان المرحوم الشواف كما رأيت الزعيم الركن شاكر محمود شكري والعقيد عبد اللطيف الدراجي اثناء عودتهما من دورة المياه.

وفي المساء وبعد تناول طعام العشاء مباشرة جاء أحد الضباط وقرأ بصوت مرتفع في ورقة صغيرة يحملها أسماء بعض المعتقلين ثم طلب منهم التهيؤ في خلال نصف ساعة للذهاب إلى هيئة التحقيق الخاصة وكان من بينهم العقيد يونس محمد شيت. وبعد نصف ساعة فتحت غرفتنا وخرج العقيد يونس يرافقه أحد جنود الانضباط ثم تحركت بعد دقائق معدودة سيارة تقل المتهمين الذين استدعتهم هيئة التحقيق.

ومضت الساعات بطيئة ثقيلة وتحولت الدقائق إلى أيام، وخيل إلينا أن الزمن توقف، لقد انتصف الليل ولمّا يعد العقيد يونس.. خمس ساعات مرت على ذهابه وكنا نتوقع عودته في خلال اربع ساعات: ثلاث ساعات للتحقيق وساعة للذهاب والإياب، خيم على الغرفة جو من الحزن والكآبة... لذنا بالصمت، وغصنا في لجة من التفكير والتأمل، بينما تضخمت حاسة السمع فطغت على سائر حواسنا الأخرى وغدت آذاننا تسمع جميع الأصوات... دقات القلب، همسات النفس، الزفير والشهيق... كنا نتبادل النظرات بين حين وآخر... لم ننم ولم نتكلم... كانت نظراتنا ابلغ من الكلام وكنا نقرأ في الوجوه ما يعتمل في النفوس من ألم وهم وقلق... مضت ساعة واحدة على منتصف الليل.. لم يعد المتهمون، ولعلّهم لا يعودون..! لقد لفظ متهمون انفاسهم تحت سياط المحققين وتعذيب الجلاوزة... لا مفرّ من الانتظار وليس سوى الصبر والصمود... مرت نصف ساعة ثم سمعنا صوت محرك سيارة، بدأ يرتفع وبعد لحظات توقفت السيارة عند مدخل المعتقل... ترجل المتهمون مع حراسهم واتجهوا جميعاً إلى غرف المعتقلين ثم فتح باب غرفتنا ودخل العقيد يونس محمد شيت بادىء الاعياء والتعب، يسنده أحد جنود الانضباط وتهاوى على فراشه... أغلق الحارس الباب وبدأنا نتطلع جميعاً إلى يونس، كان شاحب الوجه، بطيء التنفس... لم يسأله أحد ولم يتكلم ومرت ربع ساعة خلتها نصف قرن... ثم بدأ يتكلم... كانت الألفاظ تخرج بصعوبة وكان يتوقف عند كل كلمة... لقد عذب وتعرض لألوان من الأذى... كانت قدمه متورمة ورقبته زرقاء من شدة الضرب... كان المحققون يستخدمون عصي مطاطية... لقد اشتركوا جميعاً في ضربه بعد أن نفى اشتراك الزعيم الركن ناظم الطبقجلي في حركة الموصل... لقد أصرّوا على وجوب اعترافه، ولما رفض الاعتراف انهالوا عليه بالضرب الذي توقف بعد أن فقد الوعي... كان افظعهم واشدهم قسوة رئيسهم العقيد الركن هاشم عبد الجبار..وتوقف يونس بعد أن غلبه الكرى وراح في سبات عميق...لم أنم حتى الصباح. ثم اشرقت الشمس وشرع الحراس بفتح ابواب الغرف بالتناوب... استطاع العقيد يونس الوقوف على قدميه بصعوبة ومشى بطيء الخطى يسنده أحد الأخوان إلى دورة المياه.

صورة كبيرة فوتوغرافية لجثمان المرحوم الشواف كما رأيت الزعيم الركن شاكر محمود شكري والعقيد عبد اللطيف الدراجي اثناء عودتهما من دورة المياه.

وفي المساء وبعد تناول طعام العشاء مباشرة جاء أحد الضباط وقرأ بصوت مرتفع في ورقة صغيرة يحملها أسماء بعض المعتقلين ثم طلب منهم التهيؤ في خلال نصف ساعة للذهاب إلى هيئة التحقيق الخاصة وكان من بينهم العقيد يونس محمد شيت. وبعد نصف ساعة فتحت غرفتنا وخرج العقيد يونس يرافقه أحد جنود الانضباط ثم تحركت بعد دقائق معدودة سيارة تقل المتهمين الذين استدعتهم هيئة التحقيق.

ومضت الساعات بطيئة ثقيلة وتحولت الدقائق إلى أيام، وخيل إلينا أن الزمن توقف، لقد انتصف الليل ولمّا يعد العقيد يونس.. خمس ساعات مرت على ذهابه وكنا نتوقع عودته في خلال اربع ساعات: ثلاث ساعات للتحقيق وساعة للذهاب والإياب، خيم على الغرفة جو من الحزن والكآبة... لذنا بالصمت، وغصنا في لجة من التفكير والتأمل، بينما تضخمت حاسة السمع فطغت على سائر حواسنا الأخرى وغدت آذاننا تسمع جميع الأصوات... دقات القلب، همسات النفس، الزفير والشهيق... كنا نتبادل النظرات بين حين وآخر... لم ننم ولم نتكلم... كانت نظراتنا ابلغ من الكلام وكنا نقرأ في الوجوه ما يعتمل في النفوس من ألم وهم وقلق... مضت ساعة واحدة على منتصف الليل.. لم يعد المتهمون، ولعلّهم لا يعودون..! لقد لفظ متهمون انفاسهم تحت سياط المحققين وتعذيب الجلاوزة... لا مفرّ من الانتظار وليس سوى الصبر والصمود... مرت نصف ساعة ثم سمعنا صوت محرك سيارة، بدأ يرتفع وبعد لحظات توقفت السيارة عند مدخل المعتقل... ترجل المتهمون مع حراسهم واتجهوا جميعاً إلى غرف المعتقلين ثم فتح باب غرفتنا ودخل العقيد يونس محمد شيت بادىء الاعياء والتعب، يسنده أحد جنود الانضباط وتهاوى على فراشه... أغلق الحارس الباب وبدأنا نتطلع جميعاً إلى يونس، كان شاحب الوجه، بطيء التنفس... لم يسأله أحد ولم يتكلم ومرت ربع ساعة خلتها نصف قرن... ثم بدأ يتكلم... كانت الألفاظ تخرج بصعوبة وكان يتوقف عند كل كلمة... لقد عذب وتعرض لألوان من الأذى... كانت قدمه متورمة ورقبته زرقاء من شدة الضرب... كان المحققون يستخدمون عصي مطاطية... لقد اشتركوا جميعاً في ضربه بعد أن نفى اشتراك الزعيم الركن ناظم الطبقجلي في حركة الموصل... لقد أصرّوا على وجوب اعترافه، ولما رفض الاعتراف انهالوا عليه بالضرب الذي توقف بعد أن فقد الوعي... كان افظعهم واشدهم قسوة رئيسهم العقيد الركن هاشم عبد الجبار..وتوقف يونس بعد أن غلبه الكرى وراح في سبات عميق...لم أنم حتى الصباح. ثم اشرقت الشمس وشرع الحراس بفتح ابواب الغرف بالتناوب... استطاع العقيد يونس الوقوف على قدميه بصعوبة ومشى بطيء الخطى يسنده أحد الأخوان إلى دورة المياه.

ومضت الأيام بطيئة رتيبة، فالغرف لا تفتح إلاّ عند تقديم الطعام أو الذهاب إلى دورة المياه وفي الليل يستدعي بعض المعتقلين للتحقيق معهم بعد تناول طعام العشاء ثم يعودون قبل الفجر وهم لا يقوون على المشي من شدة الضرب وفظاعة التعذيب.

اهانات وتعذيب

لم يكتف آمر المعتقل (الرئيس الأول فاضل البياتي) بما يلاقيه المتهمون على يد هاشم عبد الجبار وجلاوزته فقرر استدعاء بعض المعتقلين إلى مقره في كتيبة الدبابات بحجة التحقيق الابتدائي معهم وكان غرضه الحقيقي الايذاء والاهانة والسخرية... فلقد استدعى (فاضل الشكرة) عدة مرات ولقى الأمرين باعتباره أحد مذيعي محطة الموصل، وكان يعذب حتى يغمى عليه ثم يعمدون إلى اطفاء سكايرهم على ساقه وقدمه للتأكد من فقدانه للوعي واستدعى آخرون منهم رمزي العمري واللواء الركن حسين العمري الذي أجبروه على تناول (البقلاوة) بعد أن بصقوا عليها وعندما ألقى القبض على هشام الشاوي في لواء الرمادي وهو يحاول الهروب إلى سورية بزي بدوي استدعاه فاضل البياتي وطلب منه أن يقف على احدى المناضد في بهو الضباط ويرقص فوقها ثم أخذوا يهزون المنضدة ليسقط على الأرض. وكان علي زين العابدين (الضابط المتقاعد والذي كان مدير سجن قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) يستدعى بين حين وآخر فيهان ويعذب بحجة أنه عامل الشيوعيين في السجن بقسوة ثم يلقى في حوض للماء واسع بملابسه وكان الحوض قد أعد لمكافحة الحريق وكانت مياهه آسنة وكثيراً ما يضطر علي زين العابدين إلى الغوص لاتقاء الطابوق والإحجار التي تلقى عليه.

هذا غيض من فيض ولو شئت أن اعدد من استدعي لاحتجت إلى عشرات الصفحات... لقد تعمّد فاضل البياتي اهانة وتحقير من يستدعيهم وكانت هذه الأعمال التي تنبىء عن الطيش والغدر والحقد تجري في بهو الضباط للترفيه والضحك والاستهزاء بالقومية العربية والوحدة العربية ولست أستبعد أن آمر المعتقل واتباعه كانوا يسكرون قبل استدعاء المعتقلين ليقضوا سهرة ممتعة على حساب الكرامة والرجولة والمروءة.

كثرة المعتقلين وازدحام الغرف

بدأ عدد المعتقلين يتزايد بسرعة ولم يقتصر على أبناء الموصل أو المتهمين بتأييد حركة الشواف بل ضم شيوخاً وشباناً بل وحتى فتياناً من كركوك وبغداد وغيرها من المدن وكان من ضمنهم رجال دين وأئمة جوامع في كركوك بلغوا من الكبر عتياً وكان ذنب هؤلاء ايمانهم بالقومية أو تمسكهم بالدين الاسلامي أو عدم (تجاوبهم) مع المنظمات

الشيوعية. وبالنظر لاطمئنان السلطة إلى شراسة آمر المعتقل وقسوته وتحمسه للشيوعية وكرهه للقومية فقد جيء بمعتقلين كثيرين من معتقلات أخرى مثل (ابو غريب) و(الفضيلية) وغيرها واضطر آمر المعتقل لاخلاء بعض مشاجب السلاح واضافة اعداد جديدة للغرف، واصبحت الغرفة التي تتسع لثمانية أشخاص تضم ستة عشر أو عشرين. ولم يكتف آمر المعتقل بما يسببه ازدحام الغرف من ضيق وإزعاج للمعتقلين بل أمر بتغيير الأماكن وتبديل الغرف ونقل المعتقلين في كل عشرة أيام مرة رغبة في ازعاجهم وايذائهم إذ يضطر المعتقل إلى رزم حاجاته وطيّ فراشه وحمله ثم ترتيبه من جديد، فلقد تغير مكاني أربع مرات وهذا ما أتاح لي فرصة التعرف بعدد غير قليل من المعتقلين والاطلاع على قضايا هامة ورب ضارة نافعة.

المد الشيوعي:

تنامت قوة الشيوعيين بسرعة مذهلة بعد أن انضم إليهم الانتهازيون والامعات واقتنع رجل الشارع باخلاصهم للزعيم عبد الكريم قاسم وتأييد السلطة لهم. وامتد نفوذهم إلى بعض أجهزة الدولة وانعكس ذلك بوضوح في المعتقل إذ بدأنا نسمع الهتافات المؤيدة للشيوعيين ليلاً ونهاراً وكان جنود الدبابات ينشدون (وطن حر وشعب سعيد) عند ذهابهم للتدريب أو عودتهم واصبح شتم القومية (وكواويد بعثية) جواز المرور لجميع السيارات التي تغادر بغداد إلى جنوب العراق إذ كان معتقلنا على مقربة من الطريق العام. وبدأ ضباط صف المعتقل يشتمون الجمهورية العربية المتحدة والرئيس جمال عبد الناصر بصوت عال، وكان أكثرهم شراسة وبذاءة العريف (ليطة) الذي يتحدث بصوت مسموع فيقول: "إن جمال عبد الناصر (مجرم) يريد أن يسيطر على العراق فيضع النفط في جيب والبلح في جيب".. كلمات حدثهم بها ضباطهم فرددوها كالببغاء ولعل بعضهم لا يفقه معناها... وتزايد عدد المعتقلين فجيء بالطالب والعامل ومعاون الشرطة.. ولن أنسى ذلك الطالب الذي ربطت يده في شباك الممر من الصباح حتى المساء ولم يقدم له أي طعام أو ماء وكذلك عامل البناء سرحان الذي قبض عليه في يوم عيد العمال ــ وكان من سكان الفلوجة توجه إلى بغداد ليشاهد الاحتفال ــ بحجة أنه يريد قطع التيار الكهربائي... لقد أدخل هذا العامل إلى غرفتنا برغم ضيقها وازدحامها ورفض أن يتناول طعام العشاء بسبب الظلم الذي اصابه ثم اخبرناه أن كل من تضمهم الغرفة اناس خدموا بلادهم فيهم النائب والقائد والطيار والصحافي تعرضوا لنفس ما تعرض له وعانوا أكثر منه فاقتنع وتناول الطعام وبعد قليل نودي على العقيد نوري الراوي للتهيؤ والذهاب إلى هيئة التحقيق الخاصة... ثم خرج بعد نصف ساعة وعاد قبيل الفجر محطماً مهشماً محمولاً في بطانية لا يقوى على

الحركة والنطق وكان فراشي بجوار فراشه ثم نطق بعد فترة خلتها دهراً ثم تطلع إلى قدمه المتورمة وقال أنها مكسورة ومهشمة ثم تحدث عن قسوة رئيس الهيئة التحقيقية هاشم عبد الجبار وشدة ضرباته واصراره على وجوب الاعتراف باشتراك العميد الركن ناظم الطبقجلي بالمؤامرة وفي الضحى جاء الحارس الذي رافق نوري الراوي فسأله عن صحته وحاله. وقال: "إني لم اتناول طعامي إذ لازلت اذكر كيف حملناك وكنت أظنك ستلفظ انفاسك بعد قليل". وقبيل الظهر دخل أحد ضباط المعتقل غرفتنا وحدق في نوري الراوي الذي كان يئن ويتأوه من شدة آلامه فرأيت الفرصة سانحة للتحدث إلى الضابط ورجوته باسم الانسانية أن يستدعي أحد الأطباء لمعالجته لكنه لاذ بالصمت ثم خرج وعند المساء نودي عليّ فخرجت ولم أكد اجتاز الباب ببعض خطوات حتى احاطت بي ثلة من الضباط احاطة السوار بالمعصم فانهالوا عليّ لكماً وضرباً وصفعاً ورفساً فوقعت على الأرض قرب الأسلاك الشائكة وعرفت بعدئذ أن من بين هؤلاء كان الملازم سالم الفارس والملازم قاسم جراد والرئيس لطيف (بلبل) وعدت إلى غرفتي يملؤني الألم والأسى فكفرت بالثورة وفقدت ايماني بالانسان... كانت فترة عصيبة اشتد فيها الأذى والتعذيب والارهاب سواء في داخل المعتقل أو لدى هيئة التحقيق الخاصة. ولم يتورع ضباط المعتقل من دخول غرف المعتقلين وضرب المعتقلين واهانتهم فقد دخل ثلاثة ضباط طيارين غرفتنا واعتدوا على فاضل الشكرة فشجوه وشتموا عرضه ثم انهالوا عليه بانطقتهم النسيجية... وخرجوا كما اعتدى احد الضباط على العقيد الركن عبد الغني الراوي في غرفته وامام المعتقلين وأخيراً صدرت ثلاث قوائم باحالة الضباط على التقاعد ضمت أكثر من اربعمائة ضابط معظمهم من ضباط الركن وقادة الجيش وكنت من ضمن القائمة الأخيرة، وكان يأتي أحد ضباط المعتقل إلى الغرف عقب اعلان القائمة ويطالب الضباط المحالين على التقاعد بتسليم (رتبهم المعدنية) حيث تعلق في بهو الضباط تشفياً وسخرية بناء على أوامر الرئيس الأول فاضل البياتي.

يوم لا ينسى

كان يوماً حافلاً كل ما فيه يثير الشك، فالدبابات دائمة الحركة، وهدير محركاتها يملأ ارجاء الثكنة وسيارات الوقود تجيء وتذهب والجنود منهمكون في كنس الشوارع الفرعية ورشها بالماء... كان المعسكر كخلية النحل، جلبة وضوضاء في كل مكان وفي المساء بدأت السيارات تترى على المعسكر من بغداد ثم تبين بعد قليل أن حفلة ستقام في المعسكر سيحضرها كبار الشيوعيين وبدأ الاحتفال بهتافات وهوسات وتصفيق وشعارات تمجد الشيوعية وتطالب الحزب الشيوعي بتولي السلطة (الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي) وثمل المدعوون وبدأوا يخضبون وسمعنا بعض العبارات بسبب استخدام مضخمات

الصوت فتكلم المهداوي وماجد محمد أمين وآخرون وامتدت الحفلة إلى قبيل الفجر ثم انصرف المدعوون... لقد اتضح كل شيء فالشيوعيون يسعون إلى تسلم الحكم ويستعدون لذلك وهم قاب قوسين أو أدنى... وفي اليوم التالي وصلت الأنباء إلى عبد الكريم قاسم... لقد قام احد نواب الضباط بنقل انباء الحفلة إلى الرئيس الأول الركن جاسم كاظم العزاوي سكرتير عبد الكريم قاسم والذي نقلها فوراً إلى الزعيم عبد الكريم قاسم.

رد عبد الكريم قاسم على الحزب الشيوعي بسرعة فأجرى تنقلات بين الضباط وأحدث تغييرات في المراكز القيادية كما أوعز إلى الحاكم العسكري بتخفيف الضغط عن القوى القومية فرفعت الاقامة الجبرية عن البعض واطلق سراح عدد من المحتجزين، وانعكس هذا على المعتقل، فخفت الشدة والصرامة لا سيما وقد انتهى التحقيق الابتدائي مع جميع المعتقلين وفتر حماس آمر المعتقل فسمح لنا بالتمشي وفتحت ابواب الغرف بعض الوقت والتي لم تكن تفتح إلاّ عند توزيع الطعام أو الذهاب إلى دورات المياه، وخفت رقابة المسؤولين والمشرفين فاختلطنا وتحدثنا وعلمت أن العقيد رفعت الحاج سري مدير الاستخبارات العسكرية معتقل في غرفة منفردة وقد تولى التحقيق معه مدير الخطط العسكرية العقيد الركن طه الشيخ أحمد الذي حاول استدراجه وخداعه فزعم أن جميع المعتقلين قد اعترفوا ولا فائدة من الاصرار على اخفاء الحقائق كما تحدث إلى المقدم الركن عزيز أحمد شهاب واظهر ندمه على اعترافه بالذهاب إلى سورية بناء على امر قائد الفرقة الزعيم الركن ناظم الطبقجلي ثم قال انه مصمّم على انكار اعترافه أمام المحكمة وانه شديد الرغبة بمصالحة ناظم الطبقجلي ورجاني القيام بهذه المهمة فقمت بها. وقصّ عليّ الملازم مظفر صالح ما لقيه من تعذيب وآلام اثناء التحقيق وحدثني عن الضرب الشديد على رقبته وتمنيه أن تسنح له الفرصة فيذهب إلى الشرفة ليلقي بنفسه مفضلاً الموت والانتحار، واطلعت على (دفاع) فاضل الشكرة الذي أعدّه ليلقيه في المحكمة واقترحت عليه ادخال بعض التعديلات... وأخيراً سمح لأهلنا بزيارتنا وهكذا تمتعنا ببعض حقوقنا، وكنت آخر من سمح له برؤية أهله، فقد جاءت زوجتي في اليوم المحدد للمواجهة ترافقها ابنتي الصغرى وعمرها سنتان فطلب منها أن تأتي في الاسبوع القادم ثم اتت وطلب منها أن تأتي بكتاب خطي من دائرة الحاكم العسكري يسمح لها بالمواجهة ثم جاءت في الاسبوع التالي مع الكتاب فأمر المسؤول أن تأتي في الاسبوع القادم حينئذ تدخل ضابط الصف الذي يبلغ الأوامر ورجا المسؤول السماح لزوجتي اسوة بالآخرين فنودي عليّ وذهبت إلى الخيمة المعدة للمواجهة..

كانت الأيام الأخيرة في المعتقل خالية من الاهانة والأذى سنحت لنا فيها فرص كثيرة للتحدث عن هموم الحاضر والمستقبل القاتم وراودت بعضنا فكرة اعادة تنظيم الضباط الاحرار واستئناف النضال من جديد لخدمة وطننا وامتنا وجرى الاتصال ببعض العناصر المدنية الحزبية والمستقلة.

الانتقال إلى معسكر الهندسة

في ضحى أحد أيام الاسبوع الأخير من شهر حزيران نودي علينا بالتجمع في الساحة الداخلية الضيقة المحصورة بين الأبنية والاسلاك الشائكة وما إن تجمعنا في الساحة حتى بدأ أحد ضباط المعتقل بقراءة أسماء كثيرة ثم توقف وقال: هؤلاء الذين قرأت اسماءهم سيحالون إلى المحكمة العليا الخاصة وسينقلون في خلال ساعتين إلى الموقف العام بسيارات اللوري ثم واصل قراءة بقية الأسماء ولما انتهى قال: هؤلاء سينقلون بعد قليل إلى معسكر الهندسة في معسكر الرشيد وعلى الجميع التهيؤ والاستعداد. شرعنا في جمع حاجاتنا ورزم فراشنا وامتعتنا وما إن فرغنا حتى بدأ بعضنا يودع البعض الآخر وكنت أنا من ضمن الذين سينقلون إلى معسكر الهندسة ثم جلسنا بجوار امتعتنا ننتظر مجيء السيارات بعد أن تخلينا عن بعض الحاجات الصغيرة لاخواننا الذين سيذهبون إلى الموقف العام تمهيداً لمحاكمتهم..
وبعد قليل توقفت بضع سيارات لوري عند مدخل المعتقل لنقل المعتقلين إلى الموقف العام ومعسكر الهندسة وصدرت الأوامر بحمل الأمتعة والتوجه إلى السيارات... صعدنا إلى السيارات مع امتعتنا ووصلنا المعسكر الذي يقع في الزاوية الشمالية القريبة من معسكر الرشيد بعد عشرين دقيقة وكان في انتظارنا اكثر من مسؤول... نزلنا من السيارات مع امتعتنا وبدأوا بتوزيعنا على الغرف... كانت الغرف واسعة ومجهزة بأسرة نوم حديدية...
كانت البناية التي شغلناها قاعة فسيحة طويلة قسمت إلى غرف تحيط بها الحدائق والأشجار... وسمح لنا باستقبال الأهل والأصدقاء في أي وقت اثناء الدوام وكنا نلاقيهم في الحديقة ونجلس تحت ظلال الأشجار... لقد تغيرت المعاملة وارتفعت المعنويات وبدأ البعض يلعب الشطرنج ويتبادل النكات وبدأنا نقيم الصلاة مجتمعين يؤمنا الرئيس الأول محمود فرج والذي اعدم بعد تولي حزب البعث للسلطة عام ١٩٦٨ ... لم نتعرض لأي أذى أو إهانة باستثناء الاعتداء الوحيد الذي وقع على الدكتور راجي التكريتي والذي استنكرناه بشدة وطلبنا مقابلة المقدم الركن خضر عباس البياتي الذي تجنب رؤيتنا لسبق معرفتنا به وعمله مع بعضنا. وحلّ شهر تموز وبدأ عبد الكريم قاسم يستدعي في كل ليلة عدداً منا إلى وزارة الدفاع للتحدث إليهم واطلاق سراحهم... وكنت من ضمن الوجبة الأخيرة التي تضم عشرة ضباط كان من ضمنهم العقيد مدحت الحاج سري(أعدم في عهد البعث بعد ١٩٦٨) والمقدم الركن محمد مجيد والطيار حردان التكريتي والرئيس الأول محمود فرج... بُلغنا مساء ١١ تموز بالتهيؤ للذهاب إلى وزارة الدفاع لمقابلة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم. تحركت السيارة بنا بعد حلول الظلام واخذنا معنا جميع حاجاتنا ومتاعنا... وصلنا وزارة الدفاع بعد ساعة فترجلنا من سيارة اللوري التي تركنا امتعتنا فيها ثم صعدنا إلى الطابق الثاني... اتضح لنا أن الزعيم عبد الكريم قاسم لم يرجع بعد من

حولته التي اعتاد القيام بها... جلسنا في غرفة المرافقين ننتظر عودة الزعيم عبد الكريم قاسم من حولته التي اعتاد أن يقوم بها ليلاً في ضواحي بغداد وبخاصة الأحياء الفقيرة.

سهرة في وزارة الدفاع

وصل الزعيم عبد الكريم قاسم إلى وزارة الدفاع في الساعة العاشرة مساء، ولم يمض على وصوله سوى بضع دقائق حتى استدعانا إلى غرفة الاجتماع، وهي غرفة واسعة تتصل بمكتب الوزير أيضاً وكانت تعقد فيها سابقاً اجتماعات مجلس الدفاع الأعلى... دخلنا الغرفة تباعاً من الباب المطلة على الممر والمقابلة لغرفة المرافقين فأدينا التحية العسكرية ورد عليها بيده وقابلنا بابتسامة ظاهرة ثم جلسنا... وكان امامه على المكتب عدة ملفات بدأ يقلبها ويتطلع الينا بين حين وآخر وبدأ يوجه كلامه إلى بعضنا متعمداً اشعارنا بأنه يعرف كل شيء وكان كلامه مزيجاً من اللوم والتهديد والوعيد ثم اتجه إليّ فجأة قائلاً: علمت بنبأ الاعتداء عليك. كان الواجب أن تخبرني عند وقوعه، فأجبته كيف اخبرك!؟ ومن يتولى المهمة وكنت آخر من سمح له بمقابلة أهله في المعتقل... ثم قال: ما قصة توزيع المنشورات فأجبته منفعلاً أن هذه خرافة وافتراء لا يستحق الرد فأحمر وجهه واتجه إلى حردان التكريتي فسأله عن سر تردده الكثير على بيت في بغداد الجديدة فأجابه أن هذا بيت خالتي وإني أزورهم بين حين وآخر... ومضى يسأل الآخرين كي يبرر اعتقالهم وانتقل فجأة إلى صعوبة حكم العراق وعظم المهمة الملقاة على عاتقه وحرصه على ازدهار الجمهورية الخالدة وحمايتها من الطامعين، وسعيه لرفع مستوى الفقراء ولمح إلى ضرورة الاتصال بالشعب ومخاطبة الجماهير باللغة الفصحى غامزاً من قناة جمال عبد الناصر وإن لم يذكره بالأسم فانبرى له. المقدم الركن محمد مجيد فقال: إن اللغة العامية يا سيادة الزعيم تفهمها الجماهير وهذا في اعتقادي سبب استخدامها... لم يرتح للجواب إذ كان يتوقع ثناء بعض الحاضرين على خطبه... ثم انتقل إلى مشاريعه المقبلة ونواياه وخططه لاسعاد الشعب ورفع مستواه... وضغط على زر الجرس بجانبه فدخل المرافق فحياه واشار إليه بالدنو منه وكلمه بصوت خافت ثم خرج وعاد يحمل ظرفاً وضعه أمام عبد الكريم قاسم وخرج. فتح عبد الكريم قاسم الظرف وتبين أنه يحتوي على مسحوق أبيض يشبه الطحين ثم قال إنّ هذا سكر استخلص من التمر العراقي لأول مرة توصل إليه أحد الباحثين الأجانب[٣١] الذي يحب العراق ويخلص لقيادته وبدأ يتحدث باسهاب عن هذا الاكتشاف العظيم الذي سيعود على العراق بالخير والغنى وطلب منا الدنو لرؤية المسحوق

---

٣١ ــ لقد إتضح أخيراً ان الباحث نصاب، دجال، خدع عبد الكريم قاسم.

عن قرب فشاهدناه وهو يشبه (النشا) واخذ المقدم الركن محمد مجيد قليلاً منه... ثم واصل الزعيم الركن عبد الكريم قاسم حديثه عن أهمية استخراج السكر من التمر ووفرة التمر في العراق والذي يتعرض للكساد في بعض المواسم وقرب انشاء معمل لهذا الغرض في جنوب العراق وتوقع اشتداد الطلب على التمر بعد أن كان يباع بأبخس الأسعار وضرورة التوسع في زراعة النخيل، ثم انتقل إلى موضوع آخر فتحدث عن مفاوضاته مع شركات النفط وكفاحه. لاستخلاص حقوق العراق من براثنها وفتح اضبارة تتضمن المحضر للجلسة الأخيرة التي تمت بينه وبين ممثل شركات النفط وبدأ يقرأ المحضر واستمر في القراءة أكثر من ساعة وكان يتطلع الينا بين حين وآخر ولم يتوقف حتى فرغ من قراءة المحضر برمته. ثم تحدث عن مستقبل العراق ودوره في العالم العربي... لقد تحدث في مواضيع كثيرة وكان شديد الرغبة في مواصلة الحديث حتى الفجر. ثم تطلع إلى ساعته وقال لقد تأخرتم كثيراً ولا بدّ أن عوائلكم بانتظاركم وبوسعكم الآن الانصراف إلى بيوتكم على أن تراجعوا غداً مديرية الشرطة العامة لتوقيع كفالة من قبلكم... وجم الجميع ولاذوا بالصمت ولم أجد مفراً من الكلام فقلت: إني أفضل البقاء في المعتقل ولا أجد أي مبرر لتقديم كفالة فنحن ابرياء ولم يثبت اشتراكنا في المؤامرة، فمسك يدي وربت على كتفي وقال نحن اخوان وأنا وأنت من بلدة واحدة كما اننا ننتمي إلى قبيلة زبيد[٣٢] والكفالة شكلية... ثم ودعنا وانصرفنا إلى بيوتنا وفي اليوم التالي ذهبت إلى مديرية الشرطة العامة وتعمدت عدم اصطحاب اي كفيل وفي مديرية الشرطة وجدت فيصل حبيب الخيزران وعبد الستار الدوري فطلبت منهما أن يكفلاني فقبلا ودفعا الكفالة.

انتصار الواجب

امضيت الأيام الأولى في داري عقب اطلاق سراحي استقبل المهنئين من الاقارب والاصدقاء قدمت في خلالها عريضة إلى الحاكم العسكري ارجوه فيها الموافقة على سفري إلى خارج العراق مع ابنتي الكبرى لعلاجها إذ كانت التعليمات حينئذ تقضي بموافقة الحاكم العسكري على سفر الضباط المتقاعدين وكنت انوي مغادرة العراق حقاً وقد عقدت

---

٣٢ ــ إدعى عبد الكريم الانتماء الى قبيلة زبيد بعد ثورة تموز ببضعة أشهر وقد دفعه الى ذلك عبد السلام عارف الذي ركب موجة القومية العربية، وشجعه على هذا الادعاء مزهر السمرمد رئيس قبائل زبيد لحاجة في نفسه، وكان بيته في الصويرة يجاور بيت علي افندي ــ عم عبد الكريم قاسم ــ الذي كان موظفاً في البلدة خلال العهد العثماني، وارجح ان والد عبد الكريم قاسم (جاسم العلوجي) من القرةغول، وقد اضطر والده الى مغادرة الصويرة في الثلاثينات بسبب ديونه الكثيرة، وحجز الدائنين على داره وبيعها، أما والدته فتنتمي الى العتبة من شمر.

العزم على الاقامة في أي بلد أجد فيه عملاً يلائمني بعد ما لحقني من اذى واهانة في المعتقل وحفظاً لكرامتي.. ثم زارني المقدم الركن محمد مجيد والمقدم بهاد فخري وتحدثنا كثيراً بشأن المستقبل ووجوب بذل كل جهد ممكن لتبديل حكم الاعدام الذي حكم به ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وبقية الضباط القوميين واقترحا ضرورة السعي لمقابلة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم والتودد إليه بغية تخفيف الاحكام ورشحاني للقيام بهذه المهمة وأكدا أن هذا رأي اغلبية الضباط الاحرار والقوى القومية... استصوبت الراي وأيدته ثم اتصلت ببعض الاخوان امثال رجب عبد المجيد وعبد اللطيف الدراجي فوافقوا على الفكرة وقررنا تقديم هدية إلى عبد الكريم قاسم بمناسبة الذكرى السنوية لثورة ١٤ تموز وارسال برقية تهنئة وقعها عشرة من الضباط الأحرار كنت من ضمنهم وساهموا جميعهم في شراء الهدية الفضية التي صنعها صائغ في شارع النهر بتوجيه واشراف احدى اخوات بهاد فخري وكان فحوى البرقية التي نشرت في الصحف (اخوانك في الجهاد يهنئونكم بثورة ١٤ تموز ويباركون جهودكم في سبيل تقدم العراق وازدهاره).

اطلع عبد الكريم قاسم على البرقية فاعجبته ونالت رضاه كما بلغه عزمنا على تقديم هدية له بهذه المناسبة الوطنية فاتصل سكرتيره بثلاثة منا هم: عبد اللطيف الدراجي وحردان التكريتي وعبد الكريم فرحان وبلغنا أن الزعيم قد قدر مقابلتنا نيابة عن بقية الجماعة ثم حدد موعد المقابلة. ذهبنا نحن الثلاثة إلى وزارة الدفاع قبيل الموعد المحدد بقليل وكان في المساء على ما اتذكر وسرعان استقبلنا عبد الكريم قاسم بترحاب بالغ وسرور ظاهر وبعد جلوسنا ببضع دقائق ضغط على زر الجرس الكهربائي فجاء المراسل يحمل اكواب الشاي ثم بدأ يتحدث بحماس عن مشاريعه المقبلة وثروات العراق وضرورة خدمة الفقراء وبذل الجهود لاعلاء شأن الجمهورية العراقية الخالدة... لقد تحدث كثيراً وخاض في موضوعات كثيرة ثم أكد على وجوب مساهمتنا من جديد في خدمة وطننا ووجه كلامه إلى عبد اللطيف الدراجي قائلاً سأعينك بمنصب إداري كبير[٣٣] أما عبد الكريم وحردان فسيعودان قريباً إلى الجيش، إننا اخوة ورفاق سلاح ولا بدّ أن نتعاون... ثم توقف قليلاً ورأيت الفرصة سانحة للتحدث إليه بشأن اخواننا الذين حكم عليهم في الاعدام فقلت: سيادة الزعيم أن لك اخواناً ساهموا في ثورة ١٤ تموز حكم عليهم بالاعدام وهم أولى الناس بعطفك والجميع ينتظرون ويتوقعون من بطل تموز تخفيف احكامهم بمناسبة عيد الثورة المجيدة... ثم تحدث عبد اللطيف الدراجي فتناول نفس الموضوع ورجا من الزعيم عبد الكريم شمول اخوانه ورفاقه بعطفه .. حدّق عبد الكريم قاسم في وجوهنا ثم قال بعد قليل: لن انساهم لقد عرّ

٣٣ ــ أسند لعبد اللطيف الدراجي منصب متصرفية لواء الكوت بعد بضعة أسابيع.

بهم الطامعون وهم الذين دفعوا الشواف على التآمر على قيادة الثورة واعلان العصيان في الموصل... إنني لا احقد على أحد... إنني دائم التفكير بهم وبعوائلهم... وأخيراً خاطبته قائلاً أرجو أن تسمح لنا بالانصراف فوقتك ثمين ومسؤولياتك جسيمة وهيهات أن ينسى بطل تموز اخوانه أو يتنكر لرفاقه في السلاح... ثم خرجنا بعد أن ودعنا عند باب الغرفة.. وفي اليوم التالي زارني بعض الأخوان مستفسرين عن نتيجة المقابلة فحدثتهم بكل تفاصيلها وما دار فيها ثم اتفقنا على مواصلة الضغط على عبد الكريم قاسم بكل الوسائل لانقاذ اخواننا من حبل المشنقة.

اتصل بي هاتفياً العقيد الركن سعدون عوني المدفعي من مقر الحاكم العسكري واعلمني أن ابا سعد أي الحاكم العسكري لم يوافق على سفري إلى الخارج وهو حريص على اعادتي إلى الجيش وان الضابط المتقاعد الوحيد الذي سمح له بالسفر خارج العراق هو العقيد الركن خالد المدفعي بسبب خطورة مرض اخيه سعيد الذي يعالج في النمسا... تألمت كثيراً لعدم السماح لي بالسفر إذ ما زلت افكر بالهجرة من وطني الذي تحول إلى جحيم يلاقي فيه الاحرار شتى أنواع الاضطهاد والعذاب... لقد كرهت حقاً الاقامة في العراق فالجرح عميق لمّا يلتئم بعد... ساهمت في ثورة ١٤ تموز للقضاء على الظلم والاستغلال والتبعية ولتمتع المواطن بحقوقه الاساسية وحرياته الشخصية.

بدأت بمراجعة مديرية التقاعد العامة لانجاز معاملة التقاعد وكنت شديد الحرص على انجازها بسرعة لأحصل على الاكرامية[٣٤] وبذلك يتسنى لي سداد اقساط المصرف العقاري دفعة واحدة فأتخلص من الفوائد وأفك رهن داري كنت والأخ المقدم الركن محمد مجيد وهو متقاعد ايضاً نقض ساعات الدوام الرسمي في مراجعة دوائر مديرية التقاعد العامة وهي موزعة في الباب الشرقي وجانب الكرخ وشارع ابي نؤاس وكنا نلقى الترحيب ونضطر إلى الجلوس لشرب الشاي والقهوة.

اعلمني صديقي المقدم الركن محمد خالد سكرتير رئيس اركان الجيش بتأليف لجنة في وزارة الدفاع ـ تضمه ومدير الاستخبارات العسكرية المقدم محسن الرفيعي وسكرتير القائد العام الرئيس الأول الركن جاسم كاظم العزاوي ـ للنظر في قوائم تقاعد الضباط التي تمت خلال المد الشيوعي وترشيح من ترى ضرورة اعادته للخدمة. انتشرت انباء تأليف اللجنة الآنفة الذكر وكنت قد وطدت العزم على عدم العودة للجيش وشعر بذلك بعض اصدقائي واخواني من الضباط الأحرار فحاولوا وضغطوا عليّ لثني عن قراري كما اتصل بي عدد من

٣٤ ـ مبلغ من المال يعادل رواتب سنة كاملة يستحقه الضابط بعد احالته على التقاعد وقضاء خمسة وعشرين سنة في الخدمة.

الشخصيات القومية ودار نقاش وحوار طويل وبعد لأي قبلت العودة واقتنعت أن مصلحة الوطن والأمة فوق كل اعتبار ولا بدّ من نسيان الماضي وطيّ صفحته لا سيما وقد استدعيت من قبل اللجنة التي ألفت في موقع بغداد ــ بناء على أمر الزعيم عبد الكريم قاسم ــ برئاسة العقيد عسكر محمود للتحقيق في الاعتداءات والاهانات التي لحقت بالضباط المعتقلين ومهما يكن من أمر فإن عودة الضباط القوميين إلى الجيش تعيد للجيش اهميته ودوره وتبعث الطمأنينة إلى نفوس القوى الوطنية والقومية كما أن سلامة بنيان الجيش وتماسكه يؤلفان الضمانة الوحيدة وما دام الجيش قوياً صلباً فبالوسع تصحيح كل انحراف. آمنت بالفكرة وتحمست لها وقمت باقناع عدد من الضباط المرشحين للعودة امثال العقيد الركن عبد الغني الراوي والمقدم أحمد محمود النعيمي، لقد رشحت اللجنة خمسين ضابطاً للعودة كنت من ضمنهم وهؤلاء يؤلفون الدفعة الأولى وهي ماضية في اعداد قوائم اخرى ثم اتصل بي المقدم الركن محمد خالد وكذلك الرئيس الأول الركن جاسم كاظم العزاوي لأقتراح المنصب الذي افضله... فضلت العمل في المعسكرات وتولي قيادة وحدة أو تشكيل وإذا لم يتحقق ذلك ففي الكلية العسكرية. لقد ناديت بأهمية تولي الضباط قيادة الوحدات وحاولت اقناع جميع المرشحين الذين التقيت بهم إذ كنت استشف من مجريات الأمور والوقائع اليومية احداثاً خطيرة مقبلة ولقد حصلت مشادة بيني وبين العقيد الركن عبد الغني الراوي الذي لاقيته صدفة في المستشفى الجمهوري اثر خروجي من دار التمريض حيث يرقد العقيد رجب عبد المجيد إذ أصرّ عبد الغني الراوي على تعيينه في بغداد أو توليه نفس منصبه السابق... لم اوافقه ورجوت منه التخلي عن هذه الطلبات التعجيزية ولا بدّ من التضحية الآن وتجاهل المصلحة الخاصة... إن وجودك في الجيش أفضل من بقائك خارجه وسنرى... ثم افترقنا. قدمت اللجنة القائمة إلى الزعيم عبد الكريم قاسم فوافق على اعادة سبعة عشر ضابطاً فقط كنت من ضمنهم كما ثبت بنفسه مناصبهم ومواقع عملهم فعينني مدير شعبة في مديرية الحركات بوزارة الدفاع بحجة أني مريض واحتاج إلى الراحة ، ولست أشك أن تعييني في هذا المنصب كان لغرض تجميدي وسهولة مراقبتي نتيجة عدم اطمئنانه إليّ ولعلّه تذكر حديثي الصريح والجريء معه في وزارة الدفاع بحضور العقيد الركن عبد السلام عارف والعقيد فاضل عباس المهداوي والمقدم وصفي طاهر[٣٥] وسرعان ما بدأ الشيوعيون يكيدون ويدسّون وينشرون الاشاعات بغية تخويف عبد الكريم قاسم وتحذيره من عودة الضباط القوميين للجيش كما ضغطوا على عبد الكريم قاسم عن طريق فاضل عباس المهداوي ووصفي طاهر واخيراً اتخذوا من محكمة المهداوي وسيلة للوقيعة

٣٥ ــ انظر كتابي ثورة ١٤ تموز في العراق من ١٠٢ ــ ١٠٦ ــ دار الطليعة بيروت ١٩٧٨ .

ولتحذير عبد الكريم قاسم فقد أفاد أحد الشهود في احدى جلسات المحكمة أن القوميين قد اعتدوا عليه وهددوه قائلين أن الجيش سيصبح قريباً في قبضتهم وهكذا تجمدت أعمال اللجنة ولم يعد من مئات الضباط سوى سبعة عشر ضابطاً.

عودة إلى الكفاح

التحقت بمنصبي في مديرية الحركات العسكرية بوزارة الدفاع عقب صدور المرسوم الجمهوري وكان مكتبي في غرفة تضم مكاتب شعب الحركات الثلاث أي التسليح والتنظيم والملاكات والانشاءات. كان معي في الغرفة العقيد الركن أحمد توفيق الصائغ والمقدم الركن محمود عريم وهما من العناصر القومية أما مدير الحركات فهو العميد فريد ضياء محمود وكان مجاملاً ولطيفاً إلى أبعد الحدود، يساري النزعة يتعاطف مع الشيوعيين، سبق له أن درسني في كلية الأركان منذ بضعة أعوام، زارني جميع ضباط الحركات وآخرون من دائرة الأركان العامة ومديرية الادارة. وكان يعمل في شعبتي أي شعبة التنظيم والملاكات كل من الرئيس الأول الركن زيدان أحمد الزيدان وابراهيم كامل كوثر والأول قومي من مدينة الموصل أما الثاني فضابط همه أداء واجبه على أحسن صورة. قضيت اليوم الأول في التعرف على مهام الشعبة وواجباتها والتحدث إلى ضابطي الركن لمعرفة تفاصيل واجباتهما، وفي اليوم الثاني استدعاني مدير الحركات العسكرية وبعد حديث قصير سلمني نسخة من الاتفاقية المعقودة مع الاتحاد السوفييتي بشأن شحن الأسلحة وايفاد الخبراء الروس إلى العراق وطلب مني دراستها وبيان رأيي فيها... عجبت لتكليفي بهذه المهمة التي تحمل اكثر من معنى رغم شكي في جدوى الدراسة لأن الاتجاه السائد ارضاء الحليف الجديد وتوثيق العلاقات معه.

شرعت بدراسة الاتفاقية واتضح لي قسوة شروطها... كانت تحابي الخبراء إلى حد كبير وجرى تعيين ضابط عراقي هو المقدم فاتح الأطرقجي لتأمين سكن الخبراء وتوفير وسائط النقل لهم وحل مشاكلهم اليومية وكان يعاني الأمرين منهم أما رئيس الخبراء فكان يتصل بالزعيم عبد الكريم قاسم رأساً.

كان الخبراء يوفدون إلى العراق بناء على رغبة الاتحاد السوفييتي وتقديره ودون طلب من الجهات العراقية المختصة أو حتى اشعارها بموعد وصول الخبير، فلقد جاء خبير مظلي بقى ستة أشهر في العراق ثم عاد دون أن يقدم أية خدمة وكانت لجنة من الخبراء قد اتت لتنظيم وزارة الدفاع العراقية وقد قضت فترة طويلة دون أن تنجز مهمتها. كان الخبراء من الدرجة الثانية أو الثالثة أما رواتبهم فعالية جداً وكان مستواهم وكفاءتهم الفنية تثير الكثير من التعليقات والانتقادات وقد نصت الاتفاقية على أن يسافر الخبير بطائرات الاتحاد السوفييتي وبالدرجة الأولى وأن يصطحب معه عند عودته امتعة وحاجات تزن (١٠٠) كيلو ومن المفارقات المضحكة أن رئيس الخبراء أصرّ على استخدام سيارة امريكية الصنع في تنقله ورفض الركوب

بسيارة (زيل) الروسية. كانت الاتفاقية قاسية ومتحيزة راعت الجانب السوفييتي واللوم في رأيي يقع على عاتق المفاوض العراقي الذي تساهل كثيراً وحرص على ارضاء الحكومة الروسية وقد وقع الاستاذ ابراهيم كبة اتفاقية اقتصادية اضرت بمصالح العراق وأخيراً قدمت تقريراً وافياً إلى مدير الحركات العسكرية حول الاتفاقية ووجوب اعادة النظر فيها... ومضت الأيام والاسابيع وتبين أن الاتفاقية باقية لن يصيبها تعديل أو تغيير لذلك لجأت كحل بديل إلى:

١ ــ اقترحت مسودة كتاب موجه إلى الملحق العسكري العراقي في موسكو طلبت منه عدم قدوم الخبراء إلاّ بطلب من الجهات العراقية شريطة تحديد مهمتهم والإخبار عن موعد وصول الخبير بما لا يقل عن اسبوعين ليتسنى للجهة المختصة في العراق الاستعداد والتهيؤ للانتفاع بالخبير وقد وافق مدير الحركات العسكرية على المسوّدة وصدر الكتاب وزود مقر رئيس الخبراء بنسخة منه.

٢ ــ استدعيت الرئيس الأول الركن زيدان أحمد الزيدان ورجوت منه الاتصال بخبراء تنظيم وزارة الدفاع العراقية وابلاغهم أن شعبتنا هي المسؤولة عن تنظيم وزارة الدفاع وستقوم باعادة التنظيم مستفيدة من دراستهم التي لم تنته بعد وإن الوزارة تشكرهم وستقيم على شرفهم حفلة توديع في النادي العسكري تقديراً لجهودهم وخدماتهم، وقد اتصل بهم وتسلم الدراسة ثم اقيمت لهم الحفلة عادوا بعدهاإلى الاتحاد السوفييتي.. كانت الدراسة سطحية، حظيت فيها مديرية الخطط العسكرية التي يرأسها العقيد الركن طه الشيخ أحمد بأهمية خاصة وتوسعت وتضخمت على حساب المديريتين الأخرين[٣٦]

٣ ــ اتفقنا نحن الثلاثة ــ مدراء الشعب ــ على تنسيق اعمالنا والتعاون لابعاد الحزبية عن الجيش وضرورة بقاء ولاء هذه المؤسسة الحيوية للوطن والأمة وأهمية سيادة الضبط والنظام فيها لاسيما وقد ظهرت مؤشرات توحي بتردي الضبط والربط وانحلال النظام، فقد قُتل المقدم موسى آمر سرية الحراسة في الديوانية والعقيد جلال اسماعيل آمر احدى كتائب المدفعية في البصرة وحوصر بعض الضباط في حامية الناصرية وكاد أن يفتك بهم ضباط الصف والجنود بتحريض من الحزب الشيوعي لولا تدخل متصرف اللواء وحسن تدبيره كما ظهرت مقالات في المجلات العسكرية تشجع على عدم اطاعة الضباط (كالضبط الواعي) وغيره... وقد كتبت مرة في مجلة الجندي عن أهمية الوقت، وقضية (طريق المجد) في مجلة المخابرة، ومقال عن أحد مشاهير القادة في مجلة المدفعي، كنت اتوخى منها رفع المعنويات ومقاومة الطغيان والانتهازية.. كان بودي أن أكتب المزيد لولا ضيق الوقت وانصرافي إلى الكفاح السري..

---

٣٦ ــ تتألف دائرة الأركان العامة من ثلاث مديريات، الحركات العسكري، التدريب العسكري، ثم استحدثت مديرية ثالثة (الخطط) بعد ثورة ١٤ تموز، ودائرة الأركان العامة تؤلف قلب وزارة الدفاع وعقلها المفكر.

لقد حرصنا جميعاً على مصلحة العراق ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً وكنا نلجأ احياناً إلى الاستعانة بالمقدم الركن محمود عريم في حالة اخفاقنا في رفع الضرر ودرء المفسدة، بسبب علاقته الوثيقة بمدير الحركات العسكرية وارتفاع الكلفة بينهما وكنا ندرس الأمور ونرتبها بشكل يضطر فيه المدير إلى الموافقة وقد نجحنا حيناً واخفقنا في احيان كثرة... ورغم زحم العمل وكثرة القضايا واتساع ميدان الكفاح فانني ما زلت اتذكر بعض القضايا في هذه الفترة العصيبة:

أولاً: قدم الضابط المختص بالخرائط العسكرية (معاملة) إلى مديرية الحركات العسكرية لاستحصال الموافقة على تنزيل بضع عشرات من الخرائط العسكرية من ذمة الملحقية العسكرية في موسكو بسبب استهلاكها... عجبت لهذه القضية التي تثير الشك واستغربت تزويد الملحق العسكري في موسكو بخرائط عسكرية لكل الأراضي العراقية لانتفاء الحاجة إليها أولاً فليست بيننا حدود مشتركة تستدعي مراجعة خرائط الحدود عند الاقتضاء، وبطلب استهلاكها ثانياً إذ يجب أن تحفظ في الدائرة كمادة اساسية ولا يرجع إليها إلاّ في أحوال نادرة جداً... حاولنا وضغطنا لعدم تنزيلها في ذمة الملحق العسكري العراقي في موسكو واجراء تحقيق في القضية واعادتها حتى لو كانت ممزقة أو تالفة أو معطوبة كما يدعي الملحق العسكري[٣٧] لكننا لم ننجح .

ثانياً ـ دخل العقيد الركن أحمد توفيق الصائغ بادي الارتباك والذي كان قد استدعاه المدير منذ وقت قليل واعلمنا أن المدير طلب ارسال سيارة لوري (ريو)[٣٨]، إلى روسيا حاولت اقناعه بخطورة هذه العملية التي تؤلف سابقة خطيرة في جيش العراق الحديث وهي تلحق ضرراً بليغاً بسمعة العراق كما تسيء إلى القيم والمبادىء الدولية، واقترحت عليه مراجعة المدير لتنبيهه إلى خطورة هذه القضية فاحجم ثم تطوع المقدم الركن محمود عريم فذهب إلى مدير الحركات وعاد بعد نصف ساعة ليخبرنا بعدول المدير عن ارسال السيارة فقد تصور في بادىء الأمر أن ارسال سيارة (ريو) قديمة ومستهلكة إلى الاتحاد السوفييتي لا يترتب عليه أي ضرر أو اخلال بالاتفاقات أما وقد اتضح الآن أن جميع سيارات (الريو) بحالة صالحة فقد صرف النظر عن ارسال السيارة واعتبرت القضية منتهية.

ثالثاً ـ دخل غرفتنا في احد الأيام مستأذناً ضابط برتبة مقدم من صنف الهندسة الآلية الكهربائية وكان آمر أحد معامل الميدان يحمل معه بعض اجزاء صغيرة من محرك سيارة

---

٣٧ ـ كان الملحق العسكري العقيد عبد الباقي كاظم ثم خلفه المقدم الركن غضبان السعد.
٣٨ ـ جهزت الحكومة الأمريكية العراق بهذه السيارات القوية بعد انبثاق ميثاق بغداد.

جيب روسية من نوع (كار) وصلت حديثاً من الاتحاد السوفييتي ثم أرانا علائم ومؤشرات تؤيد سبق استخدام هذه السيارة في الاتحاد السوفيتي وبرهن على ذلك فنياً وعملياً فاقتنعنا باقواله واسترسل في حديثه بعد أن لمس اهتمامنا فذكر أنه رأى خلال فحص احدى السيارات (فطراً) أي شقاً في احدى المحركات ثم تطرق إلى اسعار معدات وأدوات التفكيك وذكر أن بعضها أغلى من مثيلاتها في الأسواق المحلية واستشهد بسعر مفتاح تفكيك بلغ سعره تسعة دنانير بينما يباع في السوق بسعر ربع دينار وهذا يؤكد أن التسعير في الاتحاد السوفييتي لا يخضع لاعتبارات اقتصادية أو تجارية ناهيك عن (حماوة) السيارات في الصيف وتوقفها على جوانب الطرق وذكر أن ناقلات الدبابات غير ملائمة وقد ثبت ذلك بعد تجربتها على طريق بغداد ـ بعقوبه... ذهب العقيد أحمد لمراجعة مدير الحركات العسكرية ثم عاد واصطحب معه الضابط واجزاء السيارة وبعد قليل عاد الاثنان بعد ان وعدهم المدير بمفاتحة المراجع السوفييتية المختصة ومرت الايام ونسيت القضية... لقد اتضح ان السيارات وبخاصة الشاحنات لا يشملها التخفيض بعكس الأسلحة الخفيفة بحجة أن صناعتها وانتاجها يخضع لاعتبارات خاصة.

رابعاً ـ استدعاني مدير الحركات وطلب مني السفر إلى البصرة بالطائرة لتدبير اسكان طوائف زوارق الطوربيد بالتعاون مع مديرية الموانيء العامة ريثما تبنى الثكنات ويتم انتخاب القاعدة... وصلت البصرة حوالي الساعة العاشرة وتوجهت فوراً إلى قيادة الموقع كما قابلت آمر زوارق الطوربيد للاطلاع على حالة الاسكان ومقترحاتهم ثم توجهت إلى مديرية الموانيء العامة...استقبلني بترحاب مدير الموانيء العام اللواء الركن المتقاعد مزهر الشاوي... ذكرت له مهمتي وضرورة تعاون مديرية الموانيء لتدبير اسكان طوائف زوارق الطوربيد بصورة مؤقتة وبعد حديث طويل وافق على اخلاء بعض المخازن وتخصيص رصيف صغير لزوارق الطوربيد ثم قمت بجولة زرت فيها أم قصر ومواقع المدفعية الساحلية وبناية المحجر الصحي المغلقة، وفي اليوم التالي عدت إلى بغداد وأخبرت مدير الحركات العسكرية بتسوية جميع المشاكل بين موقع البصرة ومديرية الموانيء وتأمين اسكان مراتب القاعدة البحرية.

دماء وثأر سريع

في فجر ٢٥ آب ١٩٥٩ نفذ حكم الاعدام بخمسة ضباط هم: الرئيس الركن نافع داود والرئيس محمد أمين عبد القادر والملازم الأول سالم حسين والملازم محسن اسماعيل عموري والملازم مظفر صالح ومدني واحد هو السيد فاضل حمادي الشكرة بعد أن حكمت عليهم المحكمة العسكرية العليا الخاصة بالاعدام . سرى النبأ بسرعة فوجم الناس وارتاع القوميون وتلاشت اشاعة قرب تبديل الحكم وولى التفاؤل الذي بلغ ذروته عندما

استنكر عبد الكريم قاسم مذبحة كركوك وأدان الفوضويين لقيامهم بها[٣٩]، وأعاد بعض الضباط المتقاعدين إلى الجيش، ووعد بتبديل الأحكام، وهكذا صدق الناس اشاعة قرب ارسال نافع داود إلى الخارج للتداوي، وخروج ناظم الطبقجلي وتبليغ عائلته بذلك. وعود لم تتحقق وآمال تلاشت وسواء صدق الحكم نتيجة ضغط فاضل عباس المهداوي ووصفي طاهر والحزب الشيوعي على عبد الكريم قاسم أو جاء رداً على وسائل الاعلام العربية التي استفزت عبد الكريم قاسم وتحدته إن أقدم على اعدام القوميين، فان تنفيذ الاعدام كان ضربة قاصمة للقوميين وحرقاً للجسور وقطيعة لا لقاء بعدها مع الحاكم... ومؤشراً خطيراً بقرب اعدام بقية الاخوان رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي وعزيز أحمد شهاب وغيرهم، لقد أعدم من قبل الطيارون الأربعة بسرعة اثناء فوران العواطف وهيجان النفوس وبعد محاولة قصف وزارة الدفاع ومرسلات الإذاعة في أبي غريب واختلف الناس في أمرهم، لكن اعدام الآخرين لكونهم من ضباط حامية الموصل قسوة بالغة وظلم صارخ... كان الرأي العام يتوقع تبديل عقوبة الاعدام إذ ليس من العدل ولا من المنطق تساوي عقوبة التابع والمتبوع.

وبدأت جهود جديدة وضغوط مكثفة في كل المستويات للتأثير على عبد الكريم قاسم واقناعه بجدوى تخفيف الاحكام جمعاً للكلمة وتوحيداً للصفوف في فترة حاسمة يعبىء فيها الاعداء كل طاقاتهم لتحطيم ثورة ١٤ تموز ومحاصرة القومية العربية، لم تثمر الجهود وركب عبد الكريم قاسم رأسه وزين له اتباعه ضرورة تنفيذ احكام الاعدام لتستقر الأحوال ويقطع دابر التآمر.

في فجر ٢٠ أيلول ١٩٥٩ نفذ حكم الاعدام في ميدان أم الطبول في ضواحي بغداد بثلاثة عشر ضابطاً وهم:

ـ الزعيم الركن ناظم الطبقجلي، رفعت الحاج سري، المقدم الركن عزيز احمد شهاب، الرئيس داود سيد خليل، العقيد خليل سلمان، الرئيس الأول توفيق يحيى آغا، الرئيس يحيى حسين الحماوي، المقدم الركن علي توفيق، الرئيس هاشم الدبوني، الملازم حازم خطاب المقدم اسماعيل هرمز، الرئيس الأول محمد الجلبي والرئيس زكريا طه. وخفضت عقوبة الاعدام الصادرة بحق سبعة ضباط إلى الاشغال الشاقة المؤقتة بموجب البيان الصادر من

---

٣٩ ــ شجب عبد الكريم قاسم حوادث كركوك في خطابه الذي ألقاه في كنيسة مار يوسف ببغداد في ١٩ تموز ١٩٥٩ وفي مؤتمره الصحفي الذي عقده في ١٩٥٩/٧/٢٩ وفي حديثه مع وفد المنظمات المهنية والنقابية في ٣ آب ١٩٥٩ ولقد ذهب ضحية هذه الحوادث ٧٩ قتيلاً، يضاف اليهم ٤٦ شخصاً دفن بعضهم وهم أحياء.

الحاكم العسكري بتأريخ ١٩ أيلول ١٩٥٩[٤٠].

كان فجراً مشؤوماً ويوماً نحساً سالت فيه دماء رجال تحدوا الطغيان والانحراف. مرت الأيام الأولى ثقيلة بطيئة طافحة بالحزن والأسى... كانت صدمة قوية قضت على كل الآمال اعقبتها التهاب المشاعر وفوران العواطف وتأجج الحماس وعزم على الثأر...لا بد من اعادة تنظيم الضباط الاحرار وتجميع القوى القومية، لقد حدثت لقاءات ثنائية وثلاثية كما بدأ تنسيق وتعاون بين كل الأطراف... كان هناك اجماع على وجوب الإطاحة بالدكتاتور بسرعة وبأي ثمن رغم اختلاف وجهات النظر وتباين الآراء حول الطريقة والأسلوب.

التقيت بالرئيس الأول الركن صالح مهدي عماش (والذي سبق له الانتماء إلى حزب البعث وكان يشغل منصب ضابط ركن في قيادة القوة الجوية(عدة مرات تبادلنا من خلالها وجهات النظر وتحدثنا عن الوضع الراهن..كان حريصاً على معرفة وجهة نظري لنقلها إلى حزب البعث وبخاصة فؤاد الركابي وكان الحزب قد أدرك وقدّر أهمية الجيش ودوره المنتظر فسعى إلى التغلغل في صفوفه وضم أكبر عدد من الضباط للحزب وفي اللقاء الأخير سألني صالح عماش عن الحل الذي اقترحه وذكر أن بوسع الحزب اغتيال عبد الكريم قاسم وانه ينوي القيام بذلك قريباً ولكن كيف ستتم السيطرة ومن سيتولى مقاليد الحكم بعد وقوع الاغتيال..؟ قلت ما دام الحزب عازماً على اغتيال عبد الكريم قاسم فاني افضل اتباع الخطوات التالية:

١ ـ أن يؤدي الاغتيال إلى قتل عبد الكريم قاسم لكي يعقبه منع التجول بأمر الحاكم العسكري العام.

٢ ـ يتولى السيطرة الفورية عندئذ رئيس اركان الجيش باعتباره اقدم الضباط. كما أنه يشغل منصب الحاكم العسكري العام في نفس الوقت، وهو على علاقة سيئة بالشيوعيين الذين تحدوه أكثر من مرّة كما أنه مستاء من سلوك وتصرف مدير الخطط العقيد الركن طه الشيخ أحمد الذي يضطره إلى البقاء في مكتبه إلى ساعة متأخرة بحجة وجود أوراق مهمة لديه لا بدّ من اطلاع الحاكم العسكري عليها.

٣ ـ يقف الضباط القوميون والقوى القومية إلى جانب رئيس أركان الجيش بكل ما لديهم من قوة وحينئذ يكون بالامكان التأثير عليه واجراء بعض التنقلات لصالح الضباط القوميين عن طريق سكرتير رئيس اركان الجيش العقيد الركن محمد خالد.

٤ ـ في هذه الفترة ستتضح نوايا واتجاهات وأهداف رئيس اركان الجيش. فيما يمضي

---

٤٠ ـ ليث عبد الحسن جواد الزبيدي ـ ثورة ١٤ تموز في العراق ـ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩ ص ٤٧٤

القوميون في احكام قبضتهم على الجيش فتقلص ساعات منع التجول تدريجياً وإذا ما انحرف رئيس اركان الجيش أو تنكر للقومية العربية فبالامكان التخلص منه بسهولة. اقتنع صالح مهدي عماش بما قلت وطلب امهاله بعض الوقت ثم اخبرني بعد بضعة أيام (أن الجماعة نزلوا)(٤١) ومضى اليوم ولم يحدث شيء بسبب عدم مرور عبد الكريم قاسم من منطقة القتل المحددة.

وفي حوالي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٧ تشرين الأول ١٩٥٩ دقّ جرس الباب فخرجت لأرى القادم فإذا هو العقيد مدحت الحاج سري، رحبت به وطلبت منه الدخول فاعتذر لضيق الوقت... ثم قال: لقد قررت اغتيال عبد الكريم قاسم لأثأر لأخي الشهيد المرحوم رفعت... رتبت كل شيء لكنّي أحتاج الآن إلى غدارتين فقط... كان صوته ينم عن الانفعال والاضطراب ثم اجبته قائلاً: ليس بالوسع تدبير الغدارات الآن ولا بدّ من بحث الأمر والاستعانة ببعض الأخوان فانصرف مسرعاً بعد أن وعد بزيارة قريبة ومفاجئة لمعرفة النتيجة. اتصلت بالمقدم الركن محمد مجيد وكان يسكن في حي قريب من داري ثم عرجت عليه وذهبنا معاً بسيارتي إلى الكرادة حيث التقينا بالعقيد رجب عبد المجيد في داره... بحثنا الأمر لكننا أرجأنا اتخاذ القرار لفرصة أخرى ..غادرنا الدار قبيل حلول المساء وعند وصولنا إلى الباب الشرقي قرب سينما الأورفلي اعترضتنا مظاهرة صغيرة اتضح لنا من هتافاتها أنها شيوعية: عاش الزعيم عبد الكريم ، الويل للخونة والمتآمرين... تسقط الرجعية والعملاء... كما تبين لنا أن محاولة لاغتيال عبد الكريم قاسم قد وقعت ترتب عليها اصابته بجرح. واصلنا مسيرنا بعد أن توقفنا قليلاً وسلكنا شارع الجمهورية لازدحام شارع الرشيد في مثل هذا الوقت... وصلنا الأعظمية واتجهنا رأساً إلى دار محمد مجيد... نزل محمد وودعني ثم توجهت إلى داري..هرعت إلى الراديو ففتحته لاسمع آخر الأنباء عن محاولة الاغتيال.. برقيات تنضح بالنفاق والرياء... ثم اذيعت نشرة صحية وقعها عدد من الأطباء برئاسة اللواء الدكتور محمد الشواف تبين منها أن الزعيم عبد الكريم قد اصيب بجرح غير خطير في ساعده وإنه يرقد في مستشفى دار السلام... أعلن المذيع أن تسجيلاً هاماً سيذاع قريباً بصوت الزعيم عبد الكريم قاسم ابن الشعب البار تطميناً للجماهير وتبديداً لقلق الناس الذين تهمهم سلامة الزعيم ونجاته من المحاولة الغادرة.. وهكذا توقفت الخطة في مرحلتها الأولى وقدر للشعب أن يعاني المزيد من العذاب والشقاء والاضطهاد.

---

٤١ ـ اصطلاح اتفقنا عليه وكان المقصود منه أن جماعة الاغتيال قد اتخذوا أماكنهم في المنطقة المختارة من شارع الرشيد هم في انتظار مرور عبد الكريم قاسم لاغتياله.

اختفى العقيد مدحت الحاج سري ثم هرب إلى خارج العراق[42] والقى القبض حالاً على كاظم العزاوي في احد فنادق شارع الرشيد اثر اصابة عبد الكريم قاسم وهذا يؤيد معرفة الأمن والاستخبارات بتفاصيل مؤامرة مدحت الحاج سري ومراقبتها المستمرة واحتمال ارتباط كاظم العزاوي بالاستخبارات خاصة وأن عبد الكريم قاسم قد حذر من المؤامرة فلم يكترث ورغب أن تمضي إلى أبعد مدى ولعله هو قدر أن اطلاق بعض عيارات نارية في الهواء وبعد مرور سيارته تصنع منه بطلاً لا يهاب الموت.

لم تهتد السلطة إلى مدبري مؤامرة الاغتيال ومنفذيها في الأيام الأولى رغم مصرع عبد الوهاب الغريزي احد اعضاء زمرة الاغتيال وبقاء جثته في منطقة رأس القرية، وأخيراً وبعد لأي وحيرة وتخبط دام بضعة أيام توصلت إلى قيام حزب البعث العربي الاشتراكي بتخطيط وتنفيذ المؤامرة فأدين الحزب وقدم عدد كبير من أفراده للمحاكمة حكم على بعضهم بالاعدام وخرج الحزب من هذه المحنة قوياً تؤيده جميع القوى القومية.

وبدأ ضباط بغداد بزيارة عبد الكريم قاسم بعد أن سمح بالزيارة وعلى شكل مجموعات تمثل المديريات والمؤسسات والوحدات يتقدمها المدير أو الآمر وأخيراً خرج عبد الكريم قاسم من المستشفى معافى يوم ١٩٥٩/١٢/١٣ واصبح يوم خروجه عطلة رسمية تضاف إلى العطل الكثيرة التي قررها العهد الجمهوري.

عبادة الطغاة وتأليه الحكام

واكبت البشرية عبادة الطغاة والحكام والملوك منذ فجر ميلادها وكان نصيب الطغاة وافراً لقسوتهم أولاً وجهلهم وفساد بطانتهم ثانياً تستوي في ذلك كل الأمم والشعوب والأقوام، فالحاكم كان وما يزال ينشد (الشرعية) يسعى إلى تبرير سلطته ورضا الناس عنها باستنادها إلى أساس ديني أو حق إلهي وقد قام بهذه المهمة الكهنة ورجال الدين في العصور القديمة خوفاً وطمعاً وهكذا ظهرت الملكيات الإلهية في مصر وسومر واكاد وعبد الرومان امبراطورهم وألهوه أما في العصور الوسيطة قام بالمهمة وعاظ السلاطين وبطانة الحكام وحاشيتهم... لم يشذ عبد الكريم قاسم عن هذه القاعدة فقد اسكره ثناء المهداوي ومديح عبد الكريم الجده، وخنوع الحاكم العسكري اللواء الركن أحمد صالح العبدي[43]،

---

٤٢ ــ عاد الى العراق بعد أن عفا عنه الزعيم عبد الكريم قاسم بفضل جهود شقيقه فائق الحاج سري الذي زاره في منفاه وأقنعه بالعودة فعادا معاً لكنه أعدم بعد تولي(البكر ــ صدام) مقاليد الحكم في العراق بتهمة التجسس.

٤٣ ــ عرف الحاكم العسكري العام بطاعته وسرعة تنفيذه لأوامر عبد الكريم قاسم دون مناقشة أو اعتراض فوثق به عبد الكريم قاسم واطمأن اليه.. ومرة أثناء تقديم الشاي الى عبد الكريم قاسم سقطت قطرات =

وتملق الوزراء، ونفاق الشيوعيين، ورياء الحاشية... وكانت نجاته من محاولة الاغتيال بداية أوهام وهواجس وتخيلات، فقد أمر بعرض سيارته التي كان يستقلها غداة مهاجمته في الساحة الأمامية لوزارة الدفاع ليستطيع الناس مشاهدة عدد الثقوب الكثيرة التي احدثتها الطلقات فيها واحتفظ بمكتبه بقميصه الذي كان يرتديه عند اطلاق الرصاص عليه وكان يعرضه على الزوار والمقربين... ثم قرر رئيس اركان الجيش اللواء أحمد صالح العبدي اهداءه سيارة لا يخترقها الرصاص باسم الجيش، قامت مديرية الحسابات العسكرية باستقطاع ثمنها من رواتب الضباط مباشرة، كما صدرت مسكوكة فضية بمناسبة نجاة الزعيم من المؤامرة اشتراها كبار موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين، وأصبح يوم خروجه من المستشفى عيداً وطنياً دعي بعيد السلامة والابتهاج.

لقد لجأ الجميع الى التزييف والتزوير والكذب بما فيهم عبد الكريم قاسم نفسه، وراج سوق الملق والتزلف والرياء وحرفت الوقائع وشوهت، فقد طمس دور اللواء العشرين في ثورة تموز الذي احتل بغداد وحلّ محله اللواء التاسع عشر الذي كان يقوده الزعيم عبد الكريم قاسم.

وفي مقابلة اجراها صحفي لبناني(٤٤) مع الزعيم عبد الكريم قاسم، سأله الصحفي عن ثروة أخيه المفاجئة وكان دلالاً صغيراً يتردد على مكتب عبد المنعم الخضيري، رد عليه منفعلاً بأن أخاه كان من الأغنياء قبل ثورة تموز واخترع قصة اشبه بالأسطورة ذكر فيها أنه عند سفره مع أخيه رأى محتويات الخرج الذي كان يحمله وكان ممتلئاً بالليرات الذهبية فتعجب من ثراء أخيه الذي كان يجهله.

وزعم فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة وصرّح أكثر من مرة في المحكمة أن الزعيم قد خطط للثورة قبل قيامها بعشرين عاماً، وهو عبقري وبطل وقوي لا يمكن اللحاق به(٤٥).

= منه على المنضدة فأخرج الحاكم العسكري منديله ومسح القطرات.. وكثيراً ما يضطر الى البقاء في ساعة متأخرة من الليل في مكتبه منتظراً مجيء مدير الخطط العسكرية العقيد الركن طه الشيخ أحمد ليبحث معه بعض الأمور والقضايا المهمة بناء على طلب الأخير.

٤٤ ــ أجرى الصحفي اللبناني محمد أمين دوغان مقابلة مع الزعيم عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع وجه فيها أسئلة كثيرة اليه أجاب عليها الزعيم عبد الكريم قاسم ثم نشرها في صحيفته.

٤٥ ــ في احدى زياراتي بوزارة الدفاع شاهدت العقيد فاضل عباس المهداوي في غرفة المرافقين والتي كان ينام فيها في أيام الثورة الأولى فرجا مني الجلوس بعد أن رحب بي ثم بدأ يتحدث عن عبقرية وحدة وقوة الزعيم عبد الكريم قاسم... قال انه لا يهتم أو يتعب وليس بوسع أحد مجاراته أو اللحاق به فهو لا يفاء براحته أو يهتم بالطعام، أو الجنس، انه جبار لا يعرف الخوف والتردد.

ودأب آمر الانضباط العسكري العميد عبد الكريم الجده على الثناء والاشادة بسجايا عبد الكريم قاسم والف كتاباً عنه... وهكذا ركب عبد الكريم قاسم الفورد واصيب بجنون العظمة شأن معظم الحكام العرب فتنبأ بفشل انقلاب الحبشة اثر قيامه، وزعم أنه وضع خطة دقيقة لتحرير فلسطين آثر الاحتفاظ بها في مكتبه ريثما يحين الوقت الملائم لتطبيقها.

لم يتقيد عبد الكريم قاسم باوقات الدوام الرسمي ولم يلتزم بالمواعيد وكان نشاطه يمتد إلى ساعة متأخرة من الليل إذ كان يقوم عادة بجولة ليلية لتفقد سير العمل في قناة الجيش وتبليط الطرق والساحات وقد يصطحب معه أحد زواره وكان يوزع في بعض الاحيان مبالغ يسيرة على الفقراء سكان الأكواخ في ضواحي بغداد .

كانت وزارة الدفاع مقره وسكناه، ففيها مكتبه حيث يمارس أعماله اليومية وفيها ينعقد مجلس الوزراء بالاضافة إلى مبيته فيها... كان يبدأ نهاره بتمشية أمور الدولة بصفته القائد العام ورئيس الوزراء ووزير الدفاع ثم يتفرغ لاستقبال الزوار فيشرح لهم الوان العلم العراقي الجديد وما ترمز إليه وشعار الجمهورية العراقية، ورمز ثورة ١٤ تموز، كما يستدعي بين حين وآخر سعاد الحاج سلم وهو معلم رسم استعارته وزارة الدفاع من وزارة التربية لمناقشته في تصميم الطوابع البريدية.

كانت جلسات مجلس الوزراء تعقد ليلاً وقد يتأخر انعقاد الجلسة ويضطر الوزراء إلى البقاء ريثما يعود الزعيم عبد الكريم من جولته التفقدية.

وبعد يوم واحد من اعلان استقلال دولة الكويت، ارسل الزعيم الركن عبد الكريم قاسم برقية إلى شيخ الكويت بتأريخ ٢٠ حزيران ١٩٦١ تضمنت فرحه بالغاء الاتفاقية المزورة وهجوماً على سلفه الشيخ مبارك الصباح (قامقام الكويت التابع لولاية البصرة) والذي عقد اتفاقية ١٨٩٩ مع الانكليز دون علم اخوته في الكويت ودون علم السلطات الشرعية في العراق آنذاك... وأوشك أن يأمر الجيش العراقي بالتحرك إلى الكويت لولا بعض

= وقال مرة في احدى جلسات المحكمة العسكرية العليا الخاصة: "من الذي يؤثر على أفكار الزعيم، هل يوجد بشر يؤثر على أفكاره هذا العبقري العظيم، كلنا نتلقى الأفكار منه وحتى المتهم".

٤٦ ــ طالب.عبد الكريم قاسم بالكويت فجأة، وكان قراره مرتجلاً لم يدرس أو تحسب نتائجه، ولست أشك أنه اطلع على الملف الكامل في وزارة الخارجية العراقية الذي يثبت تبعية الكويت ، لمحافظة البصره خلال الحكم العثماني، والذي أعد في الشهور الأخير قبل قيام ثورة تموز وأثناء قيام الاتحاد الهاشمي تمهيداً للضغط على الكويت لتمويل الاتحاد بموافقة البريطانيين وتشجيع الولايات المتحدة، الأمر الذي شجع عبد الكريم قاسم ودفعه ناهيك عن ضعف الكويت وغناها وتنافس حكامها ومهما يكن من أمر فقد أضر القرار بالعلاقات الكويتية العراقيةودفع المشايخ والحكام الى الاعتماد على البريطانيين من جديد.

راجع أيضاً ليث عبد الحسن جواد الزبيدي ــ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ــ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩ ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

التحذيرات[٤٦]، وترتب على ذلك مجيء قوات عربية إلى الكويت وتدهور العلاقات بين البلدين الشقيقين والجارين وتبادل حملات إذاعية استمرت طيلة فترة حكم عبد الكريم قاسم.

ولما نجحت حركة الانفصال السورية في تشرين الأول ١٩٦١ أمر الزعيم عبد الكريم قاسم بفتح الأسواق العراقية أمام المنتجات والبضاعة السورية التي قاطعها العراق من قبل وفتح باب الاستيراد على مصراعيه.

أما علاقته بأيران فلم تكن حسنة وهذا ما دفعه إلى شراء زوارق طوربيد ومدافع ساحلية من الاتحاد السوفييتي وانشاء القاعدة البحرية في منطقة البصرة والتفكير في أعادة انشاء ميناء أم قصر.

اجراءات أمن جديدة

كان خروج عبد الكريم قاسم من المستشفى واستئنافه العمل بوزارة الدفاع بداية اجراءات امن شديدة في الوزارة وبخاصة الطابق الثاني حيث مكتب الوزير ورئيس اركان الجيش واصبح الجناح الذي يضم المكتبين المذكورين بالاضافة إلى دائرة الحاكم العسكري شبه معزول حظرت مراجعته إلاّ في القضايا الرسمية المهمة وخضع لحراسة شديدة إذ يسأل لقادم قبل السماح له بالمرور وقد يفتش عند الاقتضاء وكثر عدد جنود الانضباط الذين يقفون في المداخل والممرات كما أغلقت بعض الابواب المؤدية إلى هذا الجناح وتعذر وصول كثير من المراجعين إلى دائرة الحاكم العسكري التي توسعت صلاحياتها وامتد نشاطها إلى نواح كثيرة فلجأوا إلى ضباط الحركات يستعينون بهم رغم حرص الجميع على تقليل المراجعة...

وبدأ العمل بانشاء جناح جديد يناظر الجناح القديم في جانب النهر وسار البناء بسرعة واستورد له زجاج خاص لا ينفذ فيه الرصاص عن طريق بيروت وقامت طائرات شحن عسكرية (فريتر) بنقله إلى بغداد كما وصلت السيارة الخاصة التي جمع ثمنها من تبرعات الضباط القسرية... وكانت مديرية الحركات العسكرية ومديرية الخطط هما المديريتان الوحيدتان اللتان لم تشملهما الاجراءات لاتصال الأولى بالجناح المذكور مباشرة ولوقوعها بين الجناح ومديرية الخطط بالاضافة إلى أهمية الدائرتين وطبيعة عملهما.

لقد حرصنا جميعاً على تقليل المراجعة وعولنا على الهاتف كثيراً إلاّ في القضايا الرسمية الملحة وبدأنا نلتقي بإخواننا العاملين في الدوائر المذكورة في الخارج وبعد انتهاء الدوام الرسمي إذ تبين لنا أن غرفتنا التي تضم شعب الحركات الثلاث تخضع لمراقبة خاصة وكذلك مراجعاتنا لمقر الوزارة ومراجعة الضباط لدوائرنا اثناء الدوام، فلزمنا جانب الحذر ونبهنا اخواننا إلى ذلك واحجمت قلة من الضباط تدين بالولاء المطلق إلى عبد الكريم قاسم

عن مراجعتنا واطلق احد آمري الألوية المقربين إلى عبد الكريم قاسم على دائرتنا (الغرفة المشوهة)، لكن ذلك لم يفت من عضدنا وبدأنا نتشاور ونتبادل الرأي في اعادة التنظيم ونشر الوعي وإذ كاد الحماس واستئناف الجهاد لرفع الظلم والقضاء على الطغيان والدكتاتورية وحدثت لقاءات ومشاورات بين مدراء شعب الحركات وعدد كبير من الضباط امثال العقيد رجب عبد المجيد والعقيد الركن طه محمد امين واللواء الركن محمود شيت خطاب ومدير الشرطة صبحي مدحت السعود وغيرهم ثم تألفت بضع خلايا من الجيش والشرطة وبدأنا نعقد اجتماعات في دار صبحي مدحت السعود في الوزيرية حضرها في بعض الأحيان مدير حركات الشرطة صبيح توفيق رشدي وتمّ التنسيق مع سورية وقام بالمهمة العقيد الركن أحمد توفيق الصائغ يعاونه الشيخ شعلان وأمّن صبحي مدحت السعود الاتصال برؤساء وشيوخ الجنوب عن طريق عامر حسك.

لقد تعمدت تقليل لقائي بالمقدم الركن محمد خالد سكرتير رئيس اركان الجيش وتجنبت مراجعته في مكتبه إلاّ في الأمور الرسمية المهمة التي ينبغي اطلاع رئيس اركان الجيش عليها، لكننا كنا نلتقي خارج أوقات الدوام الرسمي في داري أو داره أو دار المقدم الركن خالد حسن فريد فنتداول ونتشاور ونرتب الأمور لمصلحة التنظيم الوليد والعمل المقبل.

ولقد حدث مرة أن احتد المقدم الركن ابراهيم جاسم التكريتي آمر احدى كتائب الدبابات اثر مناقشة حامية مع احد الأخوة فقرر اعتزال الكفاح واقسم بالطلاق ألاّ يعمل بعد الآن في الحقل القومي، رجوناه أن يعيد النظر بقراره لكنه أصرّ.. وهكذا اضطررت أنا والمقدم الركن محمد خالد وأظن كان معنا أيضاً المقدم الركن خالد حسن فريد إلى الذهاب إلى دار الحاج نجم الواعظ مساءً فطرقنا الباب ورجونا مقابلة المفتي ثم شرحنا له مفصل القضية وملابساتها دون ذكر الاسم وبعد لوم وتحذير أمني بجواز استئناف العمل فذهبنا إلى ابراهيم جاسم نزف إليه البشرى... وفي أحد الأيام قامت مظاهرة في الأعظمية واستدعى الجيش للتدخل وكانت العادة المتبعة ان يقوم مدير الشعبة المختص في الحركات بمراجعة رئيس اركان الجيش (بعد فض المظاهرة وانجلاء الموقف) لبيان موجز للموقف والاجراءات، وذهب مدير الشعبة المقدم الركن محمود عريم ثم عاد بعد قليل بادي الانفعال.. لا اتذكر هل رفض رئيس اركان الجيش مقابلته أو قابله بخشونة ومهما يكن من أمر فقد ألحّ عليّ بوجوب المراجعة لمعرفة سبب هذه المعاملة الفظة، حاولت اقناعه بعدم ارتياح رئيس اركان الجيش لمراجعتي وكان يفضل مراجعة مدير الحركات نفسه لكنه اصرّ علي لمعرفة السبب لصداقتي المتينة بسكرتير رئيس اركان الجيش، ذهبت مكرهاً وجلست في غرفة السكرتير نتحدث وفجأة خرج رئيس اركان الجيش من مكتبه وذهب إلى (التواليت) وتحتي جالساً في غرفة السكرتير، وعدت بعد قليل إلى مكتبي... ثم احتلقت

عذراً بررت فيه تصرف رئيس اركان الجيش اقتنع به المقدم محمود عريم...

وبعد بضعة اسابيع صدر الأمر بنقل سكرتير رئيس اركان الجيش إلى منصب ملحق عسكري في الولايات المتحدة الأمريكية...أسفت جداً لهذا النقل الذي سيلحق بتنظيمنا الفتي بعض الاضرار وتألمت لأن مراجعتي الأخيرة كانت من أحد الأسباب، هذا وأن المنصب الجديد أفضل من المنصب السابق للسكرتير.

في هذه الفترة ازداد لقائي بالرئيس الأول الركن صالح مهدي عماش والذي كثرت طلباته لتعذر مراجعته دائرة الحاكم العسكري كما تحدثنا من جديد في أمر اغتيال عبد الكريم قاسم بعد ازدياد عزلته ونمو التنظيم القومي وافاد بوجود عناصر بعثية في فصيل حراسة الزعيم عبد الكريم قاسم مستعدة لاغتياله عندما تؤمر بذلك. زارني المقدم الركن محمد خالد قبيل سفره وتحدثنا كثيراً بشأن المستقبل كما طلب مني بيان رأيي في قضية سرية كلفه بها رئيس اركان الجيش وطلب منه التحقيق فيها اثر التحاقه بمنصبه الجديد تتعلق بتصرفات الملحن العسكري السابق الرئيس الأول الركن حسن مصطفى النقيب واستغلاله لمنصبه وبخاصة تقاضيه عمولات عن عقود اجراها مع شركات امريكية...اجبته أن القضية خطيرة فحسن النقيب من الضباط القوميين وقد تكون القضية ملفقة من اساسها بهدف التشهير بالقوميين لا سيما بعد اختلافه ومشاجرته مع السيد كاظم جواد الملحق الثقافي في السفارة واقترحت التريث بالتحقيق ريثما يطاح بعبد الكريم قاسم وتأتي جبهة قومية لا بدّ أن تحاسبه إذا ثبتت التهم ضده فليست القومية درعاً واقياً أو قميص عثمان إنما هي سلوك وخلق وقيم ومبادىء ثم اخبرت صالح عماش بمفصل القضية فأيدّ وجهة نظري[٤٧].

وبالرغم من كل الصعوبات والرقابة الشديدة فقد لعبت مديرية الحركات العسكرية لشعبها الثلاث وبالتعاون مع الآخرين دوراً مهماً سواء ما يتعلق ببناء الجيش العراقي وتسليحه أو اعادة الثقة إلى النفوس وتأليف خلايا جديدة، فقد تم بناء القاعدة البحرية بسرعة وعززت بمدافع ساحلية بعيدة المدى، وأعيد تنظيم فوج المشاة العراقي في معسكر المسيب وتمّ توزيع دفعتين من خريجي كلية الأركان على ضوء المصلحة القومية ونجح المقدم الركن محمد مجيد ـ وكان من ضمن الوفد العسكري الذي ذهب إلى الاتحاد السوفييتي ـ باقناع الوفد بالاصرار على تجهيز الجيش باحدث مدفعية ميدان روسية[٤٨].

---

٤٧ ــ اعترف الرئيس الأول الركن حسن النقيب بأخذه عمولات ليتسنى دفع نفقات الطلاب القوميين المحتاجين في الولايات المتحدة.

٤٨ ــ أنكر الروس وجود المدفع الحديث لكن المقدم الركن محمد مجيد استشهد بكراسة انكليزية صدرت حديثاً ذكرت فيه مزايا وخواص المدفع الجديد وتفوقه على المدفع السابق. وحينئذ اعترف الروس ووافقوا على تجهيز الجيش العراقي بالمدفع الحديث.

لقد فشلت لعبة عبد الكريم قاسم المعروفة (توازن القوى) وشعر بعزلة شديدة بعد تصدع علاقاته مع الشيوعيين اثر مهاجمتهم في خطابه في كنيسة مار يوسف ومؤتمره الصحفي وحديثه مع النقابات بعد وقوع احداث كركوك كما بلغت علاقاته بالقوميين غاية السوء عقب عدام اعداد كبيرة من الضباط القوميين لذلك اتجه إلى الثورة الجزائرية والقضية الفلسطينية وسواء كان هدفه خدمة الأمة العربية أو الدعاية لنفسه أو كسب ود القوميين بعد صمودهم للاضطهاد وفوزهم بانتخابات نقابة المعلمين فقد استغلت مديرية الحركات العسكرية هذا التحول وبذل مدراء الشعب جهوداً كبيرة إذ أعدوا قوائم بالأسلحة الفائضة عن حاجة الجيش بعد اعادة تنظيمه وتسليحه بأسلحة روسية حديثة وكنّا نتشاور وباتصال دائم مع ضابط الارتباط الجزائري الملازم محمد وكان متزوجاً من فتاة اردنية فتعد له القوائم وإسبقية الطلب والتجهز على ضوء تطور الثورة الجزائرية[٤٩] ثم يقدم بدوره هذه القوائم إلى وزارة الدفاع التي لا تملك سوى الاستجابة وإذا ما سئلت الشعبة المختصة في مديرية الحركات العسكرية لبيان الرأي وتوفر السلاح المطلوب جاء الرد سريعاً ومؤيداً للطلب وهكذا شحنت كميات كبيرة من الأسلحة بطائرات شحن عسكرية عراقية كما شكل فوج هيكلي فلسطيني اقتصر على المقر والمقرات الفرعية فقط لقلة عدد الفلسطينيين المتطوعين ليكون نواة جيش التحرير الفلسطيني[٥٠].

تأليف اللجنة القومية العليا

بعد مشاورات ومداولات وحوار طويل بين الضباط القوميين وبصرف النظر عن انتمائهم الحزبي تمّ الاتفاق على تأليف اللجنة القومية العليا للضباط الاحرار من:

- العقيد أحمد حسن البكر
- العقيد الركن عبد الكريم فرحان
- المقدم الركن خالد حسن فريد
- المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف

---

٤٩ ـ اندلعت الثورة الجزائرية في نوفمبر ١٩٥٤ وقد تردد عبد الكريم قاسم في دعمها ومساندتها ولعلّ عزلته وارتفاع شعبية جمال عبد الناصر لبطل وطني وقومي دفعاه الى مساعدة الثورة الجزائرية.

٥٠ ـ كان عدد الفلسطينيين في العراق لا يتجاوز ٦٠٠٠ شخص معظمهم من النساء "الأطفال والشيوخ" لذلك لم يتطوع سوى عدد قليل جداً لكنها كانت فرصة لتدريب الفلسطيني الراغبين على مختلف الأسلحة ولم يلبث أن أصدر عبد الكريم قاسم قانون تشكيل جيش تحرير فلسطين رقم ١٠٢ لسنة ١٩٦٠ ونشر في جريدة الوقائع العراقية العدد ٤٠٣ الصادر في ٢٩ آب ١٩٦٠ ودخل بعض الفلسطينيين من خريجي الثانوية كلية الاحتياط.

- المقدم الركن صبحي عبد الحميد
- المقدم الركن صالح مهدي عماش
- المقدم الركن جاسم كاظم العزاوي
- المقدم الركن ابراهيم جاسم التكريتي
- المقدم الركن خالد مكي الهاشمي

عقدت اللجنة اجتماعها الأول في دار صبحي عبد الحميد في الوزيرية وقد اختير هذا البيت لتوسطه وقربه وسهولة الاهتداء إليه. لم تضم اللجنة المقدم الركن محمد مجيد لنقله بمنصب ملحق عسكري خارج العراق كما اتفقنا على عدم حضور جاسم كاظم العزاوي اجتماعات اللجنة وكنّا نبلغه بالقرارات الهامة عن طريق المقدم الركن خالد حسن فريد كما استبعد من اللجنة المقدم الطيار عارف عبد الرزاق لوجوده في الحبانية وتعذر مجيئه وتمّ الاتفاق على تخويلي بالاتصال بالضباط الآخرين وتبادل وجهات النظر معهم امثال رجب عبد المجيد ومحمود شيت خطاب وعارف عبد الرزاق وغيرهم...

وفي احدى الاجتماعات دخل صالح مهدي عماش ومعه الرئيس الأول الطيار حردان التكريتي... لقد فوجئنا بحضور حردان... كانت مناورة مقصودة من صالح مهدي عماش كدأبه لزيادة عدد عناصره ومؤيديه والتأثير على التصويت... اكرهنا على قبوله وضمه إلى اللجنة حرصاً على المصلحة ولحاجة اللجنة إلى ضابط طيار بعد أن صرف النظر عن اشراك عارف عبد الرزاق باللجنة لتعذر حضوره بدأت اللجنة تعقد اجتماعاتها اسبوعياً لكثرة اعمالها وكان معظمها يعقد في دار صبحي عبد الحميد وقد اجتمعنا مرة أو مرتين في دار عبد الستار عبد اللطيف وثلاث مرات في دار أحمد حسن البكر في محلة علي الصالح، كما تم تقسيم المهام والواجبات وعهد إلى لجنة تضم أحمد حسن البكر وعبد الكريم فرحان وعبد الستار عبد اللطيف بوضع خطة العمل وصياغة البيانات ووضع جدول زمني لسير الأحداث عندما تحين ساعة الصفر. وشرعت اللجنة العليا بترشيح الأشخاص المؤهلين لاشغال المناصب المهمة بعد الاطاحة بنظام عبد الكريم قاسم، واقترحتُ ان يكون ناجي طالب رئيساً للوزراء لكن اقتراحي لقى معارضة من بعض الاخوان بحجة وجوده في الخارج وفسره آخر أنه هروب من الميدان وآثر الاقامة في النمسا وكانت حجتي أنه أحد اعضاء اللجنة العليا للضباط الأحرار كما أنه اصبح معروفاً بالنسبة للشعب العراقي والرأي العام العربي بعد توليه وزارة الصناعة واستقالته مع الوزراء القوميين ابان المد الشيوعي واضطهاد القوميين وأخيراً وبعد نقاش طويل وافقت اللجنة على تولي ناجي طالب رئاسة الوزارة، ثم رشح أحد الاخوان العقيد أحمد حسن البكر لتولي منصب وزير الدفاع فقبل الاقتراح بالاجماع ورشحني أحد الاخوان لتولي منصب رئاسة اركان الجيش فاعترضت على هذا الترشيح وفضلت اسناد المنصب إلى ضابط برتبة كبيرة ولدينا أكثر من ضابط قومي برتبة

كبيرة يصلح لهذا المنصب فأنا ضد (القفزات) ومنح الرتب العسكرية قبل اوانها كما اكره وارفض احالة أي ضابط برتبة كبيرة على التقاعد بسبب اسناد المنصب لي ومنحي رتبة لواء أو فريق واستشهدت بما حدث في مصر والعراق بعد الثورة، فقد منح (الرائد) عبد الحكيم عامر رتبة مشير، أما في العراق فقد اسند منصب رئاسة اركان الجيش إلى الزعيم أحمد صالح العبدي باعتباره أقدم الضباط بعد عبد الكريم قاسم، واحالة جميع الضباط الكبار وكانوا برتبة لواء على التقاعد. طال الحوار وبذلت الجهود لاقناعي وفجأة قال حردان التكريتي: أنا مستعد لتولي منصب رئيس اركان الجيش ما دمت ترفض ذلك ويظهر انك لا تثق بنفسك كثيراً، حينئذ غضبت واجبته بشدة إنني اعرف نفسي وأثق بها وأنا أقدر منك ومن غيرك ولكني توخيت المصلحة العامة وعدم التفريط بالضباط ذوي الرتب الكبيرة وأخيراً تمّ الاتفاق بالاجماع على أن اتولى منصب رئيس اركان الجيش.

ومضت الجلسات تجري بانتظام وبحثت فيها شؤون كثيرة كما فرغت اللجنة الثلاثية من مهمتها وتعهد العقيد أحمد حسن البكر بحفظ جميع الأوراق في مكان أمين وتمّ الاتفاق على أن اغتيال عبد الكريم قاسم ما زال يشكل مفتاح المعضلة وبداية لسلسلة أعمال مسيطر عليها تؤدي إلى احكام قبضة القوميين وسيطرة الجيش على الوضع باقل الخسائر وكان صالح عماش قد وعد من قبل أن أحد جنود فصيل الدفاع والواجبات المسؤول عن حماية عبد الكريم قاسم مستعد لاغتياله شريطة تسليمه غدارة أي رشاشة قصيرة المدى. لا بد إذن من اعادة النظر بملاك فصيل الدفاع وتسليح افراده بالغدارات دون اثارة أي ريب لا سيما وأن التعديل في مصلحة الفصيل فالسلاح آلي سريع الطلقات صغير الحجم خفيف الوزن إذا قيس بالبندقية وفضلت أن يأتي الاقتراح من مقر رئاسة أركان الجيش ولم يلبث أن اقتنع سكرتير رئيس اركان الجيش الجديد بالفكرة وتبناها دون أن يعرف الباعث وهكذا تسلح جميع الجنود بالغدارات بما فيهم الجندي البعثي الذي أخذ على عاتقه مهمة الاغتيال، لكنه احجم خوفاً أو لعدم موافقة الحزب.

وفي احدى الجلسات نقل الينا صالح مهدي عماش اقتراحاً مهماً لحزب البعث لنبين رأينا فيه، فحواه أن حزب البعث يحرص على سلامة اعضاء اللجنة ويثق فيها إلى أبعد الحدود وهو شديد الرغبة في تولي حملة التوعية وضم الضباط تخفيفاً لاعباء اللجنة وحرصاً على عدم انكشافها كما أنه يوافق على تولي اللجنة نفسها قيادة الحزب والبلاد بعد انضمامها للحزب وهذه أول مرة يخرج فيها الحزب على نظامه الداخلي وتقاليده ويتخذ مثل هذا القرار الخطر بدافع المصلحة القومية العليا. نوقش الاقتراح باسهاب وطال الحوار والجدل وابدى كل عضو رأيه بصراحة. كان الاقتراح وجيهاً ومقنعاً يضمن الأمن ويوفر الجهد والوقت وأخيراً غلب حسن النية فقررنا الانضمام إلى حزب البعث باستثناء المقدم الركن خالد حسن فريد والرئيس الأول الركن ابراهيم جاسم التكريتي وفي الاجتماع التالي لهذه الجلسة المهمة اقترح أحد

الاخوان لا أتذكر اسمه الآن (ولعله كان صالح مهدي عماش أو عبد الستار عبد اللطيف) اعادة النظر في المناصب المهمة واقترح أن يكون أحمد حسن البكر رئيساً للوزراء، وعبد الكريم فرحان وزيراً للدفاع وخالد مكي الهاشمي رئيساً لأركان الجيش وبدأ بسرد مؤهلات أحمد حسن البكر من نضال وصمود وتحمل للمسؤولية بالاضافة إلى احتفاظه ببعض الأسلحة والوثائق... اعترضت على هذا الاقتراح الذي جاء بعد فوات الأوان إذ لم يستجد ما يدعو إلى النظر في مقررات سابقة اتفقنا عليها بالاجماع والأفضل أن نبحث الآن في قضايا اخرى ملحة... لم يلق اقتراحي القبول واتضح أن الأمر قد دبر بليل فاحتدم النقاش وطال الحوار وكان المبرر الوحيد أن ناجي طالب قد آثر العزلة وفضل الاقامة في أوربا وفجأة جذبني من ذراعي عبد الستار عبد اللطيف وكان يجلس بجانبي وهمس بأذني أن الاقتراح بمصلحتنا وأن تعيين أحمد حسن البكر رئيساً للوزراء معناه أن كل واحد منا هو رئيس الوزراء... لم ارغ لوجهة نظره... انه يتكلم بمنطق حزبي فيما نحن نبحث عن الكفاءات ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.. ثم سألني أحد الأعضاء لا أتذكر اسمه عن مؤهلات ناجي طالب واضطرني إلى المقارنة بين الأثنين فبدأت اعدد مزايا كل منهما وفجأة قاطعني خالد مكي الهاشمي وقال (ان ناجي طالب حلو) فأجبته على الفور (أنت أحلى منه) ثم جرى التصويت فاستبعد ناجي طالب باقتراح الأكثرية وأصبح أحمد حسن البكر رئيساً للوزراء وعبد الكريم فرحان وزيراً للدفاع وخالد مكي رئيساً لأركان الجيش وانفض الاجتماع... وتلته بضعة اجتماعات مملة خلت من الصراحة والصدق والاخلاص وظهر جلياً أن مصلحة الحزب وضعت في المقام الأول وتغير تماماً اسلوب المناقشة وطرح الآراء والتصويت واستبعدت آراء سديدة لعدم حصولها على الاصوات المطلوبة وكثرت اعتداءات البعثيين على القوميين فاستنكرت ذلك ووعدوا بوقف الاعتداءات... وذات يوم اتصل جاسم كاظم العزاوي بالمقدم خالد حسن فريد وابلغه بوصول انباء إلى عبد الكريم قاسم تؤكد انضمام صالح مهدي عماش لحزب البعث وقيامه بوضع (الجفرة) لهم وطلب منه أن يقسم بالقرآن بعدم ذكر اسمه أو أي اسم آخر لأن القضية لا يعرفها سوى مدير الأمن العقيد عبد المجيد جليل الذي نقل النبأ إلى عبد الكريم قاسم وان كل ما يريده هو تحذير وتنبيه صالح مهدي عماش وفي الجلسة القادمة ابلغنا خالد حسن فريد بالنبأ ورفض ذكر الأسماء لالتزامه بالقسم ولمقتضيات الأمن، لكن صالح وبعض الاخوان اصروا على ذكر الأسماء وسب القرآن... لقد ادركت الآن خطأ انضمامي للحزب وآمنت بالقول أن سوء الظن من حسن الفطن. وآن لي أن اكف عن هذا الخطأ قبل فوات الأوان واقتنعت أن الاستقلال في الرأي والتحرر من القيود الحزبية انفع وأجدى للوطن فقررت أن اعلن استقالتي من الحزب في الجلسة القادمة... وحل موعد الاجتماع وكان في دار صبحي عبد الحميد وتكلمت في بداية الاجتماع وشرحت أزمة الضمير التي امر بها والمعاناةوصعوبة التوفيق بين مصلحة الوطن ومصلحة الحزب وتعذر

انقسام الولاء لذلك قررت الاستقالة من الحزب ووضع كل طاقاتي لخدمة وطني وجماهيره بدون تفريق أو تمييز... ثم تكلم أحمد حسن البكر واعلن انه سبق له الانضمام إلى الحزب اثناء فترة اعتقاله وانه يؤثر البقاء في الحزب وتكلم صالح عماش ولاذ بعض الاخوان بالصمت ثم تكلم صبحي عبد الحميد فأيد وجهة نظري وأعلن استقالته من الحزب... وأخيراً اتفقنا جميعاً على العمل سوية كالسابق للتخلص من الحكم الدكتاتوري، لكن الاجتماعات قلت وفتر النشاط وبدا التكتل واضحاً..

انقسام واتهامات

حلّ عيد الفطر فذهبت في الصباح الباكر إلى مقبرة الشيخ معروف بجانب الكرخ كدأبي في الأعياد لزيارة قبور والدتي وأخي وجدتي وبقية قبور الأقرباء وفجأة ابصرت بجواري الدكتور عبد الكريم زيدان الذي تربطني به قرابة بالاضافة إلى الزمالة في كلية الحقوق فتعايدنا وتحدثنا عن هموم المواطن ومشاكل البلاد ثم سرنا معاً حتى خرجنا من المقبرة بعد أن اتفقنا على اللقاء في مقهى الزهاوي في الحيدرخانة بجانب الرصافة... التقينا في الموعد المحدد بعد دقائق معدودات بدأنا باستعراض احوال العراق وتردي الأوضاع وبين كل واحد منا وجهة نظره بصراحة وجرأة وتساءلنا عن الحل وتعددت اللقاءات وتشعب الحديث وطال الحوار وأخيراً اتفقنا على أن تحسن الأوضاع ووقف الانهيار والتردي يستدعيان ازاحة عبد الكريم قاسم بأي ثمن ثم أكدّ لي الدكتور عبد الكريم زيدان أن بالوسع التخلص من عبد الكريم قاسم شريطة اعلان حكومة اسلامية اثر اغتياله... لم أسأله عن الجهة التي يمثلها ومن سيقوم بالمهمة فأنا اعرف ارتباطه بالاخوان المسلمين منذ فترة طويلة وشدة تمسكه بتعاليم الدين الاسلامي الحنيف...ترويت قليلاً ثم أجبته أن هذا قرار خطير يعود إلى الشعب بعد أن يسترد حريته ويمارس حقوقه ولا بدّ أن يلتزم النظام الجديد بمبادىء الاسلام ويهتدي بالشريعة الاسلامية خلال فترة الانتقال التي ستكون قصيرة جداً.. طال الحوار ولم نتوصل إلى اتفاق واخيراً قلت لا بدّ من الرجوع إلى اخواني في أمر خطير كهذا ثم انصرفنا بعد أن حددنا موعد اللقاء القادم.

طلبت من الاخوان الاجتماع لبحث أمر هام وخطر... ثم اجتمعنا عصراً في دار عبد الستار عبد اللطيف في الأعظمية فجلسنا في حديقة الدار الخلفية... بدأت الحديث فقلت أن هناك جهة معينة أبدت استعدادها لاغتيال عبد الكريم قاسم وتعمدت عدم ذكر الجهة وشروطها ثم قلت اني لن ابوح بأكثر من هذا إلاّ إذا تأكدت من قطع صلاتكم الحزبية وتعهدتم بكتمان الأمور واقسمتم على ذلك... إن القضية في غاية الخطورة وأخشى أن تكشف الخطة قبل اوانها وحينئذ يقع كثير من الضحايا قبل تحقيق الهدف... ساد الصمت قليلاً وتكلم بعض الأخوان فرددت عليهم بهدوء وأخيراً تكلم عبد الستار عبد اللطيف

وكان بادي الانفعال ووجه كلامه لي قائلاً ليس من حقك أن تتصل بأي جهة كانت إلا بعد الرجوع إلينا... لا بدّ أن تبوح باسم الجهة... إن عدم البوح خيانة...اجبته إن من حقي أن اتصل بأي جهة مخلصة تريد الخير للعراق كما أن طبيعة عملنا تستدعي الاتصال وتبادل الرأي مع مختلف الجهات الوطنية حزبية كانت أو متسقلة واني مستعد الآن لذكر اسم الجهة بعد تحقق الشرطين الذين ذكرتهما في بداية الجلسة كما اني اشجب كلمة الخيانة واستنكرها وطال الجدل وامتدت المناقشة إلى ساعة متأخرة ثم انفض الاجتماع دون التوصل إلى اتفاق وكان هذا آخر اجتماع تجمدت بعده اعمال اللجنة... لقد التقيت بالعقيد أحمد حسن البكر مرتين أو ثلاث، مرة في مكتب الحاج يحيى وشريكه عبد الستار عبد اللطيف لبيع أدوات السيارات في مدخل شارع الجمهورية ومرة في الشورجة... تبادلنا السلام وكان حديثنا قصيراً كما تجنبنا الخوض في اصلاح ذات البين وهكذا انقسمت اللجنة إلى لجنتين: لجنة قومية وأخرى بعثية... قررنا مواصلة العمل وتوسيع اللجنة كما حرصنا في الوقت نفسه على اقامة علاقات طيبة مع جميع القوى الوطنية المخلصة وتبادل الآراء والمعلومات معها ولن أنسى تلك الليلة التي ذهبت فيها مع المحامي صبيح الكبيسي نبحث عن بيت علي صالح السعدي في محلة الكسرة لنبلغه نبأ هاماً، ومضينا نضم الضباط واعطيت الاسبقية لآمري الوحدات وتمّ التنسيق والتعاون مع كثير من الأشخاص المخلصين بصرف النظر عن انتمائهم الحزبي أو عقيدتهم.

في عصر أحد الأيام زارني الأخ صبحي عبد الحميد وكان بادي التأثر والانفعال... جلس وطلب سيكارة رغم انه لا يدخن... ثم انفجر فقال ان حزب البعث يتعمد تشويه سمعتنا وإن هناك حملة ظالمة ضدنا يقودها صالح مهدي عماش تتهمنا بالتجسس والعمالة لعبد الكريم قاسم بحجة أن لجنتنا وجماعتنا تضم جاسم كاظم العزاوي سكرتير عبد الكريم قاسم... تألمت وغضبت لكني تظاهرت بعدم الاكتراث للاشاعة وحاولت تهدئة صبحي فقلت له ربما تكون الاشاعة كاذبة اطلقها اعداء الطرفين للوقيعة وتمزيق وحدة المناضلين ومهما يكن فإن هذه الاشاعة تؤكد امتداد التنظيم واتساعه... اجاب أن أكثر من ضابط قومي فاتحه صالح مهدي عماش للانضمام للحزب والتخلي عن مجموعتنا "المشبوهة"، حينئذ قلت له من الأفضل أن نلتقي بصالح مهدي عماش ونتفاهم مع الجماعة لأن تبادل الاتهامات لا يجدي كما يلحق ضرراً بالغاً بالقضية يؤدي إلى تمزيق وحدة المناضلين ويمدّ في عمر عبد الكريم قاسم، إن معرفة دوافع الحملة وأهدافها اصبحت مهمة لنتبين طريق المستقبل.. انتهينا من شرب القهوة ثم خرجنا لسيارة صبحي عبد الحميد قاصدين بيت صالح مهدي... طرقنا باب داره فخرجت زوجته واعلمتنا أنه خرج منذ قليل وهي لا تعلم إلى أين ذهب. عرجنا على دار عبد الستار عبد اللطيف وكان قريباً من دار صالح فلم نجدهما. اقترحت على صبحي عبد الحميد الذهاب إلى دار أحمد حسن البكر فأنا اتوقع

وجود الثلاثة هناك..عبرنا إلى جانب الكرخ من جسر الأعظمية وذهبنا إلى بيت أحمد. طرقنا الباب فخرج أحمد حسن البكر بسرعة وتبين أنه كان يجلس في الحديقة قرب المدخل رحب بنا وما إن اجتزنا المدخل حتى شاهدنا صالح مهدي عماش وعبد الستار عبد اللطيف يجلسان في الحديقة الصغيرة إلى يمين المدخل... سلمنا عليهما ثم جلسنا... بدأت في الحديث وكنت في غاية الانفعال ... عاتبت صالح ولمته على مهاجمتنا... اعترف بقيادة حملة التشهير ضدنا وبررها ليحول دون انضمام الضباط الينا ثم قال ان سمعتكم ممتازة وتنظيمكم منافس خطر لنا ولا سبيل إلى ايقاف تغلغلكم السريع في الجيش إلا بتشويه سمعتكم كما أنكم اذعتم في أوساط (الضباط) اني بعثي... قلت له يا صالح انك بعثي قبل ان تتشكل اللجنة ويحصل الانشقاق ومعظم الضباط القوميين سمعوا بانتمائك لحزب البعث كما انك غير حريص على كتمان الأمر ولا تنس أن خالد حسن فريد هو الذي اخبرك بوصول نبأ انضمامك للحزب إلى الجهات المختصة ومعرفة عبد الكريم قاسم بذلك ومهما اختلفت وجهات نظرنا فنحن ما زلنا نحرص على التعاون معكم ومع القوى القومية الأخرى للتخلص من الحكم الدكتاتوري الشعوبي وقد قمت بنفسي اكثر من مرة بتوزيع بطاقات التبرع وجمع التبرعات للحزب وكنت اسلم المبالغ إليك. إن التشهير وتبادل الاتهامات يضرنا جميعاً ولا يستفيد منه سوى عبد الكريم قاسم... لا ضير من التنافس في ضم الضباط شريطة أن نلتزم جميعنا بالمبادىء ونتحلى بالأخلاق الحسنة... وتكلم صبحي عبد الحميد فعاتب صالح كثيراً وتكلم احمد حسن البكر لتهدئة الجو... ثم خرجنا.

قررنا توسيع اللجنة فاضيف إليها الرئيس الأول الركن فاروق صبري عبد القادر وبعد فترة انضم إليها الرئيس الأول الركن عرفان عبد القادر وجدي.

زارني في داري المقدم الركن خالد مكي الهاشمي. كانت زيارة مفاجئة لم اتوقعها وحرت في معرفة اهدافها لكنني قررت التزام جانب الحذر وحرصت أن يكون حديثي معه موجزاً وبعد حديث قصير ابدى استعداده للعمل معنا... قلت له إنك تعرف شروطنا فهل انت موافق عليها.. اجاب بالايجاب ثم اقسم بالقرآن الكريم وبعد قليل خرج..

عجبت لأمره إذ كان من المنتمين لحزب البعث ومن المؤيدين لقرارات الحزب والمتحمسين لها وبخاصة بعد أن اصبح مرشحاً لتولي منصب رئيس اركان الجيش ومهما يكن من أمر فإني لم أره مرة ثانية ولم يسع إلى لقائي وظهر لي بعدئذ عدم جديته أو التزامه ولعله اتى لمعرفة أي الفريقين اقوى وأهم وأقرب للوصول إلى الهدف.

لقاء عاصف

أنتهى الدوام الرسمي فتوجهت الى بيتي كالعادة،ولم أكد أفرغ من تناول طعام الغداء حتى دق جرس الهاتف. كان المتكلم سكرتير رئيس أركان الجيش..قال أن أبا سعد ويقصد

رئيس أركان الجيش يطلب حضورك الآن في وزارة الدفاع. سألته ان كان بوسعه ارسال سيارة حكومية لتنقلني فأفاد بعدم تيسرها..ارتديت ملابسي العسكرية ثم توجهت الى وزارة الدفاع بسيارتي الخاصة.صعدت الى مقر الوزارة وتوجهت الى دائرة السكرتير مباشرة الذى رحب بي ثم خرج ليخبر رئيس أركان الجيش بحضوري.طلب رئيس أركان الجيش بقائي حتى مجيء الزعيم عبد الكريم قاسم الذى طلب استدعائي..غادرت مكتب السكرتير بعد ان أخبرته أني سأبقى في مكتب ضابط خفر مديرية الحركات العسكرية ريثما يعود الزعيم عبد الكريم قاسم..توجهت الى دائرة العقيد الركن سعدون عوني المدفعي ضابط ركن الحاكم العسكري .. تحدثنا قليلا و تبين لي أن الزعيم عبد الكريم قاسم قد طلب حضور المقدم الركن محمود عريم والرئيس الأول الركن حسن النقيب أيضا..ثم ذهبت الى مديرية الحركات العسكرية فجلست في دائرة ضابط خفر الحركات،بدأت أفكر في سبب طلبنا للحضور نحن الثلاثة بوقت واحد..اننا من الضباط القوميين..لقد التقيت بحسن النقيب مرات كثيرة كما سبق لي ان ألتقيت به في لندن وهو في طريق عودته الى العراق مع زوجه وأطفاله و تنقلنا هناك بسيارته الامريكيةوهو يسكن حالياًفي الاعظمية في نفس الحي الذى أسكنه..أما محمود عريم فقد عاد مؤخراً من ايطاليا يرافقه الفنان جواد سليم الذى أشرف على تصميم(نصب ١٤تموز)ودائرتنا واحدة،لقد إرتبت في سبب الاستدعاء، كما لم أتوصل الى دوافعه ولماذا هذا الاستعجال اما كان بالوسع أستدعائي في اليوم التالي واثناء الدوام الرسمي...!؟ومهما يكن من أمر فقد توقعت الشر والأذى وندمت على المجيء بسيارتي الخاصة...مرت أكثر من ساعتين قضيتهما في قلق وحيرة...وبعيد المساء وصل الزعيم الركن عبد الكريم قاسم الى مكتبه ثم استدعاني بعد بضع دقائق. دخلت الغرفة فوجدته واقفاً وبجانبه رئيس أركان الجيش..حييته كما تقضي التقاليد العسكرية..فبادرني فوراً قائلاً أين كنت في ثورة ١٤ تموز؟أجبته كنت في الأردن والظاهر انه أرتاح لجوابي وتطلع الى رئيس أركان الجيش بزهو وخيلاء وكأنه يريد ان يقول ألم اقل لك انني المصمم والمفجر أن كل هؤلاء ادعياء...؟ثم توجه الّي قائلاً(أنتم تلتفون حول المتقاعدين المتعفنين)اجبته إذا كنت تقصدني فأنا لا أزور إلاّ رجب عبد المجيد والحاج محمود شيت في بعض الأحيان وهما صديقان وأخوان..لم يعجبه الجواب ونظر الي الحاكم العسكري فرآه يقف(بوضع الأستعداد)فالتفت الّي فجأة قال:تذكر مع من تتكلم والظاهر أنه قد أستاء لوقوفي(بوضع الاستراحة)اجبته أني أعرف مع من أتكلم ولكنك تسألني فأضطر الى الأجابة..ثم قال لماذا تسأل عن فصيل الحراسة والحماية وهل يهمك أمر حمايتي..!؟ أجبته ان إقتراحاً قد ورد من مقر الوزارة بشأن تعديل ملاك الفصيل ولابّد من مناقشته بصفتي مدير الشعبة المختص..أغضبه جوابي فقال لماذا لاتترك الجيش وتستقيل..!؟قلت له لماذا أترك الجيش وأنا أؤدي واجبي على أفضل وجه وبوسع الجهة المختصة أحالتي على التقاعد إذا

رغبت..لم يرق لجوابي فأحتد وقال يجب عليك ترك الجيش حالاً ..اجبته أن الأمر يعنيك والقرار يعود اليك ..ساد الغرفة صمت رهيب ومرت بضع ثوان ..ثم أمر بانصرافي..خرجت فلن أصدق بقائي مطلق السراح وعدت حالاً الى داري..أما محمود عريم وحسن النقيب فلم يحضرا لعدم تبليغهما حيث لم يكونا في داريهما ثم أتضح بعدئذ انهما كانا في النادي العسكري وبقيا فيه حتى ساعة متأخرة..وحين بارح عبد الكريم قاسم وزارة الدفاع للقيام بجولته الليليةالأعتيادية طلب من الحاكم العسكري ايداعهما التوقيف عند حضورهما وهكذا ذهبا في اليوم التالي الى السجن العسكري رقم(١)في معسكر الرشيد..وهذا مثل واحد من عشرات يرينا رعونة الطغاة واستهتارهم بالكرامة.. لقد أصبح الحاكم العسكرى أداة بطش وإذلال وقهر واضطهاد.

قضيت الليلة قلقاًلاأعرف مايخبئه الغد، هل أعتقل أم أحال على التقاعد أم أنقل الى الخارج؟ داومت في اليوم التالي في مديريةالحركات العسكرية وبعد ثلاثة أيام صدر أمر نقلي الى أمرة الأدارة..كان النقل ضربة موجعة أهون منها الاعتقال لقد تعمد عبد الكريم قاسم تجميدي وإكراهي معنوياً على الاستقالة فأمرة الادارة لايرضاها الضابط الكفء الحريص على اداء واجبه...صمّمت على البقاء في الجيش وقررت المضيء في التحدي الى آخر المدى..ان بقائي في الجيش يسهل مهمتي ويجعلني على صلة دائمة بالضباط والتغيرات التي تحدث في الجيش..لم يكن هناك محل معين أداوم فيه وكنت أراجع وزارة الدفاع مّرة في الشهر لتقاضي مرتبي.كنت دائماًأسعى وأحرص علىأن اعطي بقدر مآآخذ أما الآن فأصبحت بحكم المتقاعد لا أؤدي أية خدمة أو أزاول أي عمل ومع ذلك صبرت وصمدت وأقنعت نفسي بالبقاء علماً أنّ الفرق ضئيل بين راتب التقاعد وراتب الخدمة بالنسبة لي..أشار علّي بعض الأخوان والأصدقاء بمراجعة عبد الكريم قاسم لاسيما وقد مّرت على اللقاء فترة مناسبة لكنني لم أر أية فائدة بعد الذي حدث بيننا في اللقاء الأخير وآثرت الموقف السلبي والأنتظار..توفر لدىّ الوقت الآن للعمل السري وبدلا من ملاقاة الضباط في وزارة الدفاع كنت أزورهم في بيوتهم وأتحدث اليهم وبخاصة آمري الوحدات كما أن علاقتي بضباط مديرية الحركات العسكرية لم تنقطع وظل التنسيق والتعاون قائماًبيننا.

مضت الأيام بطيئة ثقيلة وتمنيت الأحالة على التقاعد لكن لن أستقيل فالتحدي السلبي خير من الأستسلام لمشيئة الطاغية وتنفيذ ارادته وبدأت أراجع آمرية الانضباط العسكري مرتدياً ملابس مدنية لقبض مرتبي امعاناً في التحدي.ولم أحفل بتلميح المسؤول بوجوب ارتداء البدلة العسكرية عند المراجعة..لقد أنقضت حوالي سنة على نقلي من مديرية الحركات العسكرية وفجأة صدر أمر أحالتي على التقاعد.

قررت مزاولة المحاماة فراجعت مقر النقابة للتسجيل ثم افتتحت مكتباً للمحاماةفي شارع المتنبي في عمارة طه أبو الكاشي..وأصبح مكتبي بمرور الأيام مثابة للقوميين نتداول فيه

وتبادل الأراء ونحل المشاكل .وهكذا دخلت ميداناً جديداً يسر لي الأتصال بأنواع مختلفة من البشر ولمست عن قرب الظلم والأستغلال،والكفاح في طلب الرزق.لقد جمع قلة من المحامين الشيوعيين واليساريين ثروة نتيجة رضا عبد الكريم قاسم وسهولة مراجعتهم لدائرة الحاكم العسكري والمحكمة العسكرية العليا الخاصة والمجالس العرفية بينما تشقى غالبية المحامين وتكدح فلا تحصل الا على الكفاف.

خطط ومحاولات لم تنفذ

ازدادت عزلة عبد الكريم قاسم ولم يعد يؤيده سوى المنتفعين والأنتهازين وأتسعت الهوة بينه وبين الشعب وتحول الى دكتاتور لايرد له أمر وأمتدت سلطة وأختصاص الحاكم العسكرى الى نواح كثيرة وتوقف سريان بعض القوانين وتزايد عدد المعتقلين والمبعدين،كان الحاكم العسكري الحقيقي هو عبد الكريم قاسم الذى هيمن على كل شيء وأنحصر هم الموظفين تنفيذ الأوامر دون مناقشة أو حتى أستفسار..فقد أصدر الحاكم العسكري أمراً باطلاق سراح معتقل في سجن الحلة وبدلاً من ارسال الكتاب الى الحلة ارسلهُ الى الرمادى فحفظه المسؤول بالرمادي ولم يكلف نفسه عناء اعادة الكتاب أوإخبار السلطة المعنية على الأقل وهكذا أمتدت فترة أعتقاله بضعة أشهر أخرى ريثما تتاح الفرصة لمحاميه أو أهله لمراجعة دائرة الحاكم العسكرى[٥١] ومرة طلب الحاكم العسكرى أحد المدرسين الى وزارة الدفاع وكان ينوي تكليفه بتدريس ابنه لتلافي ضعفه في أحدى المواد، وخرج الحاكم العسكري ووصل المدرس الى وزارة الدفاع يرافقه عريف من الأنضباط العسكري وهو لايعرف لماذا استدعي وحار العاملون في دائرة الحاكم العسكرى في أمر الشخص ولما كان معظم من يستدعيهم الحاكم العسكري مصيرهم الى التوقيف أو الحجز أو الأبعاد فقد أودع المدرس في التوقيف،وبعد بضعة أيام تذكر الحاكم العسكري المدرس فسأل عنه وتبين له انه في التوقيف. كان الحاكم العسكري ـ اللواء الركن أحمد صالح العبدي ـ واجهة وأداة طيعة بيد عبد الكريم قاسم واجبه التنفيذ ،كان مغلوباً على أمره فأدمن على الخمر لينسى الواقع المؤلم وخاصة بعد ظهور مراكز قوى تحدت تعليماته وسلطاته،تمتعت بحصانة لا يطالها القانون بسبب قرابتها لعبد الكريم وارتباطها به،تمثل المركز الأول بحامد قاسم شقيق عبد الكريم فقد أصبح من كبار التجار المستوردين وعضواً في لجنة مشتريات الحبوب،فسافر الى تركيا وغيرها لعقد صفقات القمح،واستقطب كبار الرأسماليين والتجار والأقطاعيين وتولى بنفسه تهريب ثروات بعضهم الى لبنان ثم أصبح رئيس لجنة انشاء مستشفى الطفل

٥١ ــ حدثني العقيد صلاح الدين إبراهيم الذي كان يعمل في دائرة الحاكم العسكري عن مظالم كثيرة أصابت الابرياء، ومنع العشرات، بل المئات من السفر الى الخارج.

وأكره الأغنياء على التبرع بمبالغ ليتم انشاء المستشفى بسرعة...، وتمثل المركز الثاني في اللواء عبد الجبار جواد ابن خالة عبد الكريم قاسم وصهره،وتمثل المركز الثالث في فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة وابن خالة عبد الكريم قاسم،أما المركز الرابع فيتمثل بالعقيد عبد الكريم الجده آمر الانضباط العسكري صديق عبد الكريم قاسم وداعيته وكاتم أسراره.

لقد فقد عبد الكريم قاسم شعبيته وتحول الى طاغية همه البقاء تخدمه أجهزة الدولةومؤسساتها شأن كل حاكم وأصبح بقاء النظام مرهوناً ببقاء عبد الكريم قاسم وأستحوذت فكرة إغتياله على جميع القوى الوطنية التي آلمها انحراف الثورة وبرغم عدم نجاح المحاولة الأولى والتي أدت الى جرحه لكنها كانت حافلة بالدروس اذ لابد من التخطيط والأعداد المتقن لضمان السيطرة..كانت هناك أكثر من جهة تفكر بإغتياله ولعلّها قادرة لكنها عاجزة عن السيطرة بعد اتمام الاغتيال الأمر الذي يستدعي الى الأستعانة بالجيش والأتفاق مبدئيا مع مجموعةالضباط القوميين.تقدر اغتيال عبد الكريم قاسم عند حضوره إحتفال مديرية الشرطةالعامة لكنه لم يحضر الاحتفال وتهيأ عارف عبد الرزاق للأنقضاض على طائرته وهي في الجو أثناء ذهابه الى الرطبة ثم عدل عبد الكريم عن الذهاب..ثم اتصل بي اللواء الركن الحاج محمود شيت وأفاد أن بالوسع اغتيال عبد الكريم قاسم في دار نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة أثناء زيارته له[٥٢]..تناقشنا طويلاً في أمر الأغتيال وفي التفاصيل ثم اجتمعنا أخيراً في مزرعة نهاد فخري (ديالى)وكان حاضراً محمد مجيد ونهاد فخري وفي خلال الحديث،رشحت اللواء محمود شيت لتولي منصب رئيس أركان الجيش لقدمه وتجربته وكفائته..لقد كان الجيش بحاجة الى اصلاح جذري وإحداث تغييرات أساسية فيه والظاهر أن الترشيح لم يحز رضاه ولم يحقق مايصبو اليه ويطمح فيه فقطع الأتصال بنا وأتضح بعدئذ انه كان على اتصال أيضاً بحزب البعث..كما جرت عدة لقاءات مع حركة القوميين العرب في بيت المحامي والضابط المتقاعد جميل السعودي حضرها باسل الكبيسي ونايف حواتمه وكانت الحركة على اتصال أيضا وفي نفس الوقت باللواء الركن عبد العزيز العقيلي الذي أسرف في الوعود وبالغ في قوته ثم تبين للحركة صغر جماعته وعدم قدرته على الايفاء بوعوده فكثفت اتصالها بجماعتنا وأخيراً قررنا اغتيال عبد الكريم قاسم في نادي الضباط صبيحة أول يوم من عيد الفطر المبارك حيث جرت العادة بمجيئه للنادي للمعايدة وكانت فرقة الأغتيال بقيادة الرئيس الأول الركن

---

٥٢ ــ كان الرئيس الاول الطيار المتقاعد رشاد الياور قد تعهد باغتيال عبد الكريم قاسم في بيت نجيب الربيعي حيث كان عبد الكريم يزوره أسبوعياً.

فاروق صبري عبد القادر،بتلو الأغتيال مباشرة توجه آمري الوحدات والضباط القوميين الى المعسكرات والمواقع،ولم يبق على موعد تنفيذ الخطة سوى بضعة أسابيع .

في عصر يوم لا أتذكر تاريخه بالضبط لعله كان في أواخر كانون الثاني أو أوائل شباط من عام١٩٦٣ دق جرس الدار وما أن فتحت الباب حتى رأيت أمامي الرئيس الطيار منذر الونداوى الذي عرفته في معتقل الدبابات بمعسكرالرشيد عندما ضمتنا غرفةواحدة خلال شهر مايس ١٩٥٩ وكان فيها الملازم الأول علاء كاظم الجنابي وكلاهما من حزب البعث.رحبت به لكنه أعتذر وآثر البقاء في المدخل لضيق وقته ثم قال:ان عارف عبد الرازق يرغب بملاقاتك في الحبانية..لم أسأله عن السبب أو الغاية كما حرص هو أيضاً على عدم ذكر أي شيء..فكرت قليلاًثم قلت له أني أفضل اللقاء في بغداد لدواعي أمنية فالمدينة واسعة وكبيرة جداً يسهل فيها تضليل الرقابة بخلاف الحبانية التي يثير مجيء اليها الشكوك والأستغراب وقد تتعقبني أحدى سيارات الأمن.أرجو نقل وجهة نظري هذه الى عارف وأتوقع تسلم ردّه بسرعة ليتسنى لي التصرف على ضوئه..خرج منذر مسرعاً وأدركت على الفور ان حزب البعث يستعد لعملية وشيكة للأطاحة بعبد الكريم قاسم وان عارف عبد الرزاق يعلم بكل تفاصيلها كما وعدهم بالمساهمة فيها ولعلّه أنضم لحزب البعث،وهو شديد الرغبة في قيام تعاون بيننا،يؤيد ذلك قول عبد الستار عبد اللطيف لاحد آمري الوحدات القومين(ان عبد الكريم فرحان الآن في طريقه الى الحبانية لملاقاة عارف ووضع الأمورفي نصابها)وأرجح أن الطيار منذر الونداوى عّرج على عبد الستار عبد اللطيف قبل مجيئه وهو الذي أرشده الى بيتي.لم أتسلم رد عارف وكنت أتوقع وصوله بسرعة ليتسنى لنا الأجتماع وتقرير مدى التعاون،كما لم أتوصل لمعرفة السبب،أهو ضيق الوقت؟أم تحريف غير مقصود لوجهة نظري أو تفسيرها بالتقاعس وعدم رغبة حزب البعث بالأنفراد بالحركة للأطاحة بعبد الكريم قاسم وثقته وأطمئنانه الى انضمام كل القوى القومية للمعركة،وهذا ماحدث فعلا..لقد أسفت جداً على تأخر دخولنا المعركة،لاأقول هذا لأبرىء أخواني أو أدافع عنهم وانما هي الحقيقة وقد أظهرت الاحداث المتلاحقة عصر يوم ١٤ و١٥ رمضان عزمنا وتصميمنا واستعدادنا للبذل والتضحية..ومهما يكن من أمر فقد كنا جميعاً نعمل ونخطط ونستعد للقضاء على حكم دكتاتوري فتك بالاحرار وتنكر للقومية العربية وشاء القدر ان يسبقنا البعث بأسبوعين فقط فقام بحركة ١٤رمضان للقضاء على الطغيان.

الفصل الثاني

حركة ١٤ رمضان (٨ شباط)

استقرار الوضع واستئناف الأعمال
الحرس القومي
الأنتقال الى مدينة الموصل
تدابير واجراءات
مؤتمر عسكري
زيارات ولقاءات
تشكيل لواء المشاة الثامن عشر
اندلاع القتال
أحداث لاتنسى
إحتلال جبلي سر عقرة وبيريس
إحتلال قرية برزان
استفحال الخلاف بين متصرفية الموصل وقيادة الفرقة
ارهاصات ومؤشرات تغيير

اختلفت وجهات النظر وتباينت الأراء في تقييم حركة ١٤ رمضان، ومهما وصفت به أو قيل عنها فانها حركة جريئة بدأها حزب البعث العربي الاشتراكي صباح الجمعة ٨ شباط ١٩٦٣ ، وسرعان ما انضم اليها القوميون بكل طاقاتهم وقواهم، فساهموا وأشرفوا على معركة وزارة الدفاع التي استمرت ثلاثين ساعة وانتهت باستسلام عبد الكريم قاسم ونقله الى دار الاذاعة حيث أعدم هناك بعد محاكمة قصيرة وسريعة.

تقدمت الدبابات في الساعة التاسعة والنصف من صباح الجمعة من معسكر (أبو غريب) لاحتلال وزارة الدفاع ودار الاذاعة وانطلقت في اثرها الطائرات من قاعدة الحبانية فقصفت مدرج الطائرات في معسكر الرشيد وبذلك حالت دون استخدامه، وقامت بعدة طلعات فوق بغداد وبخاصة وزارة الدفاع لرفع معنويات المهاجمين وزعزعة معنويات عبد الكريم قاسم وأنصاره، ونزل في وقت متأخر بعض أفراد الحرس القومي فأحتلوا بضع ساحات ومفارق طرق.. وفضل عبد الكريم قاسم البقاء في وزارة الدفاع لادارة المعركة لسهولة الاتصال ولمناعة الوزارة التي تحولت منذ فترة الى قلعة حصينة تضم فوج مشاة ومدافع مقاومة الطائرات والدبابات وما لا يقل عن سريتي انضباط عززت أحداهما بضع ناقلات اشخاص مدرعة.. لقد تصور انها حركة تمرد صغيرة سيتمكن من أخمادها في ساعات قلائل على غرار ما صنع للقضاء على حركة الشواف: بيان يدعو فيه الشعب الى سحق التمرد، وقصف بالطائرات لمقر التمرد وقيادته لكن إغتيال قائد القوة الجوية جلال جعفر الأوقاتي وتدمير مدرج الطائرات في معسكر الرشيد والسيطرة على الاذاعة ومحاصرة وزارة الدفاع حالت دون ذلك ولو توجه في بداية الأمر الى معسكر الرشيد الذي يضم اللواء التاسع عشر والقوة الجوية ووحدات أخرى لاتخذ القتال شكلاً آخر. ثم انضم اليه يونس الطائي صاحب جريدة الثورة ورئيس تحريرها ليكون في جوار الزعيم يتابع الأحداث وأول من يبشر الشعب بسحق التمرد.

تعطلت الدبابتان اللتان حاولتا اقتحام وزارة الدفاع وأبدى الانضباط العسكري مقاومة عنيفة كما استطاع في الساعات الأولى دفع ناقلات الأشخاص المدرعة الى الأعظمية لاستعادة النظام وفرض هيبة السلطة وإرهاب الناس.

عقدنا اجتماعاًمستعجلاً قبل الظهر في دار صبحي عبد الحميد لم يحضره اعضاء اللجنة لارتباك المواصلات، انهيناه باصدار برقية نؤيد فيها الحركة ونضع كل قواتنا في اسنادها ونهيب بالضباط القوميين في كل مكان لنصرتها وقد أذيعت البرقية من دار الاذاعة فأستجاب لها الضباط بسرعة وأندفعوا يؤيدون الحركة بكل قوة وعزم ثم توجهنا الى دار الاذاعة حيث قابلنا عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر واخوانهم فرحبوا بنا وهناك ألتحق بنا المقدم الركن محمد مجيدالذي أصيب بالإغماء إثر دخوله الاستوديو.. وبعد قليل كلفني عبد السلام عارف بتولي قيادة موقع بغداد.

ليلة لا تنسى

غادرت دار الاذاعة متجهاً الى مقر الموقع في الثكنة الشمالية بباب المعظم والذي لا يبعد عن وزارة الدفاع أكثر من مائة وخمسين متراً، عبرت جسر الصرافية وكانت نيران المدافع والرشاشات تطلق بغزارة من وزارة الدفاع باتجاه جانب الكرخ عبر نهر دجلة. وصلت الموقع وكان في حالة فوضى وارتباك ولم أجد فيه سوى الخفراء والحراس، حاولت استدعاء ضباط المقر من بيوتهم فلم أوفق.. لم تكن مهمتي سهلة فواجبات الموقع ومهماته كثيرة إذ تتضمن الإشراف والسيطرة والأمن والحماية.. كنت قائداً بدون جنود أو سلاح أو معدات أو وسائط.. ان الجهاز المنفذ لأوامري وتوجهاتي هو الانضباط العسكري وقد أنضم بكامله (مع آمره العقيد عبد الكريم الجدة والذي كان قائداً للموقع نفسه) الى عبد الكريم قاسم وهو يقاوم بضراوة في وزارة الدفاع. كان الموقف غامضاً وحرجاً فقد هب الشيوعيون لنصرة عبد الكريم قاسم في شارع الكفاح وباب الشيخ والكاظمية وما زالت وزارة الدفاع صامدة لم تقتحم بعد كما حدثت تمردات مناوئة للحركة في معسكر بعقوبة والبصرة.. تقدم فوج مشاة يقوده المقدم الركن محمد يوسف لاقتحام وزارة الدفاع واضطر الى التوقف بعد أن إحتل بعض المباني في الجناح الشمالي. وتمكنت احدى سرايا المدرعات بقيادة الرئيس سعدون غيدان من القضاء على مقاومة الشيوعيين في باب الشيخ لكن مقاومتهم في الكاظمية ما زالت عنيفة وتوجه اليها فوج بقيادة العميد الركن عبد الغني الراوي.

قررت المبيت في الموقع هذه الليلةوالليالي التالية ريثما تستقر الأحوال وارجاء صيامي لكثرة أعمالي وصعوبة تأمين طعام السحور والأفطار..

معركة وزارة الدفاع

بدأت المعركة في صباح ٩ شباط والتحق العقيد الركن محمد مجيد للإشراف عليها كما ألتحق بالموقع الرئيس الحقوقي عبدالوهاب القره غولي ليقوم بواجبات ضابط ركن الموقع مؤقتاً ريثما يلتحق ضباط المقر، وبدأ الضباط يتوافدون على الموقع لتسفيرهم الى

وحداتهم خارج بغداد.. كانت مهمة التسفير احدى واجبات الانضباط العسكري، لكنها ألقيت الآن على عاتق الموقع.. لقد اضطررت الى تكليف من يملكون سيارات خصوصية الى السفر بسياراتهم ونقل من لا يملك سيارة معهم فتوجهوا الى وحداتهم في بعقوبة والحاويل والمسيب والحلة.. لقد ألتحق بالمقر معظم مراتب الموقع من نواب ضباط وضباط صف وبذلك تسنى لي اصدار الأوامر والوصايا والتعليمات..

اشتدت ضراوة معركة وزارة الدفاع وتقدم الفوج بصعوبة بالغة وبدأ عبد الكريم قاسم يتنقل من بناية لأخرى تجنباً للنيران وكان يستمع طوال الوقت بالراديو الصغير الذي يحمله للإذاعة التي تنهال عليها البرقيات لتأييد الحركة.

بدأ ضباط الموقع بالإلتحاق وكان أولهم الرئيس الأول محمد علوان الذي انضم الى القوات المهاجمة التي تحاصر وزارة الدفاع فأستشهد بعد قليل وجاء أحد ضباط الصف يحمل مسدسه وسلمه الى المسؤول في الموقع ثم حملته لعدم وجود مسدس معي.. انتظمت الأمور في الموقع ورتبنا غرفة للمراجعين وكان عددهم في تزايد.

راجعني أحد الضباط يرافقه الصحفي يونس الطائي الذي بدور الوسيط بين عبد الكريم قاسم والقائمين بالحركة لينقذ نفسه من المأزق الذي تورط فيه.. تحدث عن جهوده في الوساطة وتوقع قرب استسلام عبد الكريم قاسم، ثم استأذن للاتصال بطاهر يحيى الذي كان في معسكر الرشيد مستخدماً التلفون.. كان حديثه قصيراً معه ثم استأنف الحديث عن مهمته، قائلاً، ان عبد الكريم قاسم يشترط المحافظة على كرامته وهو يصر على حمل رتبته العسكرية حتى اللحظة الأخيرة.. عجبت للطلب وتذكرت كيف انتزعت الرتب من بدلاتنا العسكرية في معتقل الدبابات إثر الأحالة على التقاعد وعلقت الرتب في بهو الضباط ثم توجهت الى يونس الطائي فقلت لا كرامة لمن يعتدي على كرامة الآخرين، ثم اتصل عبد السلام عارف وقال ألم يستسلم بعد!؟ قلت لا ولعله يسعى لكسب الوقت شأن كل مهزوم، وأرى أن توجه ضربة جوية الى وزارة الدفاع وحينئذ سيضطر الى الخروج والاستسلام.. وتمت الضربة الجوية وخرج عبد الكريم قاسم مستسلماً من الباب الثانية المقابلة للمستشفى الجمهوري.. لقد تعمدت أن لا أحظر عملية التسليم فأنا أكره أن أرى أي انسان في موقف ضعف وذل وإنهيار وقد يظنني جئت شامتاً متشفياً يدفعني الحقد والانتقام وهذا ما لا أرضاه لنفسي كما توقعت تعرضه للإهانة في اللحظات الأولى وعجزي عن منع ذلك بسبب هيجان الجنود والتهاب المشاعر وفقدان السيطرة والضبط وهذا ما حدث بالفعل [٥٣] ثم نقل هو والمهداوي الى دار

---

٥٣ ــ يقول محمد باقر شرى في كتابه العراق الثائر ص ١٤٤ "ثم تقدم جندي بسيط وصفع قاسم على وجهه عدة مرات".

الاذاعة فحكما بالأعدام بتهمة الخيانة وأعدما رمياً بالرصاص في أحدى (استوديوهات) الاذاعة كما اعدم هناك العقيد عبد المجيد جليل مديرالأمن العام كنت أوثر أن يُوقف هؤلاء وبقية الناجين من المعركة ثم تجري محاكمتهم ليكونوا عظة وعبرة وسواء طالت المحاكمة أم قصرت فالأعدام ينتظرهم.. ولست أشك في أن تأخر المحاكمة سيؤدي الى تخفيف بعض الاحكام كما حدث للحاكم العسكري وغيره، علماً أن مسؤولية وجريمةالحاكم العسكري لا تختلف عن مسؤولية وجريمة مدير الأمن العام لكن الأمور أخذت بمنظار شخصي وتحكمت العواطف وانزوى العقل والمنطق.

لقد انتهت صفحة مليئة بالمآسي لتبدأ صفحة أشد قسوة وأفظع وكتب على شعب العراق أن يقدم المزيد من الضحايا والشهداء والمال ولعلّها لعنة أبدية تلازمه منذ استشهاد الامام الحسين بن علي على ثرى كربلاء.. ومهما يكن فقد كان عبد الكريم قاسم جريئاً وشهماً، نزيهاً، عف اللسان، لكنه كان متردداً يتأثر بأهله ويحابيهم.. لقد استغل أهله واقاربه الثورة فجمعوا المال ولم يغض النظر عنهم فحسب، بل دافع عن أخيه أكثر من مرّة وأحاطت به بطانة ضعيفة جشعة توخت رضاه لتكسب وتغنم.

استقرار الوضع واستئناف الأعمال

أذيع نبأ استسلام عبد الكريم قاسم وأعدامه فقضى على تردد الكثيرين وخوفهم وإحجامهم عن المساهمة أو الالتحاق بوظائفهم فاستأنفت دائرة الحاكم العسكري أعمالها إذ اشغلت الطابق الثاني من بناية موقع بغداد والتحق الحاكم العسكري الجديد العميد رشيد مصلح كما اتخذ الحرس القومي من بناية النادي الأولمبي في ساحة عنتر في الأعظمية مقراً له وانتقل مجلس قيادة الثورة من دار الاذاعة الى بناية البلاط القديمة والتي كان يشغلها مجلس السيادة ريثما ترمم أبنية وزارة الدفاع وترفع الأنقاض من طرقها وممراتها.

أمرت بأيداع الصحفي يونس الطائي مؤقتاً في معتقل الخياله القريب من الموقع والمقابل لمجلس قيادة الثورة حماية له من غضب الجماهير ولمحاسبته على انضمامه وتواطئه مع عبد الكريم قاسم لكسب الوقت. علمت بلجوء زوجة المهداوي الى أحدى السفارات الشرقية فأخفيت .أولاده في أحد البيوت في محلة العيواضية.زارني العميد الركن حسن صبري محمد علي عارضاً مساعدته فكلفته ببعض المهام وأتصل بي مدير حركات الشرطة العقيد صبيح توفيق رشدي من داره المحاصرة في الباب الشرقي هاتفياً ففك الحصار عنه ثم ألتحق بمقر الحاكم العسكري.

بدأت قيادة الحرس القومي بأعتقال المئات من الشيوعين أو الذين لهم صلة بعبد الكريم قاسم بسبب القرابة أو الصداقة، وأقرباء الحاكم في كل العهود كثيرون فأذا ولى تلاشوا وتبخروا ، وكانوا أول من يلعنه ويشتمه، وسرعان ماأكتظت المعتقلات فأمرت بفتح معتقل

(أبو غريب) تخفيفاً للأزدحام .تسلم الموقع نقوداً ووثائق وجدت في جيب قائد القوة الجوية جلال جعفر الأوقاتي والملازم الأول كنعان العزاوي من الأنضباط العسكري فأمرت بحفظها في قاصة الموقع مؤقتاً ريثما تسلم الى ورثتهما، كما تدخلت في أطلاق سراح بعض الذين جيء بهم الى الموقع قبل ذهابهم الى المعتقل لعدم وجود مايستدعي أعتقالهم وأوعزت بتأمين حراسة لدور بعض المسؤولين بعد أن هجرتها عوائلهم خوفاً ورعباً أمثال الزعيم الركن أسماعيل العارف والزعيم عبد الكريم الجدة خشيةتعرضها للنهب. وفي صباح ١٠ شباط توجهت الى وزارة الدفاع للوقوف على مدى التخريب الذي أحدثه القتال. لم تكن أضرار القصف كبيرة وكان أغلبها في ثكنة الأنضباط العسكري وبهو أمانة العاصمة الملاصق لوزارة الدفاع عند زاويتها الشمالية الغربية كما تقوض جانب من المدخل الرئيس للوزارة وقد أحترقت بعض السجلات لكن معظم المكاتب والدوائر نجت من القصف والحريق. كان رفع الأنقاض والترميم يجريان بسرعة تحت أشراف العقيد عبد المجيب علاء الدين آمر ثكنة وزارة الدفاع.

دخلت البناية الرئيسية التي تضم مقر الوزارة ودوائر الأركان العامة فأستقبلني المقدم الركن محمد يوسف آمر الفوج الذي أحتل وزارة الدفاع. وبعد حديث قصير أقترح علي مشاهدة جناح عبد الكريم قاسم الخاص وكانت المفاتيح معه.. دخلنا الجناح المطل على النهر والذي ظل سليماً رغم أصابته بصاروخ ولم يحدث فيه سوى تصدع طفيف في الزجاج، شاهدت غرفة نومه وملابسه وأمتعته ثم أطلعني على قصاصات ورق صغيرة دوّن في كل واحدة آية من القرآن الكريم ليسهل علىعبد الكريم حفظ الآية المناسبة قبل إلقاء خطابه بغية الأستشهاد بها زيادة في التأثير وإشعاراً للسامعين بحفظه الكثير من القرآن الكريم، وعند الظهر ذهبت الى مجلس قيادة الثورة فقابلت بعض المسؤولين وتحدثت مع أحمد حسن البكر رئيس الوزراء بشأن اعادة الضباط القوميين الى الخدمة كما دافعت عن المقدم الركن جاسم كاظم العزاوي ـ سكرتير عبد الكريم قاسم ـ ورجوت تقدير ظروفه حق قدرها فوعد خيراً رغم أعتراض العقيد الركن خالد مكي الهاشمي والزعيم مدحت عبد الله اللذين طلبا محاسبته، ثم استأذنته بالأنصراف لكنه أقترح أن أتناول طعام الغذاء معهم والذي حان وقته... دخلنا غرفة الطعام التي كانت تضم بضع موائد وعدد كاف من الكراسي أما الطعام فكان بسيطاً... فرغنا من الطعام بسرعة ثم ودعته وتوجهت الى الموقع فمكثت فيه حوالي الساعةو أطلعت في خلالها على أوراق البريد وأصدرت بعض التوجيهات ثم قررت القيام بجولة سريعة لتفقد أحوال المعتقلات.... زرت معتقل ثكنة الخيالة القريب من الموقع وكان يضم مراتب الأنضباط العسكري الذى أنضموا الى عبد الكريم قاسم وقاوموا الحركة بحكم وجودهم في ثكنة وزارة الدفاع ثم توجهت الى السجن رقم (١) في معسكر الرشيد وكان يضم كبار المسؤولين من وزراء وضباط توجهت بعده

الى معتقل الكلية العسكرية في الرستمية وكان يضم عدداً كبيراً من الشيوعيين وشاهدت صدفة أحد الحلاقين من الجنود يقوم بحلق شوارب أحد المعتقلين ...إستهجنت العمل وحدثت آمر المعتقل الرئيس عبد الرزاق المشهداني على أنفراد فوبخته وأكدت عليه وجوب معاملة المعتقلين معاملة كريمة لائقة ريثما يبت في أمرهم وتجنب أهانتهم والترفع عن الأنتقام والحقد ثم رجعت الى موقع بغداد وأصدرت بلاغاً وجهته الى آمري المعتقلات طلبت فيه معاملة المعتقلين بالحسنى والمحافظة على كرامتهم وتجنب أهانتهم كما تضمن البلاغ أيضاً وجوب تجهيز كل معتقل بثلاث بطانيات بدلاً من واحدة أو أثنتين، و قبيل المساء توقفت سيارة نقل صغيرة (فانيت) تحمل عدداً من الحرس القومي وجثة العقيد الركن ماجد محمد أمين المدعي العام والتي ألقيت في باب الموقع. لقد هرب ماجد محمد أمين من بغداد متنكراً الى منطقة النعمانية في لواء الكوت لكن أحد ركاب سيارة الأجرة عرفه فحاول الهرب وأطلق عدة عيارات نارية من مسدسه على مطارديه ثم أردي قتيلاً برصاص أحدهم. نظرت الى الجثة والى الملابس الرثة التي يرتديها وكانت عبارة عن (دشداشة) و(سترة) وحزام من الجلد بهت لونه وتذكرت صلفه وغروره وأنتهازيته وأهانته للقوميين وشتمه للقومية العربية وأستهزائه بالقوميين الوحدويين بعد أن لقب بـ (لسان الشعب) كما تذكرت الحفلات وليالي السمر واللهو التي كان يحضرها وصوره راقصاًأو متحدثاً أو جالساً تحيط به قلة من الأوانس والسيدات ....ثم نقلت جثته الى معهد الطب العدلي بعد أن عرضت على شاشةالتلفزيون ليشاهدها الجمهور.

وحل اليوم التالي وقد أستقرت الأمور وأنتظم الدوام وراودتني فكرة المبيت في داري والأكتفاء بساعات الدوام الرسمي لتسيير الأعمال وأدارة الموقع وزارني عدد من الأخوان والأصدقاء مهنئين أو راغبين في العودة الى الخدمة العسكرية وبعيد العصر زارني الأخ رجب عبد المجيد ومحسن حسين الحبيب ورجوا مني مشاهدة جثة عبد الكريم قاسم فذهبنا سويه الى معهد الطب العدلي وقابلنا مديره الدكتور وصفي محمد علي الذي رافقنا الى صالة التشريح والجثث فشاهدنا جثة عبد الكريم قاسم ضمن عشرات الجثث بعضها مجهوله الهوية.... ثم عدت الى الموقع، وجاء العقيد الطبيب عادل أحمد حقي من مستشفى الرشيد العسكري للمداولة بشأن دفن وتسليم جثث القتلى وكلهم من العسكريين وأخذ على عاتقه مهمة دفن جثمان عبد الكريم قاسم وأقترح أن تنقله أحدى سيارات الأسعاف بعد ابتداء منع التجول ليلاً ليوارى في حفرة تُعد في مكان ما في ضواحي بغداد لايعرفه سوانا لكني رفضت تعيين المكان أو معرفته. وأقترحت عليه أن يختاره هو بنفسه شريطة أن يظل الأمر سراً لايعرفه أحد غيره فوافق ثم قال: سيتولى الجنود مهمة الحفر وستعصب عيونهم عند ركوبهم السيارة ولاترفع العصابات الاّ في مكان الحفر وبعد أن ينتهي الحفر تدفن الجثة تعصب عيون الجنود مرة ثانية ولاترفع العصابات الاّ عند بلوغهم مكانهم وهكذا دفنت الجثة ثم أتضح معرفة

بعض القرويين (من سكان الصرائف النازحين من جنوب العراق) لمكان القبر وعلمت بنقل الجثة ورميها في نهر دجلة بعد ربطها بثقل كبير لكي لاتطفو.

الحرس القومي

ساهم الحرس القومي في حركة ٨ شباط ١٩٦٣ وقام باعمال جريئة وشجاعة أستحوذت على أعجاب الجماهير وصدر قانون تشكيل الحرس القومي برقم٣٥ في٨/٢/١٩٦٣ الذي نصّ:(ان الغاية من تشكيل الحرس القومي همي لاعداده قوة من الشباب القومي تتدرب على أستعمال السلاح لغرض معاونة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن العربي وصيانة الأمن الداخلي بموجب تعليمات خاصة تصدرها وزارة الدفاع) وربطت قيادة الحرس القومي برئاسة أركان الجيش عن طريق دائرة الأركان العامة والأمور الأدارية وفصّل القانون واجباته ومسؤولياته فكانت:

في السلم:

آ ـ التعاون مع الجيش والشرطة في صيانة الأمن الداخلي.
ب ـ حماية وحراسة المناطق والمنشـأت الحيوية.
ج ـ التحري وتعقيب المجرمين والمعادين للجمهورية.
د ـ مكافحة الحريق.
هـ ـ مكافحة الدعايات المغرضة.
و ـ تفهيم أهداف ومبادىء ثورة١٤ رمضان المباركة الى ابناء الشعب.

في الحرب:

آ ـ الواجبات المبنية أعلاه.
ب ـ تهيئة قوة أحتياطية لمساعدة الجيش عند الحاجة.
ج ـ حماية خطوط المواصلات.
د ـ أعمال الحراسة والدوريات.
هـ ـ التعاون مع الجيش في الدفاع عن المدن حسب الواجبات التي تعهد اليه.
و ـ القيام بعمليات الأنقاذ ومكافحة الحريق أثناء الغارات الجوية المعادية.
ز ـ مقاومة الهابطين بالمظلات والمتسللين.

أما سلاحه فكان المسدسات والغدارات والبنادق وجهز ببدلة شغل وغطاء رأس يرتديها أثناء أداء الواجبات فقط.

وأرتفع رصيده بسرعة بعدما أنضم اليه رئيس الجمهورية عبد السلام عارف ورئيس الوزراء احمد حسن البكر فقاما بمهمة السيطرة والحراسة في أحدى مفارق الطرق شمال بغداد وعلى الطريق الرئيس المؤدي الى الأعظمية ونشرت صورتهما في الصحف أثناء قيامهما بالواجب وعما يرتديان ملابس الحرس القومي وعلى ساعديهما شارة خضراء وكتب عليها حرفان(ح.ق) وأنهالت التبرعات النقدية على الحرس القومي تعبيراً عن الأعجاب وتقديراً للبطولة والشجاعة أو ارضاء للحاكم وتزلفاً لحزب البعث. وتطوع مئات من الشبان القوميين للأنضمام للحرس القومي كما أندس فيه عشرات لمآرب خاصة، وسرعان ماأصاب الغرور قيادته وسرى الى بعض أفراده، وتحول النادي الأولمبي مقر قيادته بمرور الأيام الى مركز تحقيق وتعذيب، فأعتقل المئات من الشيوعين أو الذين كانوا على صلة بعبد الكريم قاسم وزج بهم في مخابئ (قصر النهاية) وغرف(ملعب الأدارة المحلية) ومقرات الحرس القومي التي أنتشرت في جميع أنحاء العراق. وداهم البيوت وفتشها وصادر الاسلحة وألف مكاتب تحقيق خاصة به.

لقد أناط القانون آنف الذكر بالحرس مهمات وواجبات كثيرة هي من صميم أختصاص وواجبات وزارة الدفاع والداخلية والعدل والأعلام . وهكذا حدث التنازع والتصادم مع جميع السلطات المختصة. كان قانوناً غريباً شاذاً في روحه وأهدافه وبواعثه وشموله، يشّرع ونفّذ ببضع ساعات ولعله كان نشرة داخلية أصدرها الحزب للأعضاء قبيل الحركة، أو مكافأة للحرس على ماقدموه من أسناد وتضحيات في الساعات الأولى... كان الحرس أول الخارجين على قانونهم الغريب والذي لم يمر بمراحل القوانين الاعتيادية فتحدوا رئاسة أركان الجيش والحاكم العسكري وحكام التحقيق والقضاة والاستخبارات والأمن بدلاً من التعاون معهم وأعلنوا الاستقلال فلم يرتبطوا برئاسة أركان الجيش وأحجمت وزارة الدفاع عن أصدار التعليمات الخاصة بعد أن خرج المارد من القمقم وتحول الى سلطة لاتعلوها سلطة وحاول وزير الدفاع صالح عماش أن يكبح جماحه ويحدد نشاطه فلم يوفق وأضطر الى مصانعته ومسايرته على حساب المصلحة العامة في بعض الأحيان وأخفقت جميع الجهود في إلغاء مكتب التحقيق الخاص الذي شكل بداخل الحرس القومي وكثرت شكاوي المواطنين وتذمر الناس ... لقد تحول مكتب التحقيق الى إدارة بطش وتعذيب وابتزاز وتهديد، ولعب عمار علوش المسؤول الأول عن مكتب التحقيق الخاص دوراً أساء للحرس وللحزب فأطلق سراح بعض الموقوفين لقاء مبالغ معينة فقد أخذ على سبيل المثال مبلغ(٢٠٠٠) دينار من فاروق الطائي مقابل اطلاق سراحه ولما أرتأى الحاكم العسكري إلغاء المكتب رفض تنفيذ ذلك وهكذا فقد الحزب شعبيته بسرعة وتحول أعجاب الجماهير وتقديرها وحبها الى كراهية ونقمة، وعانى الناس الكثير من الأذى والهوان والمرارة. ثم قامت حركة١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ لتعيد الأمورالى نصابها.

الانتقال الى مدينة الموصل

أتصل بي هاتفياً ضحى يوم ١٤ شباط رئيس الجمهورية عبد السلام عارف، وهنأني بأسناد منصب قيادة الفرقة الأولى لي ونقلي من موقع بغداد وقد تعمد أن يكون أول المهنئين ليوحي الى أن التعيين تم بناء على رغبته أو إقتراحه رغم قناعتي أن مثل هذه الأمور تخص قيادة الحزب فشكرته ثم ذكر ان مقر الفرقة الرئيسي في الموصل بسبب حركات الشمال، ووعد بزيارة الموصل قريباً...وقبيل الظهر اتصل بي رئيس الوزراء أحمد حسن البكر وطلب حضوري فوراً للأشتراك في المؤتمر الذي سيعقد في مجلس قيادة الثورة لبحث الموقف العسكري في المناطق الكردية في شمال العراق... غادرت الموقع حالاً ووصلت بعد دقائق معدودة. ثم دخلت غرفة الأجتماع وكان المؤتمر يضم رئيس الوزراء ووزير الدفاع وقائد الفرقة الأولى وقائد الفرقة الثانية وقام أحد ضباط مديرية الحركات العسكرية بتلخيص الموقف الراهن وشرحه مستعيناً بخريطة عسكرية كبيرة مؤشرة وأتضح أن الحركات العسكرية ونشاط الثوار قد توقفا أثر الأطاحة بعبد الكريم قاسم والظاهر أن الجانبين أي الحكومة والثوار الأكراد بزعامة الملا مصطفى البرازني رأيا في تغيير النظام فرصة مناسبة لبدء مفاوضات جديدة لحلّ المشكلة الكردية بدلاً من القتال.... تداولنا في أمور كثيرة بشأن المستقبل بما في ذلك الأستعداد لأستئناف القتال إذا دعت الضرورة وقبيل انفضاض المؤتمر قال رئيس الوزراء أن العقيد الركن سعدون حسين قد نقل الى منصب رئيس أركان الفرقة وكان من قبل آمر فوج الأذاعة وليس هناك مايحول من طلب نقله وترشيح آخر محله...أجبته لم يسبق لي معرفة رئيس أركان الفرقة الجديد ولم يضمنا معسكر أو تشكيل من قبل... لكنني سألتحق بالفرقة قريباً وسنعمل معاًوحيئذٍ أستطيع أتخاذ القرار المناسب على ضوء المصلحة العامة علماً أني حريص على الأستفادة من جميع العناصر وعدم التفريط بأية طاقة أو كفاءة... ثم ودعته وعدت الى الموقع. بدأت في التهيؤ للسفر داومت في اليوم التالي في مقر الموقع وقبيل انتهاء الدوام جمعت أوراقي الخاصة وودعت ضباط الموقع ووقعت كتاب انفكاكي ثم سافرت بالسيارة صباح اليوم التالي الى الموصل...

وصلت الموصل بعد الظهر وتوجهت رأساً الى معسكر الغزلاني حيث مقر الفرقة الأولى... أستقبلني الضباط ونقلت حاجاتي وأمتعتي الى الدار المخصصة لسكن قائد الفرقة بجوار المطار... تعرفت على الضباط وكنت أعرف بعضهم من قبل وأطلعت على الموقف الراهن... بكرت في الذهاب الى مقر الفرقة صباح اليوم التالي وشرعت فوراً بدراسة الوضع في قاطع الفرقة بصورة مفصلة تمهيداً لتقدير موقف أنوي ارساله الى رئاسة أركان الجيش وقوة الميدان كان الموقف لايبعث على الارتياح، فالمعنويات منخفضة، والأمور الأدارية

مرتبكة، والتذمر ظاهر...فقد قام الثوار الأكراد بعدة غارات على مداخل مدينة الموصل الشمالية والشرقية وقتلوا بعض الحراس، وهاجموا بعض ربايا الجيش في التلول القريبة من الموصل، كما شنوا غارة جزئية ناجحة على عين زالة شمال غرب الموصل حيث آبار النفط.وأخيراً أحتلوا سلسلة جبال سر عقره المشرفة على مدينة عقره وفشل هجوم الجيش لطردهم منها.

كان قاطع الفرقة في غاية السعة والأهمية اذ يشمل لواء الموصل والذي يعتبر أكبر الألوية العراقية من حيث عدد الأقضية التي ترتبط به وهو يمتد من الحدود السورية حتى نهر الزاب الكبير ومن جنوب الموصل حتى الحدود التركية ويضم الكثير من الأماكن المهمة والمواقع الأستراتيجية ففيه، عين زالة، والقياره، وزاخو، ودهوك، والشيخان، وعقره، وسنجار، بالاضافة الى المضائق الخطيرة مثل مضيق زاخو، ودهوك وسورراره توكه، وسلاسل جبلية منيعة تعتبر مناطق مثالية لحرب العصابات. ان المنطقة كبيرة ومهمة لاتتناسب مع حجم القوات المتيسرة لدى الفرقة اذ تمر بها طرق رئيسية تربط العراق بسوريه وتركية ومحاور مهمة تربط مدينة الموصل بالأقضية والنواحي أهمها:

١ ـ الموصل ـ سميل ـ زاخو ـ جزيرة ابن عمر(تركية).

٢ ـ الموصل ـ ربيعة ـ تل كوجك (سورية).

٣ ـ الموصل ـ جسر مندان ـ عقرة.

٤ ـ الموصل ـ دهوك ـ سواره توكة ـ سرسنك ـ العمادية (تركية).

ويعتبر المحور الأخير أطول المحاور وأكثرها تعرضاً للتهديد والأنقطاع لكثرة المضائق والسلاسل الجبلية التي يمر بها.

كان لدى الفرقة الأولى لواءان فقط (ل١ ، ل١٤) أما اللواء الخامس عشر فبقي في منطقة البصرة وهي ألوية مشاة نظمت وسلحت ودربت للعمل في السهول لا في الأراضي الجبلية وقد عززت الفرقة بلواء شرطة من القوة السيارة وبضع مئات من الأكراد الموالين للحكومة الذين تطوعوا لقاء راتب مقداره عشرة دنانير لكل فرد.

كانت قوات الشرطة قليلة الخبرة ضعيفة التدريب، هبطت معنوياتها وتزعزعت ثقتها بقيادتها حيث كانت تستخدم سابقاً للحراسة وقمع المظاهرات. كانت تعاني نقصاً كبيراً في الوسائط والمعدات وليس لدى اللواء سوى بضع لوريات يستخدمها في تنقله ولنقل الطعام، أما سلاحه فالبندقية والرشاشة وكان يتبع في تأمين طعامه أسلوباً بدائياً تخلت عنه الجيوش منذ فترة طويلة اذ يجمع النقود من كل فرد بالتساوي وفي نهاية كل شهر أثر تسلم الراتب ثم ترسل الى الموصل لشراء مواد الأعاشة من طحين ورز وسمن وفاصوليه وبطاطة وسكر وشاي..الخ،وكانت بعض السرايا والفصائل من هذه القوات البعيدة عن الوحدة الام تعتمد في تأمين طعامها على القرى المجاورة والسكان المحليين، كل هذه العوامل أدت الى

عدم تكليفها بمهمات قتالية وأقتصر واجبها على حراسة وحماية مواقع وأماكن ثابتة على الطرق والمحاور، أما القوات غير النظامية أي الأكراد فلا يمكن الأعتماد عليهم بالأضافة الى صعوبة إدارتهم وضبطهم والسيطرة عليهم ولابّد أن يتم ذلك عن طريق رؤسائهم وشيوخهم الذين أستغلوا اتباعهم أبشع أستغلال. لقد أصّر الشيوخ والرؤساء على تسلم رواتب أتباعهم بموجب قوائم يعدّونها ويقدمونها شهرياً بحجة المحافظة على هيبتهم ورفع مكانتهم في أعين أتباعهم وصعوبة جمعهم لأنتشارهم في منطقة واسعة وكانوا لايدفعون للمتطوع سوى نصف راتبه ويستأثرون بالنصف الثاني وكانت القوائم تضم أسماء وهمية أو صبيان لم يبلغوا سن الرشد وسرعان ماتحول هؤلاء الرؤساء الى اثرياء فأشتروا القصور في الموصل وأمتلكوا السيارات والجرارات والحاصدات الميكانيكية وأرصدة كبيرة في المصارف. كان همهم أن تطول فترة القتال ولاعجب إذا تقاعسوا أو رفضوا تنفيذ المهام التي يكلفون بها لاعذار واهية.أما قطعات الفرقة فقد وزعت على شكل حاميات ثابته في المواقع والأماكن المهمة أمثال زاخو، دهوك، الشيخان، عقرة، العمادية، سرسنك، مانكيش، عين زالة، مرية... كما ألحقت سرايا كتيبة دبابات المثنى بقواطع زاخو، دهوك، عقره، لتستخدم الدبابات كمدافع ثابته في الموضع .. لقد دبّ الملل الى نفوس الجنود وضباط الصف بل وحتى الضباط وقبع بعض آمرى الأفواج في مقراتهم فلم يزوروا وحداتهم الفرعية أو يتفقدوا جنودهم فهبطت المعنويات وضعفت روح القتال بسبب قبولها الدفاع في جميع القواطع وفقدان المبادأة وتخليها عن الهجوم والتعرض وتحولت قطعاتها ووحداتها الى حاميات ثابته همها الأحتفاظ بالأرض والموقع ولجأت الى تكديس الارزاق بدلاً من التموين اليومي من الموصل وبخاصة بالنسبة للوحدات الكثيرة الموزعة على محور الموصل ـ دهوك ـ زاويته ـ سواره توكه ـ سرسنك ـ العمادية الذي كان يفتح ويؤمن عادةً مرتين في الشهر وقبل تحرك قافلة التموين.

أستدعيت رئيس أركان الفرقة إثر ابتداء الدوام الرسمي وتداولت معه في الموقف الراهن وبينت له رأيي بصراحة وضرورة أتخاذ تدابير وأجراءات كثيرة لرفع المعنويات وإستعادة المبادأة، وبعضها من إختصاص قيادة الفرقة ثم أصدرت له توجيهات وأكدت على نقاط هامة لتؤلف أساس تقدير موقف يجب أن يرسل الى رئاسة أركان الجيش وقيادة قوة الميدان وخرج ثم عاد بعد بضع ساعات يحمل مسودّة تقدير موقف وافقت على طبعه وارساله بعد اجراء بعض التعديلات فيه..وبعد يومين اتصل بي هاتفياً من كركوك الزعيم الركن سعيد القطان أحد ضباط ركن قوة الميدان ووعد بقرب التوجه الى الموصل مع الزعيم الركن عبد الجبار شنشل للمداولة وتثبيت أسس المرحلة القادمة.

كانت هناك مشاكل كثيرة تواجه قيادة الفرقة ينبغي حلّها في فترة المفاوضة وتوقف القتال لتستطيع الفرقة من أداء مهمتها اذا فشلت المفاوضات وأستؤنف القتال.

تدابير واجراءات

كانت أهم المعضلات التي توجه قيادة الفرقة هي:

١ ـ رفع المعنويات واذكاء روح القتال.
٢ ـ قيادة واستخدام المتطوعين الأكراد.
٣ ـ استعادة المبادأة والتخلي عن الدفاع.
٤ ـ تعزيز الفرقة بقوات اضافية.
٥ ـ اعادة تنظيم قوات الشرطة السيارة.
٦ ـ فرض هيبة الحكومة.
٧ ـ اختصار فترة الجمود والمفاوضات.
٨ ـ تفنيد دعاية اضطهاد السلطة للمسيحيين.

لقد حظي رفع المعنويات وتأجيج حماس الجنود وبعث الثقة في نفوسهم بالأسبقية بالنسبة للعوامل الأخرى، إذ بالوسع أتخاذ تدابير فورية في فترة توقف القتال لاتثير شكوك الثوار الأكراد.

شرعتُ فوراًبزيارة الوحدات والحاميات مبتدأً بالمعسكرات النائية والقريبة من معاقل وقرى الثوار بهدف الاطلاع على المعسكرات والوقوف على أحوال الجنود والشؤون الإدارية من طعام وملابس وتجهيزات وبريد وأجازات. لقد تعمدت استخدام السيارة في تنقلي، ترافقني ناقلة أشخاص مدرعة للحماية بدلاً من أستخدام الهلكوبتر والطائرة الخفيفة حيث كانت هناك شقق نزول ومطارات مؤقتة في بعض المواقع المهمة بالأضافة الى مطار بامرني الدائم. زرت زاخو، العمادية، سرسنك،سوارة توكه، مانكيش، دهوك، عقرة، الشيخان، عين زالة ومرية، وأجريت تعديلات في الترتيبات الدفاعية واشغال المواضع كما غيّرت بعض الأسماء (فقاعدة الغزال) في شمال مضيق زاخو اصبحت (قاعدة عنتر). لقد زرت السرية الموجودة في قرية مربية لمساندة عبدالله الشرفاني الموالي للحكومة ثلاث مرات وفي احدى هذه الزيارات احترقت ناقلة الأشخاص المدرعة المرافقة لي أثناء عبور أحد فروع الزاب، كما قمت شخصياً باعادة ترتيب الموضع الدفاعي في عين زالة وتوزيع الرشاشات. وما زلت أتذكر يوماً لن أنساه رغم انقضاء أكثر من (٣٠) عاماً، فقد سبق لي أن حددت موعداً لزيارة الفوج المدافع عن مضيق (سواره توكه) وتناول طعام الغداء مع ضباط الفوج. بكرت في النهوض كعادتي.. كانت الأمطار تهطل بغزارة ثم حضرالمرافق والسيارةوناقلة الأشخاص المدرعة.. كان المرافق يتوقع العدول عن الزيارة أو تأجيلها لغزارة المطر، لكن ركبت في السيارة وأمرت بحركتها بعد أن أفهمت المرافق أن بناء الثقة يتطلب الالتزام بالمواعيد وتنفيذها بصرف النظر عن الأحوال الجوية

وإذا كانت الأمطار والثلوج والبرد لا تحول دون القتال فكيف تمنع الزيارة..!؟ ثم عرجت على مقر اللواء الرابع عشر المعسكر في مدخل مضيق دهوك الجنوبي فرحب بي آمر اللواء العميد الركن طه محمد أمين واقترح أن نجلس على انفراد ريثما تعد القهوة.. ثم أخبرني أن المعلومات الأخيرة تؤيد تجمع الثوار في قرية (بادي) التي يخترقها الطريق ولعلهم علموا بنبأ الزيارة ومن المحتمل تعرضك للقتل أو اختطافك وأقترح ارجاء الزيارة أو التنقل بطائرة هلكوبتر.. قلت له اني قد ثبت موعد الزيارة ولا سبيل الى تأجيلها ونحن في فترة مفاوضات والقتال متوقف الآن ولا أظن أن الأكراد سيعترضون طريقي أو يبدأوا العدوان ثم أمرت بانذارالقوة الجوية في الموصل وكتيبة المدفعيةالقريبة من قرية (بادي) وواصلت الرحـلةبعد أن أستصحبـت معي (مجسـاً جوياً).. ولقد شاهدت فعلاً الثوار على جانبي الطريق.. وصلت الفوج وتناولت الطعام مع الضباط ثم عدت ولم يحدث أي شيء...

وفي خلال تفقدي لحوانيت الوحدات رأيت قلة المواد المعروضة وارتفاع اثمانها فأمر بتوفير المزيد من الحاجات وبيعها بسعر الكلفة كماطلبت تسفير العسكريين المجازين على نفقة وزارة الدفاع ذهاباً واياباً.

اتصلت برئاسة أركان الجيش وتمّ الاتفاق على تبديل بعض الضباط بأخرين أكثر اندفاعاً وحماساً وتقديراً للمسؤلية فنقل أحد آمري الأفواج(٥٤) وآمر كتيبة مدفعية كما أجريت بعض التنقلات الداخلية بين الضباط.. لقد كنت شديد الحرص والالتزام بعدم نقل أي جندي أو ضابط صف أو ضابط من قطعات الفرقة الموجودة في الشمال الى الجنوب أو أي مكان آخر ورفضت تنفيذ أمر وزير الدفاع بنقل أحد آمري السرايا الى بغداد لكن الضابط الموماً اليه استغل قيامه بوكالة آمرية الفوج فأجرى معاملة انفكاكه ووقع الكتاب بنفسه(٥٥). كان هدفي رفع المعنويات وأشعار الجميع بالعدل والمساواة وعم التمييز. ان نقل شخص مامن منطقة القتال يعني الحرص على حياته وحمايته من الأخطار وتفضيله على الآخرين وهذا يضعف روح القتال ويوهن العزائم ويزعزع ثقة الجنود بقادتهم والمؤسف أن وزارة لم تقدر هذه الناحية حق قدرها وبدلاً من التعاون عمد وزير الدفاع الى نقل بعض الأشخاص بسبب انتمائهم الحزبي أو الوساطة فقدنقل داود الجنابي

---

٥٤ ــ كان هذا الضابط متقاعساً ضعيف الشخصية لم يبرح مقره لتفقد وحداته الفرعية، ولم يزر سرية(مرية) مطلقاً رغم مضي ثلاثة أشهر على أرسالها بالاضافة الى اشاعات كثيرة تتعلق بنزاهته واستغلاله لمنصبه.

٥٥ ــ كان هذا الضابط برتبة رئيس أول ويدعى مدني عريم وقد طلبت من رئاسة اركان الجيش محاسبته على تصرفه المنافي للقواعد والعرف أوليس من حقه أن ينفك بدون موافقة مقر الفرقة ولكن لم يستجب أحد.

أحد آمري الأفواج من قاطع زاخو بحجة اصابته بجرح في المعركة في أصبعه رغم بساطة الجرح والتئامه.

كان لابد من تأليف قيادة جريئة ومسؤولة عن الأكراد الموالين والتأكد من جدية واخلاص الرؤساء والشيوخ لا سيما وان هناك اشاعات كثيرة عن اتصال بعضهم بالملا مصطفى البارزاني زعيم الثوار الأكراد وتهريب العتاد اليه يضاف الى ذلك أن قوائم الاسماءالتي تقدم شهرياً لقبض الرواتب تتضمن اسماء وهمية أو صبيان دون سن البلوغ وهذا استدعى نشاط استخبارات الفرقة وتأليف لجنة تتولى المسح والفرز للتأكد من الاسماء تمهيداً لتزويد المقاتلين غيرالنظاميين بهويات شخصية للحيلولة دون التزوير والأستغلال، ثم أصدرت أمراً بتسميتهم (فرسان صلاح الدين) رفعاً لمعنوياتهم ورداً على دعاية الثوار المغرضة حيث كانوا يطلقون عليهم اسم (الجحوش) للغض من شأنهم وتحقيرهم وحذت الفرقة الثانية حذو الفرقة الأولى فأطلقت على مقاتليها غير النظاميين اسم (فرسان الوليد)، وقررت أن يتناول هؤلاء الفرسان طعامهم مع الجنود اثناء القتال لضمان السيطرة وتوثيق العلاقات مع الوحدات والتشكيلات العسكرية وتمت الموافقة على اضافة ثلاثة دنانير الى رواتب الفرسان كمخصصات طعام تصرف اثناء الحركات. وسرعان ما انضم الى الفرسان المئات من عشائر الهركية بقيادة الشيخ محي الدين الهركي وأخوته والذي رفض أن يأخذ اتباعه أي راتب أو مخصصات. كان محي الدين رجلاً واعياً عميق الايمان بوحدة التراب العراقي ولقد نفذ جميع المهام التي عهدت اليه على أفضل وجه فلم يتملص أو يتقاعس شأن الآخرين الذين يودون أن يطول القتال واستطعت بعد لأي في اقناعه فوافق على أن يأخذ اتباعه الرواتب والمخصصات أسوة بالآخرين إذ ليس من العدل حرمانهم من هذا الحق..

كتبت كتاباً الى رئاسة أركان الجيش بينت فيه وجهة نظري في المفاوضات الدائرة والتدابير الواجب اتخاذها عند فشل المفاوضات.

أجريت تنقلات بداخل الفرقة بهدف تعزيز وحداتها الموجودة في الشمال واستقر رأيي على تحريك أحد أفواج اللواء الخامس عشر من البصرة الى الموصل في حالة فشل المفاوضات. ثم اتصلت بوزير الداخلية وبينت له وضع القوة السيارة الراهن وضرورة اعادة تنظيمها وتسليحها لتستطيع أداء واجباتها فوعد بتأليف لجنة يشترك فيها أحد ضباط الركن وأخيراً عقدت ندوة حضرها جمهور كبير من أبناء الموصل القى فيها متصرف اللواء عبد اللطيف الدراجي وقائد الفرقة الأولى عبد الكريم فرحان والأستاذ بشير الصقال وأحد القسس ومندوب الأذاعة المصرية السيد محمد أبو الفتوح .... كلمات تؤكد على الوحدة الوطنية وسيادة القانون وحرص السلطة وسهرها على راحة وأمن المواطنين وضرورة تحلي الجميع بالوعي واليقظة والأنتباه الى الدعاية المغرضة التي ينشرها أعداء البلاد لتمزيق وحدة الصف الوطني. ان لواء الموصل والذي يضم أقليات وطوائف مختلفة

عرقياً ودينياً ومذهبياً لم يعرف التفرقة والتمييز فقد عاش فيه الجميع بحرية وأمان منذ مئات السنين.

مؤتمر عسكري

أخبرني رئيس أركان الفرقة إثر أتصال هاتفي مع مقر الميدان في كركوك بأن ضابطي أركن القوة سيتوجهان غداً الى الموصل للتداول مع قيادة الفرقة.

وفي اليوم التالي وصل العميد الركن سعيد قطان والعميد الركن عبد الجبار شنشل الى مقر الفرقة في معسكر الغزلاني.. رحبت بهما وقدمت لها القهوة العربية وبعد قليل شرعنا بعقد المؤتمر بعد أن أستدعيت رئيس أركان الفرقة للأنضمام الينا. بحثنا في الموقف العسكري الراهن في الشمال بتفصيلٍ وافٍ ثم اطلعتهم على الاجراءات والتدابير التي أنوي اتخاذها وتنفيذ بعضها ، وبينت لهم ان توزيع وحدات الفرقة في هذه المنطقة الواسعة يضطرها الى التخلي عن المبادئة والهجوم والاكتفاء بالوقت الحاضر في حماية المواقع والاماكن الاستراتيجية وخطوط المواصلات لكن استمرار هذا الموقف يؤدي الى اضعاف الروح المعنوية ولابد من تعزيز الفرقة بقطعات اضافية أو تقليص مهامها.. لقد أيّدا وجهة نظري هذه ووعدا بدراسة الموقف العام مع رئاسة أركان الجيش للتوصل الى حل ملائم. ثم بحثنا أمر المفاوضات وسيرها البطيء وأتفقنا على عدم جديتها وتعذر الوصول عن طريقها لحل المشكلة الكردية وان هدف الثوار كسب الوقت لكننا مضطرون للاستمرار بها كسباً للرأي العام الداخلي والعربي والدولي وتنفيذاً لمزاعم الثوار برغبة الحكومة في القتال ومضيها في الاستعداد لذلك.. لقد توصلنا ان الوقت في صالح الثوار وأن سطوتهم ونفوذهم يزدادان في المنطقة بعد النكسة التي مني بها الجيش في مضيق زاخو وجبال سرعقرة في عهد عبد الكريم قاسم.

واخيراً اتفقنا بعد نقاش طويل أن تشن الفرقة الثانية الهجوم على الثوار الاكراد عند فشل المفاوضات واستئناف القتال لانها فرقة جبلية نظمت وسلحت للعمل في المناطق الجبلية،فمدافعها جبلية تجرها البغال وسرايا نقليتها من الحيوانات (البغال) أما واجب الفرقة الأولى فيظل كالسابق الدفاع عن المواقع الأستراتيجية وحماية خطوط المواصلات فهي فرقة سهليةنظمت وسلحت للعمل في جنوب العراق وبالرغم من أن معظم وحداتها المقاتلة هي الآن في شمال العراق لكنها تحولت الى حاميات ثابته واجبها الدفاع عن الأماكن الأستراتيجية الكثيرة، قرار خطير توصلنا اليه بالأجماع أكرهتنا الظروف والموقف الراهن على أتخاذه لكن قبيل انفضاض المؤتمر بينت للمؤتمرين انّي سألجأ للدفاع (الفعّال) بدلاً من الدفاع(المستكن) والذي يؤدي التمسك به لفترة طويلة الى هبوط الروح المعنوية، ولابد من القيام بغارات سريعة وفعاليات جريئة لتدمير مواقع الثوار القريبة وبذلك

نضطرهم الى إبقاء قوات كافية في المنطقة فيخف الضغط على الفرقة الثانية.

زيارات ولقاءات

علمت بقرب زيارة السيد علي صالح السعدي أحد أقطاب حزب البعث ووزير الأرشاد للموصل، ذهبت الى مطار الموصل ـ وهو قريب جداً من مقر الفرقة ـ في الموعد المحدد لاستقباله كما تقضي الأصول والقواعد ... كان من ضمن المستقبلين متصرف اللواء الجديد(٥٦) وكبار الموظفين وعدد كبير من الرؤساء والشيوخ وأغلبهم من الأكراد الموالين، ووجهاء الموصل والحرس القومي....هبطت الطائرة ونزل الضيف فتوجهت مع متصرف اللواء للترحيب به ثم سرنا معاً بأتجاه المستقبلين وبدأ بمصافحتهم، وما أن فرغ من المصافحة حتى أحاط به أفراد الحرس القومي وحملوه على أكتافهم وأنطلقوا به بأتجاه المدينة وكان السرور بادياً عليه وهو يردد معهم شعارات الحزب... عدت الى مقر الفرقة بعد أن وعدت متصرف اللواء بحضور المأدبة التي ستقام على شرف الضيف... وقد علمت بإلقاء الوزير كلمة مرتجلة في الجماهير هاجم فيها الرجعية والأقطاع وأعداء الثورة وطالب (بسحقهم حتى العظام)... وصلت مكان الدعوة في الدقائق الأخيرة لكثرةأعمالي فوجدت السيد الوزير قد سبقني... رحب بي وأصّر على جلوسي بجانبه وتحدثنا حديثاً قصيراً ثم توجه المدعوون الى مائدة الطعام... تعمد الوزير استخدام يديه في الأكل بدلاً من الملعقة والشوكة والسكين أظهاراً لشعبيته وحبه للبساطة وتمسكه بالعادات ...فرغنا من الطعام وشربنا الشاي ثم استأذنت بالأنصراف بعد أن عرفت موعد إقلاع الطائرة لأكون من ضمن المودعين ... وعاد الوزير الى بغداد في اليوم نفسه. أعلمتني رئاسة الجيش بقرب زيارة رئيس الجمهورية عبد السلام عارف ووزير الدفاع صالح مهدي عماش للموصل..استدعيت رئيس أركان الفرقة فأخبرته بقرب الزيارة وطلبت منه تأمين (حرس الشرف) في المطار قبيل وصول الضيف بساعة على الأقل...ثم أتصل بعدئذ بوزارة الدفاع وعرفنا موعد وصول رئيس الجمهورية بالضبط ... ذهبت الى المطار لاستقباله يرافقني ضباط ركن الفرقة عدا ضابط الخفر...هبطت الطائرة ثم سارت على المدرج بأتجاه المستقبلين...توقفت محركاتها ونزل رئيس الجمهورية فتوجهت اليه مرحباً ثم رافقته وفتش حرس الشرف بدأ بعده بمصافحة المستقبلين وكان يتحدث الى بعضهم إذ سبق له أن عمل في مقر لواء الخامس في

---

٥٦ ـ عين مدحت ابراهيم جمعة متصرفاً للواء الموصل اثر عودته من مصر خلفاً للعقيد عبد اللطيف الدراجي وهو من ثوار تموز وقادا أحد الافواج التي أحتلت بغداد صبيحة ١٤ تموز، ولم ينجح عبد السلام عارف في إبقائه في منصبه أو حمايته. فقد بدأ الحزب يحكم قبضته ويسند أخطر المناصب الى اعضائه ثقة بهم أو مكافأة لهم.

الموصل... وبعد أن فرغ من مصافحة المستقبلين توجهنا سيراً على الأقدام بناء على أقتراحه كان يسير في الوسط وكان وزير الدفاع على يمينه وكنت على يساره وفجأة مد يده فأمسك بيدي وظننتها من باب المجاملة والتقدير لكنه بعد خطوتين أو ثلاث سحب يده بسرعة وأمسك بيد صالح عماش وتبين لي أنه أخطأ في الأولى إذ كان شديد الحرص على مجاملة صالح عماش وإرضاء أقطاب الحزب والحرس القومي ـ لاسيما وأن أحمد حسن البكر هو الذي جاء به وفرضه للصداقة التي تربطه به وكسباً للقوى القومية داخل الجيش وخارجه ـ وتأيد ذلك في الخطبة المرتجلة التي القاها في النادي العسكري بعد قليل فقد أثنى على الحزب وأشاد بدور الحرس القومي وأهميته في حماية وترسيخ الثورة... سرنا قليلاً وبعد بضع دقائق توجه الّي قائلاً:"هل قطعت رأسه"ومؤشراً بيده أيضاً زيادة في الأيضاح ... عرفت مقصده لكن تظاهرت بعدم الفهم... قلت له لا أدري ماذا تقصد.. حدّق في وجهي وقال:"هل نفذت حكم الأعدام بالقس[٥٧]" أجبته ببرود أن أوراق القضية مازالت في المحكمة لم تصلني بعد، وسأدرسها بعد تسلمها وأتخذ القرار المناسب بموجب صلاحيتي كحاكم عسكري... لم يعجبه الجواب فقال محتداً"يجب أن تعدمه" قلت له أن هذا من اختصاصي وهو قرار سابق لأوانه... قال:"لابّد من أعدامه وعليك مصادقة الحكم والاّ فأترك الفرقة" أجبته محتداً أنّي أكره هذا الأسلوب وأشجبه ولا أسمح لأي شخص بالتدخل بشؤوني أو إملاء أرادته علّي... لذلك قررت الأستقالة الآن ثم سلمت عليهما وأتجهت نحو الفرقة بخطى سريعة ... لحق بي وزير الدفاع صالح مهدي عماش مسرعاً فأمسك بيدي ورجاني بأسم المصلحة الوطنية والقومية نبذ فكرة الأستقالة في هذه الظروف

---

٥٧ ـ حكمت المحكمة العسكرية في الموصل على أحد القسس بالإعدام بسبب رسالة كان قد أرسلها الى الاكراد اعتبرت دليل تعاون مع الثوار أو تجسس لحسابهم .... وصلتني الأوراق فدرستها بعناية بالغة وأبدلت عقوبة الإعدام بالسجن المؤبد لدوافع انسانية وتقديراً للظروف الراهنة وانتشار اشاعة اضطهاد السلطة للمسيحين، وقناعتي أن الرسالة كانت بدافع الخوف لاتقاء الأذى بعد أن عجزت الحكومة عن حماية القرى المسيحية وتعرض بعضها لغارات الثوار. والظاهر ان أهله وأقاربه علموا بصدور الحكم وقرب مصادقته وتنفيذه فبعثوا رسالة سرية الى الفاتيكان الذي احتج على الاعدام وطالب بيان أسبابه .... وفجأة وبعد مرور بضعة أيام على تبديل الحكم ...اتصل بي هاتفياً من وزارة الدفاع المشاور العدلي العميد الحقوقي عبد الخالق الدروبي وسألني متى اعدم القس ...أستغربت من سؤاله فسألته لماذا؟..قال: لقد تسلمنا احتجاجاً من الفاتيكان... أجبته انه لم يعدم إذ لم أصادق الحكم وأبدلته بالسجن المؤبد... فرح جداً وارتاح وقال: بوسعنا الان ان نرد على الاحتجاج ونثبت في الوقت نفسه كذب المزاعم التي يطلقها الاعداء ... والغريب ان أحد كبار الضباط المتقاعدين من أخواننا المسيحيين زعم انه كان وراء تبديل العقوبة واخذ يشيع ذلك في الأوساط المسيحية ببغداد فتصدى له العميد يوسف رزوق بطه معاون مدير الادارة في وزارة الدفاع وكان مطلعاً على كل التفاصيل ففند مزاعمه وتحداه...

العصبية وأيد وجهة نظري وليس من حق أي إنسان التدخل بشؤون الفرقة وان القرار يعود الي... عدت معه ومضينا نحن الثلاثة بأتجاه النادي العسكري... وصلنا النادي وكان غاصاً بالناس فأرتجل رئيس الجمهورية كلمة أشاد بها بدور حزب البعث في التخلص من "الحكم الشعوبي الدكتاتوري" وأثنى على جرأةوبطولة الحرس القومي وطالب بالأنضواء تحت لوائه... كان شديد الحماس في كلمته وكان يتطلع بين الحين وآخر الى وزير الدفاع صالح عماش الذي يقف بجواره... وقبيل المساء توجه رئيس الجمهورية يرافقه وزير الدفاع الى مطار الموصل فأستقلا الطائرة التي كانت بانتظارهما عائدين الى بغداد.

وبعد بضعة أيام أتصلت دائرة الأركان العامة هاتفياً بمقر الفرقة تعلمها بموعد زيارة العقيد الركن خالد مكي الهاشمي للموصل لتفقد القطعات والاطلاع على الموقف المحلي... وصل معاون رئيس أركان الجيش في الموعد المحدد وتوجه الى مقر الفرقة أستقبلته ورحبت به وبعد حديث طويل أقترح زيارة مقر اللواء الرابع عشر في دهوك فذهبنا معاً فأستقبلنا آمر اللواء وتناولنا الطعام هناك ولقد أتضح انه تعمد زيارة مقر اللواء تمهيداً لزيارة أحدأفواجه وكان آمره العقيد عباس البيرماني بناء على(إخبارية)[٥٨]أرسلها اليه عريف أو رئيس عرفاء حزبي في الفوج المذكور وكان الفوج يشغل قاطعاً مهماً في مضيق(سوارتوكة).. وما أن فرغنا من الطعام حتى طلب زيارة الفوج بحجة حَل مشاكله ...قلت له من حقك ان تزور أية وحدة أما حلّ المشاكل فيعود قبل كل شيء الى آمر الوحدة ثم آمر اللواء وأخيراً قائد الفرقة وليس من الأصول ذهابك للتحقيق في قضية معينة يبدو أنها تافهة لاتستحق هذا الأهتمام. ان اهتمام المراجع العليا بـ (الأخباريات) وأغلبها بدون توقيع يؤدي الى أنحلال الضبط وفقدان سيطرة القيادة وهبوط مكانةالقائد والآمر وتزعزع الثقة فيه بالاضافة الى تشجيع ضباط الصف على الشغب وتحدي الأوامر وأغلبهم أميون ينقصهم الوعي وتقدير المصلحة العامة. فعدل معاون رئيس أركان الجيش عن الزيارة وعدنا الى الموصل وفي الطريق تحدثت إليه عن خطورة أدخال الحزبية في هذه المرحلة وذكرته بنقل العقيد جابر حسن حداد[٥٩] آمر كتيبة

---

٥٨ ـ يلجأ بعض المرؤوسين من صغار الضباط وضباط الصف وحتى الجنود الى كتابة رسائل سرية من دون توقيع الى المراجع العليا يهاجمون فيها قائدهم أو آمرهم فينتقدون تصرفاته ويتهمونه بشتى الأتهامات وقد يسندون اليه وقائع كاذبة تتعلق بنزاهته وقابليته وأستقامته. وكانت هذه الاخباريات تهمل عادة إذ بوسع المرؤوس ان يكتب (عريضة رسمية) باسمه الصريح تحمل توقيعه على (الطابع) الى أعلى المراجع بواسطة وحدته فتأخذ طريقها الى آمر اللواء فقائد الفرقة فوزارة الدفاع.

٥٩ ـ كان العقيد جابر حسن حداد من الضباط القوميين ومن المؤمنين بالأسلام كعقيدة وشريعة ونظام وقد عمل مع كتلته الصغيرة للأطاحة بالزعيم عبد الكريم قاسم فأتصل بكل الكتل والجماعات القومية في الجيش وقد تفاوضنا معه أكثر من مرة واتصل به العقيد الركن محمد مجيد لكننا لم نتفق على =

المثنى من الموصل فجأة وطلب انفكاكه بسرعة إستجابة لطلب الحزب ومازالت الفرقة حتى الآن تجهل الدوافع الحقيقية للنقل والخطر الذي ينجم عن تأخره بضع ساعات ليحضر الحفلة التي أقامها ضباط الكتيبة له بمناسبة نقله. وبعد بضعة أيام إتصل بي فجأة متصرف لواء الموصل وأخبرني أن الرئيس أمين الحافظ يرغب بملاقاتك في منطقة الحدود (تل كوجك ـ ربيعة) وانه في طريقه الآن الى المنطقة.. كان الوقت ضيقاً جداً لايتسع للمناقشة أو السؤال.. وذهبنا معاً بسيارة المتصرف وهناك التقينا في منطقة الحدود... ناقشنا الموقف العسكري من شتى جوانبه وتبين لي أستعداد الجيش السوري للمساهمة في إخماد الثورة الكردية عند استئناف القتال لاسيما وقد بدت النذر فالمفاوضات بطيئة والثقة مفقودة والطرفان يستعدان... ثم سألني عن طلباتي الآنية ووعد بتأمينها والتعاون لأحكام الرقابة والسيطرة على فتحة (فيشخابور) حيث تلتقي الحدود العراقية التركية ـ السورية...ثم عدت مع المتصرف الى الموصل ...

ثم زار الموصل بعد فترة قصيرة لؤي الأتاسي رئيس أركان الجيش السوري وتجولت معه بسيارة جيب في أرجاء المدينة[٦٠] وعاد الى سورية في نفس اليوم.ولم تكد تمر بضعة أيام حتى قررت مجموعة من ضباط منطقة الحسكة السورية زيارة منطقة الجزيرة للتعرف على طبيعة الأراضي ومناطق الحدود. كانت المجموعة تضم أثنى عشر ضابطاًمن بينهم العقيد علي البلخي برئاسة قائد المنطقة نفسه ولقد توجهت الى مخفر ربيعة عند الحدود العراقية لملاقاة الوفد وأستقباله والظاهر أن الشيخ مشعان الفيصل أحد رؤساء قبيلة شمر قد علم بنبأ الزيارة فقرر استضافتهم وأستعد لذلك.. شربنا القهوة العربية بجوار بئر ارتوازي غرست حوله بعض الأشجار ثم توجهنا الى مضيف الشيخ القريب لتناول الطعام. كانت مأدبة كبيرة نحرت فيها الذبائح تجلى فيها الكرم العربي ومن المفارقات التي لا أنساها أن الشيخ مشعان أهتم بـ (المراسل) أكثر من أهتمامه بقائد المنطقة بسبب قبعته الحمراء وحقيبته

= (ساعة الصفر) وبداية الأنطلاق ... كان في ذلك الوقت في معسكر(أبو غريب) المتاخم لبغداد.... كان يخشى ان تترك مجموعته لوحدها ويحجم الاخرون فيكون مصيره كمصير (مسلم بن عقيل) في الكوفة... وعندما التحقت بمقر الفرقة في الموصل كان الموما اليه آمر كتيبة دبابات المثنى الملحقة بالفرقة...ثم نقل برقياً بعد فترة قصيرة وطلبت وزارة الدفاع انفكاكه من وحدته فوراً وبيان ساعة مغادرته الموصل والطريق الذي سيسلكه... وانتقل بعد ذلك الى السلك الأداري وكان متصرفاً للواء كربلاء عندما أطيح بنظام عبد الرحمن عارف في ١٧ تموز ١٩٨٦ وتولى حزب البعث السلطة، فأستقال من منصبه وقبلت استقالته... ثم إعدم بعد ذلك مع آخرين بتهمة إشتراكه في مؤامرة" رجعية" لقلب نظام الحكم...

٦٠ ـ كانت هذه الزيارة بداية جفوة مع حزب البعث في الموصل الذي اشاع في أوساطه أني لم أجامل الضيف وكنت خشناً معه رغم أني قمت بكل مايحتمه الواجب.

البدوية قياساً على أن ضباط الركن يضعون شريطاً أحمر على أكتافهم ويحملون عادة حقائب يدوية تضم أوراقهم، فما بالك بمن تكون قبعته كلها حمراء.. لقد جامله وقدمه أثناء تقديم القهوةالعربيةوعند تناول الطعام ولم تسنح الفرصة لأي شخص للأطلاع الشيخ على الحقيقة... لقد أحجم (المراسل) عدة مرات وتردد دون جدوى ووقع في حرج كبير وكذلك قائد المنطقة وأنا ايضاً وبعد الغداء أقترح على رئيس الوفد زيارة القامشلي للأطلاع والتعرف على منطقة الحدود فذهبنا جميعاً ثم عدت الى الموصل. لقد أطلعت على وضع الحدود السورية ـ التركية في منطقة القامشلي وشرح لي أحد المطلعين كيف تم تخطيطها وتثبيتها وكرم الفرنسيين وتفريطهم في الأراضي العربية... كان أخرها تقديم منطقة الأسكندرونة العربية هدية الى تركية كسباً لودها وضماناً لوقوفها بجانبهم لاسيما وقد بدت نذر حرب عالمية. أن جميع الحدود الدولية بين العرب والبلاد المجاورة الأجنبية والتي خططها الأستعمار تجاهلت حقوق العرب وفرطت في التراب العربي سواء من العراق أو سورية أو ليبيا وهذا يكشف مدى الكراهية والبغضاء التي يكنها الغرب للأمة العربية.

أتصل بي هاتفياً من بغداد السيد رئيس الوزراء أحمد حسن البكر ليخبرني أن الشيخ أحمد عجيل الياور رئيس قبيلة شمر سيتوجه الى الموصل غداً أو بعد غد وسيبحث معي أمر تطوع شبان من شمر للخدمة في الجيش في منطقة الموصل... أيدت الفكرةورحبت بالزيارة كما بينت لرئيس الوزراء أن الوقت عامل مهم وأخشى أن يؤدي الروتين المتبع والتعاليم المرعية في مديرية التجنيد العامة الى تأخر عملية التطوع وإرباكها لاسيما وان أغلب أفواج البدو غير مسجلين في (سجل الأحوال الشخصية) وليس لديهم دفاتر نفوس ولايخضعون (لخدمة العلم) وأرى تخويلي صلاحيات واسعة للبدء والمضي بالعملية من دون توقف أو الرجوع الى دوائر التجنيد...وافق على اقتراحي وقال : توكل على الله وأمضي في طريقك...

تشكيل لواء المشاة الثامن عشر

زارني في اليوم التالي الشيخ أحمد عجيل الياور فرحبت به وأثنيت على قراره السديد والجريء وأعتبرته نقطة تحول في حياة القبيلة وبداية أستقرار فهؤلاء الجنود سيتركون حياة البداوة القاسية الى حياة أفضل حيث النظام والطاعة والأنتفاع بالوقت ولابّد أن يتعلموا القراءة والكتابة أثناء وجودهم في الجيش إضافة الى تعلم حرف ومهن نافعة كالسياقة واستخدام الأجهزة اللاسلكيةوغيرها علماً ان هؤلاء سيتقاضون رواتب تقاعد مجزية بعد خدمتهم الطويلة بالأضافة الى ارتفاع مستوى معيشتهم وقد يصل المجدّ منهم الى رتبة نائب ضابط، وسأقترح على الجهات المختصة منح المتسرحين من هؤلاء الجنود الذين لايرغبون في تجديد عقودهم أو المحالين على التقاعد أراضٍ زراعية في منطقة الموصل... سَره حديثي

فوعد بتطوع مالايقل عن ألف وخمسمائةشخص وكان بادي التفاؤل ثم واصلت حديثي فقلت ستجابهنا صعوبات في المرحلة الأولي لكن سأذللها بعد أن منحني رئيس الوزراء جميع الصلاحيات اللازمة .... أستدعيت المرافق وطلبت منه حضور مدير تجنيد منطقة الموصل في مقر الفرقة وبعد حوالي ساعة حضر مدير تجنيد منطقة الموصل العقيد علي أمين، بينت له رغبة قبيلة شمر في التطوع وأستعداد الشيخ أحمد عجيل لتقديم مالايقل عن ألف وخمسمائة متطوع ولابّد من التعاون لتتم عملية التطوع بسرعة لأهمية الوقت وشدة الحاجة الى الجنود... أجاب مدير التجنيدأن هناك تعليمات ينبغي مراعاتها كما أكدّ على أهمية أجراء الفحص الطبي قبل كل شيء... قلت له اننا سنراعي روح التعليمات لكننا لن نسمح لها بأعاقة العملية ولامفّر من التغلب على الروتين فالقضية خاصة والظروف غير طبيعية وأرى أن يتوجه المتطوعين من لجان التجنيد عقب تسجيلهم الى فوج التدريب بشكل وجبات تبعاً لأستيعاب الثكنة وموارد الفوج من تجهيزات وملابس ومدخرات تدريب ووسائل ايضاح ومعلمين، وفي الفوج يجري الفحص الطبي عليهم وخلال الأسبوعين الأولين، علماً أن التدريب الأساسي يستغرق ستة أسابيع ولنفرض جدلاً أن عشرة في المائة من المتطوعين لم ينجحوا في الفحص الطبي ـ والذين سيسرحهم فوج التدريب من الخدمة ـ فبالوسع تلافي النقص بزيادة عدد المتطوعين والتعاون مع الشيخ أحمد العجيل بأنتقاء أفضل المتطوعين في القبيلة لاسيما وان الراغبين كما يتوقع الشيخ كثيرون... ثم قلت أن هؤلاء لن يبقوا في فوج التدريب سوى أسبوعين ثم يلتحقون بفوجهم الذي سيشكل في معسكر الغزلاني قريباً من مقر الفرقة حيث يكملون تدريبهم الأساسي مستفيدون من موارد الفرقة وطاقاتها. هذا وستصدر قيادة الفرقة غداً تعليمات الى جميع الجهات ذات العلاقة للسير بموجبها بناءٍ على الصلاحيات الممنوحة لها ثم أنصرف كل من الشيخ أحمد عجيل الياور ومدير تجنيد منطقة الموصل بعد أن أتفقا على الأجتماع في مديرية تجنيد المنطقة لتثبيت التفاصيل.

صدرت تعليمات الفرقة ومضت عملية التطوع كما قدّرتها وتشكل الفوج الأول بجوار مقر الفرقة في معسكر الغزلاني ونقل العقيد صعب حردان من قيادة فرسان صلاح الدين ليتولى أمرة الفوج المذكور. ووضعت الفرقة كل أمكاناتها لتدريب الفوج وتجهيزه بالخيام والأسلحة والمعدات كما طلبت من آمر الفوج مراجعة مقر الفرقة يومياً بغية الوقوف على سير التدريب والتجهيز والتسليح ولتذليل الصعاب التي قد تظهر .. وضحكت عندما راجعني آمر الفوج ليخبرني أن الجنود يرفضون أو يتلكأون في اتخاذ (وضع الانبطاح) عند الرمي ويؤثرون عليه (وضع الوقوف) أو (الجلوس) شأن كل بدوي وكان جوابي أن التجربةستعلمهم انه الوضع المفضل عندما تنبسط الأرض وتنعدم الأستار الطبيعية وتنصب النيران والجندي المدرب يتخذه تلقائياً لحماية نفسه وأخفائها عندما تفاجئه نيران العدو.

وبعد ثلاثة أسابيع أستدعيت آمر الفوج وبلغته بوجوب التهيئو للأنتقال الى(قاطع الشيخان) لتبديل أفواج اللواء الرابع عشر والحلول محله، فقاطع الشيخان هادىء وقريب بالاضافة الى بعده عن مناطق القتال حتى في حالة تجدد الحركات وبوسع الفوج أكمال تدريبه الفردي والتعبوي هناك بما في ذلك الحروب الجبلية... خرج وظهر بوضوح أن قراري قد فاجأه ثم عاد في اليوم التالي ليبين طلباته التي يستشف منها رغبته في البقاء مدة أطول في الموصل... تمّ تأمين جميع احتياجات الفوج وهيأت السيارات لنقله . وأخيراً احتج بعدم وجود قدور لديه للطبخ ...ان العادة المتبعة عند تشكيل وحدة جديدة ان تكون ضيفاً في الأيام الأولى على أحدى الوحدات القريبة بالنسبةللطعام والرواتب ريثما تتكامل الوحدة الجديدة.. وتم تجهيز الفوج بالقدور وتحرك الفوج ليشغل مواضعه في قاطع الشيخان وبدأنا بتشكيل الفوج الثاني متبعين نفس الأسلوب ونقل العقيد نعيم عبد النبي ليكون آمر الفوج الثاني ومضى كل شيء في طريقه المرسوم فازدادت قوة الفرقة ثم نقل العقيد الركن فيصل شرهان العرس ليتولى قيادة اللواء الثامن عشر وهكذا تم تشكيل لواء مشاة بوقت قياسي جداً لم يعتد عليه الجيش ولم يألفه وأدعى الفضل أكثر من جهة ودائرة وشخص شأن كل عمل ناجح وتحسن وضع الفرقة وتوازن بالنسبة لسعة المنطقة المسؤولة عنه.

اندلاع القتال

بدأت المفاوضات مع الملا مصطفى الرزالي تتعثر ثم وصلت الى طريق مسدود، وقد حقق الثوار الأكراد في هذه الفترة مكاسب كثيرة اذ فرضوا نفوذهم وهيبتهم على كثير من القرى والعشائر والأغوات كما أحتلوا مناطق ومواقع استراتيجية كالمضائق ومفارق الطرق وقمم الجبال المسيطرة على خطوط المواصلات ... ففي منطقة دهوك سيطروا على المضيق واحتلوا جانبيه وبذلك هددوا المدينة ومقر اللواء الرابع عشر وشقة نزول الطائرات الخفيفة وكانوا يتعمدون الظهور عند صعودهم الى مواضعهم لتبديل بعضهم بعضاً أو نقل المؤن والطعام أمعاناً في التحدي وتأكيداً لقواتهم وسيطرتهم وقد أدى هذا الىهبوط معنويات الجنود وضعف روح القتال.. وفي ظهر أحد الأيام تقرر اجراء تبادل بين رهائن وأسرى الطرفين في قرية قريبة من مضيق دهوك... ثم توقفت العملية فجأة فلم يتم التبادل وعاد الوفد مع الرهائن... وفي اليوم التالي قررت احتلال مضيق دهوك الأستراتيجي لاهميته وابعاد الخطر عن مدينة دهوك ومعسكر اللواء وانيطت هذه المهمة بفرسان صلاح الدين اي الأكراد الموالين وبعد معركة استغرقت حوالي أربع ساعات تم احتلال المضيق وطرد الثوار وكنت أشرف بنفسي على سير المعركة بطائرةهلكوبتر تعرضت لنيران أرضية بغية رفع معنويات القطعات... وتلا ذلك معارك تطهير ناجحة في المناطق القريبة وبذلك تحسن موقف الفرقة وترصنت المواضع وفرضت هيبةالحكومة من جديد كما فتشت قرى كثيرة

كان يلجأ اليها الثوار للطعام والمأوى والعتاد وتحذر (الكوخات) أي عمد القرى من ايواء أو مساعدة الثوار.

أتصل بي هاتفياً وزير الدفاع صالح مهدي عماش وأعلمني بموعد وصول قوات سورية تقدر بحوالي أربعة آلاف بقيادة العقيد الركن فهد الشاعر تقرر وضعها بأمرة الفرقة، ورجا عدم زجهم في القتال وأقترح ان تعسكر في الموصل ويبين أن الهدف من مجيء القوات سياسي كما لم يسبق لهذه القطعات التدريب على الحروب الجبلية... كنت أتوقع مجيء النجدات السورية بعد ألتقائي بأمين الحافظ في منطقة الحدود وتحمسه للمعاونة... فرحت للنبأ فأنا في حاجة الى المزيد من القوات وأستغربت في الوقت نفسه اقتراح الفريق الركن صالح مهدي عماش وقررت اشراكهم في القتال بعد فترة مناسبة... ثم وصلت جماعة(س) أي الجماعة المتقدمة من القوات السورية فأستقبلتهم في الموصل وأقامت لهم الفرقة مأدبة في أحد فنادق الموصل دعى اليها كبار الموظفين والشيوخ ووجهاء البلد بينت لقائد القوة السورية والمؤلفة من جحفل لواء مع وحداته الساندةو خدماته، وسرية دبابات خفيفة فرنسية الصنع، ان قواته ستعسكر في منطقة العاصي قريباً من مقر اللواء الأول وحددت له مكان المعسكر على الخريطة وسيطلق عليها منذ هذه اللحظة اسم (قوات اليرموك).

زار العقيد فهد الشاعر قائد قوات اليرموك في اليوم التالي مقر الفرقة فيما كانت مقدمة قواته في طريقها الى معسكر العاصي... شرحت له الموقف الراهن والأحتمالات القادمة والظاهر انه كان يتوقع ان يعسكر في مدينة الموصل لاسيما وان مهمته لاتعدو عن مظاهرة سياسية تهدف الى اظهاره قوة وفعالية القيادة القومية لحزب البعث العربي الأشتراكي واخلاصها وايمانها بالوحدة العربية... وفجأة رن جرس الهاتف وكان المتكلم على الجانب الآخر آمر المقدمة السوري الذي طلب العقيد فهد الشاعر ليخبره بتعرض المقدمة لنيران من سفوح الجبل الأبيض الذي يمتد شرق الطريق... ناولت السماعة الى العقيد فهد وبعد قليل بدأ المومأ اليه باصدار أمر الهجوم لاسكات مصادر النيران من غرفتي وبواسطة التلفون وهو يجهل كل شيء عن العدو والأرض والمكان الذي وصلته المقدمة.... الخ عجبت لهذا التصرف وشدة اعتداد فهد بنفسه... وبعد انتهاء المكالمة بينت له أن الثوار الأكراد لاشك قد علموا بمجيء القوات السورية فتعمدوا ازعاجها وتذكيرها أنهم موجودون في كل مكان في المنطقة فرموا بضع طلقات من مسافةبعيدة ثم أنسحبوا. أستأنفنا حديثنا الذي تشعب وأمتد وتناولنا الوحدةالعربية ثم تطرق العقيد فهد الشاعر الى أسباب الأنفصال وألقى اللوم على الضباط المصريين وذكر وقائع معينةحدثت معه. واخيراً ذكرت له رأي وزير الدفاع وأقتراحه وبينت له أن العمل بهما يسيء اليه شخصياً والى قوات اليرموك ويضع في يد الأعداء سلاحاً ماضياً وأثرت فيه النخوة والحمية عندما قلت له لن أرضى ولن ترضى أتخاذ

موقف المتفرج حين يحتدم القتال... تحمس العقيد فهد الشاعر وأصر على المساهمة في القتال حينئذ أتفقت معه على أستخدام قواته في المراحل الأخيرة وفي أراضي سهلة أو متموجة، وسألحق بمقره ومقر كل وحدة سورية ضابط ارتباط عراقي لتسهيل الأتصال وشرح فحوى الأوامر والوصايا... ثم شكرته على موقفه وشهامته فودعني وأنصرف...

وبعد بضعة أيام أتصلت بي قيادة قوة الميدان من كركوك لتخبرني بحدوث تبدل جوهري في الخطة اذ قررت رئاسة أركان الجيش قيام الفرقة الأولى بالتعرض بدلاً من الفرقة الثانية على أن يلحق بالفرقة الأولى جحفل لواء الخامس من الفرقة الثانية عجبت لهذا التغير الفجائي وحرت في معرفة بواعثه... ثم تكشفت الأمور وأتضح كل شيء بعدئذ وتبين أن الحزب قد حابى قائد الفرقة الثانية العميد الركن ابراهيم فيصل الأنصاري وحرص على تجنيبه خوض قتال لاتعرف نتائجه . وهكذا ألقي العبء الرئيسي على الفرقة الأولى ولابد من احتلال سلسلة جبال سر عقرة المسيطرة على مدينة عقرة وقد فشل هجوم الجيش العراقي على مدينة عقره والتي يتحصن بها الثوار منذ فترة طويلة. وقد فشل هجوم الجيش العراقي في عهد عبد الكريم قاسم لأزاحتهم منها. والأغرب من كل هذاان اللواء الخامس قد أبدل باللواء الرابع للصداقة المتينة التي تربط آمر اللواء الخامس العقيد سعيد حمو بقائد الفرقة الثانية علماً أن اللواء لم يلتحق بالفرقة الاّ بعد أن احتلت الفرقة جبل سر عقرة وجبل بيريس وأخذت تتهيأ لأحتلال (برزان) قرية الملا مصطفى البارزاني.

ومهما يكن من أمر فقد قبلت تغيير الخطة فلم أعترض ولم أبين خطأ القواد لئلا أتهم بالخوف والجبن والتقاعس ... لقد صممت على إنجاح الهجوم مهما كلف الأمر وشرعت بالأستعداد والتهيؤ منذ اللحظة الأولى وبعد استطلاع أرضي وجوي شارك فيه آمر اللواء الأول وآمر والأفواج قدرت الموقف وثبت أسس الخطة ثم قررت السفر الى كركوك لمعرفة مدى الأسناد الجوي الذي سأحصل عليه وطاقة مستشفى كركوك العسكري واستيعابه . اذ قدرت أن خسائر المهاجمين ستكون حوالي عشرة بالمائة لمناعة وحصانة جبل سر عقره ...
وصلت كركوك فتذاكرت مع قيادة قوة الميدان وزرت آمر المستشفى العسكري ومقر القاعدة الجوية وأتضح أن القنابل الجديدة التي حدثني عنها قائد القوة الجوية حردان التكريتي كانت (فيوزات) اي صمّامات أمان ثم توجهت الى بغداد وقابلت وزير الدفاع الفريق الركن صالح مهدي عماش، وكان يتأهب للخروج الى معسكر أبي غريب فأصر على مرافقتي له وركبنا بسيارة واحدة ورافقنا في سيارة أخرى معاون رئيس أركان الجيش العقيد الركن خالد مكي الهاشمي. تكلم وزير الدفاع كثيراً كدأبه فوعد بقرب وصول طائرات هلكوبتر مدرعة من أمريكا ثم تحدث عن الوحدة وقرب تحقيقها. كان شديد التفاؤل والثقة حرص على مجاملتي وارضائي ثم أهاب بي أن أحقق أول نصر مهم في الشمال ليتسنى دعوة الرئيس جمال عبد الناصر لزيارة العراق. قلت له أن الهجوم سينجح

بأذن الله فأنا ماض في الأستعداد والتهيئو وآمل أن أشنه قريباً... لقد تعمدت تأخير تحشد القوات اخفاء للنوايا وتحقيقاً للمباغتة فأنا حريص على نجاح الهجوم بأقل خسائر ممكنة ثم تطرقت الى الأعلام ووجوب ذكر الحقائق وأصدار بلاغات عسكرية يومية تتضمن خلاصة الفعاليات وأعتبار القتلى من ضباط وضباط صف وجنود شهداء ولابد من تشييعهم ودفنهم رفعاً للمعنويات وتقديراً للتضحية، وضرورة تجنب المبالغة أو تقليل أهمية الثوار وخطورة الثورة . لقد أيدني ووعد بالأهتمام بهذه الناحية ثم أخبرته أني سأكتب مقترحات اضافية الى دائرة الأركان العامة كما أكدت على ضرورة قيام تنسيق وتعاون مع الدول المجاورة اي تركية وايران فأيد الفكرة ورحب بها ووعد أن يتم ذلك قريباً عن طريق وزارة الخارجية ... وفي اليوم التالي عدت الى الموصل وتعمدت زيارة القطعات الموجودة في قاطع دهوك وزاخو وسوارتوكة والعاصي وقضيت بعض الوقت مع قائد قوات اليرموك تضليلاً للثوار الأكراد كما طلبت من هذه القطعات القيام بغارات قريبة وضمن مدى المدفعية.

أحداث لاتنسى

١ ـ حلّ موسم الفيضان وبدأت مياه دجلة ترتفع بسرعة وتجاوزت المياه مرحلة الخطر فأغرقت الكثير من المزارع والقرى وغمرت المياه مناطق واسعة جنوب الموصل وتعرضت الموصل نفسها للخطر لضعف السداد وتصدع بعضها، أما اجراءات وتدابير الدوائر الحكومية المختصة فتأتي متأخرة كالعادة أو بعد فوات الأوان بحجة تأخر صرف المخصصات والذي يبدأ بعد إقرار الميزانية ومصادقتها، ويتهم البعض دوائر الري بالتقصير والأهمال ليتسنى لها بعدئذ أتخاذ اجراءات فورية بسبب الظروف الطارئة التي لاتخضع للروتين أو تتقيد بالتعليمات الحسابية. وهكذا ينتفع كبار الموظفين والتجار المتعاملون مع الدوائر الرسمية كباعة الأوتاد والحصران والمجارف والمعاول وأكياس الجنفاص... الخ وقد تمت السيطرة الحكومية على بعض معدات الحفر الميكانيكية بالتواطؤ والأتفاق مع مالكيها فيستفيد الطرفان أي المالك والموظف. لقد غرقت الغابة الحكومية والمشتل في الجانب الشرقي من مدينة الموصل وتدفقت منها المياه الى الأحياء الجديدة فغمرت الطرق الفرعية وتوقفت المواصلات كما تصدع الجانب الشرقي من الجسر الرئيس وتعرض المطار للخطر فأنذرت الطائرات المقاتلة الجاثمة بوجوب التهيئو والأستعداد للطيران الى كركوك في خلال ربع ساعة من أصدار أمرالأخلاء... لقد قضيت ليلة لا أنساها أشرفت بنفسي على تقوية السدة التي تحمي المطار وظلت (البلدوزرات)و(الشفلات) تشتغل طيلة الليل وزاد الطين بله شدة الرياح وهطول أمطار غزيرة...أخذت قيادة الفرقة على عاتقها مسؤولية مكافحة الفيضان وعاونتها السلطات المدنية كما قام شباب حزب البعث بنقل أكياس الرمل لتعلية السداد في الجانب الغربي وقد زرتهم وأثنيت على جهودهم.

لقد أنعزلت بعض القرى وتسلق بضعة أشخاص الأشجار للنجاة من الغرق وأضطرت الفرقة الى أستخدام طائرات الهلكوبتر لأبقاء المؤن من خبز وتمر. وصدرت الأوامر الى المخبز العسكري بانتاج أكبر كمية من (الصّمون) كما طلبت من المدخر العسكري صرف التمر أستناداً الى برقية الفرقة وتوجهت الى الموصل معدات ميكانيكية من كتيبةهندسة الفرقة من ضمنها زوارق برمائية وبدأت الخيام وأكياس الرمل والبطانيات تتدفق على الموصل من كركوك وبغداد والديوانية ثم ألفت لجنة الآغاثة والأنقاذ برئاسة العقيد صعب حردان آمر فوج الأول لواء الثامن عشر وأقيم معسكر للأجئين في ضواحي الموصل وبرز الروتين من جديد كعائق لمن تسلم الخيم..؟ ومن الذي يوقع على المستندات...الخ . وتدخلت فطلبت توزيع الخيم أو إلقائها من الجو على القرى أو بالقرب منها يتبع ذلك جولة واسعة عندما تستقر الأحوال ويهبط منسوب المياه لجرد الخيم والتأكد من شاغليها ... أن الظروف شاذة والتمسك بالتعليمات الحسابية يلحق ضرراً فادحاً بالناس... وأستقرت الأحوال وأنحسر الفيضان وجردت الخيم ثم جمعت بعدئذ ولم يفقد سوى خيمتين أو ثلاث نزلت من ذمة الفرقة بموجب مضبطة وقعها أعضاء اللجنة.

٢ ـ أتصل أحد ضباط الصف باستخبارات الفرقة وكان آمر مدرعة تعمل ضمن ربيئة مهمتها حماية (جسر آلوكه) المؤدي الى مدينة دهوك وزاخو وأفاد بالتخطيط لمؤامرة يعدها الشيوعيون بالاشتراك مع الثوار الأكراد تبدأ في منتصف أحدى الليالي اثر طلقة هاون يهب بعدها ضباط الصف والجنود الشيوعيون لقتل ضباط معسكر اللواء الرابع عشر تمهيداً للسيطرة على المعسكر ووحداته فيما يقوم الثوار الأكراد بمهاجمة مضيق دهوك لاعادة احتلاله، وبدأ التحقيق فوراً لخطورة المؤامرة وعين المقدم الركن جليل أحمد آمر أحد الأفواج رئيساً للمجلس التحقيقي وأتخذ مقره في (الثكنة الحجرية) قريباً من مقر الأنضباط العسكري بمدينة الموصل نفسها، وتّم توقيف أعداد غير قليلة من ضباط الصف وتدخل الحزب بحجة المعاونة في التحقيق ففرض رأيه على الهيئة التحقيقية وأستغل المؤامرة لتوقيف أعداد كبيرة من الشيوعين المدنيين، واستخدم التعذيب وكل وسائل الضغط والأرهاب للتأثير على المتهمين...أنتهى التحقيق بسرعة وإحيلت الأوراق الى المحكمة العسكرية فحكمت بأعدام عدد من المتآمرين لكنّ تعمدت إحالة الأوراق الى الحاكم العسكري العام في بغداد العميد رشيد مصلح للمصادقة عليها بدعوى خطورة المؤامرة وأشتراك عناصر مدنية فيها فصادق الحكم وأوصى بتنفيذه بمعسكر الغزلاني في الموصل رمياً بالرصاص.

٣ ـ راجعني صباح أحد الأيام قائد موقع الموصل العقيد يوسف كشمولة وأعلمني بوقوع مشادة مع الضباط الطيارين في أحد الملاهي من قبل عدد من أقطاب وشباب حزب البعث بسبب المنافسة على فنانة كانت تجلس مع الطيارين وبعد تأكدي من وقوع الاعتداء وإحجام جميع المسؤولين وذوي العلاقة عن الأخبار أو أتخاذ الأجراءات خوفاً من أنتقام

الحربيين والذي أمتد نفوذهم الى كل مكان ودائرة، أمرت بتوقيف المعتدين وهم:

سالم كبابجي

يعقوب كوشان

سالم ملا علو

موفق عسكر

قحطان محجوب

كما طلبت التحقيق فوراً.فقد كنت شديد الحرص في هذه الفترة على سيادة النظام والقانون ورفع معنويات الضباط وبخاصة الطيارين الذين سيكون دورهم مؤثراً في إخماد الثورة الكردية، وحماية حقوق وكرامة المواطنين لم ينفذ أمر التوقيف وحدثت مجابهة بين مقر الفرقة ومتصرف الموصل مدحت ابراهيم جمعة الذي حمى المعتدين وأصر على ايقاف تنفيذ الأمر فأتصل برئيس أركان الجيش طاهر يحيى طالباً تأييده، لكنني أقنعت رئيس أركان الجيش بضرورة توقيف المعتدين حرصاً على كرامة الضباط وسيادة القانون وظلت القضية متأرجحة طيلة يومين دون حلّ بسبب تردد رئيس أركان الجيش وتغييره لرأيه عقب كل مخابرة هاتفية وأخيراً أبرقت بأستقالتي الى وزارة الدفاع راجياً أعفائي من المسؤولية لتعذر أداء المهمة والمحافظة على الأمانة في هذه الظروف العصيبة،حينئذ أذعن الجميع وأوقف المعتدون الذين أطلقت هيئة التحقيق سراحهم بعدئذ.....

٤ ــ قررت القيادة العامة اخلاء القرى والمناطق التي يتم تحريرها وتهجير سكانها من نساء وأطفال وصبيان وشيوخ الى المناطق الخلفية للحيلولة دون أستفادة الثوار من هذه القرى باللجوء اليها طلباً للمأوى والطعام أو للحصول على بعض المعلومات، وأنيطت هذه المهمة بمتصرفيات الموصل وكركوك وأربيل وأقيمت معسكرات تدار من قبل لجان يشترك بكل منها ضباط من الجيش.. وباشرت متصرفية الموصل بأقامة معسكر كبير في ضواحي الموصل ورشحت الفرقة ضابط الركن الأول لعضوية اللجنة[٦١].

كان القرار مرتجلاً لم تدرس نتائجه البعيده كما لم تتخذ الآستعدادات والتدابير لتأمين حاجات المهجرين من سكن وطعام وخدمات صحية...ان التهجير سلاح ذو حدين ومادام الجيش في حالة تقدم و زحف والفرقة مصممة على التمسك بزمام المبادأة والتعرض طيلة فترة القتال فلا خوف من القرى والسكان المحليين وان القسوة مع السكان ومعاملتهم بخشونه وفظاظة تدفعهم الى تأيد الثوار ومناصرتهم لذلك حرصت على عدم القيام بتهجير

---

٦١ ــ أن منصب ضابط ركن الأول مهم في الفرقة وبخاصته في ظروف القتال، لكن ترشيح هذا الضابط لمثل هذه المهمة اليسيرة كان بسبب تردده وإنهيار معنوياته ولأعطائه فرصة أخرى قبل إتخاذ إجراءات تؤثر على مستقبله.

السكان وأقتصاره على حالات معينة وتدخلت أكثر من مرة لارجاع المهجرين الى قراهم ومناطق سكناهم وبخاصة في قاطع دهوك قبل أرسالهم الى الموصل دفعاً لمشاكل كثيرة تنجم عن ذلك يصعب التغلب عليها... شاهدت في أحدى زياراتي التفقدية المفاجئة لمقر اللواء الرابع عشر في كركوك منظراً لن أنساه يجسم الذعر والحزن والبؤس...عشرات من الشيوخ والأطفال والصبيان والنساء يحملون أمتعتهم على ظهورهم وفي أيديهم يطل من عيونهم الخوف والأسى والحيرة يتهأيون لركوب سيارات اللوري لنقلهم الى الموصل...أمرت بعدم إرسالهم وعودتهم الى قراهم رحمة بالشيوخ وشفقة على الأطفال والرضّع. ويسعدني أن أقول بفخر وأعتزاز عدم حدوث أي نهب وأغتصاب في قاطع الفرقة وهذا سّر أحترام وتقدير الأكراد بما في ذلك قيادة الثورة الكردية لقيادة الفرقة الأولى.

احتلال جبلي سر عقره وبيريس

أكملت الأستعدادات للهجوم الكبير لاحتلال جبل سر عقره، ووضعت تفاصيل الخطة التي تقضي بالهجوم بفوجين في الأمام، وتقدم فرسان صلاح الدين على جانبي القوات المهاجمة لتهديد جناحي الثوار والألتفاف عليهما، وتقرر أن يكون الهجوم في الفجر و(صامتاً) لمناعة مواضع العدو وسيطرتها على طرق التقرب وضماناً للمباغتة، ثم يتحول الى هجوم(صاخب) بعد أنكشافه وفتح العدو للنيران، حينئذ تبدأ المدفعية بصب نيرانها على مواقع العدو بالأضافة الى نيران المشاة . يعزز ذلك ضربات جوية منسقة عند الأقتضاء. لقد تعمدت تأخير تحشيد فرسان صلاح الدين أي الأكراد والموالين وما أن بدأوا يصعدون الى سيارات اللوري في عصر اليوم السابق للهجوم حتى أشيع انهم سيتوجهون الى منطقة زاخو زيادة في الخداع والتضليل وكان عددهم حوالي (١٥٠٠).

وفي الصباح كنت في المثابة عند سفوح جبال سر عقره حيث ينتظرني دليل من مقر اللواء لمرافقتي للوصول الى مقره التعبوي الذي توغل في سلسلة الجبال، وقبل التوجه قابلت وفداًأعلامياً من الأذاعة ومجلة الجندي برئاسة العقيد يحيى الخطيب فأجبت على جميع أسئلتهم كما أوجزت لهم خطة الهجوم، وأخيراً سألني أحدهم متىأتوقع أحتلال الموضع وطرد العدو، فأجبته أتوقع أن يكون حوالي الساعة الثانية عشرة، ثم تحركت مع مرافقتي والدليل وفجأة انصبت علينا نيران أسلحة خفيفة من اليمين، نبهت الدليل الى خطئه فأنحرفنا قليلاً الى اليسار ومضينا في التسلق وبعد نصف ساعة وصلت الى مقر اللواء، فهنأت آمر اللواء على نجاح الصفحة الأولى من الهجوم، ثم شرح لي الموقف بإيجاز وكنت أستطيع أن أرى من مكاني تقدم الجنود... وبعد قليل توقف الزحف من جراء شدة النيران المعادية...وأستأنف التقدم بعد قصف مدفعي شديد ولكنه توقف أيضاً... كنت أشاهد المهاجمين بوضوح.... حينئذ تدخلت ، قلت لآمر اللواء العميد شاكر السامرائي، ان تلك

الهضبة وأشرت اليها بيدي هي مفتاح الموضع وهي في رأي الأرض الحيوية، ولابد من تركيز نيران المدفعية واحتلالها وحينئذ سينهار الموضع الدفاعي... أيد الفكرة وبدأت نيران المدفعية تنصب عليها بكثافة وتركيز بالأضافة الى ضربة جوية...ثم تقدم المهاجمون فأحتلوا الهضبة وبدأ تراجع العدو لتجنب خطر الأبادةوالتطويق لاسيما وقد أحتل فرسان صلاح الدين قمماً مهمة تهدد جناحهم الأيمن... كانت الساعة الثانية عشرة كما توقعت...وصدر البلاغ العسكري رقم (١) الذي بلغ الى دائرة الأركان العامة في وزارة الدفاع ثم أذيع من دار الأذاعة، أما خسائرنا فكانت أربعة عشر من ضمنهم ستة سقطت عليهم أحدى قنابل المدفعية خطأ.

قررت مطاردة العدو والتقدم لأحتلال سلسلة جبال بيريس وعدم منح العدو المتقهقر وقتاً كافياً لتحقيق مواضع جديدة في الجبل المذكور، وفجأة أتصل بي هاتفياً مدير الحركات العسكرية العقيد الركن صبحي عبد الحميد وحذرني من محاولة أحتلال جبل بيريس لمناعته وقلة القوات المهاجمة بناءٍ على مشورة اللواء الركن محمود شيت خطاب الذي كان بجواره والذي روى له أحدى نكسات الجيش العراقي في العهد الملكي وأخفاقه في احتلال الجبل المذكور. علماً انه كان آمر فوج من ضمن الفرقة المهاجمة في ذلك الوقت كنت شديد القناعة أن الفرصة سانحة ولابّد من إهتبالها، فالثوار الأكراد قد إهتموا بجبل (سر عقره) وركزوا جهودهم عليه لاهميته الأستراتيجية ووعورته وصعوبة أختراقه لاسيما وقد فشل هجوم سابق للجيش العراقي في عهد عبد الكريم قاسم . وهكذا مضوا في تحكيم وترصين مواضعهم في الجبل المذكور وأطمأنوا الى قدرتهم على الصمود ولم يفكروا بأعداد موضع ثان...أن توقف المطاردة وتأخر تقدم الجيش سيمنح الثوار مزيداً من الوقت لانشاء مواضع جديدة في (جبل بيريس) المنيع الأمر الذي يجعل مهمة احتلاله باهظة الثمن.

لذلك قررت التقدم بفرسان صلاح الدين بعد ان ألحقت بهم بطرية مدفعية وأجهزة لاسلكية للأتصال ومجس جوي... تقدم فرسان صلاح الدين وأستطاعوا احتلال مضيق (كلي زنته) دون مقاومة تذكر فرفعت الأحجار الكبيرة التي كانت تسد الطريق ثم واصلوا تقدمهم . فأحتلوا (الزيبار) و(وادي نهلة) حتى بلغوا سفوح (جبال بيريس).وفي ظهر اليوم التالي بدأ الهجوم على (جبل بيريس) بفرسان صلاح الدين وفوج مشاة (ناقص سرية)وكان هذا الفوج يؤلف احتياط الفرقة عند هجومها على (جبل سر عقره). تقدم الفرسان على جانبي الطريق الجبلي الضيق والذي لايصلح الاّ للمشاة والحيوانات ومضوا صعداً في الجبل، وتقدم الفوج على يسارهم، وقبيل حلول الظلام تمّ احتلال القمم المشرفة على الطريق المؤدي الى بيرة كبره - الزاب ـ برزان واحتل الفوج القمم الخطيرة في الجناح الأيسر ولقد قام الثوار بهجوم جرى في منتصف الليل على أحدى ربايا الفوج المهمة مستخدمين القنابل اليدوية، لكن الربيئة صمدت رغم تفوق المهاجمين العددي وفشل الهجوم وأذيع نبأ احتلال

(جبل بيريس) ببلاغ عسكري هام من دار الأذاعة عند المساء فلم يصدقه معظم كبار ضباط الجيش المتقاعدين وحسبوه من قبيل (الدعاية) لرفع المعنويات والتأثير على الثوار.

لقد لعب الزيباريون من فرسان صلاح الدين دوراً بارزاً في أحتلال (جبل بيريس) والسيطرة على قممه المهمة بسرعة مذهلة، فهم أبناء المنطقة يعرفون طبيعة أراضيها حق المعرفة وبخاصية(جبل بيريس) إذ كانوا على علم تام بمداخله ومخارجه وطرق تسلقه وكهوفه وقممه المهمة ...الخ ومازلت أتذكر حادثةبشعةآلمتني كثيراً. فقد دخل أحد شيوخ الزيباريين مقر الفرقة التعبوي في مخفرالشرطة المتصدع بوادي نهلة وكان يحمل صرة صغيره فتحها أمامي فتبينت انها تضم أعضاء آدمية ثم تطلع اليّ وقال بفرح ظاهر وزهو. هذه أذنا وأنف (الملا شني) قائد الثوار وعدوي اللدود، إقتحمت عليه مقره في احدى كهوف الجبل وقتلته أنتقاماً لثأر قديم فأشفيت غليلي ... تعمدت إخفاء غضبي وأشمئزازي ورجوت منه دفن هذه الأعضاء فودعني وخرج....

احتلال قرية برزان

إلتحق جحفل اللواء في الفرقة عقب احتلال جبل (بيريس).. لقد تأخر مجيىء الجحفل أنف الذكر كثيراً برغم الاتفاق الذي تمّ مع (قوة الميدان) اثر تعديل الخطة والتي تقرر بموجبها إلتحاقه قبل شن الهجوم على جبل (سرعقرة) وأرجح ان التأخير يرجع إلى رغبة قائد الفرقة الثانية في الاحتفاظ باللواء.

كان اللواء جبلياً نظم في الأساس للعمل في المناطق الجبلية وهو يعتمد على البغال في حمل الأسلحة والاعتدة والأرزاق وعفش الجنود..

وضعت الفرقة خطة الهجوم على مرحلتين: المرحلة الأولى احتلال (ريزان) وهو موقع مهم ثم التقدم لاحتلال (برزان) مستخدمة اللواء المذكور مع فرسان صلاح الدين يسانده سرب من الطائرات المقاتلة يعمل من قاعدة الموصل.

كان الطريق للوصول إلى نهر الزاب ضيقاً كثير الالتواءات، لا يصلح إلا للمشاة والحيوانات يتسلق ذرى جبل (بيريس) ثم يتحدر حتى يصل نهر الزاب ماراً بـ(بيره كبره) وكان المانع الوحيد هو نهر الزاب والذي سبق تدمير (العبّارة) التي تربط ضفتيه لذلك قررت استخدام طائرة الهلكوبتر لنقل زوارق العبور لتعذر نقلها على الحيوانات بسبب ضيق الطريق وكثرة منعطفاته، وتحدد موعد هبوط الطائرة اثر وصول القوات الزاحفة إلى الزاب وسيطرتها على النهر.

تقدمت القطعان دون مقاومة وكنت أرافقها حتى وصلت نهر الزاب فهبطت طائرة الهلكوبتر والتي ربط على جانبيها زورقا عبور وبدأت القطعات في العبور ثم عدت مع آمر اللواء الأول إلى مقري التعبوي في وادي نهلة المجاور لمخفر شرطة الزيبار المتهدم.

تم عبور القطعات والفرسان وجابه فرسان صلاح الدين مقاومة اعتيادية، لكن قائد القوة المهاجمة احدث تغييرات في خطة الفرقة ترتب عليها عدم توفر الاسناد المدفعي للفرسان الذين إنسحبوا دون ان يتدخل آمر الجحفل لستر انسحابهم أو معاونتهم في اخلاء جرحاهم الأربعة. بنفس الوقت وصلت أنباء إلى رؤساء الفرسان والشيوخ حول دخول أفراد من الحرس القومي لدورهم في الموصل عنوة[٦٢] بدعوى تعقب مهربي الأسلحة فتمرد الفرسان كما لم يصل مقر الفرقة أي تقرير عن سير القتال.

حاولت الفرقة بجميع الوسائل الإتصال بمقر القوة المهاجمة فلم تتمكن وأخيراً حاول قائد الفرقة النزول بطائرة استطلاعية في المنطقة، لكن الطيار أعتذر في اللحظة الأخيرة بعد أن أقترب من الأرض كثيراً وتبين عدم صلاحها للهبوط ووجود خلل في الطائرة ثم ارتفعت الطائرة واجتازت (جبل بيريس) بصعوبة وهبطت وتبين ان (غطاء وعاء الدهن) قد رفع من مكانه. ظلت الفرقة في جهل تام عن سير المعارك وبدأت تصل أنباء من بعض المقرات الفرعية تثير الارتباك فقررت نقل آمر اللواء ووضعه بأمرة الفرقة واحلال رئيس أركان الفرقة محله. ثم استأنف الهجوم في اليوم التالي وتمّ احتلال (برزان) وأعلن ذلك في بلاغ عسكري خاص كان له أثر كبير في رفع معنويات فرسان صلاح الدين، والحقيقة فأن لقرية (برزان) قيمة معنوية محضة بإعتبارها قرية زعيم الثوار. وهكذا انتهت الحركات في هذا القاطع وآن الانتقال إلى محور الموصل ـ دهوك ـ سواره توكه ـ سرسنك ـ العمادية.

عدت إلى الموصل مساءً بعد أن أعدت ترتيب وتوزيع القطعات تمهيداً لبدء الصفحة التالية وهي تطهير منطقة سواره توكه ـ سرسنك ـ بامرني ـ العمادية والتي يخترقها محور الموصل ـ دهوك ـ سرسنك ـ العمادية المهم، لقد دأبت الفرقة على فتح هذا الطريق بالقوة واحتلال العوارض المشرفة عليه بصورة مؤقتة ولبضع ساعات كلما حان وقت تموين الحاميات الموزعة على هذا المحور وكان الطريق يفتح عادة في كل شهر مرة والأرزاق تكدس في المواقع إقتصاداً بالجهود والنفقات.

أتصلت في اليوم التالي بمتصرف لواء الموصل وشرحت له تمرد فرسان صلاح الدين

---

٦٢ ـ أشتد تدخل الحرس القومي في شؤون الأدارة والأمن بتشجيع من متصرف الموصل مدحت إبراهيم وبدا لهم أن يدخلوا ميدان ملاحقة مهربي الأسلحة والعتاد ليكتشفوا المهربين وبذلك يؤدون خدمة للسلطة بعد أن أستفحل أمر التهريب لتحول منطقة الموصل الى ساحة حركات ضد الثوار الأكراد، وحاولوا الأستئثار بهذا الكشف فلم يخبروا أي جهة رسمية أو ذات علاقة وبخاصة مقر الفرقة ودائرة الحاكم العسكري، ولقد فطن المهربون في اللحظة الأخيرة الى الفخ الذي نصبه لهم الحرس القومي فهربوا ودخلوا في أحد الأحياء وكان "حي اللأجئين" الاكراد، واضطر الحرس القومي لتفتيش الحي ودخول البيوت عنوة للقبض على المهربين.

وإحجام شيوخهم ورؤساهم عن التقدم بحجة انتهاك حرمة بيوتهم في الموصل والإعتداء على عوائلهم ورجوته أن يقوم بتنسيق وتعاون بين قيادة الفرقة ودائرة الحاكم العسكري من جهة وبين الأمن والشرطة والحرس القومي من جهة أخرى وطال النقاش والجدال وأخيراً أخبرته إن الفرقة هي المسؤولة مادامت منطقة الموصل تعتبر منطقة حركات كما ان المصلحة تقتضي بتعاون الجميع وان عدم إخبار الفرقة مقدماً بمثل هذه الأمور في المستقبل يؤدي إلى إضعاف المجهود الحربي وإرتباك الأمور وهو في رأيي لا يختلف عن التخريب من حيث النتيجة. غضب متصرف الموصل وأخذته العزة بالإثم ثم قطعت المكالمة بعد أن تبين لي عدم جدواها وبدأت الأمور تتأزم بين قيادة الفرقة ومتصرفية اللواء، وراح الحزب ينشر الاشاعات المغرضة بهدف الإساءة إلى مقر الفرقة وبخاصة قائد الفرقة بحجة عدم رغبته في التعاون كما حاول الحرس القومي التدخل في أمور هي من اختصاص الفرقة أو الحاكم العسكري لمنطقة الموصل.

ولقد أدى كل هذا إلى إرتباك الأحوال وصدور أوامر متناقضة أو تجميد بعضها تم تطهير محور الموصل ـ دهوك ـ العمادية وانسحب الثوار الأكراد نحو الشمال إلى منطقة (كاني ماسي) المتاخمة للحدود التركية واحتلت سرية مشاة عززت بمدفعين جبليين سلسلة (جبال سر عمادية) لحماية هذا المحور المهم وضمان سلامة المرور إلى قضاء العمادية وأصبح الطريق مأموناً في جميع الأوقات بعد القضاء على الجيوب المتمركزة في القرى أو قرارها وأضحى بالإمكان استخدام مطار بامرني للأغراض العسكرية والمدنية إثر تطهير قرى بامرني وأرادن والسولاف... وبذلك تقلص عدد الربايا والوحدات الفرعية التي كانت تحتل العوارض الطبيعية والمواقع التعبوية على هذا المحور المهم والطويل فتوفرت لدى الفرقة قوات يمكن استخدامها في تحرير مناطق جديدة كما استدعت الفرقة أحد أفواج اللواء الخامس عشر من منطقة البصرة والذي وصل بقيادة آمره المقدم الركن رشيد محسن وعسكر قرب مطار الموصل العسكري.

حان الوقت لتطهير منطقة الموصل برمتها من جيوب المقاومة وبخاصة قاطع الشيخان حيث يقطن أغلب اليزيدية والذين يشك في تعاونهم مع الثوار الأكراد برغم انضمام أعداد كبيرة منهم لفرسان صلاح الدين. لقد تحسن الموقف الآن. وتوفرت وحدات كافية ولابد من إظهار الحزم في التعامل مع الرؤساء والشيوخ وكان بعضهم يقدم العون للملا مصطفى فيمده بالمال والعتاد وبخاصة شيوخ اليزيدية كما لا يرغب معظمهم بإنتهاء القتال الذي بات وشيكاً بعد الإنتصارات الأخيرة لانه يعني تسريح الفرسان وانقطاع مورد رزق أساسي بعد ان أصبح معظمهم من الأغنياء سكنوا أفضل بيوت الموصل وامتلكوا السيارات الفارهة لاسيما وإنهم يأخذون حصة الأسد من راتب الكردي المتطوع ولقد أعادت الفرقة النظر في علاقة هؤلاء الشيوخ والرؤساء بالفرسان وتحديدها وتنظيمها وتمكين قيادة الفرسان التي

شكلتها الفرقة من بسط نفوذها وسيطرتها وألفت لجنة متجولة تتولى فحص وفرز قوائم أسماء الفرسان فشطبت الكثير من الأسماء الوهميةالتي كانت رواتبهم تذهب مباشرة إلى جيب الشيخ أو الرئيس.

كانت أعذارهم وحججهم واهية وأصروا على دفع الرواتب بواسطتهم حفظاً لهيبتهم ومكانتهم في أعين أتباعهم.. كان هدفهم المال والرغبة في الثراء السريع. أما القبيلة الوحيدة التي كانت تقاتل بإخلاص فهي قبيلة (الهركية) وكانت تضم عدة عشائر رفض شيوخها تسلم أي راتب أو مكافأة وأخيراً أقنعوا بوجوب تسلم رواتب لهم ولاتباعهم أسوة بالباقي... كانوا شجعاناً بكل معنى الكلمة وكانوا ينجزون المهمات التي يمتنع الآخرون عن تنفيذها وأخيراً حاول بعض الرؤساء رشوة ضابط استخبارات الفرقة لتسجيل أسماء وهمية أو صبيان في القوائم.

لقد عمدت قيادة الفرقة إلى أسلوب جديد ثبت نجاحه بعد أن توفرت لديها قوات كافية مستفيدة من التجارب السابقة، فبدأت تحرك عدة أرتال مستقلة من مختلف الاتجاهات للإحاطة بالهدف وتطويقه ثم الانقضاض عليه، ولقد ثبت نجاح هذا الأسلوب ولم يؤثر على تنفيذه تمرد رتل أو امتناعه عن التقدم واضطر الرؤساء والشيوخ إلى تنفيذ الأوامر بعد أن تأكدوا من إنجاز المهمة سواء أشتركوا بها أم رفضوا الاشتراك علماً انهم كانوا يودون أن تطول الحركات ويستمر القتال في المنطقة كسباً للمغانم وزيادة في ثرواتهم وكان الثوار الأكراد أمام أمرين لا ثالث لهما أما الأنسحاب لتجنب خطر التطويق أو الصمود والقتال بوجه قوات متفوقة عَدداً وعُدداً وهذا يعني الإبادة أو الأسر وهكذا تمّ تحرير القرى والمواقع المهمة في منطقة الشيخان ومانكيش وزاخو والسندي ودهوك وعقرة بسهولة وبخسائر قليلة جداً ولقد تكبد الثوار خسائر كبيرة في منطقة قضاء الشيخان وتم تحرير عدة قرى يزيدية وغنم الفرسان الكثير من المواشي والأسلحة وأصبح الطريق إلى الشيخ عدي آمناً بعد تطهير المضائق المؤدية إليه، وكان العرف والعادة يقضيان باستيلاء الشيخ أو الرئيس على الغنائم والإسلاب حيث يقوم بتوزيعها على اتباعه وكثيراً ما كانت أسعار اللحوم تهبط في أسواق الموصل عقب معارك التحرير الكبيرة الناجحة نتيجة عرض المواشي بكثرة في الأسواق.

لقد أستولى الفرسان على غنائم كثيرة في معارك التطهير وفي أحداها قتل الشيخ عبد اللطيف الزيباري أحد زعماء الثوار واستولى على خنجره الثمين المطعم بالذهب وقد علم العقيد فهد الشاعر قائد قوات اليرموك السورية المشتركة في معارك التطهير بنبأ الخنجر فأرسل ضابط الركن المقدم اسماعيل إلى مقر الفرقة راجياً تدخلها ليظفر بالخنجر.

ولأول مرة تدخلت بشأن الغنائم والاسلاب مكرهاً وطلبت من الشيخ عبد اللطيف الزيباري تقديم الخنجر الذي غنمه هدية إلى العقيد فهد الشاعر فوافق واهدى الخنجر إلى الموما إليه بكتاب رسمي من الفرقة تضمن في الوقت نفسه شكر الشيخ لطيف الزيباري

علماً أن العقيد فهد الشاعر سبق أن غنم بضع بنادق قديمة في معارك تطهير زاخو أرسلها إلى دمشق كما أهداني الشيخ محمد فارس آغا الزيباري بندقية (برنو) مع خمسين طلقة قبلتها على مضض ثم أهديتها بدوري إلى متحف الفرقة الذي تقرر إقامته في الديوانية بعد انتهاء الحركات بموجب كتاب رسمي ثبت فيه رقم البندقية وترباسها وشكرت صاحب الهدية، أما غنائم الجيش من الأسلحة وبخاصة المسدسات فقررت توزيعها على الضباط بأثمان رمزية بعد أن وافقت وزارة الدفاع على هذا الإجراء كما أهديت إلى المقدم عدنان ضابط الارتباط التركي[٦٣] مسدساً من غنائم الجيش.

استفحال الخلاف بين متصرفية الموصل وقيادة الفرقة

حرصت قيادة الفرقة الأولى على إقامة علاقات طيبة مع متصرفية لواء الموصل إيماناً منها بأهمية التعاون في ظروف القتال كما أن التنسيق ضروري بين مختلف مؤسسات وأجهزة الدولة وبخاصة الإستخبارات والأمن، وكان التعاون وثيقاً أثناء تولي العقيد عبد اللطيف الدراجي لمنصب متصرف اللواء، ثم نقل لعدم إنسجامه مع الحرس القومي في الموصل وخلفه مدحت إبراهيم جمعة وهو من أقطاب حزب البعث وظل التعاون قائماً وتجلى ذلك في مكافحة الفيضان وتعيين آمر جديد للحرس القومي هو الملازم الأول ناظم الزبيدي من كتيبة هندسة الفرقة ومن خلال التحقيق في مؤامرة دهوك التي كشفت قبل الشروع بتنفيذها، والأتصالات الهاتفية المستمرة بين مقر المتصرفية وقيادة الفرقة واللقاءات في المناسبات والاحتفالات، وفي إحدى المرات ذهبنا معاً أي أنا والمتصرف إلى بغداد لقضاء إجازتينا بسيارة المتصرف.

كانت بداية الخلاف بين المتصرفية والفرقة واصرار الأخيرة على وجوب توقيف أقطاب الحرس القومي في الموصل والذين اعتداوا على الضباط الطيارين في الملهى، ثم دخول أفراد الحرس القومي عنوة إلى بيوت رؤساء وشيوخ الفرسان في الموصل بحجة ملاحقة مهربي الأسلحة الأمر الذي أدى إلى تمرد الفرسان في معركة (ريزان ـ برزان) حدثت على إثرها مشادة هاتفية بين متصرف الموصل وقائد الفرقة، والمؤلم ان المتصرف كان ينحاز على الدوام إلى جانب الحرس القومي ضارباً بالمصلحة الوطنية عرض الحائط وهكذا اشتد تدخل الحرس القومي في شؤون الإدارة والإستخبارات والأكراد الموالين بتشجيع من المتصرف. وأصبح الحرس القومي أداة إرهاب واستغلال يريد الاستحواذ على كل شيء، وصلت أنباء الخلاف إلى

---

٦٣ ـ التحق بمقر الفرقة في ضابط الموصل ارتباط تركي مع مترجم وعامل جهاز لاسلكي إثر بدء الحركات في الشمال كما ألتحق بمقر الفرقة الثانية في كركوك ضابط ارتباط إيراني.

وزارة الدفاع وأتصل رئيس أركان الجيش طاهر يحيى بقيادة الفرقة ليعلمها بتوجه قائد الحرس القومي أو نائبه قريباً إلى الموصل لتسوية الأمور وحلّ الخلافات، ومضت الأيام ولم يتوجه أي منهما وشن الحزب حملة ظالمة على الفرقة وبخاصة قائدها فأتهموه بالتآمر وعدم الإخلاص للنظام الحاكم، كما نقل إلى رئيس أركان الفرقة العميد الركن أحمد توفيق الصائغ معلومات مهمة أيدت الأحداث والوقائع التي صحتها تتضمن سعي الحزب والمتصرف للتخلص من قائد الفرقة والإرتياب في نواياه وتكليف المقدم الركن محمود عزيز آمر كتيبة المثنى(٦٤) بمهمة السيطرة على قيادة الفرقة واعتقال القائد عندما يأزف الوقت. لقد كثرت اعتداءات الحرس القومي على الأهلين واستغلالهم لمناصبهم وتدخلهم في شؤون الأمن والاستخبارات وإرهابهم لبعض رجال الصحافة.. ووقعت حوادث قتل متعددة لم يعرف القاتل رغم اقتناع الناس بأنها من تدبير الحرس فقد قتل أحد المسيحيين لأنه منع ابنته من الخروج بعد أن سمع ان لها علاقة بأحد أفراد الحرس القومي، وعذب أحد الصحفيين لأنه حاول نشر مقال سبق ان نشرته صحف بغداد ثم ندم المسؤولون على نشره يتعلق بميشيل عفلق وأظن أن عنوانه (الأله العائد) وفي صباح أحد الأيام زارني الحاج الخشاب وهو من وجهاء الموصل وما أن جلس حتى أجهش بالبكاء ثم أخرج ساعة ومنديلاً وقال هذه ساعة ولدي الذي قتله الحرس القومي انتزعتها من معصمه بعد أن عثرت على جثته ثم دنا مني والدموع تنهمر من عينيه وأشار بيده إلى عقارب الساعة المتوقفة (هي تنبيء عن وقت تنفيذ الجريمة ثم جلس وبدأ يشرح أسباب كره الحرس القومي لإبنه والذي رفض الإنضمام للحزب ورغبتهم الشديدة في التخلص منه وطال حديثه شأن كل والد مفجوع وأصغيت إليه بإنتباه وتركيز وآلمني جداً إحجام المسؤولين عن معاونته في الكشف عن الفاعل.. وما ان فرغ من حديثه حتى ساد صمت رهيب استغرق بضع دقائق قضيتها في تفكير عميق، ثم رفعت سماعة الهاتف وكلمت العميد رشيد مصلح وزير الداخلية والحاكم العسكري العام وشرحت له مفصل الجريمة واضطراب أحوال الأمن ثم كلمت رئيس أركان الجيش طاهر يحيى وبينت له أيضاًالجريمة النكراء ورغبتي في الاستقالة لعظم المهمة وعدم تعاون المسؤولين وأخيراً اتفقنا نحن الثلاثة على توجه الحاج الخشاب إلى بغداد لمواجهة وزير الداخلية والحاكم العسكري العام لإطلاعه على الواقعة وبيان دوافعها.

حان موعد تمتعي بالإجازة الاعتيادية فسافرت إلى بغداد ثم قررت في اليوم التالي لوصولي الذهاب إلى وزارة الدفاع لزيارة رئيس أركان الجيش، وما ان دخلت مكتبه حتى رحب بي

---

٦٤ ــ كان المقدم الركن محمود عزيز من الضباط القوميين الوحدويين وساهم في حركة المرحوم الشواف ثم هرب الى سورية بعد فشل الحركة ودعا بعد الأطاحة بنظام عبد الكريم قاسم فأنضم الى حزب البعث وتولى منصب آمر كتيبة دبابات المثنى خلفاً للمقدم جابر حسن حداد، كما ارسل الى بلجيكا مع وفد رياضي عراقي وعاد معه سيارة شفروليت مستعمله.

كعادته وكان قد سبقني العميد الركن إبراهيم فيصل الأنصاري قائد الفرقة الثانية فصافحته وسألته عن الموقف العسكري في قاطع فرقته ثم شرعت بالتحدث إلى رئيس اركان الجيش فبينت له اضطراب الأمن في الموصل وتزعزع ثقة السكان بالسلطة المحلية وهيمنة الحرس القومي على شؤون الإدارة والأمن والاستخبارات وإنحياز المتصرف وتأييده لتصرفات وأعمال الحرس وأبديت استغرابي لصمت المسؤولين في بغداد رغم علمهم ثم سألته ما تمّ بشأن مقتل ابن الحاج الخشاب فوعد بإجراء تحقيق دقيق ونزيه وأخيراً قلت له انني ما زلت أفكر جدياً في الاستقالة والتخلي عن المسؤولية طلباً لراحة البال والضمير ولأكون صادقاً مع نفسي محترماً لمنصبي وذاتي.. وبعد قليل خرج إبراهيم فيصل فعاتبني رئيس أركان الجيش على التحدث بمثل هذه الأمور أمام إبراهيم فيصل وبحضوره.. ورجا مني التريث والصبر...

رجعت إلى الموصل، ثم قمت بزيارة وتفقد بعض المواقع العسكرية في قاطعي دهوك وعقره..وبعد بضعة أيام طلبت رئاسة أركان الجيش حضوري في (مركه سور) للإشتراك في مؤتمر سيعقد هناك بناء على اقتراح قائد الفرقة الثانية للإطلاع على الموقف المتجمد والمستعصي في القاطع وأسباب توقف الحركات والذي سيحضره وزير الدفاع صالح عماش ورئيس أركان الجيش طاهر يحيى وضابطا ركن قوة الميدان سعيد قطان وعبد الجبار شنشل ومدير الحركات العسكرية، ولقد تعمد وزير الدفاع أن يجلس بجواري في طائرة الهلكوبتر التي تقلنا وبدأ التحدث إليّ فسألني عن الموقف العسكري في منطقة الموصل ومعنويات الوحدات ورأى في مستقبل الحركات و.... ثم قال والإبتسامة المصطنعة تعلو محياه.. اخبرني الأخ أبو زهير ويقصد طاهر يحيى انك مازلت تفكر في الاستقالة وأنت تعلم حق العلم إننا أخوة تجمعنا الأهداف والمبادىء وان الجميع يحبونك ويقدرون جهودك.. نظرت إليه باستغراب وقلت أشك في ذلك وأرجو ان تبدد الأيام شكوكي... ثم هبطت الطائرة في (مركه سور) وكان في استقبالنا قائد الفرقة الثانية ثم ركبنا البغال للتوجه إلى الجبهة يتقدمنا الدليل وجماعة الحماية. سلكنا نيسماً جبلياً ضيقاً لا يصلح إلا للمشاة والبغال كثير الإلتواءات وكانت المنطقة شديدة التموج كثيفة الأشجار وبعد ساعة ونصف وقفنا فوق هضبة يمتد أمامها سهل فسيح مشجر.. وبدأ قائد الفرقة يصف المنطقة ثم أشار إلى قمتين في الأفق البعيد يحتلهما العدو... ودار نقاش حول طبيعة الأرض وأسلوب التقدم لطرد الثوار وتبين لي من خلال المناقشة ان قائد الفرقة يتعمد المبالغة في وعورة الأرض ومناعة المنطقة وقوة الثوار ليبرر بطىء الحركات وجمود الموقف كما تخلى عن المبادأة والاندفاع ليبتعد عن المغامرة والأخطار ولم ألمس من خلال الحوار أي رغبة صادقة في إنهاء القتال واتضح لي أثناء تولي منصب قيادة الفرقة واشتراكي في الحكومة التي تألفت عقب انتفاضة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وجود عدد غير قليل من كبار الضباط ينقصهم الحماس والجرأة والاندفاع، يرغبون في إطالة أجل القتال وعرقلة التوصل إلى حل سلمي للقضية

الكردية ليتمتعوا بمزايا مناصبهم وليضمنوا عدم استغناء الجيش عنهم لأن القتال يستدعي تعبئة وتحشيداً لطاقات لاسيما وأنهم زائدون بالنسبة لملاك الجيش ومتقدمون في العمر.

ارهاصات ومؤشرات التغيير

١ ـ طغيان الحرس القومي:

ساءت الأحوال وسادت الفوضى وعمّ التذمر والسخط وتحول إعجاب الجماهير وتقديرها للحرس القومي والذي تجلى بكثرة التبرعات والهدايا واندفاع الشباب للإنضمام إليه في الأيام الأولى، إلى كره وحقد وإنسحاب القوميين وعزوف ا لشباب وأصبح الحرس القومي أداة قهر وبطش واستغلال، فقد تنكر لقانونه رقم (٣٥) الصادر في ١٩٦٣/٢/٨ والذي جاء فيه "إن الغاية من تشكيل الحرس القومي هي لإعداد قوة من الشباب القومي العربي تتدرب على استعمال السلاح لغرض معاونة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن العربي وصيانة الأمن الداخلي بموجب تعليمات خاصة تصدرها وزارة الدفاع" كما تمرد على السلطة التي لم تعد قادرة على كبح جماحه فتجاهل أوامر وكتب وتعليمات وزارة الدفاع ورئاسة أركان الجيش والحاكم العسكري العام، وتحدى النظام والقانون رغم صراحة ووضوح المادة ـ ٢ (الارتباط والواجبات) في القانون المذكور التي نصت: "ترتبط قيادة الحرس القومي برئاسة أركان الجيش عن طريق دائرة الأركان العامة والأمور الإدارية كل حسب اختصاصها علماًبأن الحرس القومي تحول الى سلطة تعلو على كل السلطات . وقد شكل مكتب خاص برئاسة عمار علوش يضم في عضويته خالد طبره وعلي رضا وناظم كزار وآخرين، وذلك دفع الحاكم العسكري العام الى طلب إلغاء الحرس القومي بكتابه ١٢٧٢ في ١٩٦٣/١٠/١٩ لكن عماش (وزير الدفاع) لم ينفذ ذلك الطلب.

ومما يحز في النفس ويبعث على الآسى ان الحرس القومي ظل موضع تقدير كبار المسؤولين وحظي بدعمهم وتأييدهم وبخاصة رئيس الجمهورية عبد السلام عارف[٦٥] ورئيس الوزراء أحمد حسن البكر ووزير الدفاع صالح مهدي عماش .

---

٦٥ ـ أنضم عبد السلام عارف وكذلك احمد حسن البكر الى الحرس القومي، وقد شوهد الأثنان يقومان بمهمة تفتيش السيارات والسيطرة على المرور في احدى الساحات الواقعة في ضواحي بغداد الشمالية حيث يمر الطريق الرئيسي المؤدي الى الأعظمية . كانا يرتديان ملابس الحرس القومي ثم ظهرت صورتهما في الصحف وهما يفتشان السيارات وأثناء الأستراحة حيث كانا يجلسان على تخت خشبي وضع في الساحة . كان الغرض أعلامياً محضاًوتوخى تذكير الناس بدور الحرس القومي وأهميته وأظهار شعبية رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

الكردية ليتمتعوا بمزايا مناصبهم وليضمنوا عدم استغناء الجيش عنهم لأن القتال يستدعي تعبئة وتحشيداً لطاقات لاسيما وأنهم زائدون بالنسبة لملاك الجيش ومتقدمون في العمر.

ارهاصات ومؤشرات التغيير

١ ـ طغيان الحرس القومي:

ساءت الأحوال وسادت الفوضى وعمّ التذمر والسخط وتحول إعجاب الجماهير وتقديرها للحرس القومي والذي تجلى بكثرة التبرعات والهدايا واندفاع الشباب للإنضمام إليه في الأيام الأولى، إلى كره وحقد وإنسحاب القوميين وعزوف ا لشباب وأصبح الحرس القومي أداة قهر وبطش واستغلال، فقد تنكر لقانونه رقم (٣٥) الصادر في ١٩٦٣/٢/٨ والذي جاء فيه "إن الغاية من تشكيل الحرس القومي هي لإعداد قوة من الشباب القومي العربي تتدرب على استعمال السلاح لغرض معاونة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن العربي وصيانة الأمن الداخلي بموجب تعليمات خاصة تصدرها وزارة الدفاع" كما تمرد على السلطة التي لم تعد قادرة على كبح جماحه فتجاهل أوامر وكتب وتعليمات وزارة الدفاع ورئاسة أركان الجيش والحاكم العسكري العام، وتحدى النظام والقانون رغم صراحة ووضوح المادة ـ ٢ (الارتباط والواجبات) في القانون المذكور التي نصت: "ترتبط قيادة الحرس القومي برئاسة أركان الجيش عن طريق دائرة الأركان العامة والأمور الإدارية كل حسب اختصاصها علماًبأن الحرس القومي تحول الى سلطة تعلو على كل السلطات . وقد شكل مكتب خاص برئاسة عمار علوش يضم في عضويته خالد طبره وعلي رضا وناظم كزار وآخرين، وذلك دفع الحاكم العسكري العام الى طلب إلغاء الحرس القومي بكتابه ١٢٧٢ في ١٩٦٣/١٠/١٩ لكن عماش (وزير الدفاع) لم ينفذ ذلك الطلب.

ومما يحز في النفس ويبعث على الآسى ان الحرس القومي ظل موضع تقدير كبار المسؤولين وحظي بدعهم وتأييدهم وبخاصة رئيس الجمهورية عبد السلام عارف[٦٥] ورئيس الوزراء أحمد حسن البكر ووزير الدفاع صالح مهدي عماش .

---

٦٥ ـ أنضم عبد السلام عارف وكذلك احمد حسن البكر الى الحرس القومي، وقد شوهد الأثنان يقومان بمهمة تفتيش السيارات والسيطرة على المرور في احدى الساحات الواقعة في ضواحي بغداد الشمالية حيث يمر الطريق الرئيسي المؤدي الى الأعظمية . كانا يرتديان ملابس الحرس القومي ثم ظهرت صورتهما في الصحف وهما يفتشان السيارات وأثناء الأستراحة حيث كانا يجلسان على تخت حشبي وضع في الساحة . كان الفرض أعلامياً محضاًتوخى تذكير الناس بدور الحرس القومي وأهميته وأظهار شعبية رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

٢ ـ غياب القانون

يُعد القانون من أخطر مقومات المجتمع الإنساني ويؤلف ركيزة مهمة من ركائز الأمن والاستقرار وقوة تحمي حقوق المواطن وتصون حرياته وتحفظ كرامته، جوهره الرحمة، وأساسه الحق وغايته العدل والإنصاف فالعلاقة وثيقة جداً بين الحرية والقانون إذ يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به فهو أداة لتحقيق الحريات الأساسية وضمان أمن المواطن في شخصه وماله[٦٦] كما تستخدمه بعض الأنظمة الحاكمة أداة طغيان وانتقام واستغلال، ولقد قال القديس أوغسطين: "بدون عدل فأن الدولة تكون عصابة من قطاع الطرق" وقال آخر: "الرحمة جوهر القانون، ولا يستخدم القانون بقسوة إلا الضعفاء".

لقد عانى العراق الأمرين (منذ استقلاله وطرده المستعمر، من تعطيل للقوانين أو تجميد، وقسوة في التطبيق، وعنف وتعسف في الإجراءات، إذ أعلنت الأحكام العرفية مرات كثيرة بلغت (١٤) مرة[٦٧] مرة وأصبحت سيادة القانون وإلغاء الأحكام العرفية مطلباً شعبياً، نادت به الأحزاب والصحف وهتف به المتظاهرون في كل الانتفاضات رغم قسوة التشريعات التي لم تخل من أوجه النقص والتقصير بالإضافة إلى عدم تعبيرها عن حاجة وآمال وطموحات المجتمع العراقي، علماً ان (سيادة القانون وضرورة التقيد به والسهر على تنفيذه والحرص على تطبيقه) كان يرد في كل مناهج الحكومات المتعاقبة وخطب العرش.

وحين قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق هلّل لها الشعب وانضمت إليها الجماهير في ساعاتها الأولى، واستبشر الناس خيراً وداعبتهم أحلام كثيرة في الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وسيادة القانون. سرعان ما تبددت وتلاشت الأماني والآمال فقد أعلنت الأحكام العرفية في الحال وتوقع الناس أن ترفع بعد أيام معدودة ريثما تستقر الأحوال وتعود المياه إلى مجاريها، لكن العراق دخل في (فترة انتقال) مازالت مستمرة حتى الآن، وتصارع الثوار وكانت الغلبة لعبد الكريم قاسم الذي استأثر وأنفرد وأستبد ومنح لنفسه صلاحيات واختصاصات واسعة واستثنائية فهو القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع كما خول الحاكم العسكري صلاحيات واسعة أدت إلى تقييد الحريات وتعطيل القوانين ومنعت المحاكم من النظر في الكثير من الجرائم حتى المخالفات والتي أصبحت من اختصاص المجالس العرفية. واطيح بنظام عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ وتولى حزب البعث السلطة.

وفرح الناس بمجيء حزب تقدمي شعاره الوحدة والحرية والاشتراكية عانى الكثير

---

٦٦ ــ دينيس لويد ــ فكرة القانون، نقله الى العربية سليم الصويص ــ الكويت ١٩٨١ ص ٧

٦٧ ــ عبد الكريم فرحان ــ ثورة ١٤ تموز في العراق بيروت ١٩٧٨ ص ٢٥

من طغيان عبد الكريم قاسم ودكتاتوريته، وتوقعت الجماهير المسحوقة إلغاء الأحكام العرفية، يتلوه إطلاق الحريات ورفع الظلم، لكن العهد الجديد لم يستطع تحقيق شعاراته بل طغت موجه جديدة من تصفيات الخصوم والتنافس الشديد بين قادة ذلك العهد، وحصلت تجاوزات كثيرة للأصول القانونية المتبعة فقد أعدم عبد الكريم قاسم رمياً بالرصاص إثر دخوله مبنى الإذاعة بعد أن وجهت إليه بضعة أسئلة لم تستغرق سوى دقائق معدودةوكان من ضمن الأسئلة الموجهة لعبد الكريم قاسم: من الذي أصدر البيان الأول لثورة تموز..!؟ ومن مفجر الثورة وبطلها..!؟ كما أعدم العقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة والعقيد عبد المجيد جليل مدير الأمن العام بسرعة وبدون محاكمة

وقد كان العدل والمنطق يقضيان بإجراء محاكمة علنية ومنح المتهمين حق الدفاع عن النفس وهو حق مقدس نادت به الأديان وأقرته وأحترمته جميع الشرائع والقوانين، عملاً بمبدأ سيادة القانون ولإطلاع الشعب على تصرفات وأعمال الذين فرطوا في حقه وخانوا الأمانة لاسيما وقد تمت السيطرة على بغداد بعد القضاء على المقاومة في وزارة الدفاع واستسلام عبد الكريم قاسم بخلاف ثورة ١٤ تموز حيث عم الهيجان الشعبي وأنتشرت الفوضى وفقدت السيطرة والضبط.. كانت فرصة ذهبية للتصرف كرجال دولة يؤمنون بالشعب ويحترمون القانون والنظام وليس هناك ما يمنع من لف حبل المنشقة حول أعناق المجرمين بعد محاكمة عادلة وإدانتهم.

لقد تحول عبد الكريم قاسم إلى طاغية يكره الوحدة العربية وهو لا يختلف عن بعض الحكام العرب الآن لكنه كان مخلصاً لوطنه رحيماً بالفقراء وظل نزيهاً نظيف اليد واللسان، لكن وطنيته كانت ضيقة وظل متردداً تحت تأثير أقربائه وأصدقائه في بعض الأحيان. أما جريمته الكبرى التي لم ولن يغفرها له الشعب فهو أعدام تسعة وعشرين ضابطاً ومدنياً واحداً[٦٨] عقب حركة الشواف في الموصل، وسواء دفع للمصادقة على أحكام الاعدام أو اعتقد أن الأعدام سيقضي على التآمر في المستقبل ويردع الآخرين فقد ندم على قراره هذا، فبدأ يتودد إلى الضباط القوميين والتعاطف مع القوى القومية والإسلامية فلم يصادق على حكم عبد السلام عارف القاضي بإعدامه ثم أطلق سراحه في أيلول ١٩٦١ كما لم ينفذ الأحكام الصادرة بحق أعضاء حزب البعث الذين نفذوا عملية إغتياله وبدأ يردد في مناسبات كثيرة "الرحمة فوق القانون".

---

٦٨ ــ ليث عبد الحسن جواد الزبيدي ــ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ص ٤٥٤ ــ دار الرشيد للنشر ١٩٧٩.

٣ ـ استغلال النفوذ والاستثناءات:

آ ـ بدأ الحزب من الساعات الأولى بوضع أعضائه ومؤيديه في المراكز المهمة والحساسة على أساس الولاء للحزب والقرابة والصداقة بصرف النظر عن قابلياتهم ومؤهلاتهم. فلم يحفل بالقدم والسن والتجربة ولجأ إلى الترقيات الاستثنائية التي أدت إلى الحسد والتنافس وانخفاض الروح القتالية في الجيش.

أولاً: منح العقيد الركن المتقاعد عبد السلام عارف رتبة مشير (وهي رتبة لم يصلها ضابط من قبل في الجيش العراقي) ولم يكن ليحصل عليها إلاّ بعد خدمة عشرين عاماً أخرى على الأقل.

ثانياً: منح الرئيس الأول الركن صالح مهدي عماش رتبة فريق وعيّن وزيراً للدفاع، علماً انه قضى خدمته في المقرات (مديرية الاستخبارات العسكرية، قيادة القوة الجوية، الملحقية العسكرية في الولايات المتحدة) عقب تخرجه من كلية الأركان ولم يسبق له قيادة أية وحدة عسكرية.

ثالثاً: عين العقيد المتقاعد طاهر يحيى التكريتي رئيساً لأركان الجيش ومنح رتبة فريق، وطاهر يحيى ضابط خيال عمل فترة مرافقاً لأمين العمري، أظهر شجاعة في حرب فلسطين عند مهاجمة إحدى القلاع الحصينة وقاد كتيبة مدرعات لفترة طويلة ثم نقل إلى رئاسة المحكمة العسكرية، أحيل بعدها على التقاعد. إن منصب رئيس أركان الجيش أخطر المناصب وأهمها لذلك اشترط نظام وزارة الدفاع أن يكون من ضباط الركن القدامى وذوي الكفاءة، فهو الشخص الفني المسؤول عن تدريب الجيش وتنظيمه وتسليحه واعداده للقتال والمؤهلين لشغل مثل هذا المنصب يعدون على أصابع اليد، وقد يصلح الموما إليه لمنصب آخر في وزارة الدفاع لخدمته الطويلة وتجربته وخبرته الإدارية.

رابعاً: أصبح أحمد أمين محمود مدير شرطة الكاظمية ـ مديراً عاماً للشرطة ومنح رتبة فريق.

خامساً: منح عدد غير قليل من المدنيين أعضاء قيادة الحرس رتب رئيس وملازم، كما منح حارس أحمد حسن البكر المدني رتبة رئيس.

ب ـ اسند لعدد من المحامين والمعلمين مناصب مهمة فالمعلم عبد الله السلوم أصبح وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والمحامي يحيى ياسين أصبح متصرف لواء بغداد والمحقق العدلي علاء البكري أصبح مدير الداخلية العام والملاحظ شمس الدين كاظم أصبح مدير مصرف الرافدين العام والمحامي أسعد الفريح أصبح سكرتير مجلس الوزراء. هذا غيض من فيض ذكرته على سبيل المثال لا الحصر.

د ـ عين عدد كبير من الحزبيين في كل من الأمن ووزارة الخارجية ووزارة الإرشاد،

والخطوط الجوية العراقية... وكان رئيس الوزراء أحمد حسن البكر هو السباق إذ عين أكثر من عشرين شخصاً من أبناء تكريت في مديرية الأمن العامة كمخبرين ووكلاء وهو عمل هين لا يتطلب كفاءة أو اختصاص سوى موت الضمير وسرعان ما اقتدى به الآخرون وبالغوا في تعيين الأقارب والأصدقاء رغم عدم وجود شاغر وافتقارهم للمؤهلات وعدم وجود عمل محدد لهم فغصت الدوائر بهم وارتبكت الأعمال.

٤ ـ الوحدة العربية:

بدأ الحزب مفاوضاته مع الجمهورية العربية المتحدة حول الوحدة إذ شكل وفداً ضم بعض أقطاب الحزب وقادته، توجه إلى القاهرة استجابة لضغط القوى القومية وكسباً للتأييد الشعبي ريثما يحكم الحزب قبضته وهو في نفس الوقت في حاجة إلى دعم وتأييد مصر. لكن المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود بعد أن تأكد الرئيس جمال عبد الناصر عدم جدية الوفد المفاوض(٦٩) ورغبته في كسب الوقت.

٥ ـ المسألة الكويتية:

فرحت القوى القومية في الكويت بقيام ثورة ١٤ تموز في العراق وأبرق شيخ الكويت عبد الله السالم الصباح إلى العراق مهنئاً بالثورة التي قضت على خطط وسياسة نوري السعيد الهادفة إلى ضم الكويت للاتحاد العربي الهاشمي وتحملها نفقات الأردن المالية، وفي ٢٥ آب ١٩٥٨ بعث شيخ الكويت كتاباً إلى العراق يشرح فيه المصاعب التي مازالت تواجه الكويت بشأن استيراد المواد الغذائية من العراق والقيود المفروضة على تنقل الكويتي في القطر الشقيق وجاء رد العراق سريعاً مبيناً إن التعليمات صدرت لرفع القيود وإطلاق حرية التنقل واستيراد المواد الغذائية. وفي ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٨ زار شيخ الكويت العراق ليقدم التهنئة بنفسه وليتعرف موقف قادة الثورة ونواياهم ومضت العلاقة طبيعية بين الكويت والعراق وتبودلت الوفود التجارية والأقتصادية بين البلدين وعند إعلان بريطانية في ١٩ حزيران ١٩٦١ توقيعها على معاهدة الاستقلال مع الكويت، أبرق الزعيم الركن عبد الكريم قاسم إلى الكويت مهنئاً بإلغاء اتفاقية ١٨٩٩ (المزورّة) والتي أبرمت (دون علم

---

٦٩ ـ لقد ثمل علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراؤ العراقي وعضو الوفد المفاوض في احدى المراقص المصرية وكانت بجواره احدى الفنانات فسخر من الوحدة وسخّف المفاوضات والتقطتٍ له صورة دون أن يشعر بجوار الغانية وحدثني العقيد المهندس رجب عبد المجيد أن اللواء محمود شيت خطاب كان يلح في ضمه للوفد بحجة براعته في المناورة وقدرته على خداع عبد الناصر.

السلطات الشرعية في العراق) وتلاها مؤتمر عقده عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع في ٢٥ حزيران ١٩٦١ أثار فيه تبعية الكويت إلى العراق والأسس التاريخية التي يستند إليها وأبرز بعض الوثائق التاريخية التي تؤكد ذلك فتدهور الموقف بين البلدين العربيين الشقيقين والجارين وانتشرت الاشاعات بقرب غزو العراق للكويت وبدأ عبد الكريم قاسم فعلاً يستعد ويحشد القطعات لكنه عدل في اللحظة الأخيرة بعد أن اقتنع بخطورة الحل العسكري وجدوى أتباع الطرق السلمية.

ليس هذا مكان مناقشة دوافع عبد الكريم قاسم للإدعاء بحقوق العراق التاريخية في الكويت وضرورة عودتها إلى الوطن الأم والتهديد باستخدام القوة لكن لا أشك ان غنى الكويت وقلة نفوسها وعجزها عن حماية نفسها شجع عبد الكريم على التهور في تصريحاته ولم يقدر عواقبها ومهما كانت مبرراته فقد دفع الكويت إلى الارتماء من جديد في أحضان انكلترا وخلق أزمة عربية كادت تمزق الجامعة العربية ولولا وصول القوات العربية التي بلغ تعدادها (٢٣٠٠) جندي إلى الكويت في أيلول ١٩٦١[٧٠] لظلت القوات البريطانية فترة طويلة في الكويت، وهكذا انقطعت العلاقات الدبلوماسية بين الجارين العربيين وأستعرت حرب اعلامية ميدانها الإذاعة والصحافة.

وفي ٨ مارس في عام ١٩٦٣ أي بعد شهر من الإطاحة بعبد الكريم قاسم اعيدت العلاقات الودية بين العراق والكويت وبدأت مفاوضات تثبيت الحدود انتهت بإتفاق مشبوه وقعه عن العراق أحمد حسن البكر رئيس الوزراء[٧١] حصل بموجبه النظام العراقي على قرض كويتي ومبلغ ضخم من المال تقاسمه بعض قادة الحزب وشاركهم فيه رياض طه نقيب الصحفيين اللبنانيين الذي ساهم في إنجاح المفاوضات وعقد الصفقة[٧٢].

٦ ـ صراع ويأس:

إن قصر الفترة وهي بضعة شهور تمنعنا من مطالبة الحزب بتطبيق مبادئه وأهدافه وشعاراته حالاً فبناء الاشتراكية يتطلب دراسة عميقة متأنية يتلوها تأميم وإنشاء قطاع عام واسع وفعال ولابدّ ان يسبق ذلك إقامة المؤسسات والمصالح التي تهيمن وتدير هذه العملية المعقدة، لكن السلطة لم تخط خطوة واحدة لتحقيق المبادىء والشعارات التي وعدت بها

---

٧٠ ـ ليث عبد الحسن جواد الزبيدي ـ ثورة ١٤ تموز في العراق ـ دار الرشيد للنشر ١٩٧٩ ص ٣٥٤.
ليث عبد الحسن جواد الزبيدي ـ ثورة ١٤ تموز في العراق ـ دار الرشيد للنشر ١٩٧٩ ص ٣٥٤.

٧١ ـ يوسف الشهاب ـ رجال في تاريخ الكويت ـ الجزء الأول ١٩٨٤ ص ٣١٠.

٧٢ ـ حدثني عن تفاصيل الصفقة والمبالغ التي وزعت وزير مفوض عراقي تربطه بحردان التكريتي صداقة متينه التقينا في احدى العواصم الأفريقية اثناء رئاستي لوفد شعبي.

لقد أدى كل هذا إلى تململ في قواعد الحزب وسخط بعض قادته الأخيار بالإضافة إلى يأس الجماهير وانفصال الشارع عن السلطة.. وهكذا اتسعت الهوة وتعمقت بين الحكام والشعب ولم يعد النظام قادراً على ردمها أو إقامة الجسور. لقد فات آوان الترقيع وتعذر تسوية الخلافات في داخل الحزب وعاش الناس في خوف وقلق ينتظرون ما يسفر عنه الصراع.

الفصل الثالث

حركة ١٨ تشرين الثاني

في وزارة الأرشاد
الدستور المؤقت
القرارات الأشتراكية
الوحدة العربية
مؤتمر وزراء الأعلام
القضية الكردية
كتاب المنحرفون
مؤامرات
تصدع وخلافات
الأستقالة من الوزارة
مؤامرة فاشلة

١ ـ مبعوث من بغداد

حل شهر تشرين الثاني ١٩٦٣ ومضى الأسبوع الأول بسلام إذ لم يحدث الإنفجار المرتقب وظن الناس ان أزمة الحزب قد انتهت بعد أن أشاع النظام ان الحزب قد صفى خلافاته وحلّ مشاكله وبات الجميع بفارغ الصبر ينتظرون تدابير واجراءات السلطة لإعادة الأمور إلى نصابها... وفجأة اشتد الصراع بين أجنحة حزب البعث من جديد وظهر للملاء محوران:

المحور الأول: وهو يمثل الجناح المعتدل وغالبيته من العسكريين يطالب بالتصحيح وسيادة القانون. أما المحور الثاني وهو يمثل الجناح المتطرف وغالبيته من المدنيين ينادون بالقوة والحزم ويؤيد تصرفات الحرس القومي بحجة حماية النظام، وهكذا راح كل طرف يحشد أنصاره وأتباعه لفرض وجهة نظره بالقوة بعد أن تعذر التفاهم، وهرب الأمن وساد القلق والخوف.

وفي أواخر الأسبوع الثاني وقبيل المساء فيما كنت أهم بالذهاب إلى دار الضباط في الموصل لتناول وجبة العشاء هناك دق جرس الهاتف في داري المجاور لمطار الغزلاني في الموصل، فرفعت السماعة واتضح ان المتكلم عبد الرحمن الأرحيم ـ وهو صديق قديم تعرفت به منذ فترة طويلة وخلال عملي في مدرسة الحروب الجبلية في دهوك ونمت صداقتنا بعد انتقاله إلى الشورجة في بغداد ـ سألني عن صحتي وحالي ثم قال: فضلت الاتصال بك في مسكنك بدلاً من مقر قيادة الفرقة وأرغب الآن في زيارتك.. أجبته على الرحب والسعة وأنا في إنتظارك... وصل السيد عبد الرحمن بعد ربع ساعة فاستقبلته عند الباب وتوجهنا معاً إلى غرفة الجلوس وما أن جلس حتى بدأ حديثه قائلاً: إن الرئيس عبد السلام عارف قرر التخلص من الحرس القومي والقيام بحركة لتصحيح الإنحراف ووضع الأمور في نصابها و أناط لي مهمة إبلاغك وهو يرجو تأييدك ومشاركتك في العملية التي باتت

وشيكة، أجبته لقد تأخر كثيراً وأذعن ورضى وكان بوسعه أن يعترض أو يتدخل أو يهدد بالاستقالة على الأقل لكنه آثر الصمت ومثل دور النعامة وحرص في الوقت نفسه على إرضاء أقطاب الحزب ليبقى في منصبه ومرت بذهني حادثة سابقة أثناء زيارته للموصل مع وزير الدفاع صالح عماش حين غضبت لرفض تدخله في شؤون الفرقة وطلبه منيّ الاستقالة وأردفت قائلاً أنني لا أثق به ولا أطمئن إليه رغم إيماني بضرورة التصحيح ولكن لا على يد عبد السلام عارف فأنا أعتبره يساهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في تردي الأحوال واستشراء الفساد وطال الحوار وأمتد أكثر من ساعة وأخيراً قال إن احجامك قد يؤدي إلى صرف النظر عن الحركة المزمعة أو تأجيلها لفترة طويلة.. لذت بالصمت بضع دقائق.. أدركت خطورة القرار وتبين لي ضرورة المشاركة لانقاذ الوطن..قلت: أوافق على المشاركة.. نظر إليّ ثم قال ولكن الرئيس أوصاني بالاتفاق على كلمة رمزية معك حول طلب مساهمتك المباشرة فماذا تقترح قلت له "شهامة" هذه كلمة السر بيني وبينه وبعد قليل خرج.

... ثم توجهت إلى النادي لتناول وجبة العشاء وفي الطريق بدأت أفكر في أمور كثيرة.

٢ ـ تقدير الموقف ووضع الخطة

تناولت وجبة العشاء بسرعة في دار الضباط، إذ قررت العودة مبكراً إلى داري، وما ان ركبت في السيارة حتى بدأت أفكر في المرحلة القادمة والقريبة والمعضلات التي تواجه الفرقة وكيفية التغلب عليها...

وصلت الدار بعد ربع ساعة شرعت بتقدير موقف توصلت بعده إلى خطة بسيطة ومرنة حددت فيها المهمات والواجبات واخترت لها الضباط ودونت أسماءهم في مفكرتي التي أحملها في جيبي بناء على انطباعاتي الخاصة ودراستي لنفسياتهم واتجاهاتهم خلال الأشهر السابقة.. كانت المعضلات هي:

آ ـ السيطرة على الموصل.

ب ـ تجريد الحرس القومي من سلاحه.

جـ ـ إدامة الفعالية والنشاط ضد الثوار الأكراد وعدم إظهار أي ضعف أو تهاون أو فتور.

د ـ معاونة بغداد إذا دعت الحاجة.

هـ ـ رد فعل قوات اليرموك السورية واحتمال تدخلها لنصرة الحرس القومي.

خلعت ملابسي واستلقيت على الفراش وأعدت النظر مرة أخرى بتقدير الموقف والخطة والواجبات والتوقيتات التي تبدأ في يوم (س) ثم وضعت نفسي في مكان العدو كآخر

فحص للخطة وتصورت سير الأحداث المتوقعة وعملي كقائد فرقة وحاكم عسكري وأخيرا أقتنعت بصواب الخطة وأخلدت إلى النوم..

مضى اليوم التالي بهدوء وسارت الأمور كما قدر لها وتلا ويوم ثالث ورابع.. وأنا انتظر بقلق بالغ إشعاراً من بغداد... وفجأة وبعد تناول الغداء في مطعم الضباط دق جرس الهاتف السري (سكرفون) في مقر الفرقة وكان المتكلم صبحي عبد الحميد مدير الحركات العسكرية سألني عن الموقف العسكري في قطاع الفرقة ثم قال: "هل لديك جهاز هاتف سري (سكرفون) في الدار..." قلت لا.. هذا هو الجهاز الوحيد لكن سأنقله معي بعد انتهاء الدوام.. لقد فهمت كل شيء فلم أسأله ولم يقل سوى هذه الجملة.. وضعت السماعة في مكانها وفكرت بضع دقائق ثم استدعيت رئيس أركان الفرقة ومدير المدفعية..طلبت اعداد قوة متوازنة من فرسان صلاح الدين يلحق بها بطارية مدفعية مع مجس جوي لتطهير المنطقة الواقعة شمال قرية (مريبة). تتحرك القوة فجر الغد ويرافقها مدير المدفعية كمستشار فني على أن تعود بنفس اليوم وعينت القرى المعادية على الخريطة.. خرج الاثنان وشرع رئيس أركان الفرقة بكتابة الأمر ثم طبع ووزع.. انتهى الدوام فطلبت نقل الجهاز وتركيبه في داري ثم توجهت بالسيارة وكان معي رئيس الأركان إلى دار الضباط.. لم أبق طويلاً في دار الضباط بل فضلت العودة إلى داري إذ كنت أتوقع اشعاراً أو نداءً من بغداد..

٣ ــ يوم طويل حاسم وحافل

استيقظت فجر ١٨ تشرين الثاني.. فتحت المذياع.. سمعت بيان الحكومة حول حل الحرس القومي ومنع التجول.. ارتديت ملابسي العسكرية.. ركبت في السيارة بعد ان حددت للسائق الطريق الذي سيسلكه والساحات التي يمرّ بها كما حذرته من الوقوف أو تقليل السرعة... مررت بعدة ساحات ومفارق طرق يحتلها الحرس القومي وكان أفراده يرتدون ملابسهم الخاصة ويحملون البنادق. كان مروري مفاجئاً لهم، لم يتوقعوه.. لقد تعمدت ذلك لأعرف الموقف داخل المدينة وللتأثير على معنوياتهم، لكني لم أعد من نفس الطريق لاعتبارات أمنية بل سلكت طريقاً آخر قادني إلى مقر الفرقة في معسكر الغزلاني.. لقد اتضح لي أن الحرس يسيطر على المدينة وانه قد أنذر وشرع بإجراءات مضادة قبل إذاعة البيان بالتعاون مع الحزبيين في الجيش والشرطة.

دخلت مقر الفرقة ولمّا يبدأ الدوام الرسمي.. ناديت ضابط الخفر وأمليت عليه برقية موجهة إلى المقدم الركن محمود عزيز آمر كتيبة دبابات المثنى عينته بموجبها حاكماً عسكرياً لمدينة الموصل فقط استناداً إلى الصلاحيات المخولة لي وبناء على الظروف الراهنة وطلبت منه الإلتحاق فوراً بمقر الفرقة لتلقي الأوامر والتوجيهات.. وقعت البرقية بعد طبعها

ثم حملها ساعي دراجة الية إلى بيته.

إلتحق محمود عزيز بمقر الفرقة، أخبرني المرافق بوصوله فأستدعيته.. قلت له انني أعتمد عليك وسأعهد إليك بمهام كثيرة فكن قريباً منيّ ولا تغادر مقر الفرقة إلا بعد إخباري.. وهكذا شلّ وجمدّ عنصر مهم كان الحرس القومي يعدّه للسيطرة على مقر الفرقة. طلبت من المرافق جلب جهاز التلفون السري (السكرفون) من داري.

رنّ جرس الهاتف فرفعت السماعة.. طلبت دائرة الأركان العامة إرسال طائرتين لقصف مطار الحبانية[٧٣] اتصلت بآمر القاعدة الجوية عقيد الجو أحمد رشيد لتنفيذ المهمة.. مضت أكثر من نصف ساعة ولم تقلع أية طائرة فالمطار قريب من مقر الفرقة كما إن الطائرات في حالة إنذار على المدرج.. اتصلت مرة ثانية به.. كان جوابه ينم عن خوف وإرتباك.. توجهت إلى القاعدة بنفسي مع مدرعة.. دخلت مقره فجأة فوجدت آمر الحرس القومي الملازم الأول ناظم الزبيدي وآمر الانضباط الملازم الأول صبحي عبد الله. وكان الأخير حزبياً فعّالاً وعتيقاً طلبت من الاثنين الذهاب إلى مقرهما لأن الظروف تستدعي وجود كل شخص في مكانه.. أديّا التحية وخرجا.. ارتاح آمر القاعدة لخروجهما وتبدد خوفه وقلقه.. غادرته بعد أن أبقيت المدرعة بجوار مقره لحمايته ورفع معنوياته.. وصلت مقر الفرقة.. رن جرس الهاتف.. عدلت وزارة الدفاع عن قصف مطار الحبانية وصرف النظر عن إرسال الطائرة وبلغ آمر القاعدة بذلك.

وبعد قليل دخل المرافق ليخبرني إن الرئيس الأول غانم السماك آمر سرية الحراسة يرغب بمقابلتي، أجبته ليتفضل الآن.. دخل الغرفة فأدى التحية العسكرية ثم قال: سيدي لدي الآن (٢٠٠) جندي على تمام الاستعداد لتنفيذ أية مهمة تطلبها.. شكرته وقلت له سأستعين بك وبالجنود عندما تدعو الحاجة كما طلبت منه البقاء بمقر الفرقة.. حيا وانصرف.

إلتحق بمقر الفرقة ضابط برتبة ملازم أول ينتسب للكلية العسكرية انتهت إجازته وتعذر سفره فعينته آمراًالانضباط العسكري لغياب الآمر الأصلي وطلبت منه التوجه فوراً لتولي مهمته.. أتصل بي هاتفياً آمر قاعدة الموصل الجوية ليخبرني بمشاهدة أحد الطيارين أثناء رجوعه من مهمته، مدرعتين غادرتا قاطع الشيخان تتجهان إلى الموصل ويقترح ضربهما بالصواريخ.. لم أوافق على الاقتراح لكنّ قدرت ان المدرعين ستتوجهان إلى مقر الانضباط في الثكنة الحجرية وهي قلعة قديمة بناها العثمانيون لذلك طلبت من رئيس أركان الفرقة

---

٧٣ ــ أقلع الرئيس الطيار منذر الونداوي بطائرة توجه بها الى بغداد فقصفت القصر الجمهوري ومطار الرشيد والقاعدة الجوية ودمّر عدداً من الطائرات الأمر الذي أضطر رئاسة اركان الجيش الى الأستعانة بقاعدة الموصل الجوية.

إخبار الانضباط بتوجه المدرعتين وطلبت منه صعوده وأفراد الانضباط إلى سطح القلعة ريثما أعالج الموقف.

اتصلت هاتفياً بقاطع دهوك وطلبت من آمر اللواء الرابع عشر العميد الركن طه محمد أمين إرسال بضع دبابات إلى الموصل فوراً وسيلاقيهما عند مدخل المدينة المقدم الركن طارق ناجي من مقر الفرقة.

دخل رئيس أركان الفرقة العميد الركن أحمد توفيق الصائغ وكان بادي الارتباك قال: لقد اتصلت هاتفياً بداري في مدينة الضباط ببغداد فتبين ان الوضع خطير كما أتصل بي منذ قليل المقدم نعيم عبد النبي آمر الفوج المكلف بالسيطرة على قلب مدينة الموصل وأفاد إن النار تنصب عليه بغزارة من الأبنية المجاورة وهو يطلب النجدة.. وأخيراً قال اقترح ان تطلب قوة إضافية من بغداد.. استغربت اقتراحه وانهيار معنوياته قلت له: كيف أطلب العون من بغداد وأنت تقول ان الوضع هناك خطير؟ إما آمر الفوج فمبالغ وخائف وسأعالج الأمر بنفسي.. لم يرق رئيس الأركان لأجابتي محيّا وانصرف.

استدعيت المقدم طارق ناجي.. قلت له: اذهب الآن إلى مقر القاعدة الجوية واركب طائرة هلكوبتر اتجه بها على طريق الموصل ـ دهوك وعند مشاهدتك أول دبابة قادمة اهبط، واركب في الدبابة واتجه إلى مقر الانضباط بأقصى سرعة ثم اتصل بعدئذ بمقر الفرقة لتخبرها بالموقف.

توالت الأحداث بسرعة وانكشفت أمور كثيرة دبرت في ليل وتبين تواطئو بعض الضباط ورجال الشرطة مع الحرس القومي وسرى الخوف إلى بعض النفوس.. كان لابدّ من تدخلي والتصرف بحزم وجرأة وقسوة إذا استدعيت الأمور وشرعت بإصدار الأوامر من قبلي مباشرة إلى المسؤولين في جميع المستويات.

أمرت بإحضار العميد مجيد سعيد مدير مدفعية الفرقة والمرافق لقوة تطهير (مريبة) على الجهاز اللاسلكي للتكلم معه.. اتضح ان القوة انجزت مهمتها وهي في طريق العودة إلى الموصل.. طلبت منه الإسراع ومعالجة قوة من الحرس القومي تسيطر على مدخل مدينة الموصل.. دخلت الدبابات مدينة الموصل بقيادة المقدم الركن طارق ناجي وتوجهت إلى مقر الانضباط العسكري في الثكنة الحجرية.

إلتحقت المدرعتان اللتان قدمتا من قاطع الشيخان بمقر الفرقة بعد أن هرب الملازم الأول صبحي عبد الله آمر الانضباط وموفق عسكر أحد أقطاب الحرس القومي الذي سبق أن توجه إلى القاطع المذكور وجاء بالمدرعتين بالاتفاق مع العقيد صعب حردان آمر قاطع الشيخان.. طلبت من ضابط استخبارات الفرقة الرئيس الأول الركن صكبان طاغي صرف خمسة دنانير لكل ضابط صف وجندي من اعداد المدرعتين من مخصصات الاستخبارات في الحال.

أمرت المقدم الركن طارق ناجي قائد مجموعة الدبابات بالتوجه إلى بناية البريد المركزية وتطويقها حيث يعتصم بها مجموعة من الحرس القومي وعدم فتح النار إلا بأمر مني مباشرة.

عادت بطارية المدفعية التي اشتركت مع قوة من فرسان صلاح الدين لتطهير منطقة (مربية) وأسرت في طريقها جميع أفراد الحرس القومي المسيطرين على مدخل المدينة.. كان عددهم حوالي خمسة عشر.. جردوا من أسلحتهم وحجزوا في احدى الغرف مؤقتاً بالقرب من مقر الفرقة.

أعلمني ضابط استخبارات الفرقة بإتصال مقر الحرس القومي في الموصل هاتفياً بالعقيد الركن فهد الشاعر قائد قوات اليرموك السورية يهب به بنجدة الحرس القومي في الوقت الذي يسعى قائد الفرقة للسيطرة على الموصل..

اتصلت برئاسة أركان الجيش في وزارة الدفاع لأطلعها على خلاصة الموقف بعد أن تمت السيطرة التامة على مدينة الموصل بإستثناء مجموعة من الحرس القومي تعتصم في الطابق العلوي من بناية البريد المركزية فيما الدبابات تطوق البناية.. بالوسع تدمير البناية والفتك بالمعتصمين لكنيّ شديد الحرص على الارواح وصيانة المؤسسات ولن تفتح الدبابات نيرانها مهما طال الحصار.. لقد اخبرت بغداد بالموقف.. أطلب منكم الذهاب الان كوفد للتفاوض مع المعتصمين على اخلاء البناية ولن يصيبهم أذى او ملاحقة وليس هناك مايمنع من مجيء وفد منهم للمفاوضة للاتفاق على حلٍ معقول ومشرف شأن الفرسان... خرج وفد المفاوضة تقله احدى سيارات الجيش متجهاً الى بناية البريد المركزية...

دخل ضابط استخبارات الفرقة ليخبرني أن العقيد صعب حردان موجود في مكتبه منذ بضع دقائق وقد جاء بعدما سمع بوصول ابنه (غازي) لمدينة الموصل أستغربت من مجيئه وتركه لمعسكر الشيخان، وكيف تسنى لابنه ان يغادر بغداد رغم توقف السفر وسريان منع التجول..لماذا لم يتصل بالفرقة قبل مغادرة الموقع..!؟

أنني أشك في زعمه ولابد أن هناك دافع آخر لمجيئه.. طلبت من ضابط الاستخبارات إجراء تحقيق أولي معه وسؤاله عن كيفية مغادرة المدرعتين للمعسكر...حيا ضابط الاستخبارات وانصرف.

عاد المقدم الركن محمود عزيز من مهمته واخبرني أن المعتصمين وافقوا على أخلاء بناية البريد المركزية في خلال ساعة ونصف وقبل انهاء المدة طلبوا تمديدها فوافقت ثم أخليت البناية حوالي الساعةالثالثة.

عاد ضابط الاستخبارات وأوجز لي أقوال العقيد صعب حردان فلم اقتنع بها وطلبت حضوره، خرج وعاد الاثنان.

وجهت عدة أسئلة للعقيد كان أولها:

أتضح من السجلات الموجودة في آمرية الانضباط العسكري دفعك لاشتراك شهري الى الملازم الاول الهارب صبحي عبد الله وانضمامك لحزب البعث وقد أيد ذلك ترك المدرعتين لمعسكر الشيخان.

إنهار بسرعة ... ثم تلاحقت الاسئلة فبدأ يتوسل ويطلب الصفح وبرر تصرفاته بالخوف من الحزب. وأخيراً أعترف انه قدم ليعرف مصير مدير الشرطة حامد العاني بناء على طلبه..وأخيراً سمحت له بالانصراف وطلبت منه الالتحاق بالمعسكر فوراً وعدم مغادرته ... كما أوعزت الى ضباط الاستخبارات بالاطلاق سراح الحرس القومي المحتجزين في الفرقة.

بلغني أن بعض العناصر القومية والاسلامية تخطط للإنتقام من افراد الحرس القومي فاستدعيت بعض الشخصيات البارزة من الموصل لاجتماع عاجل في مقر الفرقة حضره ايضاً رئيس اركان الفرقة العميد الركن أحمد توفيق الصائغ والعقيد يوسف كشمولة آمر موقع الموصل والمقدم الركن محمود عزيز باعتبارهم من ابناء الموصل... قدمت القهوة العربية للمجتمعين ثم بدأت حديثي قائلاً: لقد هدأت الحالة واستقر الوضع وعاد الامن الى ربوع الموصل وانتهى دور الحرس القومي وطويت صفحة حافلة بالعنف والمرارة.. أن مايهمني الان هو أمن المواطن وكرامته بصرف النظر عن انتمائه الحزبي... لقد حرصت قيادة الفرقة على عدم سفك الدماء، وتحلى جنودها بالانضباط والصبر رغم مقتل أربعة من أخوانهم أحدهم نائب ضابط بينما لم تقع اية إصابة بينافراد الحرس القومي.. إن الانتقام أو الثأر يحول المدينة الى غابة يتحكم بها الظفر والناب لذلك أود أن أبين لكم أيها الاخوة أني كقائد للفرقة وحاكم عسكري لمنطقة الموصل مسؤول عن سلامة وامن جميع المواطنين يستوي في ذلك اعضاء حوب البعث وغيرهم من ابناء الموصل ولابد من تعاوننا جميعاً واداء كل مسؤول لواجبه بحرص وامانة كي يسود النظام والقانون ..ايدّ الحاضرون وجهة نظري ومدح أحدهم موقف الفرقة وحسن تصرفها وادارتها .. شكرت الحاضرين على مجيئهم ثم انصرفوا...

٤ ـ في ضحى يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٦٣ ذهبت لحضور الفاتحة المقامة على روح النائب الضابط في دار والده وتبين أن قاتله يدعى ممتاز قصيرة طالب في الكلية الطبية وأحد أفراد الحرس القومي وقد تمّ القبض عليه وأودع في التوقيف وبعد قليل من عودتي إلى مقر قيادة الفرقة اتصل هاتفياً صبحي عبد الحميد من وزارة الدفاع قائلاً: إن الرئيس عبد السلام عارف قرر ضمّك إلى الوزارة الجديدة وهو يرغب في الوقوف على وجهة نظرك والوزارة التي ترغب في توليها.. ثم مضى قائلاً إن عارف عبد الرزاق قد وافق على قبول وزارة الزراعة بالإضافة إلى ضباط آخرين.. استغربت الطلب وسرعة القرار وبعد حوار أجبته ما دام هناك اجماع فأنا أرغب في وزارة الخارجية وقد دفعني إلى طلبي الدور المنتظر أن تلعبه هذه الوزارة في مفاوضات الوحدة المقبلة مع الجمهورية العربية المتحدة والتي أتوقع أن تبدأ فوراً.

وبعد ثلاث ساعات اتصل هاتفياً العقيد الركن محمد مجيد ليخبرني ان الضباط

القوميين لا يرغبون في ترك الجيش ويحبذون توليك منصب رئاسة أركان الجيش.. عجبت لهذا التناقض وتباين وجهات النظر.. لا أدري أهو بداية انقسام.. أم نقص في التنسيق وعدم التشاور؟ ثم أجبته منفعلاً.. لماذا لا تتداولون وتتفقون على رأي واحد ونحن في بداية مرحلة جديدة وهامة؟.. ثم تخبروني بخلاصة ما تتفقون عليه علماً أنني في الموصل وأنتم في بغداد وبوسعكم التشاور والاتفاق على رأي محدد وثابت.. ومهما يكن من أمر فسأحاول تحقيق رغبة الأخوان القوميين.

مضت نصف ساعة على المكالمة وأنا دائب التفكير للتوصل إلى حل ملائم ثم اتصلت هاتفياً بطاهر يحيى وأخبرته بعدولي عن تولي منصب وزير الخارجية ورغبتي في البقاء في الجيش وأفضل تولي منصب رئيس أركان الجيش.. ثم رجوت منه اقناع الرئيس عبد السلام عارف باسم المصلحة الوطنية والقومية.

وقبيل المساء اتصل هاتفياً صبحي عبد الحميد وأخبرني برغبة الرئيس بمشاركتي في الحكومة فرفضت وحاول اقناعي فتمسكت برأي ثم اتصل بعده العميد رشيد مصلح راجياً مني قبول المنصب الوزاري بإسم المصلحة الوطنية وضرورة ان تضم الحكومة الجديدة عناصر كفؤة وقادرة وأضاف انه سيشترك هو نفسه في الحكومة أيضاً ولما يئس من اقناعي تحدث معي عبد السلام عارف فقال بعصبية واضحة لماذا لا تشترك في الحكومة وتصرّ على البقاء في الجيش...؟ أجبته إن خدمة الوطن واجب مقدس وعلى الشخص أن يختار الميدان الملائم تبعاً لمؤهلاته وقابلياته وأنا أفضل البقاء في الجيش بدلاً من ولوج ميدان جديد احتاج بعض الوقت لمعرفته وتبينّ طريقه وقد أساهم في بناء الجيش وتطويره بعدما تعرض له من أحداث وأزمات.. وطال الحديث وأخيراً قال محتداً: "تعال بمكاني صير رئيس الجمهورية" فأجبته لا أريد منصب رئيس الجمهورية ولا أطمح فيه وكل ما أريده أن أخدم وطني.. ثم انقطعت المكالمة.. وقبلت مكرهاً تجنباً لأحداث أزمة في ظروف غير اعتيادية.

وفي اليوم الثاني انتشر النبأ في الموصل وجاء المهنئون إلى مقر الفرقة ثم أقامت الفرقة مأدبة حضرها عدد كبير بهذه المناسبة.

وفي المساء ذهبت إلى مطار الموصل للتوجه إلى بغداد بطائرة (الأوكرانية) وقد حضر لتوديعي عدد كبير وكان آخر من تحدثت معهم على انفراد هم: العميد شاكر السامرائي آمر اللواء الأول، والعميد الركن طه محمد أمين آمر اللواء الرابع عشر والعميد الركن أحمد توفيق الصائغ رئيس أركان الفرقة.. شرح لي كل منهم ظروفه ورغبته وكان الأخيران يطمحان في تولي منصب قيادة الفرقة فوعدتهم خيراً وبذل كل ما أستطيع لمعاونتهم علماً ان الانسجام كان مفقوداً بين هؤلاء الثلاثة وكان تنافسهم على أشده.

أقلعت الطائرة ثم هبطت في معسكر الرشيد وكان في انتظاري كل من الدكتور شامل السامرائي والدكتور عبد الكريم هانيء فذهبت رأساً إلى مجلس الوزراء ببدلتي العسكرية

وتبين لي ان وزارة الارشاد قد أسندت لي بدلاً من وزارة الداخلية بينما أنيطت وزارة الخارجية بصبحي عبد الحميد.. عجبت لهذا التغيير المفاجىء.. تظاهرت بالهدوء والرضا تجنباً لخلق أزمة لاسيما وان صبحي عبد الحميد صديقي وكلانا نؤمن بنفس الأهداف والمبادىء.. كانت مناورة قام بها عبد السلام عارف لإبعادي من وزارة الخارجية لصعوبة التعامل معي وظناً منه ان صبحي سهل ومرن لا يقوى على تحديّه ولشق الضباط القوميين وإظهارهم بمظهر المتنافسين الراكضين وراء المناصب.. والظاهر ان صبحي عبد الحميد كان يطمح في هذا المنصب ووجد الفرصة سانحة حين رفضت المساهمة في الحكومة وأصررت على البقاء في الجيش.. وتبين لي أخيراً ان وزارة الإرشاد قد عرضت على الدكتور عبد العزيز البسام فاعتذر لأسباب وجيهة ومقنعة.

داومت في وزارة الإرشاد صباح يوم ٢١ تشرين الثاني والتي كانت تشغل عمارة تعود لمديرية الأوقاف العامة.

في وزارة الإرشاد

مرت ثلاثة أيام على عملي في الوزارة كانت حافلة بكثرة المراجعين وبعضهم من المهنئين، وكنت قد طلبت من السكرتيرة الترحيب بجميع المراجعين بصرف النظر عن ماهية المراجعة وعلاقة الوزارة بها فقد كانت الظروف استثنائية وقد لحق بالمواطنين أذى وظلم خلال الشهور العجاف السابقة ونسجت على هذا المنوال طيلة وجودي في الوزارة المذكورة فالوزراء متضامنون وشركاء في المسؤولية.. وفي اليوم الثالث عقدت مؤتمراً صحفياً حضره صحفيون عراقيون وعرب وأجانب، أجبت فيه على أسئلتهم بإختصار.. لقد تعمدت ان تسير أمور الوزارة كالسابق دون تغيير أو تبديل ريثما يتاح لي الوقت الكافي للإطلاع على شؤون الوزارة وأحوال الموظفين وأخيراً وضعت خطة العمل للمرحلة المقبلة بموجب الأسبقيات التالية:

١ ـ إعادة النظر بالموظفين والتخلص من الزائدين عملاً بمقولة (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب).

٢ ـ اصلاح الإذاعة وتطويرها لتؤدي مهمتها.

٣ ـ وضع قانون ونظام جديدين للوزارة يبرز دورها في بناء المواطن وتوعية الجماهير والتعريف بالعراق الحديث ودور الإسلام والعرب في بناء الحضارة الإنسانية.

٤ ـ الانتقال إلى عمارة ملائمة من حيث الموقع والمرافق، فالبناية الحالية لا تصلح لوزارة ذات صلة بالجماهير ترعى شؤون الفن والثقافة أخذت على عاتقها توجيه الناس وإرشادهم، كانت الوزارة تشغل معظم عمارة (الدفتر دار) ذات الطوابق المتعددة وتقع في قلب بغداد التجاري والمالي حيث يلتقي شارع البنوك بشارع النهر وهي أكثر مناطق بغداد ازدحاماً

وضجيجاً وحركة لكثرة المخازن والمتاجر.. لقد استغربت من اختيار الوزارة لها.. فليس هناك رحبة لوقوف السيارات وشارع النهر ضيق جداً لا يصلح إلاّ لمرور سيارة واحدة وباتجاه واحد اضافة إلى وجود مكاتب ودوائر أخرى تشارك الوزارة في العمارة المذكورة علماً ان الوزارة استأجرت الطابق العلوي أيضاً لاستخدامه كنادي ومقصف لتناول المرطبات والسمر خارج أوقات الدوام وكان ايجارها السنوي (١٢٠٠٠٠) اثنى عشر ألف دينار وهو مبلغ كبير غبنت فيه الوزارة.

كانت الوزارة تضم عدداً كبيراً من الموظفين يزيد عن حاجتها جاءت بهم الحزبية وصداقتهم لبعض المسؤولين وكان بعضهم لا يمارس أي عمل سوى شرب الشاي والقهوة والتنقل بين المكاتب والدوائر للتحدث وتبادل الآراء.. كانت المراكز الحساسة والمناصب الهامة مشغولة بحزبيين متحمسين.. فشاذل طاقة يرأس وكالة الأنباء التي جعل منها (سوق عكاظ) وشفيق الكمالي مدير عام في الوزارة ويحيى الدارمي محامي سابق وصديق حميم للوزير يشغل مركزاً هاماً في مقر الوزارة، أما مديرية الإذاعة والتلفزيون أخطر مؤسسات الاعلام فكانت في غاية التردي والسوء سواء من حيث الكفاءة أو السمعة، ناهيك عن مصلحة السينما والمسرح. وكان السيد بهجت شاكر وهو معلم من تكريت يرأس تحرير جريدة الجماهير يعاونه طارق حنا عزيز وآخرون..

كان الارتجال واضحاً، ولقد لعبت العواطف والأهواء دوراً مهماً في التعيينات واسناد الوظائف والقرارات.. فسلطة الوزير لا تعلوها سلطة وهو لا يتقيد بنظام أو قانون بسبب مركزه ومكانته الحزبية وانعكس ذلك على بقية أقطاب الحزب في الوزارة فخرجوا على التعليمات ولم يحفلوا بنظام أو قانون.. كانت الوزارة في الحقيقة احدى قواعد الحزب ومرتكزاته فولاء الموظفين للحزب ولعلي السعدي أمين سر القيادة القطرية كان واضحاً في تشكيلة موظفي الوزارة.

تغييرات في المناصب واعادة الموظفين الزائدين

كان كل شيء في الوزارة يتطلب اعادة النظر والتصحيح لتؤدي رسالتها الاعلامية والثقافية والفنية على أحسن صورة، ولابدّ من اجراءات سريعة أما تنفيذ الخطة فسيأتي تباعاً وبموجب الاسبقيات المقررة.

كنت شديد الحرص على التخلص من الموظفين الزائدين الذين أصبحوا عبئاً على الوزارة بنقلهم إلى أماكن آخرى تناسب مؤهلاتهم وبالاتفاق مع المدراء المسؤولين فأنا أكره تحطيم مستقبل إنسان أو قطع رزقه لهوى أو رغبة في الإنتقام، لذلك استدعيت مدير وكالة الأنباء السيد شاذل طاقة إلى مكتبي أكثر من مرة لنتفق ونتفاهم على أسلوب التخلص من الموظفين

الفائضين عن الحاجة بإعادتهم إلى وزارة التربية تنفيذاً لابلاغ مجلس الوزراء الذي طلب عودة المعلمين والمدرسين إلى وزارة التربية. أما جريدة الجماهير فقد اتخذت موقفاً معادياً لحركة تشرين الثاني منذ اللحظات الأولى فتوقفت عن الصدور لاعذار واهية رغم حرصي على أهمية استمرار صدورها لتعبر عن العهد الجديد وتطمئن الجماهير وتكسب ثقة المواطن وكنت أمل أن تثمر جهود يحيى الدراجي الذي أخذ على عاتقه الاتصال بإدارة الجريدة ووعد بقرب صدورها متجاوبة مع الحركة حتى انه كتب المقال الافتتاحي كما كلمني هاتفياً رئيس الوزراء طاهر يحيى راجياً الابقاء على بهجت شاكر ووعد بالتزامه بخط وأهداف الحركة وتعددت مكالماته وكنت أحس ان بهجت شاكر كان وراء هذه المكالمات لصلته الوثيقة برئيس الوزراء وشعوره بقرب نقله.. أما الإذاعة والتلفزيون فقد انتدب إليها المقدم عبد الستار رشيد من وزارة الدفاع بناء على اقتراح حردان التكريتي وزير الدفاع وتزكيته للشخص المذكور..

واخيراً اضطررت إلى التدخل شخصياً فنقل أربعين في المائة من موظفي وكالة الأنباء إلى وزارة التربية وصدرت الجريدة يوم ١١/٢٥ بعد أن بدّل اسمها وأصبح (الجمهورية) وغيرت هيئة تحريريها وطعمّت الوزارة بأساتذة من جامعة بغداد أمثال الدكتور أحمد شاكر شلال والدكتور يوسف عز الدين والدكتور أحمد مطلوب وانتداب الأستاذ حقي الشبلي من جامعة بغداد ليرأس مصلحة السينما والمسرح.

مديرية الإذاعة والتلفزيون

كانت هذه المديرية تشغل بناية صغيرة أنشئت قبل أكثر من ثلاثين عاماً تقع على الشارع الرئيسي في محلة الصالحية بجانب الكرخ وقد أضيفت إليها بعض الغرف و(الاستديوهات) وبخاصة بعد ادخال البث التلفزيوني.. ثم قررت الوزارة في عهد السيد علي صالح السعدي انشاء (استوديو انتقالي) كبير بناء على توصية الخبير المصري ريثما تنشأ بناية جديدة واسعة تضم جميع المؤسسات الاعلامية كما تعهد الوزير بتدبير المال من مالية الحزب لشراء جهازي فيديو من الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كان البث التلفزيوني ينقل (حيّاً) ومباشرة من الاستديو الصغير. أما الحفلات والمناسبات فتقوم بنقلها سيارة خاصة أهدتها احدى الحكومة الغربية للعراق. لذلك طلبت مواصلة العمل بسرعة لإكمال (الاستديو الانتقالي) وأمنت ثمن جهازي الفيديو من مخصصات الإذاعة وأبرقت الى المديرية بشحنهما فوراً وقد تم في هذه الأثناء إنشاء غرفة لنصب الجهازين فيهما بزمن قصير وبكلفة منخفضة وبدأ التلفزيون يستخدم الوسيلتين في إرساله أي النقل المباشر والمسجل.

كانت الإذاعة بحاجة إلى علاج سريع وجذري فقد استشرى فيها الفساد والاستغلال

كما تبين ضعف المدير الجديد وتردده في اتخاذ اجراءات حاسمة، ومحاولة وزارة الدفاع الهيمنة على المديرية عن طريقه. كانت هناك مجموعتان استأثرتا بالمغانم والمخصصات، تطفلت الأولى على الفن والأدب وأصبحت تقدم أكثر من برنامج يومي هزيل، أما المجموعة الثانية فتتولى اختيار الأفلام وتأجيرها (لعرضها في التلفزيون) لمدة قصيرة. كان الإيجار أكثر من ثمن الفيلم وكان الفيلم يعاد لمالكه دون ان يعرضه التلفزيون لقصر المدة ولتواطؤ المسؤولين في التلفزيون حيث ان عرضه في التلفزيون لأول مرة يفوت على الوكلاء وأصحاب السينما الربح المأمول عند عرضه للمرة الثانية في السينما.. أضف إلى ذلك ان سمعة بعض الفنانات والمذيعات تستوجب الاستغناء عن بعضهن برفق وأناة فالقضية مهمة وحساسة ولابدّ من التروي والتثبت ولقد أدى هذا إلى انزواء الفنان الأصيل حفظاً لكرامته وصوناً لسمعته. إن سمعة الإذاعة ومكانتها ورأى الجمهور فيها في غاية الأهمية ولا مفر من تطهير الوسط الفني ليتقدم الفنان والمذيع والأديب الذي أحجم وانزوى. لقد استغل بعض المسؤولين منح المخصصات والأجور استغلالاً دنيئاً بعيداً عن الأخلاق والمعايير وتبعاً لمزاجهم ورضاهم. وهكذا اضطررت إلى اتخاذ الإجراءات التالية:

١ ـ ألغى انتداب مدير الإذاعة والتلفزيون وأعيد إلى وزارة الدفاع ومعه ضابط آخر حاول عبثاً كسب ثقتي بتقديم تقرير مفصل تناول العنصر النسائي دون أن يطلب منه ذلك.

٢ ـ تولى السيد عبد اللطيف الكمالي مديرية الإذاعة والتلفزيون وكان من قبل ملحقاً صحفياً في إحدى دول شمال افريقية.

٣ ـ تم التعاقد مع مؤسسة الإذاعة والتلفزيون المصرية على شراء أفلام للتلفزيون العراقي تختارها لجنة عراقية خاصة بسعر (١٥٠) ديناراً للفيلم الواحد ثمّ تدخلت شخصياً لتخفيض السعر فوجهت المؤسسة المذكورة كتاباً إلى مديرية الإذاعة والتلفزيون العراقية تعلمها بتخفيض ١٠٪ عشرة في المائة من ثمن الأفلام وهذا يعتبر استثناءً بالنسبة للاتفاقات التي تعقدها المؤسسة المذكورة مع الدول العربية الأخرى.

٤ ـ ألفت لجنة توجيه وإرشاد عليا برئاسة الوزير تشرف وتوجه الإذاعة ضمت عدداً من الأساتذة أمثال مصطفى جواد وناجي معروف وجميل سعيد بالإضافة إلى وكيل الوزارة ومدير الإذاعة والتلفزيون وكانت تجتمع في المديرية نفسها بأوقات معلومة.

كانت مهمة تخليص مديرية الإذاعة والتلفزيون من العناصر الفاسدة والمستغلة وغير الكفؤة شاقة وعسيرة بسبب تغلغل الفساد في نفوس بعض المسؤولين وتفشي المحسوبية وجشع بعض العاملين، ومن المفارقات المؤلمة والتي لن أنساها ان أحد رجال الأمن المسؤول عن أمن المديرية استغل حركة الاصلاح هذه فبدأ بمضايقة احدى المذيعات وتهديدها عارضاً عليها صداقته وإلاّ سيكون مصيرها النقل كفلانة.. وتمادى في ضغطه فاضطرت المذيعة إلى اخبار المدير الذي وضع تلفونها تحت المراقبة وسجلت مكالمات ضابط الأمن ونال الجزاء المناسب.

نظام جديد:

تبين لي منذ الأسابيع الأولى عدم ملائمة نظام الوزارة ولابدّ من وضع نظام جديد لتستطيع الوزارة أداء مهامها في ميادين الثقافة والتربية والتوجيه.. ثم صدر نظام جديد بعد دراسة مستفيضة وأصبح اسم الوزارة (وزارة الثقافة والإرشاد) وترتب على ذلك:

١ ـ نقل مديرية الآثار العامة من وزارة التربية إلى وزارة الثقافة والإرشاد.

٢ ـ نقل مصلحة السياحة والمصايف من وزارة الشؤون الاجتماعية إلى وزارة الثقافة والإرشاد.

٣ ـ تأسيس فرقة الرشيد القومية بهدف احياء الفنون الشعبية من غناء ورقص وموسيقى وقد ألحقت هذه الفرقة بمصلحة السينما والمسرح وعهدت إدراتها إلى الفنان عزيز علي.

٤ ـ عدّل نظام الفرقة السمفونية والتي كانت لا تزال في المهد ولم تعد تعتمد على الهواة فقط وتولى تدريبها موسيقي ألماني مرموق ولم تلبث ان بدأت تقيم حفلات موسيقية شهرية في قاعة الخلد يدعى إليها رجال السلك الدبلوماسي مع نخبة مختارة من العراقيين.

٥ ـ اصدار مجلة (الأقلام) وعهد أمرها إلى هيئة تحرير رفيعة المستوى تضم الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد والأستاذة الشاعرة نازك الملائكة ووكيل الوزارة الدكتور أحمد شاكر شلال ومدير الإدارة الشاعر نعمان ماهر الكنعاني والشاعر خالد الشواف أما سكرتير التحرير فكان عامر رشيد السامرائي.

٦ ـ اصدار كتب ثقافية متنوعة تتناول الأدب والتأريخ والاقتصاد والسياسة.. لمؤلفين عراقيين وعرب أو مترجمة بسعر زهيد يقل عن سعر الكلفة بغية نشر الثقافة وتعميم المعرفة وتشجيع المؤلفين والمترجمين بدفع أجور سخيّة لهم واستغلال طاقات وامكانات مطبعة دار الجمهورية (مطبعة الرابطة).

٧ ـ صرف النظر عن نقل معرض بغداد إلى منطقة قناة الجيش اقتصاداً بالنفقات وأضيفت إليه الأراضي التي كانت مخصصة لبناء السفارات الأجنبية فتضاعفت مساحته كما جرى الاتصال بالوزارات والمؤسسات والمصالح والشركات التي تشترك في المعرض سنوياً لبناء منشآت ثابتة وفق مخطط أعدته مديرية المعارض العامة.

الانتقال إلى بناية جديدة

شغل ذهني منذ البداية الانتقال إلى عمارة أخرى ملائمة وتبين لي ان الحكومةالسابقة قد استولت على مطبعة الرابطة الحديثة التي يملكها السيد عبد الفتاح ابراهيم بما في ذلك وسائط النقل وعمارتها التي لم تكتمل بعد بدافع الكراهية للمالك الذي نال حظوة في عهد عبد الكريم قاسم وحداثة أجهزة ومعدات المطبعة وطاقاتها الكبيرة دون مبرر أو سند

قانوني كما أستولت على سيارته الخاصة ،أممت المطبعة والبناء، مقابل تعويض مقداره عشرة آلاف دينار وهو مبلغ زهيد.. وظلت المطبعة شبه معطلة إذ لا يطبع فيها سوى جريدة الجماهير بالرغم من قدرتها على طبع الصكوك وطوابع البريد وأغلفة وعلب مساحيق الصابون.. أما المطبوعات الأخرى الرسمية فكانت تطبع في مطابع أهلية قديمة نتيجة تواطؤ واتفاق بين المسؤولين وأصحاب المطابع. أستدعيت وكيل الوزارة الدكتور أحمد شاكر شلال مع خرائط العمارة وتذاكرنا في اكمالها واجراء بعض التعديلات بحيث تتسع للوزارة برمتها وأنيطت بالموما إليه مهمة المتابعة والإشراف ولقد أكملت العمارة في وقت قياسي وانتقلت الوزارة إلى بناية جديدة وملائمة تقع في موقع ممتاز قريب من (باب المعظم) على طريق الوزيرية الرئيسي الذي يؤدي إلى الأعظمية.

ازدهار ونمو:

نشطت مطبعة دار الجمهورية واستغلت طاقاتها الكبيرة وامكاناتها الفنية نتيجة تبديل مجلس الإدارة فقد كنت شديد الحرص على وضع الرجل الكفؤ في المكان المناسب، وتوسع مهام الوزارة التي بدأت بإصدار سلاسل ثقافية شعبية بالإضافة إلى المجلات، واستجابة مجلس الوزراء لاقتراح الوزارة باعطاء الأسبقية في المطبوعات الرسمية والحكومية لمطابع الدولة أولاً ثم المطابع الأهلية ثانياً وبدأت حملة ظالمة شنها أصحاب المطابع الأهلية الذين قلت أرباحهم ثم ألفت الوزارة لجنة للإشراف على توزيع الاعلانات الحكومية والخاصة والمؤسسات شبه الرسمية والشركات المؤممة تحقيقاً للعدالة ومنعاً للمحاباة والاستغلال على أن تخصم الوزارة خمسة في المائة من أجور الاعلانات تضاف إلى صندوق تقاعد الصحفيين الذي سيصدر قريباً وهكذا حققت المطبعة أرباحاً شهرية لا تقل عن ألفي دينار فقررت إدارتها استيراد أجهزة حديثة وتوسيع طاقتها وشراء جهاز (مونوتايب) وسرعان ما انتقلت الحملة إلى رئيس تحرير جريدة الجمهورية السيد فيصل حسون والذي هو في الوقت نفسه رئيس مجلس الإدارة حسداً ورغبة في التخلص منه وكان يشجع الحملة الرئيس عبد السلام عارف نفسه لكن الوزارة لم تتأثر بالضغوط وحملة التشهير الظالمة التي تعرض لها الموما إليه، فقد كنت مطلعاً على نشاط وفعالية السيد فيصل حسون في جريدة الحرية لصاحبها السيد قاسم حمودي وكان من أبرز محرريها وقد ساهمت الجريدة حينئذ في مساندة قائمة المعلمين القومية في عهد عبد الكريم قاسم كما رشحه أيضاً السيد عبد اللطيف الكمالي الذي أثق به واعتمد عليه علماً ان الرئيس عبد السلام عارف يكره الأثنين وينتقدهما، وأي صحافي نجا من الانتقاد والاتهام في العالم العربي..؟ واشتدت الحملة بعد قيام الاتحاد الاشتراكي وتولى السيد سلام أحمد رئاسة تحرير

جريدة الثورة العربية الناطقة بلسان الاتحاد الاشتراكي بسبب التنافس القائم بينهما رغم حرصي الشديد على رواج وتقدم وازدهار جريدة الثورة العربية باعتباري أمين الاتحاد الاشتراكي فقد كتبت بضع مقالات افتتاحية في الجريدة المذكورة كما اشترى الاتحاد الاشتراكي مطبعة (فريد الأحمر) الحديثة بمبلغ عشرين ألف دينار لطبع الجريدة أما المبلغ فقد تبرع به وزير الداخلية العميد رشيد مصلح من المخصصات السرية يضاف إلى ذلك استقدام اثنين من الجمهورية العربية المتحدة للعمل في صحيفة الثورة هما: علي منير المحرر (بروز اليوسف) والسيد علي الذي أنيط به أمر الرسم والتصميم. لم تتوقف الحملة للتخلص من السيد فيصل حسون وأخيراً عاد من القاهرة السيد رئيس الجمهورية عبد السلام عارف يرافقه الأستاذ جلال كشك بعد أن أغراه ووعده بتولي رئاسة تحرير جريدة الجمهورية وحاول اقناعي بحجة انه مؤمن بالقيم والمبادىء الاسلامية وخصم عنيف للشيوعية الملحدة ثم وافقت بعدلأي أن يعمل في جريدة الجمهورية شأن المحررين الآخرين أمثال أمين أحمد وصادق الأزدي تجنباً للمأزق الذي وقع فيه الرئيس وانقاذاً لماء الوجه.. وفي نهاية الشهر رفض استلام راتبه الذي خصص له وتكرر الرفض في الشهر الثاني ثم عاد إلى القاهرة..

ان ازدهار دار الجمهورية واتساع نشاط المطبعة والارباح التي حققتها دفعت ديوان رئاسة الجمهورية إلى مطالبة الدار بتسديد كلفة تصاوير السيد رئيس الجمهورية التي ستعلق في الدوائر الرسمية والبالغة عشرين ألف دينار، لكنّ مجلس الإدارة لم يوافق لمنافاته لأغراض ورسالة الدار واقترحت الوزارة دفعها من مخصصات القصر السرية..

لقد أدركت العناصر المتملقة والانتهازية والحاسدة عدم رضا رئيس الجمهورية عن جريدة الجمهورية وهيئة تحريرها ومجلس إدارة الدار فراحت توغر صدره وتستعديه كلما سنحت لها الفرصة وعلى سبيل المثال كان للسيدة سلام خياط باب ثابت في الجريدة وفجأة طلب رئيس الجمهورية منعها من الكتابة بعد ان فسرّ له وعاظ السلاطين احدى مقالاتها تفسيراً لا يقبله عقل أو منطق ينبىء عن جهل مطبق وضيق في التفكير.. لكنني لم أوافق على منعها وشجعتها على الاستمرار في تحرير الباب وظلت دائبة على الكتابة حتى استقالتي من وزارة الثقافة والارشاد وبهذه المناسبة أتذكر أنيّ التقيت الأستاذ صبيح الغافقي رحمه الله في مكتبة المثنى في شارع المتنبي عقب خروجي من المعتقل ببضعة أسابيع أي في نهاية شهر كانون الأول ١٩٧٠ فسلّم عليّ ثم تحدثنا عن شؤون الصحافة والاعلام وأخيراً سألني كم كان عدد المحررين في جريدة الجمهورية عندما كنت في وزارة الثقافة والإرشاد فأجبته خمسة على ما أتذكر وقد حققت أرباحاً تربو على الألفي دينار فقال مبتسماً ان عدد العاملين الآن في الجريدة قد جاوز المائة وان السلف والمنح والقروض التي تسلمتها بلغت أربعة ملايين دينار...!؟

قانون المطبوعات الجديد

لم يعد قانون المطبوعات (٢٤) لسنة ١٩٦٣ يساير التطور الاعلامي السريع واتساع ميادين وزارة الثقافة والارشاد كما ظهرت فيه نواقص كثيرة خلال التطبيق أدى إلى انخفاض مستوى الصحافة المحلية وهيمنة شخص واحد عليها واحتمال تحوله إلى الابتزاز والتهديد إذا لم يقدر لصحيفته الرواج والازدهار وهكذا صدر قانون المطبوعات رقم (٥٣) لسنة ١٩٦٤ والذي اشترط في المادة الثانية منح اجازة المطبوع الدوري السياسي أي الصحيفة "إلى هيئة تضم مالا يقل عن خمسة أشخاص غير موظفين اثنان منهم صحفيان على الأقل. يشكلون مجلس إدارته وتوزع المسؤوليات بينهم وتكون حصصهم متساوية".

كما اجازت المادة العاشرة للعربي "اصدار المطبوعات الدورية السياسية وغير السياسية في العراق بالشروط المنصوص عليها في هذا القانون".. ولقد بسط القانون الاجراءات بالنسبة إلى المطبوعات غير السياسية أي الدينية والأدبية والثقافية والمهنية والاجتماعية. ونصت الفقرة ٨ من المادة الرابعة والأربعين على عدم إلغاء "اجازة المطبوع الدوري السياسي إلاّ بقرار من مجلس الوزراء" تقديراً لخطورة القرار وأهميته ومنعاً لتعسف الوزير.. أما بخصوص الرقابة فقد اعطى القانون الجديد "لوزير الثقافة والإرشاد صلاحية اصدار الأمر بعدم اتباعها في الأحوال الطبيعية وترك له تقدير الظروف والأحوال التي تستلزم الرقابة من عدمها" ولقد استخدم الوزير هذه الصلاحية فسمح بعدة كتب منعت الرقابة دخولها أمثال كتاب الأستاذ أركان العبادي وغيره.. لقد وضعت الوزارة نصب عينها الغاء الرقابة في القريب العاجل وجعل مجلس إدارة الصحيفة لا يقل عن سبعة أشخاص بغية مساهمة عدد أكبر من الصحفيين ولكن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن.

خطة اعلامية جديدة

كان البث التلفزيوني محدد المدى يقتصر على محافظة بغداد والمحافظات المتاخمة لها ولم يكن يغطي سوى المنطقة الوسطى من العراق، أما الإذاعة فلم تصل إلى الأقطار العربية البعيدة والاسلامية في الشرق الأقصى ولم تكن تسمع بوضوح في منطقة الخليج العربي.

لقد وضعت في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم خطة اعلامية ضمن الخطة الخمسية، تضمنت اقامة محطة إذاعة قوية في ضواحي بغداد الجنوبية وانشاء مجمع للوزارة في محلة (السعدون) واقامة (برج بغداد) في مقبرة اليهود بجانب الرصافة وانشاء محطة لاسلكية (للاستلام والالتقاط) في (الراشدية) شمال بغداد، وانشاء محطة إذاعة في (كركوك) تبث للمنطقة الشمالية وبخاصة الكردية، وقد عهد للاتحاد السوفييتي تنفيذ هذه المشاريع وهكذا تمَّ انشاء محطة إذاعة (الحرية) في المدائن (سلمان باك) والمحطة اللاسلكية في الراشدية

وبدأت السلطات المختصة باستملاك البيوت والعرصات في محلة (السعدون) أما البث التلفزيوني فقد ظل على حاله ريثما تكمل (شبكة الميكرويف) كان لابدّ من المضي في تنفيذ الخطة بعد اجراء تعديلات واضافات أساسية لتقوية وسائل الاتصال الجماهيرية لتأثيرها الخطير على تشكيل الرأي العام وتحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف العناصر والطوائف لاسيما وان العراق يضم أقليات متعددة، كردية وتركمانية وسريانية وكلدانية وآشورية، وليؤدي الاعلام مهامه الخطيرة في التوعية والتربية والتثقيف والتوجيه والترفيه بالإضافة إلى مقاومة التغلغل الاعلامي الايراني والغزو الفكري في منطقة الخليج والعالم الاسلامي، لقد ألفت لجنة وزارية كان وزير الثقافة والإرشاد أحد أعضائها للمحافظة على عروبة الخليج وقد اتخذت توصيات مهمة من ضمنها تقوية البث الاذاعي، بإنشاء إذاعة موجهة للخليج والعالم الاسلامي في الشرق وايصال البث التلفزيوني إلى البصرة التي كان يغطيها تلفزيون خرم شهر (المحمرة) الإيراني وانشاء جامعة البصرة، لتصبح المدينة مركز ثقافة واعلام وتصادف في هذا الأثناء وجود المهندس والخبير العربي صلاح عامر في الكويت، فوجهت إليه الدعوة لزيارة العراق عقب انتهاء مهمته في الكويت. وصل المهندس صلاح عامر إلى بغداد وعقدنا مؤتمراً مصغراً في الوزارة حضره مهندس الإذاعة والتلفزيون الأقدم مع الخرائط والمشاريع وأخيراً توصلنا إلى ضرورة القيام بمسح سريع على الطبيعة ونظراً لضيق الوقت بالنسبة للخبير العربي ووجوب عودته إلى مصر استخدمنا احدى الطائرات الصغيرة في التنقل فزرنا البصرة وكركوك والموصل واتضح ان الموقع المخصص لاقامة محطة إذاعة كركوك غير ملائم من الناحية الفنية فأنتخبنا موقعاً آخر في ضواحي كركوك أيضاً وأخيراً تمَّ وضع خطة اعلامية جديدة تواكب التطور الحديث والسريع في وسائل الاتصال والمواصلات تضمنت:

١ ـ انشاء محطة إذاعة قوية جداً في البصرة موجهة إلى الخليج والعالم الإسلامي.

٢ ـ انشاء محطة بث تلفزيوني في البصرة.

٣ ـ اصدار صحيفة يومية في البصرة.

٤ ـ انشاء محطة بث تلفزيوني في الموصل.

٥ ـ اقامة برج بغداد ومجمع الوزارة ومؤسساتها بما في ذلك قاعة كبيرة وحديثة للمؤتمرات الدولية في منطقة كرادة مريم لأسباب فنية وأمنية وجمالية، وشرع في الحال في استملاك الأراضي والدور لهذا الغرض، وجرى الاتصال بشركة نمساوية انشأت حديثا (برج فينا) وأخيراً اضطررنا إلى ارجاء انشائه ريثما يستغنى عن المطار الحالي حيث يقع البرج على خط اقتراب الطائرات.

٦ ـ كانت مرسلات إذاعة الحرية روسية الصنع وهي قديمة ومتخلفة بالنسبة للمرسلات الغربية الحديثة سواء من ناحية التبريد أو البث والاداء، كثيرة العطب، تحتاج إلى مبالغ كبيرة

سوياً للصيانة والإدامة رغم وجود مهندسين روس يشرفون عليها فنياً، لذلك تقرر استهلاكها تدريجياً واستيراد مرسلات غربية أحدث وأمتن بالمبالغ المرصدة سنوياً للصيانة. وقد أعطيت الأولوية لمؤسسات البصرة الاعلامية وبخاصة محطة البث التلفزيوني لتتصدى لتلفزيون خرم شهر (المحمرة) الإيراني وتم انشاؤها بزمن قياسي تلتها محطة تلفزيون الموصل علماً أن هاتين المحطتين ستربطان في المستقبل بالمحطة الرئيسية في بغداد بعد اكمال شبكة المايكرويف.

انشاء استوديو للتصوير السينمائي وصالة عرض

قررت الوزارة وضع يدها على منشآت المعرض الروسي المتروكة والعرصة المقامة عليها في منطقة كرادة مريم لتستفيد منها مصلحة السينما والمسرح، وبعد ترميم بعضها وإضافة أبنية جديدة لم تكلف كثيراً. تم إنشاء ستوديو حديث للتصوير السينمائي نقلت إليه جميع معدات وأجهزة التصوير العائدة للمصلحة والتي كانت منصوبة في بيت مستأجر قرب دار الإذاعة، وأقيمت صالة عرض للأفلام، ومسرح تمارس عليه الفرقة الشعبية نشاطها، وانشئت دوائر ومكاتب وغرف للتدريس والمحاضرات، وبدأت السينما تعرض أفلاماً بأسعار زهيدة.

زيارات ومراجعات لا تنسى

حرصت منذ البداية على سماع شكاوي الناس وقبول مراجعاتهم مهما كان نوعها، سواء تعلقت بالوزارة أو جهات أخرى، كما حرصت على توفير عمل مناسب لعدد من الكتاب والأدباء والصحفيين يضاف إلى ذلك نقل عدد من هؤلاء الذين كانوا يعملون في ميادين أخرى لا تتناسب ومؤهلاتهم إلى الوزارة أمثال الشاعر خالد الشواف وبسيم الذويب وجرى تعيين نعمان ماهر الكنعاني ومنير الذويب والدكتور متعب مناف وغازي العرس وغيرهم في الوزارة والتحق بجريدة الجمهورية فيصل حسون وأمين أحمد وصادق الأزدي، وصدرت صحيفة العرب والمنار والبلد وصحيفة باللغة الانكليزية وبذلك انفسح المجال لعدد غير قليل من الصحافيين والكتاب والأدباء.

قابلت العشرات من المراجعين وبعضهم ناله الأذى في الفترة السابقة أو يبحث عن عمل بالاضافة إلى الزوار ورغم مضي فترة طويلة وكثرة المراجعين والزوار فمازلت أتذكر بعضها لغرابتها وطرافتها، استدعيت الأستاذ (ج.ك.م) والذي كان يكتب في احدى المجلات اللبنانية لتعيينه في الوزارة ثم خرج راضياً ووعد بالمجيء مرة ثانية، وبعد دقائق معدودة دخلت السكرتيرة منفعلة تبكي فسألتها عن سر بكائها فأتضح ان المراجع قد أسمعها كلمات غزل..قلت لها انه أديب وأظنه عبر عن اعجابه ولم يقصد الإساءة إليك وطلبت

منها أن تنسى القضية بعد أن أكدت لها ان الوزارة حريصة على حفظ كرامة موظفيها. ووجوب احترام المراجعين للعاملين بالوزارة والتصرف بأدب... لكن المراجع لم يأت مرة ثانية.

زارني العقيد المتقاعد (ج.ع) ورجا مني معاونة (ب.ك) ابن المرحوم (ك.ع) في الفحص الطبي وتبادر إلى ذهني انه يريد الدخول إلى الكلية العسكرية فوعدته خيراً ثم تبين انه يريد أن (يسقط من الفحص الطبي) كي يعفى من الخدمة الإلزامية في الجيش.. دخلت السكرتيرة لتخبرني ان السيد صباح عارف أخ السيد رئيس الجمهورية في مكتبها وهو يريد مقابلتي.. استغربت من مراجعته، فقد سبق ان راجعت الوزارة قبل فترة فتاة تطلب التوظف رغم افتقارها لجميع المؤهلات تدعى انهم يسكنون بدار تجاور السيد صباح عارف وانها أرسلت من قبله.. دخل المؤما إليه وبعد قليل سألني لماذا منعت الوزارة دخول مجلة (الموعد) للعراق!؟ استغربت سؤاله ودوافعه، لكنّ فضلت الاستماع والتريث في الإجابة.. ثم قال: لعله يرجع إلى تطرقها إلى احدى المذيعات.. قلت له حينئذ استغرب مراجعتك ودخولك فيما لا يعنيك ولست أشك ان قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى هو الذي دفعك إلى التوسط لأنه المسؤول عن توزيعها.. أن المجلة قد منعت لخروجها عن الحشمة والآداب ناهيك عن تحريفها آية قرآنية ولن أسمح بدخولها كما لن أسمح لك بمراجعة هذه الوزارة. إن مراجعتك تسيء إلى أخيك وإلى النظام وإلى الوزارة التي ترفض أي تدخل في شؤونها مهما كانت دوافعه. وسأخبر أخيك بمراجعتك ثم ذكرته بالفتاة التي راجعت ودعواها فأحمر وجهه وتلعثم.. وخرج بعد أن اعتذر ووعد بعدم المراجعة وذهبت في اليوم التالي إلى القصر الجمهوري وأخبرت رئيس الجمهورية فأستحسن تصرفي معه.. ثم قلت له أرجو أن تزجره وتحذره فأنا أخشى أن يراجع الوزراء الآخرين فسيتجيبون لتوسطاته فوعد بذلك...

دخلت السكرتيرة لتخبرني ان الأستاذ صديق شنشل يريد مقابلتي فطلبت منها دخوله فوراً، فأستقبلته مرحباً به ثم جلس.. وكان بادي الاضطراب فقال ماذا حدث في بغداد..؟ قلت له كل شيء أعتيادي.. قال: فتحت المذياع فسمعت نشيد الله أكبر من محطة قريبة من محطة بغداد فما تعليل ذلك.. قلت لا أدري ولكنّ سأسأل ثم اتصلت بأكثر من جهة فتبين لي أن كل شيء على ما يرام. ثم علمت بعدئذ ان الرئيس عبد السلام عارف قرر إنشاء محطة إذاعة خاصة في القصر الجمهوري وعهد بهذه المهمة إلى العميد نهاد فخري وطلب إنجازها بسرعة وخوله صلاحية استخدام أي فنيّ وما ان كمل نصب المحطة حتى بدأت تجربتها بنشيد الله أكبر ففاجأت الناس وآثارت الذعر.. اتصلت بالعميد نهاد فخري ولمته على هذا التصرف ولماذا تجاهل الوزارة وهي جهة مختصة وذات علاقة وثيقة في مثل هذه الأمور ورجوته تقدير الظروف حق قدرها ومراعاة الأساليب والقواعد بصرف النظر عن مصدر الطلب وأهميته وعدم الاتصال المباشر بأي فني في مديرية الاذاعة والتلفزيون إلاّ عن

طريق رئيسه المباشر..

زارني في مكتبي فجأة السيد أمين هويدي سفير الجمهورية العربية المتحدة في العراق وتبين ان سبب مراجعته يعود إلى سماعه من بعض الأخوان رغبتي في الاستقالة.. ودار بيننا حوار طويل وبالرغم من اننا لم نتفق فقد أكدت له إني أقدر وجهة نظره واحترام رأيه كعربي يحمل نفس المبادىء والأهداف التي أؤمن بها..

زارني السفير الإيراني بعد انتقال الوزارة إلى البناية الجديدة بناء على طلبه. رحبت به ثم بدأ يستعرض العلاقات الايرانية ورغبة حكومته في تحسينها ثم قال انها احدى مهامه وهو حريص على تحقيقها وناشدني معاونته باعتباري أحد الأشخاص المهمين في الحكومة.. قلت له أنني أؤيد مساعيه لكن الأمر يهم وزارة الخارجية بالدرجة الأولى.. إن نشاط هذه الوزارة فني وثقافي واعلامي وليس هناك ما يحول دون تبادل زيارات الفرق الموسيقية والغنائية بين البلدين الجارين المسلمين.. قال اننا نرحب بزيارة فرقة غنائية عراقية.. قلت له أفضل ان تزور العراق فرقة غنائية إيرانية.. وأخيراً تمّ الاتفاق على توجه فرقة إيرانية تضم مغنية مشهورة مع عدد من العازفين.. وفي الموعد المحدد لوصول لفرقة ذهب أحد موظفي الوزارة إلى المطار لاستقبال أعضاء الفرقة ليرحب بهم ويرافقهم إلى الفندق.. لكن الضابط المسؤول في المطار كان فظاً أصرّ على تفتيش حقائب وأمتعة الفرقة بخلاف بقية المسافرين ولم يستجب لرجاء ممثل الوزارة الذي أخبره انه هؤلاء ضيوف الوزارة ولابدّ أن يعاملوا معاملة كريمة... اتصلت هاتفياً بمدير الاستخبارات وأخبرته بتصرف الضابط ورجوته في المستقبل اختيار الأشخاص المناسبين لمثل هذه المهام الحساسة فقد نسف بتصرفه كل ما بدأنا بإقامته، واحتجت السفارة الايرانية على المعاملة التي لقيتها الفرقة، واستمع الجمهور من إذاعة بغداد لغناء عذب وبخاصة مقام (الدشت) وسجلت الإذاعة الحفلة ودأبت على إذاعتها بين حين وآخر.

مؤتمرات:

مضت عدة سنوات على انعقاد آخر مؤتمر للأدباء العرب في الكويت، وقد قرر المؤتمرون أن ينعقد المؤتمر التالي في العراق.. وطال الانتظار ولم ينعقد المؤتمر في بغداد بسبب الظروف التي كان يمر بها العراق ولعدم رغبة المسؤولين في انعقاد المؤتمر، وأخيراً اتفقت وزارة الثقافة والإرشاد مع جامعة بغداد على عقد المؤتمر في بغداد، أما نفقات المؤتمر فتحملتها الوزارة مع جامعة بغداد مناصفة.

وقد حضر المؤتمر الذي دام عدة أيام عدد كبير من الأدباء والكتاب والشعراء أمثال الأستاذ أمين الخولي والدكتورة عائشة عبد الرحمن والأستاذ أحمد رامي والشاعر التهامي والدكتور يوسف إدريس بالإضافة إلى عشرات من العراق وتونس والمغرب واليمن وبقية

الأقطار العربية، وأصدرت لجنة النشر والاعلام صحيفة يومية طيلة فترة انعقاد المؤتمر تناولت نشاط المؤتمر وفعالياته، ونظمت لأعضاء المؤتمر زيارات لبعض الأماكن فزاروا بابل والكوفة والنجف، وختم المؤتمر بحفلة موسيقية غنائية في قاعة الخلد بإشراف الأستاذ حقي الشبلي غنى فيها الأستاذ محمد القبانجي وعزفت الموسيقى الشعبية بالإضافة إلى فرق ريفية وغجرية امتدت إلى ساعة متأخرة.

كما عقد مؤتمر للموسيقى العربية في بغداد بالتعاون مع (اليونسكو) تناول الموسيقى قديماً وحديثاً، تقرر على إثره عقد المؤتمر القادم في تونس.

فترة صعبة

كانت فترة صعبة حافلة بالمناورات والمساومات والدسائس والمكر والخداع. على حساب الأهداف الكبرى والمبادىء والقيم، قدر لي أن أشارك فيها ابتداء من ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ حتى ٢٣ حزيران ١٩٦٥ حيث استقلت من وزارة الثقافة والإرشاد وأمانة الاتحاد الاشتراكي وعضوية مجلس قيادة الثورة والقيادة السياسية الموحدة بعد أن تأكد لي عدم جدوى البقاء لتعذر تقديم ما ينفع الناس والوطن والأمة واستقال في اثري اخوان أربعة علماً أني لم استشرهم أو أتداول معهم وهم

صبحي عبد الحميد: وزير الداخلية.

فؤاد الركابي: وزير الشؤون البلدية.

عبد الستار علي الحسين: وزير العدل.

عزيز الحافظ: وزير الاقتصاد.

لقد أصبحت الوحدة العربية مجرد شعار ولافتة ترفع في الاحتفالات والمهرجانات والأعياد القومية، وأصاب الشلل مجلس قيادة الثورة الذي شكل في الأسابيع الأولى بسبب نظامه الذي انفرد رئيس الجمهورية بوضعه حيث منح نفسه صلاحيات استثنائية وزاد عدد أعضائه لترجح كفته عند التصويت ناهيك عن فقدان التجانس والانسجام والتباين الشديد في وجهات النظر. أما الاتحاد الاشتراكي والذي لم يكد يشب عن الطوق حتى تعرض لحملة ظالمة بدءً من رئيس الجمهورية ومروراً برئاسة أركان الجيش وانتهاء برئيس الجمعيات الفلاحية إبراهيم الشلال كان الهدف منها الحط من مكانته وتشويه سمعته بغية تنفير الناس منه.. ولم تستطع القيادة السياسية الموحدة بين مصر والعراق من تحقيق أي نجاح يذكر وظلت تراوح في مكانها بسبب حرص رئيس الجمهورية عبد السلام عارف على البقاء في منصبه مادام حياً. لقد صدرت في هذه الفترة قرارات اشتراكية تم بموجبها تأميم الشركات والمصارف وسيطرة الدولة على التجارة الخارجية وظهر قطاع عام جابه مقاومة شديدة من

أصحاب المصالح سرعان ما انضم إليهم رئيس الجمهورية والذي كان من أشد المتحمسين للقرارات الاشتراكية وطالب بالمزيد من التأميمات في أول الأمر وكان قد سبقها دستور مؤقت قامت رئاسة الجمهورية بوضع مسودته بالتعاون مع بعض المستشارين أمثال الدكتور بديع شريف وغيره نصّ في مقدمته على الأخوة العربية وعلى هدف تحقيق الوحدة العربية بدأ بالاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة استجابة للمد القومي الذي بلغ ذروته وإرضاء لتطلعات القوى القومية وطموحاتها.

كان في النية قيام مجلس وطني يمثل الشعب، لكن الجدل احتدم، وطال الحوار حول تعيين الأعضاء بعد ان استبعد نظام الانتخاب لعدم ملائمة الظروف، وريثما تنتهي فترة الانتقال.. وقد حدثت مشادة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة واستغرق النقاش عدة جلسات لم تثمر بسبب التعصب القبلي والعشائري والبلدي ثمّ جمدّ المشروع ووضع على الرف تجنباً للمشاكل والأزمات.

المجلس الوطني لقيادة الثورة

بالرغم من ان البيان رقم (١) والذي أذيع صباح يوم ١٨ تشرين الثاني من محطة إذاعة بغداد قد صدر باسم المجلس الوطني لقيادة الثورة، لكن المجلس لم يؤلف ولم يصدر قانونه ومرت الأسابيع وبدأ الضباط القوميون الوحدوين وبخاصة الوزراء منهم يضغطون على رئيس الجمهورية الذي تلكأ وناور رغبة في الانفراد بالسلطة وخوفاً من تحوله إلى قوة منافسة له، وأخيراً وافق السيد رئيس الجمهورية على تشكيل المجلس الوطني لقيادة الثورة وكان المأمول والمتوقع ان يقتصر على الضباط الذي ساهموا في حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وكان لهم دور بارز في التخلص من العهد السابق وأغلب هؤلاء من القوميين الوحدويين ومن الضباط الأحرار وسرعان ما احتدم النقاش واشتد الجدل في ترشيح الأعضاء وحرص رئيس الجمهورية على ضم عناصر لا يشك في ولائها له بدعوى انهم كانوا على اتصال به مباشرة وقد توجهوا إلى المواقع التي عينها لهم بنفسه أمثال بشير الطالب وغيره كما أصرّ على استبعاد عناصر شابة مؤمنة بالوحدة بحجة صغر سنهم ورتبهم رغم دورهم المؤثر في الاطاحة بالنظام وهكذا صدر القانون الذي حدد اختصاصات المجلس بمايلي:

١ ـ يمارس السلطة التشريعية بما في ذلك الميزانية.

٢ ـ إقرار المعاهدات والاتفاقيات الدولية.

٣ ـ إعلان الحرب والتعبئة العامة بقبول الهدنة والصلح.

٤ ـ يتخذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على سلامة البلاد واستقلالها ويتخذ اللازم للمحافظة على الأمن الداخلي.

٥ ـ له وحده حق الاشراف على شؤون الجمهورية بما يكفل حماية الثورة وتحقيق أهدافها طوال فترة الانتقال.

لقد استطاع رئيس الجمهورية من ضم عناصر موالية له لم تساهم بالإطاحة بالنظام بحكم مناصبها أمثال رئيس أركان الجيش وقادة الفرق والحاكم العسكري و.. واضافة المادة (١٣) التي نصت على منح رئيس الجمهورية صلاحيات استثنائية تتضمن اختصاصات المجلس لمدة عام تتجدد تلقائياً كلما تطلب الأمر ذلك وبتقدير منه ثم وافق بعد ضغط من الوزراء العسكريين القوميين على تعيين المقدم الركن هادي خماس سكرتيراً للمجلس، وهكذا أصبحت أغلبية المجلس مؤيدة لرئيس الجمهورية الذي اطمئن إلى قبول آرائه ومقترحاته بعد ان انحصرت المعارضة بخمسة فقط هم:

عبد الكريم فرحان

عارف عبد الرزاق

محمد مجيد

صبحي عبد الحميد

هادي خماس

لقد اسندت للمجلس الوطني لقيادة الثورة واجبات ومهام خطيرة، ولابدّ ان يؤديها بأمانة واخلاص بمقتضى نظامه بحرية وجرأة واضعاً نصب عينيه مصلحة الوطن والأمة العربية، لكن المهمة لم تكن سهلة بسبب الأغلبية التي يحظى بها رئيس الجمهورية والذي كان شديد الحرص على اطالة فترة الانتقال والتريث في قيام الوحدة بين مصر والعراق لأسباب واهية، واتباع سياسة فرق تسد، والاعتماد على العشيرة والقرابة والبلدة في اسناد المناصب المهمة بصرف النظر عن الكفاءة والقابلية وهكذا شجعّ الطائفية وشكك في الأغلبية ولا بأس من ذكر بعض هذه المناصب على سبيل المثال وهي غيض من فيض:

١ ـ تولي العميد سعيد صليبي قيادة موقع بغداد وهو من أبناء مدينة الرمادي، ومن عشيرة الجميلات أي نفس عشيرة رئيس الجمهورية.

٢ ـ تولي العقيد صعب حردان آمرية الانضباط العسكري وهو من أبناء العشائر المتاخمة لمدينة الرمادي.

٣ ـ تولي المقدم الركن ابراهيم عبد الرحمن الدواد منصب آمر فوج الحرس الجمهوري وهو من مدينة هيت، ثم عين آمراً للواء الحرس الجمهوري بعد ترفيعه ونقل المقدم داود عبد المجيد وهو من الأعظمية إلى القاهرة.

٤ ـ تولي الرائد سعدون غيدان منصب آمر كتيبة دبابات الحرس الجمهوري وهو من مدينة عانة.

٥ ـ أصبح الرائد الركن عبد الرزاق النايف معاوناً لمدير الاستخبارات العسكرية ولم

يلبث ان أصبح هو المسيطر والمتحكم في المديرية المذكورة بعد ان شل المقدم الركن شفيق الدراجي مديرية الاستخبارات العسكرية وجمّد بسبب أصله الكردي رغم انه من أبناء مدينة الرمادي.

هؤلاء جميعاً من لواء الدليم وتربط بعضهم ببعض قرابة ناهيك عن الملازمين والنقباء ونواب الضباط وضباط الصف.

كان رئيس الجمهورية شديد اليقظة والحذر، يهتم كثيراً بقطعات بغداد والكلية العسكرية، ويحرص على اناطة قيادتها بأشخاص لا يشك بولائهم له، ولم يكتف بهذا بل فتح باب التطوع بصورة استثنائية على وحدات الحرس الجمهوري، ووحدات موقع بغداد، واقتصر التطوع على أبناء لواء الدليم (محافظة الأنبار) فقط لسد نقص الوحدات والتوسع في ملاكاتها في التشكيلين المذكورين وبمرور الأيام أصبح العميد سعيد صليبي الجميلي قائد موقع بغداد قوة مؤثرة وسنداً قوياً لرئيس الجمهورية وشريكاً في المساومات والمناورات واللعبة السياسية وأخيراً فاجأ رئيس الجمهورية أعضاء مجلس قيادة الثورة بتعيين اللواء نافع أحمد حاكماً عسكرياً عاماً خلفاً للعميد رشيد مصلح وهو أيضاً من لواء الرمادي مدينة (عانة).

ولم يكتف رئيس الجمهورية بتأييد أغلبية أعضاء المجلس له التي حدت من نشاط المجلس، بل سعى إلى شق المعارضة باللجوء إلى الإغراء والترغيب، غامزاً في قناة رئيس الوزراء السيد طاهر يحيى بحجة افتقاره إلى المؤهلات وعدم كفاءته، عارضاً على أحدهم تولي المنصب، مادحاً غيره لتقواه وتمسكه بشعائر الدين واختلافه عن الآخرين.. لقد اتبع سياسة (فرق تسد) وكان يشجع على اتساع الخلاف بين كبار الضباط ويحرض بعضهم على بعض وهو وراء حملة الانتقادات التي تعرض لها معاون رئيس أركان الجيش العقيد الركن محمد مجيد من قبل قواد الفرق وقيادة قوة الميدان، واستفحال الخلاف بين معاون رئيس اركان الجيش والعقيد الركن محمد يوسف مدير الحركات العسكرية، وفي تنافس الضباط القوميين على منصبي مدير الاستخبارات العسكرية والملحق العسكري في لندن رأى في ذلك فرصة للتشهير بالقوميين ووصفهم بالإثرة والأنانية وهكذا بات القصر الجمهوري مصدراً لتسريب أنباء جلسات مجلس قيادة الثورة وبرغم الصعوبات التي واجهت المجلس والعقبات التي وضعت في طريقه فقد أدىّ بعض مهامه وسعى إلى مقاومة الفساد وحد من القرارات الفردية وحقق مايلي:

١ ــ إلغاء المادة الاستثنائية التي تمنح رئيس الجمهورية صلاحيات واسعة، فقد تعرض رئيس الجمهورية إلى ضغط شديد وهدد بعضهم بالاستقالة فأضطر إلى اعلان إلغاء المادة موضوعة البحث في مؤتمر عقد في الكلية العسكرية بناء على طلبه وتوجيهه واثر مبايعة الضباط المجتمعين له، كان المؤتمر مفاجئاً لمجلس قيادة الثورة ولم يكن سوى مسرحية سبق

اعدادها واضحة الهدف واعتبر رئيس الجمهورية المؤتمر نصراً له، فقد قال للعميد نهاد فخري وعقب صدور الدستور المؤقت والذي تضمن مادة اعادت للرئيس ما فقده من صلاحيات استثنائية "إني أعرف كيف اتغدى بهم قبل أن يتعشوا بي" ظناً منه ان نهاد فخري من الموالين له والمؤيدين لسياسته.

٢ ـ تعيين المقدم الركن رشيد محسن مديراً للأمن العام بعد استشراء الفساد في المديرية المذكورة وخلفاً لأنور ثامر ابن خالة رئيس الجمهورية والمؤلم ان وزير الداخلية سرعان ما عينه متصرفاً لاحد ألوية العراق استجابة لضغط رئيس الجمهورية.

٣ ـ تخلى عارف عبد الرزاق عن وزارة الزراعة واعادته للجيش حيث أنيطت به قيادة القوة الجوية، وهكذا لم تتم صفقة الأسلحة وضاعت على المتفاوضين الثلاثة عمولة دسمة.

٤ ـ لقد ظهر ضعف رئيس أركان الجيش اللواء عبد الرحمن عارف سواء في قيادته أو إدارته وانعكس ذلك على كفاءة الجيش وروحه القتالية علماً أن أسناد هذا المنصب الخطير إليه يخالف نظام وزارة الدفاع التي تشترط أن يكون رئيس أركان الجيش من ضباط الركن.. وتبلور رأي عام في أوساط الجيش يرى المصلحة في تغيير رئيس أركان الجيش، لكن رئيس الجمهورية لم يأبه لذلك فهو لا يثق إلا بأخيه، وتبنى مجلس قيادة الثورة فكرة التغيير، وأنعقدت جلسة خطيرة لهذا الغرض أستغرقت بضع ساعات أحتدم فيها النقاش، لكن رئيس الجمهورية أصرّ على بقاء أخيه في منصبه وهدد بالاستقالة والتخلي عن المسؤولية فهو لا يثق إلاّ بأخيه، فأنفض الاجتماع ريثما تهدأ الأعصاب، ثم استؤنف عصراً بعد ان تغيب أحد الأعضاء... لقد ظهرت بوادر أزمة تنذر بانقسام خطير وصراع بين القوى وتطورات وأحداث لا يمكن التحكم فيها في ظروف غير اعتيادية وأخيراً وضعت المصلحة العامة فوق كل اعتبار وأرجأ البت في الأمر بعد أن وعد رئيس الجمهورية بإجراء تغييرات جذرية في الجيش تضمن رفع مستواه.

٥ ـ عاد عميد الجو عارف عبد الرزاق من القاهرة بعد تلبية دعوة الفريق صدقي قائد القوة الجوية المصرية وكان شديد الحماس لتغيير النظام السوري لمصلحة الجمهورية العربية المتحدة والظاهر انه تأثر بأقوال بعض اللاجئين السوريين في مصر واقتنع بسهولة تغيير النظام، مقترحاً البدء بتصعيد الموقف المتوتر بين سورية والعراق بحوادث استفزازية واعتداءات على المخافر والقرى الحدودية، يتلوه توغل الجيش العراقي في الأراضي السورية بحجة حماية القرى العراقية والرعاة من الاعتداءات وحينئذ تحدث انتفاضات وتمردات داخل سورية تقوم بها العناصر والوحدات العسكرية التي ظلت على ولائها للرئيس جمال عبد الناصر.. إنها مغامرة، وكنت من أشد المعارضين لهذه العملية الخطيرة واعتبرتها مؤامرة على القومية العربية بصرف النظر عن دوافعها وأهدافها.. وهي سابقة خطيرة تلحق بالوحدة العربية أفدح الأضرار وتقتل آمال وطموحات وأحلام الجماهير العربية.. وما جدوى

وحدة تقوم على سفك الدماء، تبدأ بالمكر والغدر، وهيهات أن تعمر طويلاً وستكون صفحة سوداء في تاريخ النضال العربي.. لا أدري بالضبط من أوحى بهذه الفكرة، لكنيّ استبعد اطلاع الرئيس جمال عبد الناصر عليها أو تأييدها وهو الذي عرف ببعد نظره واتساع تفكيره وحرصه على حقن الدماء العربية.

٦ - في أحدى الجلسات أحاط الرئيس عبد السلام عارف الأعضاء علماً بقرب ايفاد (٤٢) طالباً من الكلية العسكرية العراقية إلى الكلية الفنية بالاسكندرية وموافقة الجمهورية العربيةالمتحدة على هذا الإيفاد ثم استطرد قائلاً ولكن الرئيس جمال عبد الناصر يفضل أن يكون هؤلاء من (السنّة). استغربنا قوله ونظر بعضنا إلى بعض ولذنا جميعاً بالصمت فلم يعلق أحد لحساسية الموضوع والشك في قول الرئيس عبد السلام.. ثم انتقل المجلس إلى موضوعات أخرى، وأوفد الطلاب على أساس درجات الامتحان والقابلية والكفاءة، فالكلية تضم مسلمين ومسيحيين وصابئة ويزيدية ولم تقتصر أبداً منذ تأسيسها على العناصر العربية المسلمة وان كان هؤلاء يؤلفون الأغلبية يليهم الأكراد، والقبول يجري عادة بالنسبة لسكان المحافظة بصرف النظر عن الجنس والدين والمذهب وأخيراً أتضح أن هذا الزعم من بنات أفكار رئيس الجمهورية عبد السلام عارف دفعه إليه تعصبه الطائفي وارتيابه في ولاء أبناء الشيعة وإخلاصهم.

الاتحاد الاشتراكي:

بدأت حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ عهدها بإطلاق سراح معظم المسجونين والمعتقلين وبينهم عناصر كثيرة حزبية ومستقلة من القوميين الذين استبشروا بالحكم الجديد وتمتع المواطنون لأول مرة بالأمان والطمأنينة بعد فترتي إرهاب وقتل وتعذيب.. وسرعان ما بدأت القوى السياسية تعيد تنظيم صفوفها وبخاصة القومية. واكب ذلك حوار ولقاء بين العناصر الناصرية والقوى القومية مستقلة وحزبية، وبعض هؤلاء ممن يشارك في المسؤولية وهكذا عادت الثقة وتمهد الطريق لقيام جبهة قومية عريضة ولاسيما وقد أبدى نظام الحكم الجديد استعداده لمباركة مثل هذه الجبهة والتعاون معها.

وتمّ الاتفاق على قيام الجبهة لتضم حزب الاستقلال، والحزب العربي الاشتراكي، وحركة القوميين العرب، وحركة الوحدويين الاشتراكيين والرابطة القومية، والمستقلين الذين يلتقون مع أهداف الجبهة وهم يؤلفون قطاعاً كبيراً بعد استبعاد الشيوعيين والبعثيين، لكن الجبهة تعثرت وأخفقت في الاتفاق على صيغة ميثاق العمل الوطني واكتفت بإصدار بيان وقعه ممثلون عنها في ١٩٦٤/١/١٨ . ومضت الأيام وآمن الجميع بضرورة قيام تنظيم شعبي واحد يضم كل القوى القومية حزبية ومستقلة تعبئة للطاقات ودرءاً للأخطار وحماية

لنظام الحكم وانسجاماً مع الجمهورية العربية المتحدة حيث يقوم بها تنظيم شعبي واحد هو الاتحاد الاشتراكي العربي الذي يضم جميع قوى الشعب العاملة، وهكذا شكلت لجنة تحضيرية ضمت أربعة وزراء ورئيس جامعة بغداد وممثلين عن الأحزاب والتنظيمات القومية ومستقلين استجابة لضغط قومي وأنيط باللجنة انشاء الحركة العربية الواحدة، وعقد أول اجتماع في جامعة بغداد وتوالت الاجتماعات في الجامعة نفسها وبانتظام عصراً ثم شكلت اللجنة التحضيرية لجنة فرعية عهدت إليها اعداد الميثاق فبدأت عملها الذي امتد من ٨ شباط حتى ٩ نيسان ١٩٦٤ وظهر الميثاق الوطني ونظامه الداخلي والقانون الأساسي للحركة، واحتوى الميثاق على الأبواب التالية:

الباب الأول: في وحدة الثورة العربية.

الباب الثاني: في القومية والوحدة العربية.

الباب الثالث: في الاشتراكية العربية.

الباب الرابع: في الحرية والديمقراطية.

الباب الخامس: في الحقل الدولي.

الباب السادس: في الشؤون القطرية.

لقد عانت اللجنة التحضيرية الكثير بسبب الحساسية والشكوك. وكانت فترة صعبة وطويلة حفلت بالمساومات والمناورات والتهديد بالإنسحاب وضاق المستقلون ذرعاً بمناقشات عقيمة وجدل يدور في حلقة مفرغة فهم لم يألفوا اللف والدوران يحرصون على بلوغ الهدف من أقصر طريق أما الحزبي فسيء الظن بالآخرين اعتاد على المناقشة واخفاء بعض الحقائق والمبالغة في عدد أفراد تنظيمه وتغلغله بين الجماهير همه الكسب والربح على حساب الآخرين يضع مصلحة الحزب فوق مصلحة الوطن ولقد تأكد ان بعض ممثلي الأحزاب والتنظيمات يلتقون قبل موعد الاجتماع للاتفاق المقرر على وجهة نظر معينة..

ومما زاد الطين بله تزعزع ثقة ممثلي الأحزاب والتنظيمات القومية بجدية النظام واخلاصه، فتلكأوا في حل تنظيماتهم بعد ان لمسوا تردد رئيس الجمهورية والحاكم العسكري في اتخاذ الاجراءات القانونية ضدالذين ارتكبوا جرائم ومخالفات في العهد السابق وتسرب أنباء تأليف لجنة أخرى من قبل رئيس الجمهورية لوضع ميثاق آخر ضمت الدكاترة أحمد مطلوب وياسين خليل وإبراهيم عبد الله وآخرين من أساتذة الجامعة، ومهاجمة رئيس الجمهورية للميثاق المقترح ووصفه بأنه ميثاق علماني وهو يريد اشتراكية اسلامية لا ماركسية لينينية.. ثم شكلت لجنة عامة من ٤٧ عضواً لمناقشة الميثاق وارتأى في الأيام الأخيرة اعلان الاتحاد الاشتراكي العربي بدلاً من الحركة العربية الواحدة وقدم الميثاق المقترح لرئيس الجمهورية للوقوف على وجهة نظره وآرائه قبل مناقشته في اللجنة العامة وتم انتخاب اللجنة التنفيذية التي اختارت عبد الكريم فرحان أميناً عاماً للاتحاد يعاونه السيدان

فؤاد الركابي وعبد اللطيف الكمالي كما وافقت الأحزاب والتنظيمات القومية على حل نفسها وأخيراً تقرر عقد مؤتمر عام في قاعة الخلد أكبر قاعات بغداد بعد التغلب على معظم المشاكل والأزمات.

انعقد المؤتمر صباح ١٤ تموز في قاعة الخلد في كرادة بريم التي غصت بالحاضرين وحضر الافتتاح رئيس الجمهورية وما ان خرج حتى دبت الفوضى واختل النظام وساد القاعة هرج وصخب بسبب المشادات والهتافات الاستفزازية وتبودلت الاتهامات، وكان بعض الحاضرين مسلحاً بالمسدسات والمدى واقترح الأخ صبحي عبد الحميد أحد أعضاء اللجنة التنفيذية دعوة الأستاذ عبد الرزاق شبيب رئيس الحزب الاشتراكي العربي إلى المنصة للتدخل في اعادة النظام إلى القاعة بعد أن اتضح ان أعضاء حزبه هم مصدر الشغب والضجيج لكني رفضت ثم جاء معاون الشرطة حسين المختار راجياً موافقتي على اخراج المشاغبين بالقوة فرفضت أيضاً.. لقد أدركت أن الفوضى مقصودة وأن الأمر قد دبر بليل لاظهار قوة الأحزاب والتنظيمات، و عجز اللجنة التنفيذية.. ثم وقفت ووجهت كلمة قصيرة بدأتها بالآية الكريمة: (ياأيها الذين امنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) كما تحدث الأخ الدكتور شامل السامرائي والأخ عبد اللطيف الكمالي عضوا اللجنة التنفيذية.. وعاد الهدوء إلى القاعة وبدأت قراءة الميثاق.. ثم أعطيت الكلمة لرؤساء الأحزاب والتنظيمات القومية ليعلنوا حل تنظيماتهم، لكن المهاترات بدأت من جديد وأتسمت الكلمات بالخشونة والتحدي والاستفزاز لكنّ الأمانة العامة واللجنة التنفيذية تذرعوا بالصبر والهدوء فلم يسمحوا بمقاطعة المتكلم أو الرد على كلمته، وعندما اقترح السيد إياد سعيد ثابت تقديم موعد كلمة الوحدويين الاشتراكيين حيث ستلقيها سيدة أو انسة ينبغي ان تعود إلى بيتها قبل حلول الظلام وافقت لكن الكلمة مع الأسف لم تكن تليق لسيدة أو تنظيم قومي كما حاول الشيخ كرم أحد أعضاء الحزب الاشتراكي العربي إثارة الشغب أكثر من مرة لكنيّ لم أوافق على اخراجه من القاعدة واستمر المؤتمر العام لغاية ٢٤ تموز وقد تشكلت اربع لجان تفرعت عنه، شرعت في عملها بعد بدء المؤتمر بثلاثة أيام وهي:

١ ـ لجنة الثورة العربية والوحدة العربية.

٢ ـ لجنة النظام الأساسي.

٣ ـ لجنة الاشتراكية والديمقراطية.

٤ ـ اللجنة السياسية.

وقد ضمت كل لجنة من ٢٠٠ ـ ٣٠٠ عضو وكانت مهمتها دراسة بنود الميثاق

وتقديم توصياتها للمؤتمر ولقد حدثت مشادات كثيرة داخل أعضاء اللجان تدخلت بنفسي لحلها ومازلت أتذكر المشادة التي وقعت بين الدكتور خير الدين حسيب والدكتور عبد العال الصكبان.

لقد عانت اللجنة الكثير وتعرضت أمانة الاتحاد لحملة ظالمة في فترة انعقاد المؤتمر العام التي جاوزت العشرة أيام واتضح ان حل الأحزاب لم يقض على التعصب الحزبي وسوء الظن بالمستقلين، لكن الانصاف والأمانة يدعواني إلى الإشادة بموقف حركة القوميين العرب، فقد كانوا أول من حل نفسه فعلاً وقولاً، والتزموا بجميع قرارات اللجنة التنفيذية وعملوا بإخلاص وصدق لبناء الاتحاد الاشتراكي وبخاصة سلام أحمد وعبد الإله النصراوي وهاشم علي محسن.

نشاط وعمل:

بدأ الاتحاد الاشتراكي العربي نشاطه فألف اللجان وفتح المكاتب وأنشأ الفروع في الألوية، وقد افتتح رئيس الجمهورية فرعي الديوانية والبصرة وألقى كلمة في كل منهما، كما ألقى الأمين العام كلمة في جموع الديوانية أشاد بها بثورة العشرين، ولقد شهد افتتاح فرع البصرة جماهير غفيرة بلغت عشرات الألوف حيث اكتظت الساحة وامتلأت المباني والشرفات المطلة على ميدان الاجتماع. كان افتتاح فرع البصرة مهرجاناً شعبياً ومظاهرة قومية لأهمية موقع البصرة الاستراتيجي حيث تقع في رأس الخليج وتتاخم منطقة عربستان. لقد أغلقت الدوائر أبوابها والمدارس فخرج مئات الموظفين وآلاف الطلاب واضطر بعضهم إلى تسلق الأشجار.. ثم افتتح الأمين العام فرع الموصل وألقى كلمة بهذه المناسبة تلتها كلمة الدكتور عبد الكريم هاني عضو اللجنة التنفيذية ثم صدرت جريدة الثورة بعد ان اشترى الاتحاد الاشتراكي مطبعة فريد الأحمر الواقعة في الشيخ عمر بالمزاد العلني حيث كانت محجوزة بسبب عدم دفع أقساط المصرف الصناعي، ويذكر أن رشيد مصلح أخبر رئيس الجمهورية بوجود اجتماع مريب في جامعة بغداد عندما شاهد سيارات بعض الوزراء القوميين الوحدويين أثناء ذهابه إلى مقر عمله.. وقد ألفت لجنة للاشراف ورسم سياسة الجريدة برئاسة الأمين العام وكانت الاجتماعات تعقد أسبوعياً في إدارة الجريدة وعهدت رئاسة التحرير إلى سلام أحمد عضو اللجنة التنفيذية بعد أن اعتذر السيد عبد الله الركابي عن القيام بهذه المهمة لقلة الراتب المخصص وعين معاذ عبد الرحيم في إدارة الجريدة أما رواتب العاملين في الصحيفة فكانت قليلة حقاً لعدم توفر المال أولاً وليكونوا قدوة لبقية الأعضاء ثانياً كما فرضت تحديدات صارمة على استخدام السيارتين الصغيرتين

المخصصتين للجريدة إثر اساءة أحد العاملين استخدامهما وأخيراً أنيطت رئاسة اللجنة بالدكتور شامل السامرائي لكثرة أعباء الأمين العام ومع ذلك فقد كتبت عدة مقالات افتتاحية كما انضم إلى هيئة تحرير الجريدة المحامي وميض عمر نظمي.. وما ان وقف الاتحاد الاشتراكي على قدميه حتى امتد نشاطه للخارج فأرسل وفداً ضم الأمين العام والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور خير الدين حسيب، فؤاد الركابي، أديب الجادر، هاشم علي محسن، عبد اللطيف الكمالي، وأجرى حواراً مع وفد من الاتحاد الاشتراكي المصري وكان يزور القاهرة حينئذ وفد من الجزائر أيضاً لكن اللقاء لم يتحقق معه إلا ان فؤاد الركابي التقى بزهوان أحد أعضاء الوفد، ودار بين الوفدين العراقي والمصري حديث وحوار بدأه الأمين العام عبد الكريم فرحان بالتحدث عن القضية الكردية وتصور حلها بناء على طلب الوفد المصري كما تحدث الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور خير الدين حسيب كما أرسل وفداً إلى تونس ضم الأمين العام عبد الكريم فرحان وغربي الحاج أحمد ومحل حردان وثالث إلى غانا ضم الأمين العام والدكتور أحمد مطلوب وعاد تكليف الفرعون وإبراهيم الشلال وعلي شفاتي، وما ان شب الاتحاد عن الطوق حتى بدأ يواجه العديد من المشاكل والأزمات بعضها من صنع السلطة وبعضها ناجم عن قلة الوعي والخبرة أو حسد بعض المسؤولين ودسائسهم. لقد حرص الاتحاد منذ ميلاده على الابتعاد عن السلطة ورفض اتخاذ موقف التابع الدائر في فلك النظام، لذلك شجب وانتقد كل تصرف أو عمل مخالف للقانون لاسيما ما يتعلق بحقوق الإنسان ووقف إلى جانب العمال وفك الكثير من الاضرابات التي تلحق الضرر بالانتاج والعمال بوقت واحد.. وهكذا نشأت علاقة جدلية بين نمو الاتحاد الاشتراكي وتزايد المشاكل التي يواجهها.

بدأ الرئيس عبد السلام عارف يهاجم الاتحاد كلما التقى بوفد فلاحي ولم يكتف بذلك بل هاجم الوحدة وسفه آراء الوحدويين. ولقد راجعه وفد فلاحي فقال لهم ما معناه: انظروا إلى مصر: الفقر والجوع والتفسخ الأخلاقي، كل شيء بالبطاقات اللحم والخبز. لماذا لا يكف عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد عن الركض وراء عبد الناصر. كما بدأ وكيل رئيس أركان الجيش عبد الرحمن عارف يهاجم الاتحاد الاشتراكي ويشتمه عند زيارته للوحدات العسكرية فقد قال في احدى الزيارات (الاتحاد والقندرة) ومازلت أتذكر احدى جلسات مجلس قيادة الثورة وكنا نتحدث في قضايا خطيرة ومهمة وفجأة التفت اللواء عبد الرحمن عارف وقال: اقسم بشرفك إنك لست من حركةالقوميين العرب. غضبت لسؤاله واستغربت طرحه لسخفه أولاً وجدّية الجلسة ثانياً لكن ضبطت أعصابي وصممت أن أكيل له الصاع صاعين برغم حضور أخيه، فقلت له ليس من حقك أن تسألني هذا

السؤال لكن أقسم أمام الحاضرين بالله إني لم ولن أكون من حركةالقوميين العرب فأنا لا أؤمن بالحزبية بعد أن خضت تجربة قصيرة ومريرة علماً ان حركة القوميين العرب قد حلت نفسها وانصهرت في الاتحاد الاشتراكي، لكنك لا تصلح لرئاسة أركان الجيش فأنت تفتقر لجميع المؤهلات القيادية والادارية وقد انعكس ضعفك على الجيش فهبطت معنوياته ولولا انك شقيق السيد رئيس الجمهورية لبقيت بمنصب آمر كتيبة مدرعات حتى تحال على التقاعد.

لقد تعرض الاتحاد الاشتراكي لحملة شرسة وظالمة تهدف إلى تحجيم دوره وترغيب الناس عنه وتشويه سمعة أمينه العام في أوساط الجيش، فالجيش كمؤسسة وطنية يسود فيها النظام والضبط وطاعة القوانين والأوامر العسكرية يكره الحزبية ولا يثق بأعضاء الحزب مهما كان مركزهم ناهيك أن قوانينه تمنع انتساب أفراده للأحزاب وشارك في هذه الحملة مجموعات قومية صغيرة أخفقت في الحصول على مراكز مرموقة في الاتحاد الاشتراكي وأبت أن تحل نفسها وتذوب في الاتحاد الاشتراكي وأثمرت الحملة في أوساط الفلاحين لقلة وعيهم وانحياز رئيس الاتحاد العام ابراهيم الشلال إلى جانب رئيس الجمهورية فهو من أبناء الدليم ولعله من زوبع أو عشيرة الجميلات وصدق هذه الاشاعة بعض أخواننا من الضباط ولقد آلمني موقف العقيد الركن محمد مجيد في احدى اجتماعات المجلس الوطني لقيادة الثورة عند قراءتي أسماء من أعضاء الاتحاد الاشتراكي رشحوا للتعيين في وزارة المواصلات في المحلات الشاغرة إذ قاطعني محتداً قائلاً: "هؤلاء من القوميين العرب" نظرت إليه باستغراب وكان ردي على اعتراضه وتسرعه تمزيق ورقة المرشحين..

كانت المناقشات في اللجنة التنفيذية تجري بصراحة وحرية وكانت بعض الجلسات تعقد في القصر الجمهوري بحضور رئيس الجمهورية برغم عدم ارتياحه لمناقشات وآراء عبد الإله النصراوي وسلام أحمد.

الدستور المؤقت

يعتبر الدستور أهم القوانين وأخطرها وسواء كان القانون خيراً يحقق الأمن والسلام ويحمي حقوق الإنسان أم شراً يجب التخلص منه حسب مقولة كارل ماركس فأنه سيظل قوة مهمة تساعد على تحضير المجتمع وتطويره وبدونه تسود الفوضى ويتحول المجتمع إلى غابة يأكل فيها القوي الضعيف لذلك خضع تشريع القوانين لإجراءات طويلة ولابدّ أن يمرّ بمراحل متعددة حتى يطبق ويصبح نافذ المفعول وبذلك يجيء القانون محكماً في صياغته، شاملاً في نصوصه، واضحاً في مقاصده، عادلاً في أحكامه، وافياً بحاجات المجتمع قريباً من الكمال ومع ذلك فقد تشوب القانون بعض العيوب عند التطبيق فيلجأ إلى تعديل نصوصه أو إلغاء بعض مواده.. أما تشريع الدساتير فيستغرق وقتاً أطول لخطورتها وضرورة

اطلاع الشعب عليها واستشفاف رغبة الجماهير وتمكين رجال الفكر والقانون والفقهاء من مناقشته وعادة يناط وضع الدستور بلجنة كبيرة تضم كفاءات ممتازة تمثل جميع فئات وطبقات الشعب و يعرض على الشعب في استفتاء عام.

حوالى منتصف نيسان من عام ١٩٦٤ وقبيل انتهاء أحد الاجتماعات في القصر الجمهوري طلب رئيس الجمهورية حضوري في مكتبه عقب انتهاء الجلسة.. ذهبت وكان معي الأخ صبحي عبد الحميد.. سلمنا عليه ثم جلسنا وبدأ يتحدث وفجأة فتح درج المكتب وسلمني عدة أوراق ألقيت عليها نظرة سريعة ثم ناولتها إلى صبحي عبد الحميد.. كانت هذه الأوراق مسودة الدستور المؤقت.. وبعد قليل قلت له ان الدستور مهم وخطير فهو أبو القوانين ولابدّ أن يناقش بهدوء وروية ويطلع عليه أكبر عدد من المسؤولين برغم وجود فترة الانتقال.. ابتسم ولم يرد وكنت لا أزال حَسِن الظن بأهدافه ونواياه وفجأة وفي يوم ١٣ مايس أعلن رئيس الجمهورية الدستور المؤقت ووجه كلمة إلى الشعب بهذه المناسبة.

كان الواجب يقضي بعرضه على المجلس الوطني لقيادة الثورة، ومجلس الوزراء واللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي ولا ضير من نشره في جريدة الثورة العربية الناطقة بلسان الاتحاد الاشتراكي لمعرفة رأي الناس. واستشفاف رغبات الجماهير، وحين سُئِل الرئيس قال سبق أن أطلعت عليه عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد وآخرون. تجاوزت مواد الدستور المائة لكن أهم مواده المادة الأولى وهذا نصّها:

الجمهورية العراقية دولة ديموقراطية اشتراكية تستمد أصول ديموقراطيتها واشتراكيتها من التراث العربي وروح الإسلام.

والشعب العراقي جزء من الأمة العربية هدفه الوحدة العربية الشاملة وتلتزم الحكومة على تحقيقها في أقرب وقت ممكن مبتدئة مع الجمهورية العربية المتحدة.

لقد جاءت هذه المادة استجابة لمد قومي وضغط شعبي ويقظة إسلامية وحاجة شديدة لمساندة الجمهورية العربية المتحدة .. ان نص المادة رائع يبعث الأمل في النفوس المتعطشة للوحدة لكن العبرة بالتطبيق وأهم من النصوص الروح التي أملتها وإيمان الحاكم بالمبادىء وحرصه والتزامه بسيادة القانون ولقد أظهرت الأيام عدم رغبة الرئيس عبد السلام عارف في قيام وحدة أو اتحاد بين العراق ومصر وظهرت مقولة (الوحدة المدروسة) كما هاجم الاشتراكية في مناسبات كثيرة ارضاء لكبار التجار والرأسماليين وظهرت مقولة: (الاشتراكية الرشيدة) ثم أبدلت بـ(العدالة الاجتماعية).

لقد نصّ الدستور على ان فترة الانتقال لن تزيد على ثلاث سنوات وان يصدر قانون الانتخابات قبل ستة شهور من إنتهاء فترة الانتقال على الأقل، ومازالت فترة الانتقال ممتدة حتى الآن. وستمتد حتى يبلغ العراق (سن الرشد) فترفع الوصاية عنه حينئذ.. أما القانون

فأصبح يشرع ويطبق ويعدل ويلغي أو يبدل في بضع ساعات إرضاء للحاكم وتنفيذاً لمشيئته وهكذا تحول القانون من أداة خير وأمن واستقرار إلى أداة بطش وقمع واضطهاد ناهيك عن القوانين العرفية وقوانين الطوارىء والتعليمات.

القرارات الاشتراكية

تألف الاتحاد الاشتراكي وأصبحت الاشتراكية مطلباً أساسياً للكثير من القوى القومية والتقدمية التي انصهرت في الاتحاد الاشتراكي أو ظلت خارجة عنه ناهيك ان النظام الجديد بحاجة إلى تأييد الجماهير لاسيما إلى قطاع العمال ولابدّ من توسيع قاعدته، لذلك أنيطت مهمة أعداد التشريعات اللازمة لتأميم البنوك وشركات التأمين وبعض الشركات الصناعية وسيطرة الدولة على التجارة الخارجية بالدكتور خير الدين حسيب وكلف رسمياً من قبل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، ومضى الموما إليه بأداء مهمته بحماس واخلاص وكتمان، وفاستفاد من تجربة الجمهورية المتحدة وزارها أكثر من مرة ثم انضم إليه كل من الدكتور محمد جواد العبوسي وزير المالية والأستاذ عزيز الحافظ وزير الاقتصاد وقامت اللجنة بإنجاز مهمتها على أحسن وجه بتعاون وانسجام وبسرية تامة فلم يطلع أعضاء مجلس الوزراء على تأليف اللجنة أو واجبها، وما أن فرغت اللجنة من مهمتها وأصبحت القررات جاهزة للاعلان والتنفيذ حتى دعى أعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة إلى مأدبة غداء في القصر الجمهوري يوم ١٤ تموز ١٩٦٤ ثم قرأت القرارات وكان الرئيس عبد السلام عارف من أشد المتحمسين لها فقال "هل من مزيد" ولم يعارضها سوى العميد رشيد مصلح الحاكم العسكري العام والعقيد الركن محمد مجيد معاون رئيس أركان الجيش.

ثم أعلن رئيس الوزراء مساء اليوم نفسه القرارات من اذاعة بغداد سبقها بيان وجهه للشعب تضمن مايلي:

١ ـ ان القصد من هذه القرارات تحقيق الاشتراكية في العراق.

٢ ـ روعيت مصلحة الطبقة العاملة حيث اشرك العمال في الإدارة والأرباح.

٣ ـ لم يعد بعد اليوم أي نشاط خاص في قطاع المصارف كما ستقتصر صناعة الاسمنت والسكاير على القطاع العام أما النشاطات الأخرى الصناعية فيتولى أمرها قطاع مختلط يتألف من القطاعين العام والخاص.

٤ ـ ان الهدف من تأمين البنوك نقل رأس مالها للدولة أما ودائع الأفراد فلن تضار وستبقى العلاقة بين العملاء والمصارف على حالها ولن ينالها تغيير.

٥ ـ تعهد رئيس الوزراء بعدم اصدار تشريعات اقتصادية أخرى باستثناء قانون الدخل وقانون ضريبة التركات اللذين سيصدران في وقت ملائم.

ثم ذكر البيان ان اصدار التشريعات مرة واحدة كان لغرض توضيح الحدود والمعالم بين

مختلف القطاعات في المجتمع الاشتراكي كما ان الاشتراكية العربية لا تعني سيطرة الدولة على جميع النواحي الاقتصادية في البلاد حيث ترك مجال واسع لمساهمة القطاع الخاص والنشاط الفردي ليحققها زيادة الدخل ورفع مستوى المعيشة، وأذيعت القرارات الاشتراكية تلاها مرسوم جمهوري بالتعيينات استناداً إلى المادة (١٤) من قانون المؤسسة الاقتصادية، وعين الدكتور خير الدين حسيب رئيساً للمؤسسة المذكورة.

تمت الاجراءات بسهولة ويسر وسرعان ما إجتمع أعداء الاشتراكية داخل العراق وخارجه وشنوا حملة ضارية ضمت التجار والرأسماليين والاقطاعيين ورجال الدين كان هدفها الضغط على الحكومة للعدول عن القرارات الاشتراكية،استخدمت فيها جميع الأسلحة: الدين والاشاعة والتشكيك بكفاءة ونزاهة القائمين على تنفيذ القرارات وأخيراً أصدقاء رئيس الجمهورية..

كان الدين الاسلامي أمضى هذه الأسلحة وأشدها تأثيراً وبدأ خطباء المساجد يهاجمون الاشتراكية التي تتنافى مع الدين ونادى آخرون بأن العراق لم يكن بحاجة إلى مثل هذه التشريعات المستوردة وهو يختلف عن مصر، فخيراته وافرة ونفوسه قليلة وليس هناك أية سيطرة لرأس المال فأغنياء العراق قلائل لا يتجاوز ثروة أغناهم المليون دينار ناهيك أن الاقطاع قد لفظ أنفاسه بعد صدور قانون الاصلاح الزراعي ثم استخدم سلاح الاشاعة وهو سلاح خطير ومدمر عندما يتناول الوضع الاقتصادي وشؤون المال، ورأس المال جبان وعندما يشاع ان الحكومة في سبيلها للاستيلاء على ودائع البنوك والأراضي والعمارات السكنية يسود الذعر والقلق ويرتبك السوق ولقد ساهمت غرفة تجارة بغداد في الحملة الظالمة وقدمت مذكرات عديدة للجهات المسؤولة تنتقد القرارات الاشتراكية واسلوب تطبيقها ولم تعد حملة التشكيك والافتراءات تقتصر على الأجهزة بل أمتدت إلى الأشخاص ونال الدكتور خير الدين حسيب الشيء الكثير من الأذى في نزاهته وسمعته وقدم السيد شكري صالح زكي مذكرة ظالمة وزعها في المطار قبيل توجهه إلى مصر للالتحاق بعمله.. والمؤلم مساهمة بعض الفئات القومية في الحملة حسداً أو لعدم تعيينهم في المراكز التي كانوا يطمحون إليها وظهرت مقولة (لا اشتراكية بدون اشتراكيين) بهدف التنديد بجميع الذين عينوا في مختلف أقسام المؤسسة الاقتصادية بما في ذلك مدراء المصانع والمعامل.

لقد عجزت الحكومة عن رد السهام الموجهة للقرارات الاشتراكية وحماية موظفي المؤسسة الاقتصادية ثم أنضم رئيس الجمهورية عبد السلام عارف إلى جانب المعارضة وسماها (اشتراكية خير الدين حسيب) وأخذ يردد بعض الحكايات والنوادر عن الاشتراكية.. وفتح القصر أبوابه لكبار التجار والرأسماليين والاقطاعيين أمثال موفق الخضيري والحاج هاشم من كبار تجار الموصل وغيرهم بعد أن مهدّ لذلك عبد الرحمن الأرحيم أحد

تمار الشورجه صديق رئيس الجمهورية الحميم والمؤتمن على أسراره حتى شؤونه العائلية وظلت أجهزة المؤسسة تقاوم لوحدها وانسحب بعضهم مؤثراً الأمن والسلامة... وبدأت الصعوبات توضع في طريقها لتظهر بمظهر العاجز عن تأمين حاجات الجماهير وتلكأ بعض العاملين فيها وتقاعسوا بعد أن تخلى عنها رئيس الجمهورية وبدأ ينتقدها وحذا حذوه بعض الوزراء. وأخيراً أجهز عليها رئيس الوزراء السيد عبد الرحمن البزاز بعد طعنات وزير ماليته السيد شكري صالح زكي النجلاء.

الوحدة العربية

توفرت لأمتنا العربية مقومات وعناصر لم تتوفر في أمم غيرها، لكن الوحدة لم تتحقق بالرغم من مرور أكثر من خمسة وأربعين عاماً على الدعوة القومية وبروز العروبة.. فالوحدة بين مصر وسورية لم تدم سوى بضع سنوات، ثم انفصمت ولما تشب عن الطوق فكانت نكسة الانفصال ثاني حدث خطير يتعرض له العرب في تأريخهم الحديث بعد اغتصاب فلسطين وقيام دولة اسرائيل.لقد انشئت الجامعة العربية في ٢٢آذار عام ١٩٤٥ الذي لم تحقق آمال وتطلعات الجماهير العربية فهو في أحسن الأحوال "قد أنشئت كأتحاد دول عربية اتحاداً كونفيدرالياً يرتكز على العروبة كأساس سياسي ــ اجتماعي"[٧٤]. وبالرغم من مرور عشرات السنين على نشوء الجامعة العربية فأنها فشلت في اداء مهمتها وتبددت الآمال المعقودة عليها وهي الآن شبه عاجزة ومشلولة تعكس الواقع العربي السيء بكل صراعاته وتناقضاته ونكساته..

لقد حققت شعوب وأقوام وأمم عديدة وحدتها رغم توفر بعض مقومات الوحدة وكثرة الفروق والاختلافات العرقية واللغوية والمذهبية، فقامت الولايات المتحدة الأمريكية رغم تعدد الأقوام والأجناس وتباين المذاهب واللغات، وتحققت الوحدتان الايطالية والألمانية ولم ير الملوك والأمراء والأسر الحاكمة مفراً من الأذعان والخضوع فتهاوت العروش والتيجان، وذابت الإمارات والولايات والدويلات والدوقيات في وحدة جلبت المنعة والقوة والتقدم.

ثم قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق في فترة زخم قومي ومد وحدوي نتيجة انتصارات الزعيم العربي جمال عبد الناصر بدءاً بتحجيم حلف بغداد وتعهد الغرب في مارس ١٩٥٥ بعدم ضم الأردن أو أية دولة عربية للحلف، مروراً بصفقة الأسلحة المصرية ــ التشيكية في سبتمبر ١٩٥٥ ، فالاتفاق على معاهدة الدفاع المصري ــ السوري ــ السعودي الثلاثي عام ١٩٥٦ ، فالوحدة السورية المصرية في شباط ١٩٥٨ فتأميم قناة

---

٧٤ ــ د . محمود كامل ــ الأسلام والعروبة ــ الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٧٦ ، ص ٢٨٥

السويس، ورد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ والوحدة السورية المصرية في شباط ١٩٥٨ وانتهاء باستفحال ثورة الجزائر التحررية واتساعها، لكن العراق أحجم عن لعب دوره المنتظر لأسباب كثيرة ثم أطيح بنظام الحكم وأعدم عبد الكريم قاسم في حركة ٨ شباط (١٤ رمضان) ١٩٦٣ والتي أيدتها القاهرةفي الحال رغم عدم وضوح نواياها واتجاهها ثم سافر وفد عراقي للقاهرة برئاسة علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وبدأت الاجتماعات في ١٩٦٣/٢/٢٠ واتفق الطرفان على عدم ملائمة ظروف العراق لاتخاذ خطوات وحدودية فالمرحلة الراهنة تستوجب الاتفاق على وحدة الهدف وتنسيق العلاقات وتعميقها.. وفي ٨ مارس (آذار) من العام نفسه قامت حركة سورية أعلنت في بيانها الأول انها جاءت لتقضي على الانفصال فأعلنت كل من القاهرة وبغداد تأييدهما للحركة واتفق الطرفان على ضرورة التنسيق والتشاور وعدم إتخاذ أي منهما إجراءً منفرداً وقرّر العراق وضع قواته العسكرية تحت قيادة سورية لتدعيم الحركة وإسنادها ومواجهة أي عدوان تتعرض له وأصدرت القاهرة بياناً في ٩ مارس وضعت فيه قواتها المسلحة في حالة تأهب لنجدة سورية بعد تردد شاعات عن حشود أردنية وتركية معادية.

وخرجت جماهير دمشق عن بكرة أبيها تطالب بالوحدة بين سورية ومصر، رافعة أعلامها، حاملة صور الرئيس جمال عبد الناصر، وفقدت الحكومة سيطرتها على الشارع واتصل رئيس الوزراء صلاح بيطار ببغداد راجياً المعاونة في وجه هذا المد الوحدوي العارم.. وتوجه وفد عراقي كبير برئاسة علي صالح السعدي للتهنئة بالحركة الجديدة وصرح رئيس الوفد عند وصوله مطار المزة انه يحمل مشروعاً يحقق آمال الوحدة وبدأت الاجتماعات إثر وصول الوفد العراقي في يوم ١٩٦٣/٣/١٠ ثم تقرر إرسال ثلاثة من أعضاء الوفد العراقي برئاسة طالب شبيب وزير الخارجية إلى مصر لعرض مشروع السعدي (مشروع التعاون بين الدول العربية المتحدة) على الرئيس جمال عبد الناصر الذي رفضه بعد أن أدرك أهدافه وتبين عدم جدية الوفد.

عاد الوفد العراقي إلى بغداد وفجأة أعلنت إذاعة دمشق يوم ١٩٦٣/٣/١٤ ان هناك وفد سوري وآخر عراقي يستقل كل منهما طائرة خاصة في طريقهما إلى القاهرة للاجتماع. بالرئيس جمال عبد الناصر للاتفاق معه على مشروع الوحدة والعودة إلى دمشق في اليوم نفسه قبل اجتماع مجلس الوزراء السوري، تداركت الأمر بغداد بينما كان الوفد السوري في منتصف الطريق إلى القاهرة، فأرسلت وفداً على عجل إلى القاهرة وتلاقى الوفدان في القاهرة وبدأت مباحثات الوحدة الثلاثية استجابة لضغط الجماهير وتعبيراً عن طموحاتها وأمانيها..

بدأت المباحثات في ١٤ مارس (آذار) حتى ١٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٣ ومرت بعدة مراحل. عاد في أثنائها الوفدان إلى بلديهما للتشاور والاتفاق على خطة موحدة، فقد عاد

الوفد العراقي إلى بغداد يوم ١٩٦٣/٣/١٨ ماراً بدمشق حيث اجتمع في مطار المزة على انفراد بكل من ميشيل عفلق وسلطان الأطرش[٧٥].

لقد حفلت هذه الفترة بالمناورات الحزبية وأتضح من خلالها أن البعث العراقي والسوري لا يريدان الوحدة الفورية. وشهدت هذه الفترة نشاطاً في تبادل الزيارات بين كبار البعثيين في سورية والعراق وكان أهمها وصول ميشيل عفلق إلى بغداد يوم ١٩٦٣/٣/٢٣ للاتفاق على الخطة النهائية وتعرضت الجمهورية العربية المتحدة والرئيس جمال عبد الناصر إلى انتقادات شديدة من أقطاب حزب البعث في العراق ومنعت المظاهرات المؤيدة له في بغداد وأعادت السلطات العراقية فؤاد الركابي الأمين القطري العام ا لسابق لحزب البعث إلى القاهرة دون السماح له بمغادرة المطار..وأخيراً وقع ميثاق القاهرة في ١٧ نيسان ١٩٦٣ بعد مناقشات طويلة.

وقامت حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وجاء عبد السلام الذي لم تنسى الجماهير بعد تسرعه وإندفاعه وسعيه للوحدة الفورية مع مصر. ألم يُنادِ في الأيام الأولى من ثورة تموز بضرورة الوحدة..!؟ ألم يعلن في كل خطبة إيمانه بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر!؟.. انه قومي وحدوي متعصب للإسلام..

كل هذا دفع الشيوعيين واليساريين للالتفاف حول عبد الكريم قاسم الذي كان قليل الأحاديث والتصريحات.. لقد ذهب عبد الكريم قاسم وانتهى حكم البعث وأصبح عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة لا ينازعه أحد ولا حدود لسلطانه ناهيك عن صلاحياته الاستثنائية في فترة الانتقال.. لنتابع خطواته كي نتبين مدى مصداقيته واخلاصه للوحدة..!

١ ـ اتفاقية التنسيق السياسي بين القاهرة وبغداد:

في ١٣ مايو (مايس) ١٩٦٤ زار الرئيس عبد السلام عارف القاهرة لحضور الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة مرور عام على بدء بناء السد العالي وما ان انتهت الاحتفالات حتى بدأت عدة اجتماعات بين الوفد العراقي برئاسة عبد السلام عارف والوفد المصري برئاسة جمال عبد الناصر انتهت بتوقيع اتفاقية التنسيق السياسي بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية في ٢٦ مايو (مايس) ١٩٦٤ .

وقبيل توقيع الاتفاق وخلال الاجتماعات أبرق الاتحاد الاشتراكي في العراق إلى الرئيس عبد السلام عارف يناشده في هذه اللحظات التاريخية أن يمضي قدماً في طريق الوحدة

---

٧٥ ــ أمين هويدي ــ كنت سفيراً بالعراق ــ القاهرة ١٩٨٣ ص ٥٥ .

وكان تعليقه أثر تسلم البرقية "انا الذي سأخسر وليس عبد الكريم فرحان ولا صبحي عبد الحميد".

والغريب ان الاتفاقية نشرت في العراق بشكل كراسة صغيرة سميت (اتفاقية الوحدة) تخديراً للجماهير وامتصاصاً لحماسها وحفظاً لماء الوجه.

لقد ضمت الاتفاقية (١٢) مادة أهمها المواد الأولى والخامسة والسابعة والثامنة وفيما يلي نصوصها:

المادة الأولى: يشكل مجلس رئاسة مشترك لكل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية من رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس الجمهورية العراقية وعدد من الأعضاء.

المادة الخامسة: يختص مجلس الرئاسة المشترك بمايلي:

آ ـ دراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لإقامة الوحدة بين البلدين.

ب ـ تخطيط وتنسيق سياسة البلدين في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفي ميدان الاعلام.

جـ ـ تحقيق الوحدة الفكرية بين شعبي الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية عن طريق التنظيمين الشعبيين في البلدين والعمل على توحيد التنظيمين في المستقبل.

المادة السابعة: تنشأ المنظمات المشتركة الآتية:

أولاً: اللجنة السياسية.

ثانياً: القيادة العسكرية.

ثالثاً: اللجنة الاقتصادية.

رابعاً: لجنة الثقافة والاعلام.

خامساً: لجنة الفكر الاشتراكي.

سادساً: لجنة التنظيم الشعبي.

سابعاً: أي لجان آخرى تقتضي الضرورة تكوينها.

المادة الثامنة:

أ ـ تختص القيادة العسكرية المشتركة بتنسيق تسليح وتدريب وتجهيز القوات المسلحة للبلدين ووضع خطط العمليات وتحريك القوات المسلحة، كما تتولى قيادتها وقت الحرب.

ب ـ تتخذ القيادة العسكرية المشتركة التدابير الكفيلة لمواجهة الحرب أو خطر الحرب وبعد أي اعتداء أو تهديد بالاعتداء على أي من الدولتين موجهاً للدولة الأخرى[٧٦].

---

٧٦ ـ أمين هويدي ـ كنت سفيراً بالعراق ـ القاهرة ١٩٨٣ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩

لم تحقق الاتفاقية الحد الأدنى من أماني الجماهير العراقية وطموحاتها وفضلت تطمين الرئيس عبد السلام عارف الذي أصبح من ألد أعداء الوحدة الفورية خوفاً على مستقبله وبقائه في منصبه.. لقد أدرك الرئيس عبد الناصر هذه الحقيقة وسعى إلى تبديد مخاوف عبد السلام عارف كلما سنحت له الفرصة سواء في اجتماعات مجلس الرئاسة المشترك أو في اللقاءات الثنائية.. يقول أمين هويدي "وفي الاجتماع الثاني تحدث كل فرد من الوفد العربي عن رأيه في الموضوع وكان الوفد كله من المؤيدين لقيام الوحدة الفورية إلا أنني من المعارضين إذ كنت أعلم أن الرئيس عبد السلام لم يكن ميالاً للوحدة الفورية بل كان أكثر ميلاً إلى اتحاد شكلي.. وكان الرئيس عبد الناصر يرى نفس مارأيت [٧٧] ومن يدرس اتفاقية التنسيق ويستشف روحها يتضح له ان طريق الوحدة طويل يؤيد ذلك كثرة اللجان التي قد لا تتوصل إلى أهدافها ولقد قيل "إذا أردت تاخير عمل أو عدم انجازه فأعهد به إلى لجنة" كانت حجة الرئيس عبد السلام عارف كثرة مشاكل العراق التي يجب أن تحل أولاً وهي حجة واهية أثمرت مقولة (الوحدة المدروسة).

وسرعان ما عين العراق ثلاثة أعضاء متفرغين لمجلس الرئاسة المشترك هم ناجي الطالب وعبد الستار علي الحسين وأديب الجادر... وشرع أعضاء المجلس بمزاولة أعمالهم وتقديم اقتراحاته تمهيداً لعرضها على أول اجتماع، وتمّ الاجتماع الأول عقب انتهاء مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد في سبتمبر (أيلول) ١٩٦٤ في الاسكندرية وعرض الوفد بحث موضوع الوحدة بين القطرين لعدم رضا الشعب العراقي عن اتفاقية التنسيق.. وتلاه اجتماع ثانٍ وأخيراً اجتمع الوفدان العراقي في دار السفارة العراقية واتفقا على مشروع الوحدة الذي يتضمن قيام وحدة اتحادية برئيس جمهورية واحد وله عدد من النواب وتشكيل وزارة مركزية، ووزارات تنفيذية في كل قطر ودمج الجيش في جيش واحد واضطر الرئيس عبد السلام عارف إلى قبول الاقتراح وتسلمه ليعرضه في أول اجتماع.. وبدأ الاجتماع وطال النقاش وامتد الحوار لكن الرئيس عبد السلام عارف لم يعرض الاقتراح العراقي مؤثراً الاحتفاظ به في جيبه وظل أعضاء الوفد العراقي ينظرون إليه باستغراب ومرارة وتمخض الاجتماع عن تكوين قيادة سياسية للبلدين وتمّ تشكيل لجنة فرعية لاعداد المشروع لتقديمه في الاجتماع التالي:

٢ ـ اتفاقية انشاء قيادة سياسية موحدة

تشكلت القيادة السياسية الموحدة لتحل محل مجلس الرئاسة المشترك باعتبارها أعلى

---

٧٧ ـ أمين هويدي ـ كنت سفيراً بالعراق ـ القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٢٢١ .

سلطة سياسية في البلدين وتتكون من رئيس الجمهورية وستة أعضاء على الأقل في كل من البلدين ولها الحق في انشاء الأجهزة ووضع الأنظمة التي تكفل سير العمل لها بمقتضى المادة الثالثة من الاتفاقية آنفة الذكر. أما واجبات القيادة السياسية الموحدة فخطيرة ومهمة وهي:

١ ـ اتخاذ كافة الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الدستورية بين البلدين في مدة أقصاها سنتان.

٢ ـ اتخاذ الخطوات العملية لتحقيق الوحدة السياسية بين الاتحاد الاشتراكي في كل من البلدين.

٣ ـ الاشراف على:

آ ـ السياسة الخارجية.

ب ـ القوات المسلحة وشؤون الدفاع.

ج ـ التخطيط الاقتصادي.

د ـ الثقافة والإرشاد القومي والتعليم.

هـ ـ الأمن القومي.

٤ ـ بحث الشؤون الداخلية للبلدين وايجاد الحلول المناسبة لها ومتابعة تنفيذها.

لم يكن حظ هذه الاتفاقية أحسن من حظ أختها فهي لم تقدم شيئاً مذكوراً أو تخطو خطوة مهمة في طريق الوحدة الذي بات طويلاًوصعباً بعد أن تنكر لها دعاتها وأشد المتحمسين لها، ولم تجتمع القيادة السياسية سوى مرتين أو ثلاث في القاهرة بالرغم من أن المادة الرابعة من الاتفاقية نصت على اجتماعها مرة كل شهرين في أي من البلدين ويجوز أن تعقد اجتماعاً استثنائياً إذا اقتضت الضرورة ذلك.

ومهما كانت نصوص الاتفاقية فأنها تظل حبراً على ورق وليست العبرة بالصياغة والديباجة إنما بالنوايا الحسنة والاخلاص والتصميم والإيمان والتضحية في المنصب في سبيل مصلحة الأمة العربية. ومازلت أذكر بمرارة وأسى آخر اجتماع حضرته في القاهرة قبل استقالتي من وزارة الثقافة والإرشاد، كان اجتماعاً حاسماً ومؤلماً نبه الحالمين وأكد للرئيس جمال عبد الناصر صعوبة تحقيق الوحدة بين القطرين فقبل الأمر الواقع واكتفى بالابقاء على علاقات حسنة مع العراق في هذه المرحلة، لقد طلبت الكلام في الاجتماع بعد الاستئذان وقلت ما خلاصته إن الثورة عمل جبار وحاسم وإن مرحلة البناء التي تعقب الهدم واجتثاث الفساد تستدعي تعاون الثوار وتضحيتهم إذا دعي الأمر.. لقد شعر الرئيس عبد السلام عارف إنه المقصود بكلمتي هذه فوقف فجأة وأمسك الكرسي بكلتا يديه وتطلع إلى الرئيس جمال عبد الناصر قائلاً: "سيادة الرئيس..لقد(فلتُها مرتين) ولن تفلت مني هذه المرة.. سأعض عليها بأسناني وأمسكها بيدي" ثم جلس وكان بادي الانفعال.. تغيّر جو الاجتماع

وجرت مناقشات فاترة ثم انتهت الجلسة. وتقرر أن نذهب إلى مطعم في منطقة الهرم لتناول طعام العشاء.. واقترح معظم أعضاء الوفد العراقي ركوبي مع الرئيس عبد السلام عارف بسيارة واحدة، فاستجبت للاقتراح وما ان بدأت السيارة في مسيرها حتى بدأ الرئيس الحديث مؤكداً اخوتنا وصداقتنا.. ثم قال بإمكانك تنبيه السكرتير الرائد عبد الله مجيد إن أخطأ أو قصرّ.. قلت له أنا لا أشك في وفائه واخلاصه لك لكنه يتصرف بخشونة مع الوزراء، ألا يرى كيف يتصرف السيد عبد المجيد فريد سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر...!؟ لقد قال مرة للأخ صبحي عبد الحميد إن وزير الثقافة والإرشاد يعاملني بخشونة ألست أنا من الضباط الأحرار..! وطال الحديث واستمر حتى بلغنا المطعم وكان غاصاً بالناس ولم ينتبه لدخولنا أحد وتبين انه حجز لإقامة حفلة توديعية فيه لرئيس الجامعة الأمريكية بمناسبة مغادرته لمصر، ويشاركنا في الحفلة دون أن ندري، وما أن عرف المحتفلون بالوفد العراقي حتى رحبوا بنا وبالغوا في تكريمنا ثم قدم لنا الطعام، وكان الرئيس عبد السلام بادي السرور فأكل بشهية لأول مرة جلبت الانتباه ثم رقصت أحد الفنانات المشهورات وامتدت الحفلة إلى ساعة متأخرة.

مؤتمر وزراء الاعلام

قررت جامعة الدول العربية عقد أول مؤتمر لوزراء الاعلام العرب في مقرها بالقاهرة في شباط ١٩٦٤ .

توجهت إلى القاهرة بالطائرة التي توقفت في مطار دمشق فأنضم إليها ركاب كان من ضمنهم وزير الاعلام السوري.. ثم بدأت جلسة تمهيدية برئاسة يحيى أبو بكر، مثل العراق فيها الدكتور أحمد شاكر شلال.. وعقد المؤتمر في الجامعة العربية وكان أول المتكلمين بعد افتتاح المؤتمر من قبل أمين الجامعة، الدكتور عبد القادر حاتم فأعلن تخليه عن رئاسة الجلسة كما تقضي الأصول، باعتبار مصر البلد المضيف، لوزير الثقافة والإرشاد العراقي.. لقد فوجئت بقراره هذا وأضطررت إلى قبول المهمة التي لم تكن سهلة فالجو العربي ملبد بالغيوم، والمحاور والتكتلات واضحة فالعلاقات السورية العراقية سيئة وعلاقات سورية بمصر شديدة التوتر وقد يكون هذا وراء تنازل الدكتور عبد القادر حاتم ومهما يكن من أمر فقد انتهى المؤتمر وصودقت قراراته بالاجماع، ولقد عاونني الأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام بصدق واخلاص فسهل مهمتي.. قررت البقاء في مصر بضعة أيام عقب انتهاء المؤتمر للأطلاع على آثارها الرائعة ومعالم القاهرة ولابدّ من زيارة بطل القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر.. انها أمنية انتظرتها طويلاً...!

لقد رحبت جميع الجهات المسؤولة بتمديد بقائي وأعد لي منهج حافل عدلّته أحياناً لضيق الوقت وكثرة ما يستأهل المشاهدة والزيارة والاطلاع فأرض الكنانة زاخرة بأقدم الآثار

التاريخية وأروعها وكنت من أوائل من شاهدوا تجربة أول طائرة عسكرية مصرية بالاشتراك مع الهند ورافقني طيلة بقائي وتنقلي السيد نبيل من موظفي وزارة الخارجية وكانت تتقدمني سيارة أمن وحماية وكنت ألقى الحفاوة والترحيب والتكريم في كل مكان زرته.. ففي اليوم الأول زرت المصانع الحربية وقلعة صلاح الدين والمفاعل الذري ومتحف مصر وفي المساء شاهدت (الصوت والضوء) في منطقة (أبو الهول) وفي اليوم الثاني ذهبت لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر في مكتبه الخاص في مكتبه الخاص الذي يشغل غرفة متوسطة في دار سكناه.. كان لقاء لن أنساه تحدث فيه الرئيس كثيراً وأصغيت لحديثه بكل جوارحي.. مرّ الوقت بسرعة رغم أنه دام بضع ساعات أدهشني حقاً عمق تفكيره وتحليله للوضع العالمي والعربي ناهيك عن تواضعه وترفعه عن الصغائر... حفظت كل ما قاله واستوعبته وعند رجوعي إلى الفندق دونته في مفكرتي.. قال بضرورة بناء تنظيم شعبي قوي والاختلاط بالجماهير والتحدث إليها وضرورة تقوية العلاقات وبخاصة الاقتصادية بفرنسا فديغول رجل عظيم جريء وواقعي بعكس جونسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فهو مغرور ومتحيز للصهيونية ثم أكد على وجوب الدراسة والتعلم والاطلاع على أحدث كتب الاقتصاد والسياسة والتاريخ.. وذكر ما عاناه في الشهور الأولى من تحذلق وتفلسف الدكاترة والأساتذة واصراره على دراسة والتعلم والاطلاع وقال بكل تواضع كنت أستفيد حقاً وأتعلم الكثير عند الإلتقاء ببعض قادة العالم أمثال نهرو وغيره.. ثم نظر إلي مبتسماً وقال كنت أتهيب الجماهير وأخجل من التحدث إليها في الأيام الأولى وتطرق إلى الاعلام وبخاصة الصحافة وهيمنة الغرب عليها وأبدى شكوكه في مصادر تمويل بعض الصحف والمجلات وذكر على سبيل المثال مجلة الأسبوع العربي التي كانت تصدر في لبنان وأخيراً قال ان اتحاد كلمة الثوار وتعاونهم ضروري ولابدّ من تبادل الزيارات العائلية والشخصية في الأعياد والاحتفالات الوطنية والمناسبات الأخرى كعقد اقتران الابناء أو تخرجهم من الجامعات.. ثم قال إن هذه مهمة جميع الثوار بدون استثناء حتى لمن آثر التخلي والاستقالة لاختلاف في وجهات النظر..استأذنته في الانصراف وودعته شاكراً فأوصلني إلى الباب الخارجية وكان يصر على أن أتقدمه وتصافحنا وركبت السيارة عائداً إلى الفندق وشرعت في الحال بتدوين كل ما تحدثنا به..

وفي اليوم التالي توجهت جواً إلى أسوان لمشاهدة مشروع السد العالي و(أبي سمبل) و(كلابشة)... زرت مشروع السد العالي وشرح المهندس المختص على خريطة مجسمة المشروع الجبار ومراحل تنفيذه وتحدث عن سير العمل وأبدى ارتياحه على تقدم العمل فيه بعد ورود معدات حفر ونقل أمريكية ضخمة ذات قدرات كبيرة ثم تجولت في المنطقة ونزلت إلى النفق الكبير الذي ستتدفق فيه مياه النيل لتشغل المولدات الضخمة كما شاهدت عشرات (الدوب) تلقي بأحمالها من الأحجار في مجرى النيل حيث سيقام السد وفي

المساء رجعت إلى فندق (كاتراكت) وبعد العشاء أويت إلى غرفتي مبكراً ولم ألب اقتراح السيد نبيل للذهاب إلى النادي الليلي الذي كان يشغل الطابق الأرضي من الفندق لاحتياجي إلى الراحة ووجوب النهوض مبكراً في اليوم التالي. وفي الصباح الباكر أقلنا زورق بخاري (هايدروفيل) مع عدد كبير من السياح إلى (أبو سمبل) ثم زرنا معبد (كلابشة).. عدت إلى أسوان قبيل تحرك الطائرة إلى (الأقصر) ثم قضيت في الأقصر بضع ساعات فزرت (الكرنك) و(وادي الملوك) بينما واصلت الطائرة رحلتها إلى القاهرة ثم توجهت بالطائرة الثانية إلى القاهرة في اليوم نفسه.. قضيت الليلة في فندق (شبرد) ثم سافرت إلى العراق.. وصلت بغداد وفي اليوم التالي لوصولي قابلت السيد رئيس الجمهورية وذكرت له بالتفصيل حديث الرئيس جمال عبد الناصر وتوجيهاته وتوصياته...

وفي شباط ١٩٦٥ عقد مؤتمر الاعلام الثاني في الأردن فتوجهت جواً إلى عمان لحضوره وكان الوفد العراقي يضم كل من الدكتور أحمد شاكر شلال وكيل الوزارة والسيد نعمان ماهر مدير الإدارة العام، بدأ المؤتمر في موعده المحدد وخرج بتوصيات وقرارات توفيقية تمثل الحد الأدنى من طموحات المؤتمرين بعد أن احتدم الجدل وطال النقاش حول منح جائزة لأحسن فيلم عربي يتناول القضية الفلسطينية وكان الوفد السعودي متشدداً للغاية لتوقعه أن الجائزة ستكون من نصيب مصر في وقت تردت فيه العلاقات بين البلدين.. لقد تألمت كثيراً للوقت الذي أهدرناه في مناقشة عقيمة برغم ان الجائزة لا تتجاوز بضعة آلاف من الجنيهات..

ثم حضرت الوفود حفلة افتتاح الجامعة الأردنية والتي حضرها الملك حسين وولي العهد بالإضافة إلى رئيس الوزراء والوزراء ورئيس الجامعة.. ولقد أعدت وزارة الاعلام الأردنية جولة للوفود الاعلامية زارت فيها أهم مدن الضفة الغربية فالقدس وبيت لحم وبعض المدن الأردنية والمواقع الأثرية ومازلت أتذكر بأسى ومرارة تلك القرية الصغيرة التي قسمتها الحدود إلى قسمين ففصلت الإسلاك الشائكة بين العوائل والأقارب والأهل.. لقد صعدت مع آخرين إلى أحد البيوت لأرى بوضوح المأساة والظلم وقد طُلبَ إليّ في مدينة بيت لحم أن ألقي كلمة باسم الوفود، ردّاً على كلمة رئيس البلدية.. لقد ارتجلت كلمة قصيرة فقد كنت شديد الانفعال والتأثر لقد هاجمت الأنظمة بدون استثناء وتمنيت أن يأتي الحكام إلى تلك القرية المظلومة أولاً ليروا ما صنعه الاستعمار وخنوع الأنظمة.

القضية الكردية

الأكراد شعب شجاع، صمد طويلاً وفرض وجوده منذ آلاف السنين في منطقة كردستان التي تؤلف "العمود الفقري للشرق الأوسط" ثم وصلت رياح القومية إلى منطقة الشرق الأوسط فأيقظت جميع الشعوب والأقوام الخاضعة للحكم العثماني ونشبت الحرب

العالمية الأولى فوقف الأكراد بجانب العثمانين باسم الأخوه الاسلامية وقاتلوا معهم في جبهتي القفقاس والعراق وأخيراً ضد الجمهورية الأرمنية وضد اليونان وانتهت الحرب بانتصارالحلفاء وزوال الامبراطورية العثمانية وتوزيع أراضيها على المنتصرين ووقفت تركية إلى جانب الأكراد وتحمست لقضيتهم فداعبهم الأمل وراودتهم الأحلام في قيام دولة مستقلة لهم واعترف الحلفاء في معاهدة سيفر (١٩٢٠) بحقوق الأرمن والأكراد باقامة دولة مستقلة لكل منهما، لكن المعاهدة لم تنفذ وظلت حبراً على ورق نتيجة ظهور كمال أتاتورك وتوقيع معاهدة لوزان في عام ١٩٢٣ فتلاشت أحلام الشعوب وتبددت أمانيها، وتبين للأكراد ان الجغرافية السياسية والاستراتيجية الدولية وقفت ضد قيام دولة مستقلة لهم وكرّست بقاءهم في أربعة أقطار (تركية، إيران، العراق، سورية) وشعروا بوجود اتفاق ضمني بين هذه الأقطار على صهرهم وتذويبهم فنشبت الثورات الكردية تباعاً في تركية والعراق وايران وكان أخطرها في تركية لكثرة الأكراد ووعورة منطقتهم وقسوة الحكومة التركية ومنعها استعمال اللغة الكردية واصرارها على دمجهم وتذويبهم بعد أن اعتبرت الأكراد (أتراك الجبال).

ففي عام ١٩٢٥ نشبت ثورة في تركية بزعامة الشيخ سعيد تلتها أخرى عام ١٩٣٠ أنتهت بقيام الحكومة التركية بترحيل السكان إلى مناطق نائية في غرب تركية تلتها ثورة ثالثة في عام ١٩٣٧ بزعامة الشيخ رضا أخمدت بقسوة وأعدم جميع زعمائها[٧٨] وأدرك الأكراد اثر توقيع معاهدة سعد آباد بين الحكومات التركية والايرانية والعراقية والأفغانية في العام نفسه، صعوبة قيام دولة مستقلة لهم وتأكد لهم ذلك عقب سقوط حكومة مهاباد الكردية في أذربيجان الايرانية عام ١٩٤٧ وأعدام زعمائها فانحصرت مطالبتهم بالحكم الذاتي وممارسة حقوقهم القومية.

وشهد العراق ثورات كردية عديدة إبتداءً من الحكم الملكي حتى اليوم ولعب الاستعمار ورقة الأكراد بمهارة في بعض الأحيان، وقامت ثورة ١٤ تموز في العراق في عام ١٩٥٨ فرحب فيها معظم الأكراد كثورة تقدمية قضت على نظام ملكي ضالع مع الاستعمار، فألغت الاتحاد العراقي الهاشمي، وانسحب العراق من حلف بغداد كما تبنىّ سياسة الحياد الايجابي وهكذا تغير ميزان القوى في الشرق الأوسط تغيراً أربك مخططات الاستعمار والأمبريالية.

نظرت ثورة تموز إلى الأكراد كشركاء تعاني منطقتهم من التخلف شأن مناطق العراق الأخرى، أصابهم الظلم كما أصاب العرب وكل الأقليات ولابد من تعاون الجميع لخير

٧٨ ــ أدمون غريب ــ الحركة القومية الكردية ــ بيروت ١٩٧٣ ، ص ٩ و ٢٠ .

الوطن ورفاه شعبه وبينت المادة الثالثة من الدستور العراقي المؤقت قيام المجتمع العراقي على التعاون الكلي بين جميع المواطنين ووجوب أحترام حرياتهم وحقوقهم وان الأكراد والعرب شركاء في هذا الوطن، يضمن الدستور حقوقهم القومية ضمن إطار الكيان العراقي[٧٩] وسرعان ما أفرج عن المعتقلين ورحب النظام الجديد بعودة المنفيين، وصدرت التعليمات بعودة السياسيين منهم على نفقة الحكومة وعاد الملا مصطفى البارزاني من أوروبا الشرقية بعد أن قضى في المنفى ١٣ سنة واستقبل بحفاوة بالغة من الحكومة والأكراد والشيوعيين فأقام في مسكن ممتاز ووضعت تحت تصرفه سيارة فارهة وخصص له راتب ضخم ورواتب كبيرة لابنائه وأخيه الشيخ أحمد كما خصصت رواتب مناسبة لاتباعه، فتوثقت العلاقات بين الزعيم عبد الكريم قاسم والملا مصطفى البارزاني وتبودلت الزيارات بينهما واطمأن الأكراد إلى نوايا الزعيم عبد الكريم قاسم وأهدافه بعد أن تخلص من منافسه عبد السلام عارف المؤيد للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، لقد أعتمد عبد الكريم قاسم على الأكراد لترجيح كفته في صراعه مع القوى القومية. واستبيحت المدينة بعد مقتل الشواف وأقام الشيوعيون محكمة خاصة برئاسة عبد الرحمن القصاب .وأصبح البرزانيون الذين تكاثر اتباعهم بسرعة قوة ذات نفوذ وهيبة وبخاصة بعد ان ترك حوالي عشرين ألفاً من أفراد القبائل الكردية وشيوخها العراق إلى إيران و ذهب أربعة آلاف إلى تركية[٨٠] وهكذا رأى عبد الكريم قاسم ان الملا مصطفى قد أصبح منافساً خطراً وأخفقت مفاوضات العقيد حسن عبود آمر موقع الموصل مع البارزاني الذي أصبح شديد الحذر والشك في نوايا قاسم بعد غارة جوية على المكان الذي تقرر عقد الاجتماع فيه.

وبلغ تحدي البرزاني للنظام العراقي ذروته عندما قدم الملا مصطفى مذكرة شديدة للحكومة تضمنت أحد عشر مطلباً، وردّ عليها عبد الكريم قاسم باتهام شركات النفط بتحريض الأكراد على الثورة ودعمهم، وتعزيز القطعات العسكرية التي بدأت بشن هجومها وقيام الطائرات العراقية بغارات على القرى والتجمعات الكردية. لم يحقق الجيش العراقي أهدافه وأحرز الثوار الأكراد انتصارات محلية في زاخو ورايات وعقره وهاجموا منشآت عين زالة النفطية ومضى الأكراد في مد نفوذهم وبسط سيطرتهم وتصفية أعدائهم وبخاصة بعد النكسات التي تعرض لها الجيش في شهر تموز.. وعندما أطيح بنظام الحكم في ٨ شباط ١٩٦٣ وأعدم عبد الكريم قاسم كانت معنويات القطعات العسكرية في الشمال منخفضة لفقدان روح التعرض والمبادأة والاكتفاء باقامة حاميات ومعسكرات وربايا ثابتة في

---

٧٩ ـ أدمون غريب ـ الحركة القومية الكردية ـ بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٨ .
٨٠ ـ أدمون غريب ـ الحركة القومية الكردية ـ بيروت ١٩٧٣ ، ص ٤٣ .

المواقع المهمة وعلى خطوط المواصلات ناهيك عن سيطرة عبد الكريم قاسم المركزية على تحريك الوحدات وتعيين أهدافها وتحديد مهامها من قبله مباشرة..

توقف القتال تلقائياً إثر الاطاحة بالنظام ورفع الحصار الاقتصادي الذي فرضه عبد الكريم قاسم على منطقة كردستان، وأرسل البارزاني برقية تأييد للنظام الجديد بعد أن أمر قواته بوقف اطلاق النار وأبدى الطرفان استعدادهما لتبادل الأسرى وبدء مفاوضات لانهاء القتال، ولقد استفاد الطرفان من هذه الهدنة إذ تمكن النظام الجديد من القضاء على أعدائه وترسيخ أقدامه بينما استطاع البارزاني من بسط نفوذه وضم أعداد كبيرة إلى قوات (البيشمركه) وفي هذه الأثناء صدر أمر نقلي من قيادة موقع بغداد إلى قيادة الفرقة الأولى وتوجهت إلى مدينة الموصل حيث كان مقر الفرقة الرئيسي هناك.

جرت المفاوضات ببطيء وكان الوقت يمضي في صالح البارزاني الذي أعاد تنظيم قواته وتدريبها كما التحق به مئات المتطوعين الجدد وبذلك تعززت مكانته وهابته بقية الشيوخ الأكراد وكان الثوار يتعمدون اظهار قوتهم، وسيطرتهم سواء في القرى أو القرى أو المضائق أو قمم الجبال المشرفة على الطرق.

كان الموقف العسكري لا يبعث على الارتياح سواء من حيث التدريب أو الادارة فضلاً عن هبوط المعنويات.. لقد آثرت في هذه الفترة تكثيف زياراتي التفقدية للقطاعات والوحدات العسكرية وكنت شديد الحرص على تذليل جميع المشاكل الادارية مفضلاً أستخدام السيارة في التنقل بدلاً من طائرة الهلكوبتر كسباً لثقة الجنود ورفعاً لمعنوياتهم وعلى سبيل المثال زرت السرية المتحصنة في قرية (مريبة) لإسناد عبد الله الشرفاني مرتبتي بينما لم يزرها آمر الفوج منذ ثلاثة أشهر. وفي المرة الأخيرة أحترقت المدرعة التي ترافقني خلال عبور (نهر الكومل) وكنت أشاهد الثوار الأكراد بأسلحتهم في مضيق دهوك ومنطقة مانكيش وقرية بادي وغيرها.

لقد صدرت في هذه الفترة تصريحات من كلا الجانبين زرعت بذور الشك وبددت التفاؤل وبالرغم من خوف الحكومة أن تؤدي مطالب الأكراد إلى الانفصال فانها وافقت على "الحكم الذاتي" وفي أول آذار أعلنت ا لحكومة ضمان (حقوق الأكراد) تلاه في لخامس من الشهر اتصال رسمي بين الجانبين ثم قدم الملا مصطفى شروطه بعد أن ازدادت مطالب الأكراد وأتسعت محذراً ومهدداً وبين ان عدم قبولها خلال ثلاثة أيام يعني استئناف القتال. لقد أذعنت الحكومة واستجابت للشروط إذ أعلنت إذاعة بغداد ان اللجنة الوطنية للثورة العراقية تعترف بالحقوق القومية للشعب الكردي على أساس اللامركزية تلاه تصريح لعلي صالح السعدي في دمشق توخى منه تطمين الأكراد وتبديد مخاوفهم.

عقد الملا مصطفى مؤتمراً موسعاً في (كويسنجق) في السابع عشر من آذار أستمر حتى الثاني والعشرين من الشهر نفسه حضره حوالى ألفين من الأكراد من بينهم (١٦٥) مندوباً

عن اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني كما اشترك فيه أبرز قادة القوات الكردية وممثلوا القبائل والأقليات وأيد المؤتمرون البارزاني واستطاعوا من اقناعه بتقديم مطالب جديدة للحكومة وشكلت لجنة لاعداد وصياغة المقترحات، كما انتخبت لجنة أخرى برئاسة جلال الطالباني للتفاوض مع الحكومة. وصل الطالباني بغداد في ٣٠ آذار لكنه لم يجتمع بالمسؤولين لانشغالهم في التفاوض مع سورية والجمهورية العربية المتحدة لكنه اجتمع بوفد شعبي في جامعة بغداد، ثم شكلت الحكومة وفداً رسمياً ضم أعضاء من الوفد الشعبي وبدأت المفاوضات بين الطرفين التي امتدت حتى نيسان. ثم قدم الطالباني باسم الوفد الكردي مذكرة إلى الأعضاء العراقيين في مؤتمر القاهرة حددت موقف الأكراد من مشروع الوحدة، وبعد أسبوع من توقيع اتفاقية الدولة الاتحادية بين العراق وسورية قدم الوفد الكردي نسخة معدلة للمشروع في ٢٤ نيسان تضمنت مطالب واضحة ومحددة لكن الجانبين لم يتوصلا إلى اتفاق. وفي أوائل حزيران غادر الوفد الكردي بغداد فأصدرت الحكومة بياناً رسمياً اتهمت فيه الأكراد بتقديم شروط صعبة والعمل على احباط المفاوضات ومهاجمتهم لمواقع الجيش وحامياته[٨١] وحددت مهلة لتسليم الثوار الأكراد لأسلحتهم وجرت مفاوضات عقيمة في ٦ و٧ و٨ حزيران انتهت باستئناف القتال يوم ١٠ حزيران ١٩٦٣ قبيل ساعات من بدء تبادل الأسرى والذي تقرر اجراؤه في احدى القرى القريبة من مضيق دهوك.

لقد ضاعت فرصة ثمينة إذ كان بالوسع تجنب البلاد الكثير من الويلات والمآسي لو خلصت النيات وتحلى الطرفان بالواقعية والجدية.. لم يستفد العراق من هذه الهدنة وإنما استفاد الطرفان فقد تمكن النظام الجديد من القضاء على أعدائه وترسيخ أقدامه أما الملا مصطفى فقد أعاد تنظيم قواته وتدريبها بعد أن التحق به مئات المتطوعين الجدد ووصلته أسلحة من خارج العراق وبذلك استطاع من بسط نفوذه على مناطق واسعة فتعززت مكانته وهابه الشيوخ و(الكوخات) الأكراد، وبدأ مسلسل القتل والتخريب من جديد وهو نزيف داخلي يضعف المريض ولا يقتله، وسرعان ما التحق بمقر الفرقة الأولى ضابط ارتباط تركي برتبة مقدم ركن مع مترجم من جزيرة ابن عمر يحسن العربية و(شغل) جهاز لاسلكي، حديث ودقيق كما التحق بمقر الفرقة الثانية في كركوك ضابط ارتباط إيراني لغرض التنسيق والتعاون وتبادل المعلومات. لقد أنيطت بالفرقة الأولى واجبات ومهمات كثيرة لا تتناسب مع طاقاتها بخلاف الفرقة الثانية التي حظيت برعاية خاصة، كما غيرت فجأة خطة الحركات العامة التي تمّ الاتفاق عليها (بعد مؤتمر عقد في الموصل حضره ضابط ركن قيادة

٨١ ــ أدمون غريب ــ الحركة القومية الكردية ــ بيروت ١٩٧٣ ، ص ٧٢ و ٧٦ .

قوة الميدان العميد الركن عبد الجبار شنشل وسعيد القطان) وألقى العبء الأكبر على عاتق الفرقة الأولى التي نظمت وشكلت في الأساس للعمل في جنوب العراق. ومهما يكن من أمر فقد أدت الفرقة الأولى واجباتها على أفضل وجه وحققت نجاحات كثيرة فحررت مناطق واسعة واحتلت أهم المواقع الاستراتيجية وفتحت جميع الطرق والمحاور لتنقل الأشخاص والسيارات وبدأت لجنة اعمار الشمال برئاسة اللواء الركن نايف حمودي ـ والتي شكلت بناء على اقتراح الفرقة الأولى ـ مهمتها في المسح والتجوال تمهيداً لوضع خطة شاملة لاعمار الشمال واصلاح ما خربه القتال.

وعندما قامت حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ كانت الثورة الكردية في حالة جزر وانحسار إذ تمّ تحرير معظم المنطقة الشمالية وانسحب الأكراد إلى معاقلهم الأخيرة وراء سلسلة جبال سر عمادية في أقصى الشمال. توقف القتال تلقائياً وتجمد كل نشاط وفعالية وتوقع الجانبان بدء مفاوضات جديدة لانهاء القتال وعودة السلام إلى ربوع الشمال.. بدأت المفاوضات في شباط ومثل الثوار الأكراد صالح اليوسفي أما الحكومة فمثلها العقيد عبد الرزاق محمود محافظ السليمانية.وفجأة وفي ١٠ شباط طلب السيد رئيس الجمهورية اجتماع مجلس قيادة الثورة وعقد الاجتماع عصراً وحضره العقيد عبد الرزاق محمود الذي أعلن موافقة الملا مصطفى على ايقاف القتال وابرز ورقة صغيرة بخط الملا تويد ذلك.. فرح الجميع بالنبأ وأذيع من دار الإذاعة فرحب به الشعب وبدأت المساعدات المالية والعينية تتدفق على الملا مصطفى واتباعه عن طريق محافظ السليمانية وكان المأمول أن تتقدم المفاوضات وتعالج الكثير من القضايا ليعود الأمن والسلام إلى المنطقة تمهيداً لاعمار الشمال وقيام الإدارة المحلية بممارسة واجباتها الاعتيادية وعودة الثوار الأكراد لمزاولة نشاطهم المهني والحرفي والوظيفي السابق على التحاقهم بالثورة.. لكن المفاوضات ظلت تراوح في مكانها وتجمد الوضع وبقي كل شيء على حاله ومرت الأسابيع دون جدوى وأخيراً اجتمع مجلس قيادة الثورة لمناقشة الوضع في الشمال حضره أيضاً محافظ السليمانية بدأت الجلسة باستعراض الموقف في كردستان واستغرب الجميع عدم تقدم المفاوضات رغم مرور مدة طويلة على توقف القتال وأكد الجميع على ضرورة تحريك الوضع المتجمد والاسراع بعودة الأحوال الطبيعية إلى المنطقة واتجهت الأنظار إلى محافظ السليمانية لمعرفة رأيه واقتراحاته.. شرح المحافظ الموقف الراهن في الشمال وانحى باللوم على الحكومة وانتقدها لعدم تلبية طلبات الملا مصطفى.. كان كلامه في منتهى الغرابة فالظاهر انه لا يعرف موقعه الحقيقي وخطورة مهمته.. كنت أول من رد عليه فقلت: "ان الحكومة حققت الكثير من وعودها وأرجو من الأخ وزير الداخلية أن يبين ذلك بالتفصيل ثم عددت بعضها" وأخيراً توجهت إلى المحافظ فقلت: "تذكر إنك أحد المسؤولين وان مهمتك خطيرة ولست سفيراً للبارزاني لدى الجمهورية العراقية." أدرك الجميع خطورة الوضع وعجز المحافظ عن القيام بهذه المهمة

الخطيرة وافتقاره إلى الكثير من المؤهلات والصفات الضرورية فالتقوى والورع وحسن النية لا تكفي وعجبت لوقوع الاختيار عليه وثقة رئيس الجمهورية الشديدة فيه، كما بدأ اتباع الملا مصطفى ينفضون من حوله وينتقدون سلوكه وموقفه واصبحوا يتندرون على المساعدات التي تصل إليه ويتهمونه بالتخلي عن القضية الكردية لقاء معونة مالية وعينية تصل إليه شهرياً وسرت اشاعات أن الملا مصطفى لا يتسلم جميع المعونة.. ظل الموقف جامداً ثم بدأ يتأزم من جديد وأصبح الوضع في غاية الخطورة ينذر بالانفجار لفقدان الثقة وعدم تقدير المرحلة حق قدرها وبات نشوب القتال فجأة لسبب تافه أو مهم أمراً متوقعاً.. لقد اضاع الطرفان فرصة ثمينة استفاد منها الثوار الأكراد فقد رفع الحصار ويرجح وصول أسلحة إليهم من الخارج في حين انخفضت معنويات الجيش لتجمد الوضع فترة طويلة وضعف قيادته علماً أن بعض المسؤولين أدركوا ان المفاوضات هي السبيل الوحيد لحل القضية الكردية طالت المفاوضات أم قصرت شريطة أن يتحلى الطرفان بالاخلاص والجدية فقد أدى القتال المستمر إلى المزيد من سفك الدماء وتدمير المنطقة وكان هذا رأي الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي بينه في مناسبات كثيرة لكبار المسؤولين..

ونشب القتال فجأة في نيسان ١٩٦٥ واحرز الثوار الأكراد انتصارات محلية ولحقت بالوحدات العسكرية في قاطع (خانقين) و(دربندخان) خسائر نتيجة ضعف القيادة.. كان لابدّ من اجراء تغييرات جوهرية بدءاً باللواء عبد الرحمن عارف وكيل رئيس أركان الجيش وانتهاءً بالعميد حماد شهاب آمر أحد التشكيلات لرفع معنويات القطعات.. كنت من أشد المتحمسين لاحداث التغييرات ووضع الرجل المناسب والقائد الكفؤ في الموقع المناسب تجنباً لنكسات أخرى قادمة، ولقد تحدثت إلى وزير الدفاع العميد محسن حسين الحبيب أكثر من مرة وبينت له أهمية اجراء التغييرات في القيادة لرفع معنويات الجيش وكسب ثقة الضباط ووعدته بتأييد الضباط القوميين والوقوف إلى جانبه وكان آخرها حديث في مطار الرشيد العسكري وقبيل اقلاع الطائرة التي كانت تقل الوفد العراقي برئاسة رئيس الوزراء إلى مصر وكانت قد وصلت للتو طائرة هلكوبتر تحمل بعض الجرحى من قطاع خانقين، كما اقترحت زيارة وزير الخارجية لايران بعد أن تأكد دعمها للثوار الأكراد وتزويدهم بالسلاح في أحد الاجتماعات التي حضرها رئيس الجمهورية وجرت مناقشة حامية تطورت إلى مشادة بيني وبين الأخ ناجي طالب الذي اعتبرها تدخلاً في شؤون وزارته.

وأخيراً وبعد لأي اعترف الرئيس عبد السلام عارف بضعف قيادات الجيش ووعد باجراء تغييرات أساسية كما تحمس للمشاركة في القتال رفعاً لمعنويات القطعات وكسباً لثقة الجنود وطرح فكرة غريبة، أن يشترك بنفسه في أحتلال إحدى الربايا المهمة باستخدام طائرات الهلكوبتر، وسواء كان يقصدها أم يريد معرفة نواياي ومدى حرصي على سلامته بعد أن راج سوق الدس والوشاية...

قلت له ولم يكن بيننا ثالث: إن القرار شجاع لكن الفكرة غير صائبة وخطيرة لأن تعرضك للاصابة او قتلك أو أسرك يؤدي إلى نكسة خطيرة.

كتاب (المنحرفون)

اسندت وزارة الداخلية إلى العميد رشيد مصلح فضلاً عن منصب الحاكم العسكري العام وزاول واجباته فوراً لكن دائرة الحاكم العسكري ومقرها في الثكنة الشمالية بجوار موقع بغداد في (باب المعظم) لم تمارس مهامها إلا بعد مرور أكثر من سبعة أيام بسبب اعادة تنظيم الدائرة واجراء تغييرات في العاملين في الدائرة المذكورة من ضباط وضباط شرطة ومفوضين وحقوقيين وما أن فتحت الدائرة أبوابها حتى غصت بالمراجعين فخصصت غرفة اضافية لهم وزيد عدد الموظفين لكثرة الشكاوي وتبين كثرةالمخالفات التي أرتكبها أفراد الحرس القومي وصلت أنباء هذه المخالفات إلى مسامع كبار المسؤولين ومنهم السيد رئيس الجمهورية وتحدث الناس عنها بمرارة وألم فقد اضطر المجني عليهم إلى الى السكوت في حينه ودارت في خلد أكثر من مسؤول فكرة اصدار كتاب يتضمن هذه المخالفات على غرار الكتاب الأسود) الذي أصدرته حكومة أحمد حسن البكر تناولت فيه أعمال الشيوعيين في عهد عبد الكريم قاسم. رحب الرئيس عبد السلام عارف في الفكرة ورأى فيها فرصة لانقاذ سمعته وادانة تصرفات الحرس القومي وتأكيد عدم علمه بتصرفاتهم أثناء وقوعها فأوعز إلى مديرية الاستخبارات العسكرية للقيام بهذه المهمة وتحمست المديرية للفكرة وأناطت المهمة بالرائد أحمد أبو الجبن أحد منتسبيها الذي بادر فوراً بمهمته بالتعاون مع دائرة الحاكم العسكري العام.

إتصلت مديرية الاستخبارات العسكرية بوزارة الثقافة والإرشاد لطبع المخطوطة أو تدبير المال لكن الوزارة رفضت الاقتراحين معاً فنشاطها ثقافي محض ولا علاقة له بمثل هذه الأمور.. وأخيراً قررت مديرية الاستخبارات العسكرية طبع عشرين ألف نسخة من مخصصاتها وقبيل البدء بطبعه طلب الرئيس عبد السلام عارف المخطوطة للاطلاع عليها وبقيت لديه بضعة أيام وحذف الكثير من فقراتها بعد التداول مع الحاكم العسكري العام فكلاهما ساهم في الحكومةالسابقة وستظل تهمة التساهل والسكوت عالقة بهما رغم تظاهرهما بعدم العلم..

مؤامرات

حفلت هذه الفترة بمؤامرات عديدة للاطاحة بالنظام أو اغتيال بعض قادته ورموزه لم يقدر لها أن تنفذ باستثناء واحدة احبطت بعد الشروع بها بقليل يضاف إليها مؤامرات وهمية كان الهدف منها التنكيل بالمعارضة أو الدس والوقيعة بين المسؤولين ليسهل الانقضاض على النظام.

١ ـ مؤامرة في دهوك

كانت هذه الأولى خطط لها أن تتم في قاطع دهوك بين الوحدات العسكرية بعد الإطاحة بعبد الكريم قاسم وقبيل استئناف القتال بين الأكراد والجيش العراقي في ١٠ حزيران ١٩٦٣ كانت ترمي إلى السيطرة على الوحدات الموجودة في القطاع المذكور بعد اغتيال الضباط ثم الانضمام للثوار الأكراد، اما إشارة البدء أو ساعة الصفر فتتحقق بقيام أحد العرفاء بإطلاق قذيفة من مدرعته التي كانت ترابط بجوار احدى (الربايا) القريبة من جسر (الدكه) والمشرفة على مفرق الطرق المؤدي إلى الموصل ودهوك وزاخو بعيد منتصف الليل، لكن العريف آمر المدرعة المكلف بإطلاق القذيفة أخبر استخبارات الفرقة بالمؤامرة قبيل البدء في تنفيذها وبدأ التحقيق فوراً وبسرية تامة من قبل مجلس تحقيق برئاسة المقدم الركن جليل أحمد آمر أحد الأفواج وتدخل أقطاب حزب البعث في الموصل في التحقيق ولم يجرؤ رئيس المجلس على الاعتراض وأخيراً وضع الحزب يده على القضية بحجة وجود عناصر مدنية مشتركة بالمؤامرة كما أن المؤامرة معقدة ومتشعبة ذات جوانب سياسية وعقائدية وقد مارس المحققون شتى أنواع التعذيب والإكراه وأدين المتآمرين وحكم على بعضهم بالاعدام ونفذ الحكم رمياً بالرصاص في معسكر الغزلاني بالموصل بعد مصادقة الحاكم العسكري العام العميد رشيد مصلح على قرار المحكمة العسكرية الخاصة.

٢ ـ مؤامرة في بغداد:

في مايس ١٩٦٣ أعلنت الحكومة عن اكتشاف مؤامرة قومية للإطاحة بالنظام تقوم بها حركة القوميين العرب بمساندة القاهرة.. ترتب عليها التنكيل بالقوى القومية واعتقال بعض أقطاب حركة القوميين العرب وعدد من الضباط المتقاعدين أمثال العميد الركن عبد المنعم المصرف والرائد جميل السعودي.. وبدأت برقيات الاستنكار تترى من إذاعة بغداد تطالب بتصفية المتآمرين وكل جيوب المقاومة وتدعو إلى الحذر واليقظة والحزم، وهدد علي صالح السعدي وتوعد بسحق كل القوى المعادية وهي في نظره رجعية أو عميلة، وحثت برقية الملحق العسكري العراقي في دمشق حكومة بغداد على انتهاز هذه الفرصة للتخلص من القوميين .

٣ ـ محاولة انقلاب في معسكر الرشيد

في فجر يوم ٢ تموز ١٩٦٣ تمكن عدد كبير من ضباط الصف والجنود الشيوعيين المطرودين من الجيش بقيادة (حسن سريع) من احتلال مركز التدريب المهني في معكسر الرشيد وهم يحملون رتباً عسكرية وشارات خاصة فاحتجزوا ضابط الخفر ثم فتحوا

المشاجب وأخذوا جميع ما فيها من سلاح وتوجهوا إلى السجن العسكري رقم (١) وهو قريب لاطلاق سراح المعتقلين وكان يضم حوالي (٣٠٠٠) معتقل شيوعي بينهم عدد كبير من الضباط سيعهد إليهم قيادة الانقلاب بعد توزيع الأسلحة عليهم، وبعد الاستيلاء على معسكر الرشيد تذاع البيانات الست المكتوبة[٨٢] من إذاعة الحرية في سلمان باك وهي متاخمة لمعسكر الرشيد يتلو ذلك السيطرة على دبابات القصر الجمهوري ثم الزحف على محطة الإذاعة في الصالحية لاحتلالها أو تدميرها لكن الانقلاب لم ينجح للأسباب التالية:

أ ـ كانت الخطة معقدة طموحة ومتفائلة عولت على الجماهير كثيراً والتي كانت تعاني من قسوة النظام ومصادرته للحريات وتوهمت قيادة الانقلاب ان الشيوعيين والقوى اليسارية ستبادر فوراً للانضمام إلى الحركة.

ب ـ شدة مقاومة حرس السجن رقم (١) التي حالت دون إطلاق سراح المعتقلين.

جـ ـ عدم تأمين جهاز اللاسلكي من القوة الجوية والذي كان سيبث البيانات الستة المكتوبة على موجة خاصة تستلمها محطة الحرية لتبثها في كل أرجاء العراق والعالم الخارجي.

د ـ سرعة اجراءات السلطة لقمع الانقلاب.

وفي الصباح تمت السيطرة على الموقف وكانت خسائر الانقلابيين ٢٣ قتيلاً واعداد كبيرة من الجرحى وقد ألقى القبض على الأحياء واعتقلوا في النادي الأولمبي في الأعظمية تحت اشراف الحرس القومي الذي تولى التحقيق معهم أما الجرحى فقد نقلوا إلى مستشفى الرشيد العسكري ومستشفى الطوارىء في شارع الشيخ عمر ببغداد.

٤ ـ مؤامرة بعثية:

بدأت فلول البعث تتجمع وتعيد تنظيمها وندم المشاركون منهم في حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ والذين كانوا يحلمون بمناصب مهمة ووظائف مرموقة[٨٣]. وتزايد عدد المتذمرين بسبب تحمس السلطة واصرارها (على ملاحقة المقصرين منهم ومطاردة المجرمين) وبخاصة الرئيس عبد السلام عارف بعد أحكام قبضته على القوات المسلحة واضطرار نائب رئيس الجمهورية العميد أحمد حسن البكر على التخلي عن منصبه واعلانه في الصحف :

---

٨٢ ـ كانت البيانات موقعه باسم القيادة الثورية للجبهة الشعبية كان البيان الأول يضم الأسباب والدوافع أما الثاني تشكيل الحكومة الجديدة وبيان منع التجول وإغلاق المطارات .... وقد وزعت مديرية الأمن بعدئذ نسخة من هذه البيانات على بعض المسؤولين.

٨٣ ـ داوم صدام حسين من تلقاء نفسه في قسم الاستعلامات في مؤسسة الاذاعة والتلفزيون عدة أسابيع ثم انقطع فجأة.

ترك السياسة كما أوعز رئيس الجمهورية إلى السيد طاهر يحى رئيس الوزراء بسؤال وزير الدفاع حردان التكريتي رئيس لجنة التبرعات عن مصير التبرعات التي تبرع بها الجمهور للحزب إثر الاطلاحة بعبد الكريم قاسم بعد ان شاع ان هناك حوالي (٧٦) ألف دينار لا يعلم مصيرها وان انفاق الموما إليه ومصروفاته أصبحت حديث الناس.

لقد عجز النظام عن استيعاب واحتواء العناصر البعثية وتبديد مخاوفهم وارضاء طموحاتهم ومما زاد الطين بلة فصل بعضهم من وظائفهم أو نقلهم إلى وظائف أخرى واتجاه النية إلى التخلص من الضباط البعثيين الموجودين في الحرس الجمهوري والانضباط العسكري ووحدات موقع بغداد وهكذا التفوا حول العميد أحمد حسن البكر والعقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت وأغلبهم من بلدة تكريت وبدأ التخطيط للعودة إلى المسرح بالاستفادة من الضباط البعثيين الموجودين في وحدات بغداد واختار البعثيون يوم ٥ أيلول ١٩٦٤ للتنفيذ وهو يوم سفر رئيس الجمهورية إلى القاهرة الأمر الذي يسهل لهم السيطرة على وحدات الحرس الجمهوري لكن حركتهم انكشفت قبل تنفيذها وأرجح ان أحد أبناء تكريت هو الذي أخبر رئيس الوزراء طاهر يحيى.

التقيت في المطار المدني برئيس الوزراء أثناء توديع رئيس الجمهورية فأخبرته بأن مؤامرة قد اكتشفت وان التحقيق قد بدأ في مديرية الاستخبارات العسكرية برئاسة العميد الركن محمد خالد واقترح عليّ التوجه إلى المديرية المذكورة للاطلاع على سير التحقيق توجهت إلى المديرية المذكورة وجلست بعض الوقت لكن شجبت أسلوب التحقيق الذي يتعمد اهانة المتهم وصفعه وشتمه كما لم يقر رئيس المجلس التحقيق هذا الاسلوب فاستقال من مهمته.

والقى القبض على أقطاب المؤامرة وبعض الضباط البارزين وأودع العميد أحمد حسن البكر والعقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت وبقية المتآمرين في السجن رقم (١) في معسكر الرشيد وبعد أسابيع معدودة بدأ العميد سعيد صليبي قائد موقع بغداد يسعى لإطلاق سراح أحمد حسن البكر مستخدماً كل وسائل الضغط المعنوية على رئيس الجمهورية لكنه لم يوفق برغم انضمام الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء إليه وأخيراً لجأ إليّ راجياً الانضمام إليهما لاقناع رئيس الجمهورية ثم دخلنا نحن الثلاثة على رئيس الجمهورية وتوليت الكلام فذكرت له مكانة أحمد حسن البكر واخلاصه وتضحياته ووفائه ناهيك عن صداقته لك والتي تمتد إلى أيام الدراسة في الكلية العسكرية ثم قلت له مؤكداً ان الرجل مريض وهو ينوي حج بيت الله فأطلق سراحه ياأبا أحمد والعفو من شيم الكرام.. وافق الرئيس عبد السلام على اطلاق سراحه وذهب العميد سعيد صليبي إلى السجن رقم (١) مباشرة لتبليغ مدير السجن وأحمد حسن البكر نفسه.

ومرت الأسابيع ولم يسافر أحمد حسن البكر إلى مكة المكرمة للحج أو العمرة فالفكرة

لم تدر بخلده مطلقاً لقد كان العذر من بنات أفكاري لجأت إليه بدافع المروءة والشهامة لاطلاق سراحه ودأب الرئيس عبد السلام عارف على سؤالي كلما التقينا (متى سيسافر...؟) وكان رد الجميل ومكافأتي على صنيعي اعتقالي صباح ١٧ تموز ١٩٦٨ فكنت من أوائل المعتقلين وآخر المطلق سراحهم إذ مكثت زهاء سنتين ونصف في المعتقل وتنقلت بين معتقلات السجن رقم (١) والفضيلية وقصر النهاية وعندما أطلق سراحي قدمت عريضة إلى رئيس الجمهورية لرفع الحجز عن أموالي ليتسنى لي بيع داري في الأعظمية تسديداً لديون الحكومة (المصرف الزراعي ـ أموال القاصرين) وديون الأصدقاء لكن الرئيس لم ينظر فيها وحفظت العريضة ثم رأى المستشار القانوني جابر عاشور أحد أصدقائي المحامي جعفر صادق فقال له لا فائدة من تقديم العريضة واقترح أن ينتظر لفترة مناسبة ريثما تصفو النفوس وسأخبرك أنا بالوقت الملائم لتقديم عريضة ثانية ومرت شهور كثيرة، والتقى المستشار القانوني بصديقي ووكيلي فاقترح تقديم العريضة وقدمت العريضة الثانية ولم تختلف عن الأولى فرفع الحجز عن أموالي المنقولة وغير المنقولة[٨٤] .

٥ ـ مؤامرة مختلقة

دأب الملازم الأول عدنان شريف وهو بعثي من تكريت وابن أخ العميد حماد شهاب على زيارة صديقه مرافق رئيس الوزراء في المجلس الوطني بتوجيه وتكليف من حزب البعث واستطاع أن يكسب ثقة رئيس الوزراء طاهر يحيى فكلهم من تكريت (والعصبية البلدية) مع بالغ الأسف تتقدم على الوطنية والقومية والأخوة الاسلامية وبدأ ينقل إليه عن طريق مرافقه أنباء اجتماعات قومية وهمية هدفها الاطاحة بالنظام وقد عُرِف رئيس الوزراء بشدة الحرص على البقاء في منصبه بصرف النظر عن الثمن الذي دفعه على حساب سمعته وكرامته.

وفي أحد الأيام أذاعت محطة دمشق (توقف) تنفيذمؤامرة عبد الكريم فرحان القومية لعدم تحرك مدرعات معسكر (أبو غريب) إلى بغداد لاحتلال أهدافها بقيادة الرائد عبد الأمير الربيعي وأرجح ان الملازم الأول عدنان شريف قد أخبر بالمؤامرة المزعومة رئيس الوزراء طاهر يحيى قبل أن تذاع من دمشق واستمرت الاشاعات عن وجود نشاط قومي وتجمع وحدوي في معسكر (أبو غريب) هدفه الاطاحة بالنظام وأخيراً اتصل بي هاتفياً السيد طاهر يحيى رئيس الوزراء وسألني عن الرائد عبد الأمير الربيعي.. قلت له لا أعرفه ولم ألتق به.. قال هناك كلام كثير واقترح أن تستدعيه.. أجبته ان الاشاعات ترمي إلى شق الصف وزرع الشك وسأستدعيه

٨٤ ــ دأب الحاكمون في العراق منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ على حجز أموال أعدائهم لغرض التشهير بهم وتشويه سمعتهم.

بناء على رغبتك وجاءني المومأ إليه وكانت هذه أول مرة ألقاه فيها...

٦ ـ خطتان للاغتيال بعثية وقومية

آ ـ في احدى الأمسيات زارني في داري مدير الشرطة العام صبحي جميل واخبرني بوجود خطة لاغتيالي واغتيال صبحي عبد الحميد وقد ألقى القبض على الذين سينفذون العملية في مقهى قريب من دار الإذاعة في الصالحية وقد وجد معهم مخططان لموقع دارينا والتحقيقات مستمرة معهم واقترح أن ترافقني سيارة حراسة في تنقلي ووضع نقطة حرس عند مدخل داري لم أهتم بالقضية ولم أسأله عن الأشخاص المكلفين بمهمة اغتيالي وأنا أكره التدخل في شؤون الدوائر والمؤسسات الأخرى وأؤمن حقاً بالآية الكريمة (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وقبلت اقتراحه بعد لأي فرافقتني سيارة الحراسة بضعة أسابيع ثم استغنيت عنها..

ب ـ سمعت ان عدداً من القوميين وهم فارس ناصر الحسن ويحيى ثنيان ويعرب فهمي سعيد والدكتور عبد اللطيف محي الدين والدكتور محمود غناوي الزهيري.. يخططون لاغتيالي واغتيال صبحي عبد الحميد بتشجيع من الرئيس عبد السلام عارف بدس السم في الحليب الذي تجهزنا به مصلحة الألبان، لم أصدق الخبر ولم أحفل به لخسة العملية وسذاجتها علماً أن فكرة الموت لا تشغل ذهني وحسبي أن أعمل وأؤدي واجبي ولكل أجل كتاب وأرجح أن الهدف كان بذر الفرقة واثارة الكراهية ولعلّ أحدهم خطرت له هذه الفكرة ثم عدل عنها.

٧ ـ انقلاب رفضه رئيس الوزراء

قدر المسؤولون نقلنا من معتقل (الفضيلية) إلى معتقل (قصر النهاية) تباعاً وبوجبات زيادة في الاهانة والتعذيب وبقي في معتقل (الفضيلية) اثنان فقط هما: الدكتور مالك دوهان الحسن وأرجح ان الذي شفع له بالبقاء قريبه حامد الجبوري وزير الدولة، والدكتور خير الدين حسيب اكراماً لخاطر مدير الأمن العام عبد الخالق القزاز (أبو مازن) صهر عائلة آل توحلة التي تربطها قرابة بالدكتور خير الدين حسيب أما أديب الجادر فقد سبق أن نقل إلى مديرية الأمن العامة بناء على توسط صحفي بريطاني لدى وزير الدفاع صالح مهدي عماش تمهيداً لاطلاق سراحه من هناك حيث لم يمكث في مديرية الأمن العام سوى أربعين يوماً[٨٥].

---

٨٥ ـ أرجح أن الصحفي كان مايكل آدمز.

كنت أنا وطاهر يحيى أول المنقولين إلى قصر النهاية يوم ٢٤ نيسان ١٩٦٩ وُبعد يومين نقل وزير الدفاع شاكر محمود شكري والحاكم العسكري نافع أحمد وبعد خمسة أيام نقل الدكتور شامل السامرائي والدكتور عبد الكريم هانيء.

وفي أحد الأيام وكنا خارج القاعة (ننتظر دورنا في الذهاب إلى المراحيض) وهي عبارة عن (كراج) كبير حشر فيه الشيوعيون ثم أضيف إليهم القوميون الذين نقلوا من الفضيلية، واللواء الركن عبد العزيز العقيلي، زارنا فجأة شاب أسمر ممتليء الجسم لم نره من قبل توجه إلى طاهر يحيى وبدأ يتحدث إليه بصوت خافت ثم ارتفع صوته محتداً قائلاً لطاهر يحيى ألم نتصل بك للقيام بانقلاب للاطاحة بالنظام اثر سفر الرئيس عبد السلام عارف إلى الباكستان ولكنك رفضت يا... لاذ طاهر يحيى بالصمت مكتفياً بالتحديق بوجه السائل الذي انصرف بعد قليل.. ثم اقترب منيّ طاهر يحيى وقال لي انه من تكريت جاء للاعتداء عليك وسألني عنك أنه لا يعرفك وقد نصحته واثنيته عن عزمه وهكذا يتبين سبق اتصال البعثيين برئيس الوزراء لكنه لم يستجب لهم حباً بمنصبه وصدق قول الشاعر

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وبعد يومين أو ثلاث أخبرني أحد الشيوعيين ان الشخص الذي سبق أن زارنا وجد مقتولاً على مقربة من خط السكة الحديدية في احدى ضواحي بغداد فالله يمهل ولا يهمل وعاقبة الظلم وخيمة.

تصدع وخلافات

لقد كثر أعداء النظام وأنفض عنه مؤيدوه من القوى القومية الوحدوية وناوأته العناصر اليسارية والتقدمية بعد أن فقد مصداقيته وأنحاز الى اليمين ولعبت الطائفية والعشائرية والعصبية البلدية والصداقة دوراً أساسياً في التعيينات وأسناد المناصب وأزدادت هواجس الرئيس عبد السلام عارف وشكوكه ولم يعد يثق الاّ بسكرتيره الرائد عبد الله مجيد ومرافقه الأقدم العميد زاهد محمد صالح والعميد سعيد صليبي قائد موقع بغداد وصديقه الحميم عبد الرحمن الأرحيم الذي أصبح أقرب مستشاريه حتى في شؤونه المالية والعائلية.

١ ـ استقال العميد رشيد مصلح من وزارة الداخلية وقبلت أستقالته ورأى الرئيس عبد السلام عارف في هذه الأستقالة فرصة مناسبة لاجراء تعديلات في الوزارة فعرض علَي منصب وزير الداخلية لكني بينت له ان بقائي في وزارة الثقافة والأرشاد أنفع وأجدى اذ لدى الوزارة مشاريع كثيرة تستوجب بقائي وتظاهر بالرضا والأقتناع ثم أقترحت ضم الأخ ناجي طالب للوزارة فأيد الفكرة وعرض الأمر على ناجي طالب فأعتذر أولاً ثم طلب بعدئذ تولي منصب وزارة الخارجية وبذلت جهودي من جديد فأقترحت أسناد منصب وزارة الداخلية الى الأخ صبحي عبد الحميد وقبل الأقتراح من جميع الأطراف المعنية وعين

ناجي طالب وزيراً للخارجية.

وبدا لي ان أقامة مأدبة في المخيم السياحي في (سلمان باك) يحضرها رئيس الجمهورية والمقربين اليه ووعدد من الوزراء وأعضاء مجلس قيادة الثورة وكبار الضباط قد تساعد على تبديد الشكوك وبعث الطمأنينة الى النفوس وتقضي على الأشاعات المغرضة....عرضت الفكرة على الرئيس عبد السلام عارف فأيدها وحدد موعد الغداء ثم أتصلت بمدير السياحة والأصطياف السيد فاهم كامل ورجوته معاونة المديرية في أعداد المأدبة على حسابي الخاص ...

وحضر المدعوين بأستثناء بضعة مسؤولين أتضح فيما بعد انهم تخلفوا بناء على اتفاق مع رئيس الجمهورية ظنآمنه ان الدعوة شرك أعّد للقبض على بعض المسؤولين تمهيداً للأستيلاء على السلطة. كما أن بعض وحدات موقع بغداد قد وضعت في حالة انذار...تألمت كثيراً وأيقنت ان النظام لن يصمد طويلا وأن الدسائس والوشايات تنخر في كيانه بعد أن عميت بصيرته ولم يعد يفرق بين العدو والصديق.

وفجأة أسند منصب الحاكم العسكري الى اللواء نافع أحمد دون عرض الأمر على مجلس الوزراء أو مجلس قيادة الثورة وطلب الحاكم العسكري إشراكه في مجلس قيادة الثورة أسوة بالعميد رشيد مصلح، وفاته أن رشيد مصلح قد ساهم في حركة ١٨ تشرين الثاني.

لقد حاول عبد السلام عارف إحكام قبضته على مقاليد الحكم وأسناد المناصب المهمة الى أقاربه أو أبناء عشيرته ومدينته بدءاً برئيس أركان الجيش شقيقه مروراً بمحافظ البصرة أنور ثامر وأنتهاءٍ بالحاكم العسكري العام الذي هو من أبناء (عانة).

وهكذا أصبح الجو لايشجع على العمل والتفاني وراج سوق التزلف والرياء.. ومضت الأيام ومازال أمر الوحدة العربية أمل الجماهير يقتصر على مداولات تجري مرة أو مرتين في القاهرة يعقبها بيان يصاغ وينمق بعناية وبراعة ليطمئن الرئيس عبد السلام عارف الذي كان شديد الحرص على البقاء رئيساً للجمهورية العراقية.

٢ ـ أكدت الوقائع وخطب وتصريحات الرئيس عبد السلام عارف على تنكره للأهداف والمبادىء التي قامت من أجلها ثورة ١٤ تموز في العراق علماً انه نادى ببعضها في خطبه وتصريحاته في الأسابيع الأولى من قيام الثورة وأظهر تحمساً وأندفاعاً بضرورة قيام الوحدة الفورية كسباً لتأييد الرئيس جمال عبد الناصر والقوى القومية الوحدوية في العراق، وأضعافاً لمركز الزعيم عبد الكريم قاسم وتحدياً له، وسرعان ما تجلت رغبته في الأستئثار بالسلطة والأنفراد بالقرار وأصبح مستبداًبرأيه يكره المعارضة والأنتقاد ولما يمض سوى أسابيع معدودة على حركة١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ولم يعد يشفع له سرعة تخلص عبد الكريم قاسم منه أو قيام حزب البعث بتقليص صلاجياته و تحديد أختصاصه وتبين من تصريحاته

وأحاديثه مع الوفود انه لم يكن مؤمناً أو جاداً بشأن قيام وحدة عربية مع مصر أو مخلصاً في التضامن مع الجمهورية العربية المتحدة. وهكذا عاد الى الأرتجال في خطبه وكلماته وتصريحاته فأنتقد دول مثل (بورما) و(مالي) وسخر حتى من أسمائها... وذكر في حشد للأتحاد الأشتراكي في جانب الكرخ انه كلف الدكتور عبد الكريم هاني بالتجسس على حزب البعث ناسياً أو متجاهلاً أن المومأ اليه أحد الوزراء في الحكومة وهذا الكلام يسيء اليه كما دأب على مهاجمة الجمهورية العربية كلما زاره وفد فلاحي أو عمالي في القصر فتارة يذكر أن اللحم يوزع مرتين في الأسبوع ومرة ذكر أن المجتمع المصري مجتمع فاسد يعج بالفنانات وبنات الهوى وأخرى ابدى أستغرابه في تلهف القوميين أمثال فلان وفلان على الوحدة مع مصر.

وعند وضع حجر الأساس لجسر الفلوجة أرتجل خطاباً طويلاً... فقد أقيم سرادق كبير عند مدخل مدينة الفلوجة على شاطىء الفرات حضره جميع الوزراء والسفراء وكبار رجال الدولة. كان الخطاب هجوماً على حزب البعث وقادته وبخاصة صلاح البيطار مليئاً بالشتائم والسخرية... لم يتطرق فيه مطلقاً لأهمية الجسر وأثره على أزدهار حركة النقل وأهمية طرق المواصلات الأقتصادية والحضارية والأجتماعية والعسكرية....

وفي اليوم التالي ذهبت الى القصر الجمهوري وقابلت الرئيس وتحدثت بشأن خطابه الأخير وقلت له بصراحة أن الخطاب لم يلق قبولاً وأن الأرتجال في مثل هذه المناسبة لايجدي، وأني كوزير ثقافة وارشاد أنيط بي الأعلام أرى من واجبي أن انبه وأذكرّ مادمت أساهم في المسؤولية ولن أرضى لنفسي أن أمثل دور المهداوى أو وصفي طاهر...وحين يتعذر عليّ اداء واجبي أو لا ترتاح لصراحتي فلا مفّر من الأستقالة... غضب الرئيس عبد السلام وقال سأخبر حينئذ بهربك من الميدان....فأجبته سأضطر الى بيان الأسباب آنذاك....وأخيراً وافق أن أعد له خطاباته وكلماته في الأحتفالات والمناسبات ، لكنه لم يلتزم طويلاً بما أتفقنا عليه وعاد الى سيرته الأولى...

كان شغل رئيس الجمهورية الشاغل وهاجسه السيطرة على وسائل الأعلام وأخضاعها لتوجهات القصر بدءاً من جريدة الجمهورية وانتهاءٍ بالتلفزيون مروراً بالأذاعة وهو يرى ان وزارة الثقافة والأرشاد (وزارة دعاية) واجبها الأشادة بمآثر الحاكم وأبراز نشاطه ... لقد حاولت تصحيح نظرته مرات ومرات فلم أفلح، وأعتبر أن مهمة الوزير لاتختلف عن مهمة (غوبلز) خلال الحرب العالمية الثانية. وأضطررت الى الوقوف بوجه تدخل موظفي القصر الجمهوري وبخاصة مرافق رئيس الجمهورية الرائد عبد الله مجيد وتدخلت شخصياً لحماية موظفي الوزارة أو التأثير عليهم.

كان بداية الأحتكاك بين الوزارة والقصر، تعيين السيد عبد اللطيف الكمالي مديراً عاماً للأذاعة والتلفزيون فقد كان رئيس الجمهورية يفضل أسناد المنصب لأحد الضباط ليسهل

التأثير عليه... وعندما أمتنعت الوزارة من تكليف (دار الجمهورية) بدفع كلفة تصاوير رئيس الجمهورية التي وزعت على دوائر الدولة وأقترحت صرفها من مخصصات القصر السرية وضعت الجريدة ورئيس تحريرها ومجلس أدارتها في القائمة السوداء وأصبح كل ما تكتبه الجريدة يحظى بعناية خاصة من القصر، يدقق ويفحص من قبل وعاظ السلاطين وفقهاء القصر.... وقد غضب رئيس الجمهورية عند منح الصحافي عبد القادر البراك أمتياز أصدار جريدة البلد في آب ١٩٦٣ وقد توخت الوزارة تمكين عدد من الصحفيين والذين سدت بوجههم الأبواب في ممارسة نشاطهم في ميدانهم وضمان دخل مناسب يصون كرامتهم لاسيما وان المجال يتسع لصدور أكثر من صحيفة.

٣ - في يوم لا أتذكر تأريخه لكنّي لن أنساه... أخبرني الأخ صبحي عبد الحميد وزير الخارجية عقب انتهاء اجتماع مجلس الوزراء أن أخواننا الضباط القوميين سيجتمعون في دار العقيد الركن محمد مجيد في الحارثية عصر يوم.. وهم يرجون حضورك وحضوري.

ذهبت الى الاجتماع في الموعد المحدد وجلسنا في حديقة الدار الخلفية وكان الحاضرون عميد الجو عارف عبد الرزاق وصبحي عبد الحميدوالعقيد الركن هادي خماس مدير الأستخبارات والعقيد الركن رشيد محسن مدير الأمن العام والعقيد الركن محمد مجيد وآخرون لا أتذكر اسمائهم لعل من بينهم عرفان عبد القادر وجدي وفاروق صبري عبد القادر وخالد حسن فريد...

بدأ الحديث بمناقشة الوضع الداخلي ونشاط مختلف الوزارات ثم تحول أخيراً الى سلطات رئيس مجلس الوزراء طاهر يحيى وأختصاصاته وعدم حياده ورعايته لاصدقائه... وضعف الوزراء واستجابتهم لضغوطه وطلباته.

لقد أستشفيت من الأحاديث والنقاش الذي أحتدم أحياناً أن الاجتماع عقد بناءِ على أقتراح عارف عبد الرزاق بسبب موافقة رئيس الوزراء على أضافة ثلاثة أشهر لخدمة عبد اللطيف السالم أجد رجال الشرطة القدامى والذي سبق أن أحيل على التقاعد ليكون راتبه التقاعدي مجزياً علماً ان معاملات كثيرة عرضت على مجلس الوزراء وتمت الموافقة عليها، فمعظمها تخص العسكريين من نواب ضباط وضباط الصف ولا أدري لماذا حظيت قضية عبد اللطيف سالم بهذا الاهتمام . فأجتمعنا من أجلها وأرجح أن معاون الشرطة حسين المختار عديل عارف عبد الرزاق هوالذي أخبره بتعديل تقاعد المومإ اليه والظاهر انه كان يكره عبد اللطيف السالم لأسباب شخصية.

آثرت الصمت والأستماع وطال النقاش وأتسع وأحتدم وكنت أتوقع ان يكفيني مؤونة الرد الأخ صبحي عبد الحميد لكنه آثر الجلوس على التل ريثما تهدأ العاصفة وأخيراً بدأت الكلام قائلاً... ان مجلس الوزراء يجتمع مرتين في الأسبوع وبعد انتهاء الدوام الرسمي فيبدأ عصراً ويمتد أحياناً الى ساعة متأخرة ليلاً. ولقد ظهر من المعاملات التي تعرض على

المجلس انّ بعضها (روتينية) لاتستدعي عرضها على مجلس الوزراء وأضاعة الوقت فيها فلدى مجلس الوزراء قضايا مهمة ووقته ضيق لذلك أتفق الوزراء بالأجماع على تخويل رئيس الوزراء البت فيها توفيراً للوقت والجهود. وكانت اضافة خدمة للمتقاعد أقصاها ثلاثة شهور أحدى هذه القضايا .... وسارت الأمور ولم يحدث إشكال أو محاباة وفجأة ظهرت قضية عبد اللطيف السالم وأصبحت كقميص عثمان...ان مسؤولية الوزير خطيرة ومهمته صعبة شأن من يسبح ضد التيار. فالوزارة ليست منسجمة ولا متجانسة اذ تضم أكثر من تيار وكتلة... فقد أقترح السيد حسن الدجيلي على الدكتور عبد الفتاح الألوسي ضرورة الوقوف بوجه الوزراء من الضباط ، وهناك وزراء يؤيدون رئيس الوزراء في كل قراراته وأرائه حرصاً منهم على البقاء لاطول فترة ورئيس الوزراء حريص على مرضاة رئيس الجمهورية.

و البعث يعيد تنظيم نفسه مستفيداً من تباين وجهات نظر المسؤولين.وفجأة وجدت نفسي وكأني أحارب في عدة جبهات وبدلاً من شد أزري وتقدير ظروفي أجد الهجوم موجهاً اليّ بصورة غير مباشرة.فخاطبتهم قائلاً يؤلمني أن أقول ان هذا آخر لقاء معكم... ثم غادرت الأجتماع ... وبعد فترة زارني الأخ العقيد الركن محمد مجيد ليبلغني رغبة الأخوان بعودتي واستعدادهم لألغاء الأنتخابات التي جرت في هذه الفترة، حيث تمّ أنتخاب الرئيس ونائبه... تعمدت عدم التطرق للأنتخابات لأني أعرف أن قدم الضابط ورتبته العسكرية لها القول الفصل في مثل هذه الأمور. أما ردّي فكان الأصرار على عدم العودة وأجبته ان هذا قرار سبق ان اتخذته لأسباب كثيرة أثبتت الأيام صوابه لاسيما وقد أصبحتم الآن كتلة أو تنظيماً لكم رئيس ونائب رئيس وأهداف وغايات فأمضوا في طريقكم وفقكم الله وهداكم. أما أنا فأتصرف بما يمليه ضميري ومصلحة وطني وأمتي، أما الأخ صبحي عبد الحميد والذي أتضح من حديثك انه لم يحضر الأنتخابات فبوسعه أن يتخذ القرار المناسب ....

٤ ـ ازداد تدخل موظفي القصر الجمهوري في شؤون الأذاعة والتلفزيون وبخاصة الرائد عبد الله مجيد مرافق رئيس الجمهورية الذي أتاح له مركزه وثقة رئيس الجمهورية به التأثير على بعض موظفي المؤسسة أمثال المصور وجيه والمذيع قاسم نعمان السعدي وغيره، غير عابيء أو مدرك لحساسية هذه المؤسسة وخطورة مهمتها وضرورة التزام موظفيها بالتعليمات وخضوعهم للأوامر وأهمية الوقت والأنضباط .

ولن أنسى خروج المذيع قاسم نعمان السعدي على تعليمات الأذاعة وتحديه لمدير المؤسسة ارضاءً للقصر ثم سفره في الطائرة فجأة الى القاهرة دون علم الوزارة ودون موافقتها وعجز مرافق رئيس الجمهورية عن حمايته وإصرار المؤسسة على محاسبته.

وأخيراً أضطرت الوزارة الى الكتابة الى مجلس الوزراء راجية وضع حد للتدخل في

شؤون هذه المؤسسة كي تنتظم أمورها وتؤدي رسالتها على أحسن صورة. فصدر الكتاب التالي الى رئيس الوزراء.

سري وشخصي

العدد ....

التاريخ......

الموضوع مهمة الأذاعة والتلفزيون ودورها الاعلامي

ان واجبات الاذاعة والتلفزيون خطيرة وفي مقدمتها بناء الانسان العربي وتعميق المفاهيم القومية والأنسانية وتوعية المواطن وتربيته. لكنّ لمست ان بعض السمؤولين مازالوا يتصورون ان هذه الأجهزة وجدت للدعاية للحكام والمسؤولين فأخذوا يضغطون على الموظفين .فاربكوا أمور هذه الأجهزة وأثروا على مناهجها فكرهها الشعب ورغب عنها. أرجو تفضلكم بأصدار الأوامر للمعنيين والمسؤولين لتقدير هذه الناحية وعدم الأتصال بأي موظف من موظفي المديرية المذكورة عدا مديرها العام.

وزير الثقافة والأرشاد

صورة منه الى

مدير الأذاعة والتلفزيون

وكالة الأنباء العراقية

رئاسة ديوان الجمهورية أرجو تبليغ موظفيكم بذلك

الأستقالة من الوزارة

١ ــ كان لقاؤنا الأول في مدرسة الكرخ المتوسطة ببغداد فقد كان عبد السلام عارف في الصف الثالث فيما كنت أنا في الصف الثاني، ثم عرفته بعد تخرجي من الكلية .العسكرية الملكية كضابط قومي وحدوي وكنا نلتقي كثيراً مع ضباط قوميين هم:جياد مرزوك العواد، ياسين محمد رؤوف، كامل حسون الجناني، شكيب المدلل.... وعندما لجأ قادة حركة مايس ١٩٤١ الى ايران أمددناهم بالمال لفترة قصيرة... وتمت صداقتنا مع الأيام وكنا نتبادل الرسائل في بعض الأحيان وبخاصة في الفترة التي عمل بها عبد السلام عارف في الموصل.... وهو الذي رشحني لمنصب مساعد مدرسة الحروب الجبلية في دهوك عندما أستشاره آمر المدرسة الرئيس الأول الركن نوري جميل وسعى لدى رئيس أركان الجيش لنقلي الى منصب معاون آمر فوج في اللواء العشرين علماً انّي كنت حينئذ معاون آمر فوج المغاوير في المسيب... وبعد أنضمامي لمنظمة الضباط عرضت أسمه مع آخرين لكن المقدم رفعت الحاج سريّ أشار بتأجيل ضمه ولما أنضم عبد الكريم قاسم لمنظمة الضباط الأحرار رشح عبد السلام عارف فقبل، وسعى الأثنان لضمي الى جانبهما فلم أستجب لأن التكتل

والمحاور يضعفان التنظيم ويبددان القوى والطاقات، ثم قامت ثورة ١٤ تموز ورافقها أخطاء شأن كل ثورة فقد أحجما عن تشكيل مجلس قيادة الثورة وتنكرا لكل القرارات وغمطا كفاح الآخرين وجهادهم وسرعان ما تنافس الأثنان وبدأ صراع خفي بينهما وراح كل منهما يجمع الأنصار والمؤيدين وكان لي معهما لقاء في وزارة الدفاع وحديث أغضب الأثنين وأخيراً أخطأ عبد الكريم قاسم فحسبني من أنصار عبد السلام عارف ومؤيديه.

٢ ـ أصبح العقيد الركن عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية بعد الأطاحة بنظام عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ ومنح رتبه مشير وسرعان ماظهر حبه الشديد لمنصبه وحرصه على البقاء فيه رغم تحديد نشاطه وتقليص صلاحياته وأختصاصاته، وأسرف في الثناء على الحرس القومي فأرتدى ملابسه أثناء قيامه باحدى مهامهم بالأشتراك مع رئيس الوزراء أحمد حسن البكر.

فوافق نقل متصرف لواء الموصل عبد اللطيف الدراجي وحل محله مدحت ابراهيم جمعة ونقل برقياً المقدم جابر حسن الحداد آمر كتيبة المثنى وأعتقل عدد غير قليل من القوميين بتهم كاذبة.

٣ ـ عرجت على رئيس الوزراء في مكتبه بعد أنتهاء الجلسة وبناءٍ على طلبه . وما ان جلست حتى قال: لقد طرد الأنكليز الشيخ صقر القاسمي وهو في طريقه الى العراق ...أجبته أهلاً وسهلاً به ولابّد أن نستقبله أستقبالاً لائقاً تحدياً للأنكليز تقديراً لموقفه ومعارضته.... أيد الرأي وأتصل فوراً بالرئيس عبد السلام عارف قائلاً:ان الشيخ صقر القاسمي في طريقه الى بغداد ويرى الأخ عبد الكريم وجوب أستقباله رسمياً وفجأة ردّ عليه عبد السلام بصوت عالٍ قائلاً:أنا لست رئيس الجمهورية بل الرئيس عبد الكريم فرحان، ثم شتمني وشتم الضباط القوميين وأثنى على مرافقه... لقد حاول رئيس الوزراء مقاطعته ليوقف هذا السيل من الشتائم والسباب البذيء... وما أن أنتهت المكالمة حتى خرجت، فكتبت أستقالتي حالاً في مكتب وزير الداخلية صبحي عبد الحميد، ثم سافرت في اليوم التالي الى الجمهورية العربية المتحدة، ولم أرجع الاّ بعد قبول أستقالتي برغم الوساطات الكثيرة للعدول عنها وهذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس الوزراء

جئت للوزارة كجندي آمن بأهداف أمته واختار طريق التضحية وكنت على يقين أن مرحلة البناء صعبة وشاقة، لكنّي وجدت الجو يتحول بمرور الأيام الى جو غريب مشحون بالشكوك والأوهام، لقد تحدثت بصراحة وبألم مرات ومرات وناقشت المسؤولين بتجرد وفسرت صراحتي على غير معناها واستغلها أعداء الخير وأقطاب الرجعية والانتهازيون فنفذوا بمكر ودهاء، فزرعوا بذور الشك وأشعلوا نار الكراهية والحقد ويؤسفني أن أقول

والمرارة تملأ نفسي أني لا استطيع انجاز واجبي للأسباب التالية:

(١) هناك بداية انحراف عن الخط القومي وأهداف الثورة تتجلى في تصرفات المسؤولين وسلوكهم وأقوالهم.

(٢) خلق المسؤولين بتعمد ظروفاً وأحوالاً أدت الى تكتلات وانقسامات داخل الجيش وخارجه مزقت الوحدةالوطنية والتريث في تحقيق الوحدة العربية.

(٣) شل المجلس الوطني وعدم تمكنه من ممارسة واجباته واتجاه الحكم الى دكتاتورية فردية تكره المناقشة والنقد.

(٤) اضطهاد العمال واهدار كرامتهم والتدخل السافر بشؤونهم.

(٥) تفشي الفساد والرشوة والتهريب واستغلال النفوذ وعدم اتخاذ أية تدبير.

(٦) ضعف الحكومة وتردي سمعتها وانعدام الثقة وفقدان الانسجام بين اعضائها.

(٧) المحاولات المستمرة للتأثير على أجهزة الاعلام وتهديد العاملين فيها لاستخدامها في غير اغراضها وارباك اجهزتها واكراه الصحفيين على نشر ما يمزق الوحدة الوطنية ويثير الطائفية والفتن والأحقاد.

(٨) عدم تطهير أجهزة الحكومة والتستر على العاجزين والضعفاء والمرتشين.

(٩) ضياع المقاييس والضوابط في التعيين، وسد الشواغر واملاء المناصب بسبب القرابةوالصداقة والبلده دون النظر للكفاءة والأخلاق وقد اسندت مناصب قيادية مهمة في الجيش الى غير أهلها اساءت لمعنويات الجيش وثقته بقيادته وأدت الى ضحايا لا مبرر لها.

(١٠) وضعت العراقيل بتعمد بوجه الاتحاد الاشتراكي وشجع كبار الموظفين على مهاجمته والكيد له.

(١١)جمود أجهزة الدولة وقلق الموظفين وخوفهم وسعيهم لارضاء جميع الكتل والأحزاب ضماناً لمستقبلهم.

(١٢) عدم تشخيص الحكومة لأعدائها.

اننا نعيش في ظروف حاسمة تتطلب حلولاً جذرية وتخطيطاً وحزماً وثورة دائمة في جميع الميادين لتعويض ما فات. لقد فقدت الحكومة هيبتها وتزعزت ثقة الناس بها ان شعوري بتردي الأوضاع وفقدان الأمل بالتحسن وعدم استجابة المسؤولين يدعوني الى التخلي وتقديم استقالتي هذه من المجلس الوطني ومجلس الوزراء وسأظل على الدوام جندياً نذر نفسه لأمته ووطنه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الكريم فرحان

١٩٦٥/٦/٢٣

٤ ـ تعمدت السفر الى القاهرة في اليوم التالي بعد ان استقلت من الجيش وأمانة الأتحاد الاشتراكي لكي لا تحدث مضاعفات علماً أني كنت عازماًعلى الاستقالة منذ فترة لصعوبة

المهمة بعد تعدد جبهات القتال وتكاثر سهام الاعداء وكان آخرها شتائم رئيس الجمهورية، لكنّ الأمور لم تمض بسهولة، فقد استقال اربعة وزراء هم:

صبحي عبد الحميد وزير الخارجية

فؤاد الركابي وزير الشؤون البلدية

عبد الستار علي الحسين وزير العدل -

عزيز الحافظ وزير الأقتصاد

وتوجه الدكتور شامل السامرائي وزير الصحة والدكتور عبد الكريم هاني وزير العمل والشؤوون الأجتماعية وآخرون الى مقرات الأتحاد الأشتراكي في بغداد وأتصل رئيس الوزراء مباشرة بقواد الفرق طالباً منهم اليقظة والأنتباه.

وصلت القاهرة وأستقبلني في المطار الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ثم توجهت الى فندق شبرد بسيارة حكومية لكن أرجعت السيارة أثر وصولي الى الفندق وأتصل بي أكثر من مسؤول لابقاء السيارة لكني أرجعتها للمرة الثانية وأصررت على الرفض ولما تبين لي أني ضيف على الحكومة المصرية أخبرت أدارة الفندق بعد يومين أني سأغادر مصر لكن أنتقلت الى فندق البرج وبدأت بدفع أجور الفندق كما حرصت على عدم الأتصال بأي موظف مصري وزارني عبد المجيد فريد مستفسراً ومتفقداً فشكرته، وتعمدت كتمان رغبتي في زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لئلا يستغلها أعداء الوحدة فيزداد الموقف سوءاًبعد أن أنتقد الرئيس عبد السلام عارف الحكومة المصرية لاستقبالها شخص مستقيل من حكومته في مطار القاهرة الدولي.

وجاء أهلي من العراق مع بعض الأصهار أثر حلول العطلة المدرسية الصيفية فتركت فندق البرج وأستأجرنا شقة كبيرة في العجوزة، وشاهدنا العرض العسكري الكبير الذي جرى في مدينة نصر بمناسبة عيد ثورة ٢٣ يوليو، وتركنا الساحة سائرين مؤملين ملاقاة سيارة تاكسي في الطريق لشدة الأزدحام وكثرة المنتظرين وشاهدني أحد العراقيين من ضيوف المقاولين العرب فحياني وما أن وصل بغداد حتى توجه الى القصر الجمهوري فأخبر سكرتير رئيس الجمهورية بمشاهدتي في الطريق مع أهلي مستنتجاً قلة أهتمام السلطات المصرية لعدم تخصيص سيارة لتنقلني .... وحضرت حفلة لأم كلثوم في نادي الضباط بعد أن وصلتني خمس بطاقات من سكرتير رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد فريد أضطررت الى تسليم ثلاث منها لعراقيين بعد أن علمت بعدم حضور النساء في الحفلة...[٨٦] وسافرنا الى الأسكندرية بعد ان أشتد حر القاهرة ومكثنا فيها أربعة أسابيع ثم عدنا الى القاهرة

---

٨٦ ـ كان اللواء عبد الرحمن عارف وكيل رئيس أركان الجيش حاضراً في الحفلة مع زوجه.

ورجعت اثنتان من بناتي الى بغداد لتقديم أوراقها للجامعة... ثم ذهبت الى أدارة جامعة القاهرة لتجديد التسجيل في الدراسات العليا بعد دفع الرسوم . وأخيراً عدت الى العراق بعد قبول أستقالتي وأسناد وزارة الثقافة والأرشاد وكالة الى الدكتور شامل السامرائي . لقد فضلت قضاء معظم الوقت في بيتي وشرعت بالقراءة والدراسة بعد أن جلبت معي بعض المراجع والمصادر وقاطعت جميع الدعوات الحكومية والأحتفالات الرسمية ولم ألبي سوى دعوات السفارات العربية والأجنبية.

مؤامرة فاشلة

نجح الرئيس عبد السلام عارف بتمزيق الصف نتيجة لطيبة القوميين وحسن ظنهم وقلة تجربتهم وإغراء بعضهم. ومضى بعيداً في تعصبه الطائفي والعشائري وآن له أن يتخلص من رئيس الوزراء طاهر يحيى بعد أن نجح العميد سعيد صليبي قائد موقع بغداد بأقناع رئيس الجمهورية بأسناد رئاسة الوزارة الى عارف عبد الرزاق قائد القوة الجوية وصديقه الحميم وكلاهما من لواء الدليم.. وعقد اجتماع في القصر الجمهوري خيم عليه التوتر والأنفعال فاستقال طاهر يحيى وختم كلامه بالمثل الشعبي العراقي(يردس حيل الما شايفه)... والفت الحكومة الجديدة برئاسة عارف عبد الرزاق، وأذيعت أسماء الوزارة وكان أغلبهم من مرشحي رئيس الجمهورية[٨٧].

ذهبت الى المجلس الوطني لتهنئة عارف عبد الرزاق، ولم أمكث في مكتبه سوى بضع دقائق، وسرعان ماأدرك رئيس الوزراء الجديد الشرك الذي وقع فيه والخطأ الكبير الذي أرتكبه بترك القوة الجوية، واستياء القوى القومية ولمعت في ذهنه فجأة فكرة تغييرالنظام والأطاحة برئيس الجمهورية أثر سفره ليتسنى له المضي قدماً في طريق الوحدة مع مصر ليكفر عن قراره الخطير، وبدا له أن المهمة ليست صعبة فهو رئيس الوزراء ولديه أوسع الصلاحيات والأختصاصات وأعلى سلطة في العراق بعد سفر رئيس الجمهورية الى المغرب، والعميد سعيد صليبي قائد موقع بغداد من أخلص أصدقائه، ومدير الأمن العام العقيد الركن رشيد محسن ، ومدير الأستخبارات العسكرية العقيد الركن هادى خماس من الضباط القوميين الوحدويين، وغالبية قادة الجيش والوحدات من القوميين، ناهيك أن تأثيره ونفوذه على القوة الجوية قويان اذ لم يمض سوى أيام معدودة على تخليه عن قيادتها، أما وكيل أركان الجيش اللواء عبد الرحمن عارف شقيق رئيس الجمهورية فلا قبل له

---

٨٧ ــ حدثني المحامي عبد الستار علي الحسين صديق عارف عبد الرزاق أنه اطلع على قائمة المرشحين بعد أن استشاره عارف عبد الرزاق وتبين أن بعضهم ممن عرفه عبد الرزاق على موائد القمار فاقترح عليه اجراء تعديلات عليها واستجاب لذلك.

بالتصدي أو التحدي لضعف سيطرته وقلة تأثيره.. وقبيل توجه الرئيس عبد السلام عارف الى المغرب لحضور اجتماع ملوك ورؤساء الدول العربية الذي تقرر عقده في الدار البيضاء يوم ١٣ أيلول ١٩٦٥ استدعى رئيس الوزراء الى القصر ليقسم اليمين بحضور العميد الركن سعيد صليبي... وتوجه رئيس الجمهورية الى المغرب لحضور الأجتماع، وبدأ عارف عبد الرزاق بالأتصال والتشاور ثم أستدعي قائد موقع بغداد الى المجلس الوطني وعرض عليه قراره بتغيير النظام وخطته...تردد سعيد صليبي ثم تظاهر بالتأييد وعاد الى دائرته وتبين أن رئيس الوزراء قد عهد الى عدد محدود جداً من الضباط بمهام وواجبات عند حلول (ساعة الصفر)[٨٨] وما أن وصل العميد سعيد صليبي الى قيادة موقع بغداد حتى أستدعي النقيب عزيز عباس مساعد الانضباط العسكري للتشاور معه. فقد كان يثق به كثيراً ويعتمد عليه، ثم تداول مع الضابط المتقاعد حميد قادر صديقه الحميم والذي سبق له أن لعب دوراً مهماً في إبعاده عن طاهر يحيى رئيس الوزراء وأتفقت كلمة الثلاثة على عدم تأييد عارف عبد الرزاق ووجوب أقناعه بالعدول لاسيما وأن المحاولة لم تدخل مرحلة التنفيذ ومارس سعيد صليبي ضغطاً قوياً على عارف عبد الرزاق من مركز قوة.اذ كان يتبعه الأنضباط العسكري وسرايا الحراسة،فضلاً عن نفوذه القوي على وحدات الحرس الجمهوري وأغلبهم من أبناء لواء الرمادي، كما وعده بكتمان الأمر وعدم تعريض أي ضابط قومي للمحاسبة والمسؤولية .وأخيراً أستجاب عارف عبد الرزاق للضغط وعدل عن قراره، وغادر العراق الى مصر بطائرة خاصة مع أفراد عائلته. وأنتشر نبأ سفره بسرعة وأستنفرت الكتل والتنظيمات قواعدها ... وفجأة دقّ جرس الهاتف وكان الوقت عصراً فذهبت زوجتي لترد على النداء وعادت بعد قليل لتخبرني أن زوجة محمد مجيد قد كلمتها وأن زوجها قد غادر داره الى مكان تجهله وقد طلب منها الأتصال بنا لتحذرني من البقاء في الدار... أستغربت هذا التحذير وحرت في تفسيره وبواعثه لكنّ قررت مبارحة الدار على سبيل الأحتياط ريثما تنجلي الأمور. فذهبت لزيارة صديق، ثم أتصلت بالأخ عبد الخالق الدروبي المشاور العدلي في وزارة الدفاع وتبين لي عدم وجود مايدعو الى ترك الدار.

عدت الى البيت مساءً وبعد ساعتين دقّ جرس الدار فخرجت لاتبين القادم فاذا هما محمد مجيد وصبحي عبد الحميد... كان مجيئهما مفاجئاً وفي وقت لا أتوقعه... رحبت بهما وما أن شربا القهوة حتى قالا انهما قررا ترك داريهما وأقترحا علّي المبيت خارج الدار

٨٨ ــ علمت بعدئذ أن العقيد الركن عرفان عبد القادر وجدي آمر الكلية العسكرية قد كلف بمهمة التوجه الى داري للذهاب سوية الى الكليةالعسكرية وهذا أمر غريب وعجيب، فرأيي معلوم وموقفي مع الأخوان قد تحدد ولم تعد تربطني بهم سوى الصداقة وزمالة السلاح.

أيضاًبناءِ على المعلومات التي وصلتهم والأشاعات المنتشرة وبعد نقاش أتفقنا نحن الثلاثة على قضاء الليلة في بيت صديق، وتوجهنا الى بيت محمد صالح العزاوي الموظف في مديرية السكك الحديدية...طرقنا الباب ففتحها محمد صالح نفسه ....أستغرب مجيئنا في هذا الوقت وبدت عليه أمارات الدهشة ثم أبتسم ورحب بنا وقادنا الى غرفة الضيوف... وبعد قليل جاء الشاي وبدأنا نتحدث في موضوعات مختلفة ثم أخبرنا أننا سنقضي هذه الليلة في داره وفي هذه الغرفة بالذات، ثم ذهب لينام وفجأة خطرت على بال صبحي عبد الحميد مخابرة العقيد المتقاعد أحمد حسن البكر دون أن يفصح عن أسمه فبادره قائلا:(كيف حال أبو البقر)... لم تطل المكالمة ولعلّ صبحي توخى منها معرفة مكانه في هذا الوقت بعد أنتشار أشاعة أنذار البعث لقواعده وأتصاله بالسلطة للتعاون في القبض على القوميين المتآمرين، وطال حديثنا وتشعب ثم نمنا في وقت متأخر. وفي الصباح شكرنا مضيفنا وتوجه كل منا الى بيته.

كلف الدكتور عبد اللطيف البدري وزير الصحة بالتوجه الى المغرب لأطلاع رئيس الجمهورية عبد السلام عارف على الموقف وسفر رئيس الوزراء الى الجمهورية العربية المتحدة... كان اللقاء عاصفاً وقيل أن الرئيس شتم القومية والقوميين وبتهكم وسخر من الوحدة العربية وغمز من قناة الرئيس جمال عبد الناصر وهدد وتوعد وأكدّ أنه يعرف المخطط الحقيقي ومن الذي دفع عارف عبد الرزاق وعاد الأثنان الى بغداد وما أن وصل عبد السلام عارف الى العراق حتى أصدر أمراً بأعتقالي وأعتقال صبحي عبد الحميد في السجن رقم (١). انها فرصة كان يسعى اليها. لقد أعماه الحقد وطمس بصيرته وحان وقت الأنتقام والثأر... وفي ظهر يوم الأحد ١٩ / ٩ / ١٩٦٥ وفي أثناء تناول طعام الغداء وقفت سيارة عسكرية عند باب الدار ونزل منها ضابط من الأنضباط العسكري ... دق جرس الباب، فخرجت اليه ورحبت به... كان شاباً برتبة ملازم أول، قدته الى غرفة الضيوف وسألته أيريد قهوة أم (سفن آب) ...؟ قال لاأريد شيئاً سيدي ويؤلمني أن أقول لك أن الأمر قد صدر بأعتقالك ونقلك الى السجن رقم (١) ... قلت له لابأس عليك انه أمر صدر اليك ولن أحتاج سوى بضع دقائق لاعداد (فراشي) وأمتعتي ... وتركته وعدت بعد قليل. ثم سألته قبل أن نغادر الدار... أي طريق ستسلك ؟ قال كما تشاء ... قلت أفضل شارع الرشيد... ثم سألته هل بالامكان دخول مبنى وزارة الدفاع للتحدث مع العميد سعيد صليبي قائد موقع بغداد... أجاب نعم سيديّ... وركبت بجانب السائق ومضت السيارة مسرعة فدخلنا وزارة الدفاع وتوجهنا الى مقر قائد موقع بغداد وهو يقع في مدخل الوزارة الى يمين الداخل... ترجلنا من السيارة وتوجهنا الى مكتبه فوجدت حارساً في الباب... قلت أريد أن أتحدث الى العميد سعيد صليبي ...قال أنه نائم... قلت له أيقظه وقل له ان عبد الكريم فرحان يريد أن يتحدث اليك... وبعد ثوانٍ معدودة سمعت صوته يناديني

(تفضل أبو رضاب)... دخلت الغرفة فعانقني وكان مايزال يرتدي (الدشداشة) أبدى أسفه لاعتقالي وأضطراره الى تنفيذ الأمر... قلت له أنك تعرف جيداً محاولة عارف عبد الرزاق من ألفها الى يائها وبعدي عنها بعد السماء عن الأرض وأظنك تعلم أن علاقتي بالاخوان قد أنتهت منذ فترة طويلة، واعتقالي عن مدى الحقد والكراهية والرغبة في الأنتقام ومهما طال فلا بّد أن يتلوه تحقيق يتضح منه عدم وجود أية علاقة لي وأعتقالي كما تعلم يسيء كثيراً الى رئيس الجمهورية . وكان الأولى بك أيها الأخ ان تنبه رئيس الجمهورية وأنت الشهم الجريء، فعاقبة الظلم وخيمة والساكت عن الحق شيطان أخرس... حدّق سعيد في وجهي ثم قال متحمساً سأتصل برئيس الجمهورية بعد قليل لكنني سأكلم وزير الداخلية عبد اللطيف الدراجي الآن... ثم كلمه هاتفياً قائلاً ان الأخ عبد الكريم فرحان في مكتبي وانت تعرف بعده عنّ المحاولة فأرجو منك الأتصال بالسيد رئيس الجمهورية ليعيد النظر في أمر أعتقاله...أجابه أنه سيكلم رئيس الجمهورية ثم يخبره بعدئذ بالنتيجة.... رأيت الفرصة مناسبة لاخبار أهلي هاتفياً لاطمئنهم أولاً وأثير حمية وحماس سعيد..فقلت لهم أني الآن في مقر الأنضباط العسكري وأتوقع أن أعود اليكم بعد قليل ان شاء الله... ومرت أكثر من نصف ساعة ثم دق جرس الهاتف وكان المتكلم وزير الداخلية الذي أعلم سعيد بقرار رئيس الجمهوريةبحجزي في داري بدلاً من الأعتقال... شكرت سعيد ثم قال لي أرجو أن تخبر الأخ صبحي عبد الحميد بتبديل الأمر فقد ذهب اليه أحد ضباط الانضباط العسكري فلم يجده في الدار، وعدته بالقيام بهذه المهمة ثم رجعت الى البيت... وبعد قليل توجهت الى دار صبحي عبد الحميد في مدينة اليرموك... أخبرت زوجته بتغيير الأمر وضرورة عودة صبحي الى داره لكنها إرتابت في قولي ونفت علمها بمكان صبحي وبعد حوار طويل إطمأنت ووثقت بقولي وقالت انه الآن في دار غازي القصاب في الصالحية . وأخيراً علم صبحي بالأمر وعاد الى داره... وفي الليل أتى مسؤول أمن الأعظمية ليخبرني بأمر حجزي في البيت ثم قال انه لن يكلف أحداً من مفتشي الأمن بمراقبة الدار ثقة وأعتماداً على تقديري للظروف...أجبته أني أعرف نفسي ولن أبرح الدار حتى يلغى الأمر... ثم ودعني وأنصرف... لقد ألتزمت بوعدي فلم أخرج طيلة فترة الاقامة الاجبارية حتى حلاقة شعري كانت تجري في البيت.

كانت فرصة ثمينة أهتبلتها في القراءة والمطالعة، فقرأت الكثير من الكتب وبعضها من مكتبة ا المجمع العلمي العراقي. فقد كان يزورني الأخ الدكتور يوسف عز الدين أمين المجمع حاملاً بعض الكتب بين حين وآخر.

وفي صباح يوم ٥ / ١٠ / ١٩٦٥ أستدعيت للتحقيق بعد مرور أكثر من خمسة عشر يوماً... كان رئيس الهيئة التحقيقية العقيد عبد الهادي صالح وكانت جميع الأسئلة تدور حول زيارتي لعارف عبد الرزاق في المجلس الوطني وما تحدثنا به خلال الزيارة...وتوقعت

أن يلغى أمر الأقامة الأجبارية، وفي عصر أحد الأيام زارني فجأة الأخ صبحي عبد الحميد... رحبت به وأستغربت زيارته ولمته على ترك البيت. فاجاب انه ملّ الأقامة في الدار وطالت مدة الأحتجاز... ومضت الأيام وطال الأنتظار. وأخيراً كتبت عريضة الى رئيس الوزراء قررت تسليمها الى الأخ عبد الخالق الدروبي المشاور العدلي والذي كان يزورني بين حين وآخر... قرأ العريضة وأقترح أرجاء تقديمها فقبلت أقتراحه... وأخيراً ألغي أمر الحجز وأصبح بوسعي زيارة بعض الأخوان والأصدقاء والذهاب الى شارع المتنبي لشراء بعض الكتب وبعد أيام زارني الأخ الشيخ جابر العلي وزير الأعلام الكويتي، وكان الوقت عصراً... شربنا القهوة وسألني عن شؤوني المالية فأجبته انها حسنة، ثم قال أن الرئيس عبد السلام عارف أخبره عند مقابلته في القصر الجمهوري بسفري الى القاهرة...

آثرت العزلة، وكنت أخرج في أحيان قليلة الى شارع المتنبي لأبحث في المكتبات عن مرجع يهمني... وتفرغت للدراسة وأنصرفت للقراءة منتظراً موعد بدء أمتحانات جامعة القاهرة لاتوجه الى مصر..وقاطعت جميع الدعوات والآحتفالات الرسمية ولم أحضر سوى أحتفالين ، كان الأول في السفارة السوفيتية والثاني في سفارة المغرب بمناسبة اعتلاء الملك المغربي العرش . وتناول المدعوون طعاماً مغربياً وحلوى حتى الشاي أعد بطريقة مغربية، وكان من ضمن الحاضرين اللواء الركن عبد العزيز العقيلي وزير الدفاع الذي لم أراه منذ فترة طويلة وتحدثنا كثيراً في شؤون الجيش وكان شديد الحماس لرفع مستواه الأداري والفني والقيادي وأبدى تذمره من ضعف وكيل رئيس أركان الجيش اللواء عبد الرحمن عارف وتدخل رئيس الجمهورية في شؤون الجيش وأثنيت على إجراءاته الأخيرة بخصوص تعقيب الفارين من الخدمة العسكرية أو المتخلفين من الألتحاق بالجيش.

ثم عدت الى البيت بعد أن قضيت ساعات ممتعة وتحدثت الى أخوان لم أرهم منذ فترة طويلة.

*

الفصل الرابع

وفاة رئيس الجمهورية

مؤتمر قومي
اجتماعات ومداولات
محاولة انقلابية في ٣٠ حزيران ١٩٦٦
نشاط وعمل
مفاوضات ومشاورات
في وزارة الأصلاح الزراعي
نكسة حزيران
جولات وأصلاحات ادارية
تشكيل حكومة جديدة
في وزارة الزراعة
مهمات كثيرة وانجازات مثمرة
تأزم الموقف في الشمال
ربان عاجز وحرس متآمر
تياران مختلفان
استقالة ثانية
اتفاق لم ينفذ

انتشر بسرعة نبأ وفاة رئيس الجمهورية عبد السلام عارف إثر سقوط طائرة الهلكوبتر التي تقله محترقة يوم ١٤/٤/١٩٦٦ رغم تأخر اذاعة البيان الرسمي.

هرعت إلى الهاتف لاسأل واتأكد فكان عاطلاً واتضح لي قطع الخط.. عجبت للأمر وتألمت لكني أدركت حماقة السلطة وحقدها وسوء تقديرها... تناولت طعام الغداء وبدا لي أن ازور الدكتور مكي الواعظ ابن خال الأستاذ عبد الرحمن البزاز وصهره ومستشاره فبيته قريب من بيتي لا يبعد سوى ثلاثين متراً... رحب بي كعادته ثم سألته عن الحادث فأكد أن الطائرة هوت محترقة اثر هبوب عاصفة قوية قبل وصولها إلى البصرة وعددّ لي اسماء الضحايا وكان من بينهم عدد من الوزراء ومرافق رئيس الجمهورية الأقدم وسكرتيره. وطال الحديث وتشعب واخيراً قال سيعقد مجلس الوزراء غداً أو بعد غد جلسة خاصة لاختيار من يخلف المرحوم في رئاسة الجمهورية والمرشح المفضل هو الأستاذ (أبو عامر) أي البزاز رئيس الوزراء أما منافساه فهما اللواء عبد الرحمن عارف وكيل رئيس اركان الجيش واللواء الركن عبد العزيز العقيلي وزير الدفاع فالأول كما تعرف ضعيف ومتردد يفتقر إلى الكثير من المؤهلات أما الثاني فمؤهلاته لا تقارن بمؤهلات وقدرات أبي عامر ناهيك عن عدم حب كبار ضباط الجيش له... كان شديد التحمس للبزاز واثقاً من فوزه ومضى يعدد صفاته وثقافته وتجربته وصلاحه لهذا المنصب الخطير... لم أقاطعه وكنت اصغي لحديثه الذي استغرق أكثر من ساعة... ثم قال لي ما رأيك يا ابا رضاب...؟ اجبته اتوقع أن يكون اللواء عبد الرحمن عارف رئيس الجمهورية القادم فهو أولاً شقيق عبد السلام عارف وقد اضافت الفاجعة رصيداً إلى رصيده في اوساط الجيش فضلاً عن تأييد العميد سعيد صليبي قائد موقع بغداد له، وضعفه يحسب له، لاعليه لأن نفوذ سعيد صليبي سيقوى ويتعاظم. ان القول الفصل للقوة العسكرية وبخاصة وحدات موقع بغداد... اصغى لكلامي واذهله تقديري للموقف. وفجأة رنّ جرس الهاتف فذهب ليرد على النداء وعاد بعد قليل يخبرني بقدوم السيد عبد الرحمن البزاز بعد دقائق معدودوة فهو يسكن في نفس الحي قريباً من

شارع الضباط. نهضت في الحال لانصرف فقال لي ارجوك انتظر الأستاذ البزاز لتبين له وجهة نظرك.. قلت له لا بدّ أن اذهب الآن وارجع ان الاستاذ البزاز جاء ليستشيرك ثم خرجت... وانتخب عبد الرحمن عارف رئيساً للجمهورية في ١٩٦٦/٤/١٦ بفضل تأييد سعيد صليبي وتهديده باستخدام القوة وظل السيد البزاز رئيساً للوزراء.

اشتركت بتشييع جنازة المرحوم عبد السلام عارف قد طوى الموت ما بيني وبينه وحضرت الاحتفال الذي اقيم في حدائق الأمانة بمناسبة مرور اربعين يوماً على الوفاة.

لقد استقبل الناس البيان الرسمي حول وفاة رئيس الجمهورية وعدد من الوزراء المرافقين بالشك والريبة وسرى عدد من الاشاعات منها ان الطائرة احترقت في الجو وهوت نتيجة تخريب دبره حزب البعث انتقاماً وثأراً لحركة ١٨ تشرين الثاني التي دبرها وقادها عبد السلام عارف للاطاحة بهم كما انتشرت إشاعة أخرى ان الانكليز وراء الحادث للتخلص من قومي وحدوي ليخلو الجو للسيد البزاز[٨٩].

عقد رئيس الوزراء مؤتمراً صحفياً نقله التلفزيون غمز فيه من قناة الضباط الاحرار وقال ما معناه "أن شهيتهم للحكم انفتحت بعد الحادثة شأن من يشتم رائحة الشواء".

دعيت إلى اجتماع عقد في دار العقيد الركن محمد مجيد عقده الضباط القوميون للتداول في الموقف بعد تولي اللواء عبد الرحمن عارف منصب رئاسة الجمهورية حضره كذلك الأخ صبحي عبد الحميد وكان يضم محمد خالد وفيصل شرهان العرس وخالد حسين فريد وهادي خماس وعلي حسين جاسم وجاسم كاظم العزاوي و....

فضلت الاستماع وتعمدت عدم ابداء أي رأي فقد كرهت الانقلابات والمؤامرات واعدت النظر في ثورة تموز: دوافعها ونتائجها... واقتنعت بصحة المقولة الشعبية العراقية القائلة (اليوم خير من باجر) وباجر تعني بكرة واستقر في ذهني امكان التأثير على عبد

---

٨٩ — في أواخر مايس من عام ١٩٦٧ وبعد انتهاء جلسة مجلس الوزراء وكنت وزير الزراعة والاصلاح الزراعي، طلب مني رئيس الوزراء السيد طاهر يحيى الحضور الى مكتبه ثم فتح الخزانة الحديدية (القاصة) وأخرج منها اضبارة التحقيق الخاصة بوفاة الرئيس عبد السلام عارف. ناولني اياها لدراستها وبيان رأيي فيها. كان التحقيق موجزاً وشكلياً فقد سئل مهندس القوة الجوية وعدد من الفنيين المسؤولين عن ادامة وصيانة طائرات الهلكوبتر ومدير الأنواء الجوية والسكان القريبين من المنطقة التي هوت فيها الطائرة وبعض رجال الشرطة. ان صيغة الاسئلة وعدم التوسع في التحقيق تنبي عن رغبة في انهاء التحقيق بسرعة وغلق القضية ناهيك عن عدم وجود تقصير واهمال في الاتصال اللاسلكي بين الطائرة وأبراج المراقبة في المطارات القريبة وخاصة مطار البصرة وحتى مطار الرشيد الذي يجب أن يكون في حالة تغطية وانتباه، يراقب سير الطائرة كما أن التعاليم تقضي بتسلم قائد الطائرة التقرير الجوي قبل الاقلاع الذي ينبئ بصلاح الجو من حيث مدى الرؤية والعواصف بالاضافة الى تأخر النجدة والاسعاف لعدم معرفة مكان سقوط الطائرة.

الرحمن عارف إذا دعت الحاجة عن طريق الضغط والاقناع وحتى التهديد.. لقد كرهت الدماء والقتل والسحل والتعذيب... دام الاجتماع بضع ساعات واستحوذت فكرة احتلال بغداد بقطعات تزحف من الشمال فقد كان بين الحاضرين اثنان من آمري الألوية في منطقة كركوك واستغربت عدم الخوض في ما يعقب احتلال بغداد ولعلهم ارجأوا ذلك إلى ما بعد وضع الخطة أو تجنباً للخلافات... كانت قطعات ووحدات بغداد موالية للرئيس الجديد عبد الرحمن عارف لواء الحرس الجمهوري شديد الولاء، معظم جنوده من لواء الرمادي ناهيك عن تأييد سعيد صليبي قائد موقع بغداد الذي تتبعه وحدات الانضباط وسرايا حراسة العاصمة، كان تقديري أن القوات المؤيدة للانقلاب ليست كافية ولابد من تعزيزها بقطعات إضافية تزحف من الخارج وفجأة ظهرت معضلة الكتيبة المصرية المدرعة المعسكرة في ابي غريب[٩٠] وموقفها من الحركة المزمعة من سيتصل بها. أخذ العميد الركن محمد خالد على عاتقه مهمة الاتصال بقائد الكتيبة ومحاولة اقناعه بالوقوف على الحياد والتريث في التدخل ريثما ينجلي الموقف..

ودارت في خلدي فكرة ثني المجتمعين عن المحاولة بعد أن ادركت خطورتها واحتمال فشلها ورد الفعل حيث ستتعرض القوى القومية وبخاصة الضباط للاعتقال والتعذيب والفصل من الوظائف لكني آثرت الصمت والانتظار... وانبثقت لجنة ثلاثية عهد إليها وضع الخطة.

وعقد الاجتماع الثاني في اليوم التالي فخف الحماس والاندفاع وظهر التردد وحرصت اللجنة على كتمان ما توصلت إليه ورفضت مناقشة الخطة وأخيراً صرف النظر عن المحاولة وكفى الله المؤمنين القتال.

وسرعان ما هيمن رئيس الوزراء على مقاليد الأمور وانفرد باتخاذ قرارات مهمة لم يعرضها على مجلس الوزراء ولم يجرؤ رئيس الجمهورية على الاعتراض عليها ولن انسى تصريح سفيرنا في ايران الاستاذ حسن الدجيلي الذي قال فيه ان العراق مستعد للتفاوض مع ايران حول حدودهما المشتركة في شط العرب... كان تصريحاً خطراً فايران تسعى وتضغط لتعديل الحدود لمصلحتها وان فتح باب المفاوضات يعني بدء التنازل... فقد تنازلت الحكومة العثمانية لايران عن سبعة كيلومترات امام ميناء المحمرة بموجب بروتوكول القسطنطينية لعام ١٩١٣ وتنازلت الحكومة العراقية لايران عام ١٩٣٧ عن سبعة

---

٩٠ ــ كنت قد اقترحت على رئيس الجمهورية في الأيام الأولى بعد الاطاحة بنظام البعث استقدام كتيبة مصرية تعزيزاً لمبدأ التضامن والتعاون وقطعاً لدابر التآمر، وجاءت الكتيبة مع اسلحتها الخفيفة وعسكرت في منطقة أبي غريب القريبة وجهزت بدبابات عراقية.

كيلومترات اخرى امام عبادان خرجنا على اثرها في مظاهرة في متوسطة الكرخ انضمت إلى آلاف الطلاب تتهم الحكومة بالخيانة وتطالب باستقالتها...

ذهبت إلى الدكتور مكي الواعظ ابن خال رئيس الوزراء وصهره ومستشاره... شرحت له خطورة التصريح ورجوته تنبيه الاستاذ البزاز وتدارك الأمر قبل فوات الأوان ثم زرته في اليوم التالي لأعرف رأي البزاز... اجابني "إن البزاز لا يرى بأساً في المفاوضة ويقول لماذا نخافها... يجب أن تكون لنا ثقة بأنفسنا".

في ضحى احد الأيام زارني العقيد المتقاعد يحيى الخطيب وبيته قريب من بيتي لا يبعد اكثر من (٢٠٠) متر ثم اخبرني ان عارف عبد الرزاق سيصل هذا اليوم إلى بغداد وذكر موعد وصول الطائرة استغربت قوله وقلت له لعلّها اشاعة... أكد الخبر وقال ان الرئيس عبد الرحمن عارف قد عفا عنه وسمح له بالعودة بعد أن هنأه وكتب اليه رسالة اعتذار...

ذهبت إلى المطار قبيل موعد وصول الطائرة وشاهدت بعض اقرباء عارف عبد الرزاق واصدقاءه، ثم وصلت الطائرة ولم يكن بين ركابها عارف عبد الرزاق واتضح ان الخبر غير صحيح. زارني العميد الركن محمد خالد واقترح عليّ حضور اجتماع سيعقده الضباط الاحرار في مزرعة نهاد فخري في ديالي وهم راغبون جميعاً في حضوري... قلت له انت تعرف رأي ووجهة نظري ونوع العلاقة التي تحدث منذ فترة طويلة، ولا أجد أية فائدة من حضور الاجتماع إذ سيقتصر دوري على الاستماع فقط... قال: إن حضورك نافع وإن معرفة وجهة نظرك بالنسبة للأحداث الأخيرة لا يخلو من فائدة..

ذهبنا معاً بسيارته وتبين من سير النقاش والحوار ان هناك رغبة في اعادة النظر بانتخاباتهم السابقة واتضح من حديث صبحي عبد الحميد أنه دائم الاتصال بعارف عبد الرزاق اللاجىء في القاهرة كما يزوده بنشاط الضباط القوميين كلما سنحت له الفرصة.. غضب محمد مجيد من تصرفه هذا دون الرجوع إليهم... ثم اتجهت الانظار إليّ فاقترحت الاكتفاء بانتخاب امين عام لتنظيمهم في هذه الفترة ريثما يجتازوا هذه المحنة ومنعاً للانقسام والتشرذم... ودار نقاش بيني وبين العميد نهاد فخري الذي فسر حضوري بـ (يقظة الضمير) واضطررت إلى الرد عليه رغم حرصي على عدم الاشتراك بالمناقشة وايثاري الاستماع... ثم عدت مع محمد خالد وفي الطريق اقترح عليّ حضور الاجتماع القادم وقبولي رئاسة التنظيم حيث سيتولى بنفسه ترشيحي في الجلسة المقبلة... رفضت اقتراحه واكدت له أن موقفي السابق لم ولن يتغير وكل ما اتمناه أن تتوحد كلمة الاخوان وينسوا خلافاتهم.

مؤتمر قومي

اصبح الحكم فردياً في الفترة الأخيرة فقد تخلص عبد السلام عارف من المعارضة، فالاتحاد الاشتراكي تحول إلى تابع للسلطة بعد استقالة امينه العام والأمين المساعد وعدد من

اعضاء اللجنة التنفيذية وصفيت المعارضة في الجيش اثر عدول عارف عبد الرزاق عن محاولة الاطاحة بالنظام وسفره المفاجيء إلى القاهرة، وهكذا تمزق الصف القومي وتشرذمت قواه، فيما دب اليأس في نفوس الضباط وفقدوا ثقتهم بقيادتهم وظهرت بوادر انشقاق وتكتل ورغبة في اصدار نشرات تنتقد الضباط القوميين تتهمهم بالهرب والجبن والافتقار إلى مؤهلات القيادة...، ثم انبثق التنظيم الطليعي في الاتحاد الاشتراكي المصري لضمان استمرار الثورة وتألفت قيادة العراق من اديب الجادر وعبد الكريم فرحان وخير الدين حسيب تلاها عقد مؤتمر قومي مصغر في بيت اديب الجادر في المنصور حضره أكثر من عشرين عضواً هم اديب الجادر وعبد الكريم فرحان وعبد الستار علي الحسين وخير الدين حسيب وفؤاد الركابي وعبد اللطيف الكمالي وسلام أحمد وصبحي عبد الحميد، ومثنى سعيد واصف وهاشم علي محسن وغيرهم..

ناقش المؤتمرون ضعف النظام وهشاشته وتمزق القوى القومية وخلو الميدان، الأمر الذي يستوجب وحدة الصف القومي وتجنب المهاترات والتجريح، واستعادة ثقة الضباط الشباب وحثهم على العمل من جديد... واتفقت كلمة الجميع أن يتلو المؤتمر هذا مؤتمرات اخرى وانبثقت لجنة مصالحة وتنسيق... ثم اجتمعت بعد أيام قيادة الطليعة، فقررت خطة العمل ووزعت المهام والواجبات وانيط بي أمر الجيش وقطاع الضباط.

كان الانضمام للطليعة يبدأ بترشيح الشخص ثم اتفاق القيادة على قبوله حينئذ يقسم اليمين، يتلوه املاء (الاستمارة) ذات الصفحات الأربع وكانت الاستمارات ترسل إلى القاهرة بعدئذ... كان اديب الجادر حلقة الوصول بين فرع العراق وقيادة التنظيم في القاهرة وكانت اغلب الاجتماعات واللقاءات تتم في داره وقد يحضرها احياناً موفد من القاهرة..

كان أول المنضمين للطليعة عبد اللطيف الكمالي تلاه انضمام العقيد فيصل شرهان العرس والمقدم الطبيب راجي عباس التكريتي... كنت دائم الاتصال بفيصل دراجي لكني فضلت ان القاهما في داريهما بعد ان اتضح لي ان بيتي يخضع لرقابة شبه دائمة[٩١] كما حرصت على لقاء مختلف الكتل والمجموعات حتى الذين انشقوا على حزب البعث... التقيت بستار عبد اللطيف وحازم جواد، والمقدم الركن محمد علي سباهي وخالد علي الصالح، ومجموعة صغيرة انشقت من كتلة عارف عبد الرزاق وهكذا امتد نشاطي من مدينة الضباط إلى المنصور إلى مدينة اليرموك إلى حي الأطباء حتى محلة الكريعات في الأعظمية وقناة الجيش.

---

٩١ ــ التقيت صدفة بالدكتور مكي الواعظ قريب الاستاذ البزاز في بيت أحد الاصدقاء وكانت الزيارات قد توقفت بيننا، فدار حوار ونقاش ثم انفعل وقال لماذا يكثر الدكتور رامي من زيارتك؟ قلت له صديق وفي يزورني في الوزارة، وهل هناك بأس من زيارة الصديق لصديقه...

كان العقيد الركن فيصل شرهان العرس اشد المنضمين حماسة واندفاعاً فقد ضم عشرات الضباط والمدنيين دون الرجوع للقيادة، يتبين فيما بعد أن بعضهم لا يزال على ولائه القديم الأمر الذي دعا إلى تنبيهه إلى ضرورة التثبت والتأكيد على النوعية قبل كل شيء.. ثم تقرر سفري إلى القاهرة لعدة اسباب... وصلت القاهرة ونزلت في فندق البرج والتقيت بجميع الضباط العراقيين اللاجئين بدءاً بعارف عبد الرزاق مروراً بعرفان وجدي وانتهاء بالملازم عبد الأمير الدجيلي وتبين لي أن معظمهم يشكون من قلة الراتب وعدم السماح لهم بالسفر إلى خارج مصر والبيروقراطية المصرية عند مراجعتهم أو ذهابهم لتسلم رواتبهم.. وذهبتإلى الوزير امين هويدي وكان يرافقني العقيد الركن عرفان عبد القادر وجدي وحلت معظم المشاكل وأصبح راتب الضابط الأعزب كراتب المتزوج واعيدت لهم جوازات السفر وسمح لهم بالسفر إلى سورية أو لبنان لشراء سيارات والعودة بها، وتعهد الوزير امين هويدي أن يكون سلوك الموظف المصري المسؤول عن اللاجئين لطيفاً في المستقبل اثر انفعال عرفان عبد القادر وجدي وشكواه من خشونته...

تناولت الطعام مرات عديدة مع الضباط اللاجئين وبخاصة عرفان عبد القادر وجدي حيث كنت اقضي معه معظم الوقت كما دعاني عارف عبد الرزاق للغداء، وقد استطعت بعد لأي من تسوية خلافاتهم وبدأوا يتزاورون... كما التقيت بالسيد عبد الحميد السراج ودعاني اكثر من مرة لتناول الطعام معه وتحدثنا عن مشاكل العراق وهموم العالم العربي... ثم عدت إلى بغداد بعد أن مكثت في القاهرة حوالي ثلاثة اسابيع.

اجتماعات ومداولات

اظهرت الوقائع والأحداث ضعف رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف وتردده وسهولة التأثير عليه وتنكر حكومة السيد عبد الرحمن البزاز لاهداف ١٤ تموز والالتفاف على مكتسباتها الأمر اذي دفع الضباط الاحرار إلى الاجتماع والتشاور.

بدأت الاجتماعات في دار السيد ناجي طالب في الأعظمية وكان يحضرها على الدوام طاهر يحيى واحمد حسن البكر ورجب عبد المجيد وصبحي عبد الحميد بالاضافة إلى ناجي طالب وعبد لكريم فرحان..

استعرض المجتمعون الوضع وضرورة تحلي رئيس الجمهورية بالحزم ووجوب توقف المهاترات بين الكتل والقوى القومية وحاول رجب عبد المجيد اقناع احمد حسن البكر بالتخلي عن الحزبية التي كرهها الشعب وبانت مساوئها وظهر عدم ايمانه بشعاراتها وشاركت رجب رأيه وايدت اقواله واكدت وجوب حياد رجال ثورة تموز... لكن أحمد حسن البكر لاذ بالصمت.

توالت الاجتماعات واستقر الرأي على مقابلة السيد رئيس الجمهورية او تقديم مذكرة له

وفجأة دعينا إلى مؤتمر في القصر الجمهوري وقبيل الدخول إلى غرفة الاجتماع اخبرني رجب عبد المجيد ان السيد عبد الرحمن البزاز سيقدم استقالته في ختام الجلسة. رأس الاجتماع رئيس الجمهورية وكان من ضمن الحاضرين رئيس الوزراء ووزير الدفاع عبد العزيز العقيلي وطاهر يحيى وناجي طالب ورجب عبد المجيد وعبد الغني الراوي وسعيد صليبي وحميد قادر ورئيس الديوان الدكتور بديع شريف..

افتتح الجلسة رئيس الجمهورية وبين الغاية من الاجتماع واكدّ على أهمية التعاون وتبادل الرأي والتشاور وفجأة توجه طاهر يحيى إلى رئيس الوزراء سائلاً اياه عن سبب قطع خطه التلفوني اثر سقوط طائرة الرئيس عبد السلام عارف... اجاب البزاز ان ذلك جرى بناء على طلب وزير الدفاع... لكن وزير الدفاع نفى ذلك... فاستدرك رئيس الوزراء قائلاً إن ذلك جرى لحمايتك وحماية الآخرين... فسخر طاهر يحيى من هذا القول وخاطب البزاز بقوله: (لا احتاج لحمايتك وبامكاني ازاحتك لو تقدمت إليك راكباً بايسكل)..ثم تكلمت فقلت لرئيس الوزراء لقد تجنيت على الضباط الاحرار وشتمتهم في ندوتك وغمزت من قناتهم.. إن للندوات الاعلامية آداب وتقاليد واصول وحين ذكرت الشواء ورائحة اللحم خيلّ لي أن الندوة عقدت في مطعم للكباب... اصفر وجه رئيس الوزراء وقال فوراً: أنّ عندي آداب، وتوقفت عن الكلام اثر تدخل رئيس الجمهورية ثم انتهت الجلسة ولم يقدم السيد البزاز استقالته...

وهكذا اتضح ان رئيس الوزراء لن يستقيل، ثم اجتمعنا بعد ايام معدودة في دار السيد ناجي طالب لبحث الوضع والخروج من هذا المأزق فرئيس الجمهورية يرغب حقاً في تغيير الحكومة لأكثر من سبب لكنه عاجز عن اتخاذ القرار ورئيس الوزراء حريص على البقاء لتنفيذ برنامجه لا سيما وقد لمس ضعف رئيس الجمهورية وعدم معارضته لأي قرار تتخذه الحكومة... ثم انصرفنا بعد أن عينا موعد الاجتماع القادم... ولم أكد أخطو بضع خطوات باتجاه بيتي وهو قريب من دار ناجي طالب حتى لحق بي صبحي عبد الحميد في سيارته... توقفت ثم قال ان المقدم الركن رشيد محسن قد دخل العراق خلسة وهو يسكن في احد بيوت السكك الحديدية في الصالحية بجانب الكرخ واقترح عليّ زيارته لرفع معنوياته وبعث الثقة في نفسه... ذهبنا معاً لزيارته ومكثنا معه وقتاً قصيراً ولقد تعمدت اطراء شجاعته وجرأته وأخيراً قلت له يسرني أيها الأخ تقديم أية مساعدة تطلبها...

في عصر احد الأيام دق جرس الباب فخرجت لأرى القادم، فإذا هو عبد الحميد السراج استغربت مجيئه... لكني رحبت به... لم أسأله عن سبب مجيئه المفاجىء للعراق لكني فهمت ان اقامته لن تطول... تحدثنا في امور كثيرة، ثم ناشدني باسم القومية أن أعمل على رأب الصدع وان اجمع واتعاون مع الضباط القوميين... قلت له ان موقفي قد تحدد منذ أمد طويل ولم اعد اؤمن بالانقلابات وليست هي الحل الناجع أو الوحيد

لاحداث التغيير لكني ما زلت اسعى لتوحيد الصف وتناسي الخلافات الهامشية... لقد ذهب عبد الكريم قاسم وكنا نظنه العقبة الكأداء في طريق الوحدة ثم جاء عبد السلام عارف وتخلص من نفوذ حزب البعث لكنه احجم وتلكأ ولم يتقدم خطوة يعتد بها في طريق الوحدة بل اختلق مبررات التريث لاختلاف ظروف البلدين وريثما يحل العراق مشاكله الكثيرة.. الخ في وجوب الاجتماع بالاخوان فاختلاف الرأي لا يمنعنا من الالتقاء والتداول في الأمور المهمة.. وعدته بأني سألتقي ما دام يعلق اهمية على هذا اللقاء... ثم انصرف بعد أن شكرني على استجابتي لطلبه..

ادركت قرب قيام الضباط القوميين بحركة للإطاحة بالنظام وخشيت من عواقب هذه الحركة ونتائجها... ثم اتصل بي العقيد الركن محمد مجيد ليخبرني ان اجتماعاً سيعقد في محلة نجيب باشا في الأعظمية في دار اخت نهاد فخري... ذهبت إلى الاجتماع في الموعد المحدد وقد حضره عدد من الضباط من ضمنهم نهاد فخري ومحمد مجيد وجاسم كاظم العزاوي... وما أن بدأت الجلسة حتى انفعل بعض المتحدثين فاتهموا غيرهم بالجبن والتخاذل، فسادت الفوضى وتحول الاجتماع إلى حلبة للمبارزة الكلامية والتجريح الشخصي والانتقاد المر... لم أعلق ولم اتكلم وآثرت الاصغاء... ثم انصرفنا وفي الطريق اخبرت محمد مجيد اني لن احضر اي اجتماع في المستقبل... ألحّ عليّ في حضور الاجتماع القادم الذي سيعقد في الأعظمية في دار الأخ عرفان عبد القادر وجدي اجبته هذا قرار نهائي لن اتراجع عنه وقد تأكد لي عدم جدوى حضوري مثل هذه الاجتماعات...

ذهبت إلى الاجتماع في بيت ناجي الطالب عصر يوم ٢٦ حزيران ١٩٦٦ ، بحثنا الوضع المتردي وضعف رئيس الجمهورية وتردده وهيمنة رئيس الوزراء وشدة اعتداده بنفسه وحرصه الواضح على تصفية مكتسبات ثورة ١٤ تموز واتفقنا على مقابلة الرئيس عبد الرحمن عارف باقرب فرصة للتحدث اليه بصراحة وحثه على تغيير الحكومة وتأكيد وقوفنا إلى جانبه..

محاولة انقلابية في ٣٠ حزيران ١٩٦٦

بعيد الظهر من يوم ٣٠ حزيران ١٩٦٦ رن جرس الباب.. خرجت لأتبين القادم... كان احد القوميين الاصدقاء... رفض الدخول. سألني عن امر الطائرات التي بدأت بقصف القصر الجمهوري...اجبته لا علم لي... ثم جاءت سيدة وسألت نفس السؤال... وجاء ثالث بعد قليل يسأل فنفيت علمي ثم اتصل بي هاتفياً السيد طاهر يحيى يسألني عن هوية القائمين بالحركة لا سيما وقد بدأت الطائرات تقصف القصر الجمهوري... قلت له لا أعلم واظن ان البعثيين هم القائمين بالحركة... وبعد قليل جاءني المحامي صبيح اللكبيسي ثم

عرض عليّ الخروج والعبور إلى جانب الكرخ.. توجهنا بسيارته إلى الباب الشرقي ثم عبرنا من هناك وسرنا قليلاً باتجاه القصر الجمهوري وشاهدت احدى الطائرات تقصف القصر.. اقترح عليّ الذهاب إلى بيت صهره الدكتور مبدر عيسى روحي وهو قريب منا حيث يسكن في احدى بيوت السكك الحديدية لنستطيع من هناك رؤية الغارات الجوية وتقدم المدرعات والدبابات من (ابو غريب).

ذهبنا إلى البيت وصعدنا إلى سطح الدار حيث استطعنا أن نشاهد بوضوح غارات الطائرات... وسمعنا هدير الدبابات والمدرعات واصوات مدافعها... وحلّ المساء وبدأ وقت منع التجول الذي اعلنته الحكومة فاضطررنا إلى المبيت في نفس الدار وفي الصباح الباكر غادرنا فأوصلني صبيح إلى بيتي وانصرف. ثم فتحت اذاعة لندن فسمعت نبأ صادراً من الحكومة العراقية يطلب إلقاء القبض على الهارب عبد الكريم فرحان وتخصيص مكافأة عشرة آلاف دينار. عجبت للنبأ وادركت ان السيد البزاز كان وراءه بعد المشادة الأخيرة التي حصلت في اجتماع القصر الجمهوري وتبين لي بعدئذ أن العقيد الركن بشير الطالب[٩٢] كان احد المحرضين حيث اقسم انه شاهدني يوم الحركة في المطار المدني لاستقبال عارف عبد الرزاق. ركبت سيارتي وتوجهت إلى دار السيد صبيح الكبيسي في الوزيرية... قلت له سأذهب بعد قليل إلى وزارة الدفاع وسأخبرهم اني قضيت الليلة في... تمنى عليّ ان لا اتطرق إلى مبيتنا في دار الدكتور مبدر عيسى روحي خشية ان يلحقه بعض الأذى واقترح ان ابين اني قضيت الليلة في بيت صبيح الكبيسي... قبلت الفكرة ثم تجولت في الدار لأعرف غرفه ومرافقه وحفظت وصف الغرفة التي يفترض نومي فيها خشية أن يدقق المحققون معي في التفاصيل للتأكد من افادتي... عدت إلى البيت... وضعت متاعي وفراشي في السيارة ثم توجهت إلى وزارة الدفاع وكان يقودها أخ زوجتي... ذهبت إلى مديرية الاستخبارات العسكرية وفاجأهم حضوري ثم نقلت مع عدد من الضباط القوميين بعد أن ربطت ايدينا... وصلنا إلى مدرسة المشاة في معسكر الوشاش ووزعنا على الغرف وكان في غرفتي المقدم الركن احمد الحديثي وضابط برتبة نقيب... لقد تحولت المدرسة إلى معتقل ضم عشرات الضباط القوميين... شاهدت عارف عبد الرزاق ومحمد مجيد ورشيد

٩٢ ــ عرفته منذ زمن بعيد وكنا نلتقي أحياناً عقب صلاة الجمعة في جامع (العسافي) في الأعظمية، ومرّة شاهدني أتحدث في الطريق مع صالح مهدي عماش فعاتبني.. ،اصاب علاقتنا فتور بعد أن نبهت أخاه المقدم الركن نذير الطالب وكان أحد آمري أفواج اللواء وحذرته من استخدام الجنود في داره حفظاً لسمعته وكرامته. وظن أني عارضت في ضمه لمجلس قيادة الثورة عقب حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وأخيراً عين سفيراً في (سري لانكا) مكافأً له على حسن معاملته للسيد أحمد حسن البكر أثناء اعتقاله في عهد عبد السلام عارف. ولقد أثرى بسرعة نتيجة تهريبه الأحجار الكريمة.

محسن والطيار ممتاز السعدون وعبد الأمير الربيعي ومبدر الويس وملازمين ونقباء لم يسبق لي رؤيتهم.

لقد فشلت الحركة لافتقارها للقيادة الحازمة وبقاء الضباط في (معسكر ابي غريب) مكتفين باذاعة البيان من مرسلات الاذاعة وعدم تحديد المهام والواجبات والاهداف... لقد استهان قادة الحركة بقوة الجانب الثاني وشجعهم ضعف رئيس الجمهورية وافرطوا في التفاؤل وظنوا أن الأمر سينتهي بمجرد قصف القصر الجمهوري بالطائرات.

تقدمت الدروع من (ابو غريب) باتجاه بغداد يقود معظمها ضباط صف ثم توقفت بعد نفاذ وقودها وعتادها وسادها الارتباك بعد مقتل الملازم الظاهر قائد احدى الدبابات فيما التف قادة لواء الحرس الجمهوري حول رئيس الجمهورية يشجعونه على الصمود والمقاومة كما التحق بالقصر العميد الركن عبد الغني الراوي حاملاً رشاشته.

والقى القبض على الضباط القوميين في معسكر (ابو غريب) فيما هرب المقدم الركن هادي خماس وعدنان ايوب صبري. لقد حرصت على أن لا أدخل مع أي انسان في نقاش أو حوار ولكن اضطررتإلى الدخول في جدل عقيم مع محمد مجيد. وبعد أيام معدودة كتبت عريضة إلى رئيس الجمهورية طالباً فيها اطلاق سراحي بعد أن اتضحت ابعاد المحاولة وانتفاء اية علاقة لي بها... كانت العريضة صريحة وجريئة تشجب الظلم والحقد والظاهر انها قد صورت بعد وصولها للقصر ووزعت..

ثم تقرر نقل عشرة من المعتقلين كنت من ضمنهم على ثكنة لواء الحرس الجمهوري لغرض تشديد الحراسة والاذلال والتضييق حيث اخليت غرف مشاجب السلاح وهي غرف ذات ابواب حديدية ليس فيها أي شباك كانت غرفتنا تضم عارف عبد الرزاق وممتاز السعدون وكانت الأبواب لا تفتح إلاّ لأوقات محددة ولفترة قصيرة... وزارنا بعد ايام من وصولنا آمر اللواء العقيد الركن ابراهيم عبد الرحمن وتحدث مع عارف على انفراد وكرر زيارته ورافقه في زيارته الأخيرة معاون مدير الاستخبارات عبد الرزاق النايف... ثم نقلنا فجأة إلى مدرسة المشاة... وبعد وصولنا بأيام استدعيت للتحقيق بغية ايجاد مبرر لاعتقالي رغم انكشاف كل شيء..

سألوني ان بعض المشتركين في الحركة اصدقاؤك ولا بدّ انهم اطلعوك على نواياهم اجبتهم ان وجهات نظرنا مختلفة فانا لم اعد اؤمن او افكر باي انقلاب لحل المشاكل وهذا سر ابتعادي عنهم لا سيما وقد الفوا تنظيماً منذ فترة طويلة.. قالوا ان عارف عبد الرزاق قد رشحك لوزارة الداخلية.. قلت لهم لم اسمع بهذا من قبل ولم يؤخذ رأيي وأؤكد لكم اني سأرفض المنصب لو قدر للحركة النجاح... ثم سألوني عن رأي في الحركة... قلت لهم أن هذا السؤال ينبغي أن يوجه إلى عارف عبد الرزاق... وتحولت الجلسة إلى أحاديث عامة لا علاقة لها بالحركة... وخرجت وبعد أيام أي حوالي منتصف شهر آب استدعيت لهيئة

التحقيق وبلغت بقرار اطلاق سراحي بعد تقديم كفالة يضمنها شخص... قلت لهم أن برائتي واضحة والبراءة لا تستوجب كفالة قالوا انها قضية شكلية لا بدّ من مراعاتها... وجاء السيد صبحي عثمان والدكتور يوسف عز الدين فكفلاني وقبيل ان اغادر الغرفة قال رئيس الهيئة ان رئيس الوزراء السيد ناجي طالب يطلب ان تمر عليه في مكتبه اثر اطلاق سراحك... قلت له سأزوره وتصادف ان خرج محمد مجيد مع حارسه للذهاب للمراحيض فتوقف ريثما اخرج من الغرفة فرجاني أن ازور السيد ناجي طالب حالاً لمصلحة الاخوان المعتقلين. وعدته أني لن اقصر أو اتوانى... لقد بدأ التحقيق مع المشتركين في المحاولة قبيل مغادرتي مدرسة المشاة، لقد تعمد عارف عبد الرزاق أن يتحمل المسؤولية وحده فطمس وانكر دور الآخرين وهذا ما اغضب بعضهم وبخاصة محمد مجيد حيث عاتبه.

زرت السيد ناجي طالب في مكتبه وشكرته وانتهز الفرصة لتأكيد أُخوتنا وضرورة تعاوننا ثم زرت رجب عبد المجيد وزير الداخلية واقترح ان اساهم في الحكومة وان انضم إليهم... قلت له اني احتاج بعض الوقت للتفكير..

زارني كثير من الاصدقاء في داري اعقب ذلك زيارة زوجات واخوان واقارب المعتقلين راجين بذل جهودي لمعاونة المعتقلين وحين علم بعضهم بعلاقتي وصداقتي مع بعض المسؤولين في الحكومة تحولوا إلى قضاياهم الشخصية كالنقل والترقية..

نشاط وعمل

ادركت عمق محنة الضباط القوميين واعتمادهم عليّ وجسامة مهمتي... لذلك دأبت على زيارتهم في مدرسة المشاة في الأوقات المسموح بها وكنت أحياناً اذهب مع الأخ المحامي عبد الستار علي الحسين... ثم نقلوا إلى السجن العسكري رقم (١) في معسكر الرشيد اثر هروب رشيد محسن واحمد الجديثي مع حارسهما خلال ذهابهم إلى مستشفى الرشيد العسكري فاستمرت زياراتي لهم وكنت اقضي معهم وقتاً أطول وفي احدى المرات تغديت معهم ثم رجا مني بعض الاخوان زيارة جميع النقباء والملازمين في غرفهم برغم اني لا اعرفهم ولم التقِ بهم من قبل رفعاً لمعنوياتهم وتطميناً لهم... زرتهم واثنيت على شجاعتهم...

وفجأة زارني مساء احد اعضاء السفارة المصرية.. كان قصير القامة، لم يسبق لي أن رأيته او تعرفت به ولعلّه كان امين يسري، شكا لي كثرة المراجعين القوميين وطلبهم المعونة وهو يقترح عليّ تدبر الأمر لأخفف العبء والضغط على السفارة... وعدته بذلك، ثم بدأت حملة تبرعات، وقد تبرع بعضهم لمرة واحدة فيما تعهد آخرون بدفع تبرعات شهرية امثال طاهر يحيى والدكتور شامل السامرائي و... كانت المبالغ تتجمع لدى الدكتور راجي

التكريتي الذي يتولى توزيعها على ضوء الحاجة وموقف العوائل المالي وحين شعرت بعدم كفاية المبالغ طلبت معاونة الجمهورية العربية المتحدة واصبحنا نتسلم شهريا (١٠٠٠) الف باون حيث يأتي شخص ليسلمها إلى أديب الجادر ثم اوقع وصلاً بتسلم المبلغ وبعد أن تحول إلى دنانير عراقية يجري تسليمها إلى المقدم الدكتور راجي التكريتي.

في احدى الامسيات دق جرس الباب... كان القادم اللواء الركن المتقاعد حسين العمري رحبت به وطلبت منه الدخول لكنه اعتذر وقال ان رشيد محسن مختبىء في (المشتمل) الملاصق لداره.. فهل تريد زيارته؟ أجبته لا شيء لدي يستوجب الزيارة إلاّ إذا كان هو يريد أن ازوره واقابله... ثم عاد بعد أيام وذهبنا معاً... دخلت المشتمل وتحدثت مع رشيد محسن واتفقت أن ازوره بين حين وآخر.

ثم اجتمعت قيادة الطليعة وتمّ القرار على تكثيف حملة التبرعات كما اقترح اديب الجادر ضم رشيد محسن للطليعة فوافقنا وفي اللقاء التالي اقسم رشيد محسن اليمين لكن الاستمارة لم تكن معي فوعدته أن آتي بها في زيارتي القادمة لكنه رفض أن يملأها..

في عصر أحد الأيام عدت إلى داري وكان أول من استقبلني زوجتي حيث اخبرتني أن زوجة المقدم الركن أحمد الحديثي في غرفة الضيوف وهي تريد أن تتحدث إليك... سلمت عليها ثم رحبت بها وسألتها عن حاجتها.. قالت أن زوجها يرغب في رؤيتي وهو يسكن في بيت ابيها في محلة نجيب باشا القريب من نهر دجلة.. ثم سألتني عن علاقتي بصبيح الكبيسي... قلت لها انه صديقي.. قالت سمعنا انه يقوم بمساعدة بعض الضباط القوميين المختفين على مغادرة العراق بمعاونة السفارة المصرية..عجبت للخبر واكدت لها اني لم اسمع بهذا من قبل واشك في صحته ومع ذلك سأزور صبيح مساء هذا اليوم في مكتبه الذي يقع في ساحة حافظ القاضي ثم وعدتها أن ازور زوجها باقرب فرصة بعد أن دونت عنوان الدار ورقمه..

ذهبت إلى مكتب المحامي صبيح الكبيسي واخبرته بما سمعته من زوجة احمد فنفى كل شيء واستغرب هذه الاشاعة وبعد ثلاثة ايام زرت المقدم الركن احمد الحديثي... تحدثنا كثيراً[٩٣] زارني مساء العقيد حسن عبد المجيد العزيز واخبرني بان عبد الهادي الراوي قد بدأ بجمع التبرعات للمعتقلين... قلت له نعم العمل وابارك جهود الأخ عبد الهادي وشهامته ثم مددت يدي إلى جيبي واخرجت عشرة دنانير سلمتها إليه قلت له هذا ما لديّ الآن لكن سأدفع شهرياً مبالغ مناسبة ولكنه لم يأتي والظاهر ان الحماس قد فتر وتخلى عبد الهادي الراوي عن مهمته، ثم اخبرته بزيارتي لصبيح الكبيسي في مكتبه ونفيه القيام بمهمة تسفير الضباط القوميين بالتعاون مع السفارة المصرية واستغرابه من هذه الاشاعة التي قد تضره.. قال الحديثي انه يستطيع أن يرتب امر خروجه من العراق إذا لم تكن هناك حاجة إليه قلت له لا أدري وليس من شأني أن أتدخل في مثل هذه القضايا لكني قد التقي ببعض

اخوانك فأسلهم رأيهم... ثم رجاني ارسال بعض المال لعائلة ضابط الصف الذي كان يحرسهما اثناء ذهابهما إلى مستشفى الرشيد العسكري ثم اغرياه واقنعاه بالهرب معهما... سجلت عنوان العائلة وكانت تسكن في مدينة الحلة ووعدته بتخصيص مبلغ شهري لها..

وفي مساء أحد الأيام زارني احد اخوان المقدم الركن عدنان أيوب صبري ورجا مني مرافقته إلى دار والده حيث يختبيء فيها اخوه الذي يرغب في رؤيتي والتحدث إليّ في قضايا هامة... دخلت الدار فوجدت قد سبقني ضابط آخر ثم جاء عدنان... تحدثنا واخيرا اقترح ان ازوره بين حين وآخر مع المقدم الركن جاسم كاظم العزاوي الذي دأب على زيارتي ثم الذهاب معاً لملاقاة عدنان..

ثم بدا لي أن ازور عوائل الضباط المعتقلين لتفقد احوالهم وتأمين حاجاتهم وتطمينهم، فاخترت يوم الجمعة من كل اسبوع، ففي الصباح اتوجه إلى دور الضباط في اليرموك بجانب الكرخ ثم اعود ظهراً إلى داري واتوجه عصراً إلى مدينة الضباط في جانب الرصافة وكانت ترافقني زوجتي في كل زياراتي... كما دأبت على زيارة المعتقلين في السجن رقم (١) لقد كثرت الطلبات واتسعت المهمة وامتد النشاط من الموصل إلى الضلوعية في منطقة سامراء فالحلة فبغداد وشمل جميع المعتقلين والهاربين وعوائلهم، فهذا يطلب مصادر ومراجع لكتاب ينوي تأليفه وآخر يحتاج إلى مقدمة وميثاق لحزب يريد أن يشكله، وثالث يريد ارجاع رقم هاتفه السابق، ورابع يريد ارجاع سيارته المحجوزة في معسكر (ابو غريب) وتعويضه عن الأضرار التي لحقت بها وهذه أم احد الهاربين مريضة تصرّ على أن يراها الدكتور شامل السامرائي، وهذه عائلة تحتاج إلى المعونة لكنها تأبى تسلم أي مال... ومعتقلو السجن العسكري رقم (١) يريدون أن تتبنى نقابة المحامين قضيتهم... وهذه معلمة زوجة احد المعتقلين تريد الانتقال من الرمادي إلى بغداد وهذا أخ لضابط هرب إلى مصر يريد أن يترفع في وزارة النفط كان لا مفرّ من الاستعانة بالآخرين لاتساع المهمة وكثرة الأعمال فتطوع اخوان لمعاونتي وتخفيف العبء كان في مقدمتهم المحامي جعفر صادق وبذلك استطعنا ايصال المال للعوائل المحتاجة اينما كانت كما اهتدينا إلى قريب للعائلة التي رفضت المال فاشترينا مواد عينية من رز ودهن وسكر وشاي رضى أن يحملها للعائلة زاعماً أنه اشتراها... وسرعان ما انتشرت اشاعة فحواها "أن عبد الكريم فرحان يحاول سرقة التنظيم والهيمنة عليه"، تألمت كثيراً لكنني لم اتوقف عن تقديم العون لأن مهمتي لم تنته بعد تمثلاً بقول المتنبي:

تلذ له المرؤة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام

ثم زرت رشيد محسن فحدثته بمقابلتي لاحمد كامل الحديثي ووجهة نظره ففضل أن يسافر إذا استطاع كما أخبرني انه سينتقل إلى بيت محمد الحديثي الموظف في وزارة الداخلية خلال بضعة أيام وهو في نفس المنطقة، وبعد أيام قليلة زرت أحمد الحديثي

فأخبرته بوجهة نظر رشيد محسن لكني لم اذكر اسمه ثم اكدت له وصول مبلغ مناسب إلى عائلة ضابط الصف الهارب في الحلة ووعدته بالاستمرار على ذلك.

اجتمع عدد من المحامين القوميين لاعداد مذكرة يناشدون فيها السيد رئيس الجمهورية اطلاق سراح المعتقلين جرى اغلبها في مكتب المحامي صبيح الكبيسي كان آخرها الاجتماع في دار نقيب المحامين عبد الرزاق شبيب الواقع على نهر دجلة في جانب الكرخ..

وفي أحد الأيام وحوالي الساعة العاشرة مساء دق جرس الهاتف... رفعت السماعة، كانت المتكلمة زوجة عارف عبد الرزاق... بكت ثم قالت ان عارف سيعدم غداً.. قلت لها من اخبرك... انها اشاعة كاذبة اطلقها عدو لكم... لم ينقطع بكاؤها...حاولت بعث الطمأنينة إلى نفسها وأخيراً قلت لها سأزورك بعد قليل.. ثم اتصلت بالمحامي عبد الستار علي الحسين... اخبرته أن زوجة عارف قلقة وخائفة ولا بدّ من ذهابنا الآن الى دار عارف في مدينة الضباط، استقبلتنا زوجته باكية وجلة... لم يطل الحديث لكننا أكدنا انها اشاعة غير صحيحة واقسمنا لها ان عارف لن يصيبه اذى، وان نقابة المحامين ماضية في اعداد مذكرة لتقديمها إلى رئيس الجمهورية... ارتاحت لكلامنا وعاد الاطمئنان إلى نفسها ثم عدنا...

مفاوضات ومشاورات

دأبت على زيارة رشيد محسن بعد انتقاله إلى دار محمد الحديثي ليلاً، كنت اذهب إلى غرفة الضيوف ثم ينزل رشيد بعدئذٍ... كانت الغرفة تضم مكتبه تحتوي على عشرات الكتب وكان يجلس معنا أحياناً صاحب الدار... وفجأة دق جرس الدار ثم دلف إلى الغرفة شخص لم يسبق لي رؤيته أو معرفته... رحب بالضيف رشيد ثم قدمه إليّ قائلاً صديقي المحامي اسماعيل خير الله... صافحته ثم تحدثنا كثيراً..طالت جلستنا وتشعب الحديث وامتد على ساعة متأخرة من الليل... كان اسماعيل خير الله شديد الحماس والتفاؤل، واثقاً من مكانته ومنزلته لدى رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف الذي يستشيره في بعض الأحيان. كما بين من خلال كلامه أن آمر لواء الحرس الجمهوري العقيد الركن ابراهيم عبد الرحمن من اخلص اصدقائه.

كثرت لقاءاتي باسماعيل خير الله عند زيارة رشيد محسن وأخيراً اقترح أن يزورني أولاً ثم نتوجه معاً إلى لقاء رشيد محسن بعد أن يشتد الظلام... ثم تحول بيت محمد الحديثي الذي يختفي فيه رشيد محسن إلى مقر للاجتماعات القومية وكان يحضره اديب الجادر وخير الدين حسيب وعبد الستار علي الحسين وعبد الستار عبد اللطيف واسماعيل خير الله وراجي التكريتي وغيرهم..

كنا نبحث ونناقش الكثير من الأمور والشؤون ولست أشك ان بعض وجهات نظرنا

تنقل إلى رئيس الجمهورية... ثم أكد لنا اسماعيل خير الله رغبة السيد رئيس الجمهورية بالتعاون مع القوى القومية واستعداده لاقالة الوزارة وتشكيل حكومة برئاسته إذا دعي الأمر... توالت الاجتماعات وفي احداها اقترح اسماعيل خير الله اشتراكي في الحكومة المقبلة... لكني اعتذرت لأكثر من سبب...ثم حاول في اجتماعات اخرى اقناعي وعاونه بعض الاخوان... وأخيراً أجمع الحاضرون على وجوب قبولي المشاركة خدمة للمصلحة العامة واقترح عبد الستار علي الحسين أن اتولى وزارة الاصلاح الزراعي لأهميتها.. وافقت على الاشتراك في الحكومة الجديدة كما وافق عبد الستار عبد اللطيف على أن ينضم إليها أيضاً..ثم اخبرنا اسماعيل خير الله في الاجتماع التالي وكان في أواخر نيسان ١٩٦٧ على قرب استقالة الحكومة وتشكيل الوزارة برئاسة رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف.

قدم السيد ناجي طالب رئيس الوزراء استقالته في ١٩٦٧/٥/٣ ثم قبلت في ٨ مايس وفي يوم الخميس ١١ مايس تم تشكيل الحكومة برئاسة عبد الرحمن عارف وضمت الوزارةثلاثة نواب لرئيس الوزراء هم: طاهر يحيى وفؤاد عارف وعبد الغني الراوي واقسم الوزراء اليمين الدستورية في القصر.

في وزارة الاصلاح الزراعي

داومت في وزارة الاصلاح الزراعي صباح السبت ١٣ مايس ١٩٦٧ ، كانت الوزارة تشغل عمارة كبيرة تضم عدة طوابق في محلة الخلاني ـ شارع الجمهورية قريبة من الباب الشرقي بالاضافة إلى استجارها مباني اخرى في مناطق مختلفة لبقية مؤسساتها ومديرياتها الكثيرة.

أمضيت اليوم الأول في التعرف على اقسام الوزارة وكبار موظفيها وتمشية الأعمال (الروتينية) ثم قمت في اليوم التالي بزيارة بعض مؤسساتها الأخرى كمديرية الري العامة، والمصرف الزراعي، المفتشية العامة، مديرية الاصلاح الزراعي للواء بغداد... لقد استغرقت الزيارة حوالي ثلاث ساعات ثم عدت إلى مكتبي في مقر الوزارة. أمضيت اليوم الثالث في مكتبي في مقر الوزارة... أدركت أهمية الوزارة وضخامة ميزانيتها وامتداد نشاطها إلى سائر ارجاء العراق فعدد موظفيها يزيد على ثلاثة عشر ألف، ناهيك عن العمال والمستخدمين في وحداتها الميكانيكية ومعاملها ومفارز التصليح فيما يرتبط بها مئات الجمعيات الفلاحية وعشرات المزارع الكبيرة والبساتين أما صلاحيات الوزير فهي كصلاحيات مجلس الوزراء وهو العضو المفوض عن الهيئة العليا للاصلاح الزراعي التي يرأسها رئيس الوزراء نفسه. وبالرغم من مرور حوالي تسع سنوات على صدور قانون الاصلاح الزراعي فقد غطى الجانب الاداري معظم نشاط وفعالية الوزارة فيما ضمر الجانب الفني واصبح عدد المراجعين لدوائر الوزارة هائلاً يستنفد معظم الوقت، وبعض المعاملات مضى عليها أكثر من اربع

سنوات وغصت الوزارة بخريجي كلية الحقوق والضباط[٩٣].

كان لا بدّ من القيام بجولة واسعة للاطلاع على نشاط الوزارة لكني ارجأت ذلك ريثما تنجلي غمرة الفيضان، فمياه الفرات وصلت حداً ينذر بالخطر ويهدد بغداد ومدن أخرى ووجود الوزير في مكتبه مهم لاتخاذ بعض القرارات الخطيرة إذا استدعت حالة الفيضان..

توجهت صباح يوم ١٦ مايس إلى مدينة الفلوجة والرمادي وصدر اليوسفية لتفقد السداد وسير العمل في تقويتها اجتمعت من خلالها بمتصرف لواء الرمادي وبعض المهندسين من مديرية الري العامة.

نكسة حزيران ١٩٦٧

في يوم ٥حزيران حضرت اجتماع مجلس الوزراء وكان يرأسه عبد الرحمن عارف. تداولنا في الموقف ولم تتوفر لدينا أية معلومات يعتد بها عن سير القتال لحرص الجانبين على عدم اذاعتها لا سيما وان القتال في مراحله الأولى وتقرر بالاجماع ضرورة المبادرة فوراً إلى نجدة مصر ودعمها مادياً وعسكرياً. وفي اليوم التالي اتصلت بالسفارة المصرية لأعرف المزيد من اخبار القتال فلم اظفر بطائل لكني صرحت لأحد مندوبي وكالة الأنباء العراقية ان الوضع سيكون في صالح مصر استنتاجاً وتقديراً للموقف ورفعاً للمعنويات فقد كنت اتوقع أن القيادة المصرية قد حسبت لكل شيء حسابه ونسقت العمل مع سورية لا سيما بعد اعلانها سيادة مصر على مضائق العقبة واعلان ذلك في ٢٢ مايس ١٩٦٧ ، وطلبها سحب قوات الطوارىء الدولية المرابطة على الحدود المصرية في ١٧ مايس ١٩٦٧ .

ويذكرأن الموقف في المنطقة العربيةكان قد تأزم بعد الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية، ففي ١٧ مايس طلبت مصر سحب قوات الطوارىء الدولية المرابطة على الجانب المصري من الحدود، ثم توجه إلى سورية في ١٨ مايس وفد عسكري عراقي كبير برئاسة رئيس اركان الجيش حمودي مهدي لتنسيق التعاون العسكري مع الجيش السوري فيما اجتمع مجلس الوزراء العراقي لدراسة الوضع على الحدود بين سورية وفلسطين المحتلة وقرر مساندة الشعب السوري بكل طاقته. وفي ٢٢ مايس اغلقت مصر مضائق العقبة معلنة سيادة مصر عليها وبدأت القطعات الأسرائيلية تتدفق على الجبهة الجنوبية ثم اعلنت اسرائيل

---

٩٣ ـ لقد نقل الى الوزارة الكثير من الضباط اثر كل تغيير في النظام، فبعد الاطاحة بعد الكريم قاسم نقل اليها الضباط الشيوعيون و(القاسميون) وبعد حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ نقل اليها الضباط البعثيون وبعد حركة عارف عبد الرزاق الفاشلة نقل اليها الضباط القوميون، أما المفتشية العامة فكانت تضم عدداً آخر من الضباط ذوي الرتب الكبيرة الذين تعذر ترفيعهم في الجيش لعدم ملائمة الملاك، دأبو على عدم التقيد بتعاليم الوزارة وتحدوا أوامرها وتوجهاتها في بعض الأحيان.

التعبئة العامة واستدعت الاحتياط للخدمة وبلغت الأزمة ذروتها في ٢٣ مايس وعرض العراق ارسال قوات عراقية للجبهة السورية لكن الأردن رفض مرور القوات العراقية.

وفي ٣١ مايس توجه الملك حسين إلى القاهرة لتوقيع اتفاقية دفاع مشترك مع الرئيس جمال عبد الناصر ثم عاد إلى عمان يرافقه اللواء البدري وفي ١ حزيران توجه قائد الجيش الأردني إلى بغداد لاجراء محادثات حول دخول القوات العراقية للأردن. انعقد مؤتمر خطير في القصر الجمهوري برئاسةرئيس الجمهورية اثر العدوان الاسرائيلي الغادر على جمهورية مصر العربية حضره عدد من الوزراء العسكريين بالاضافة إلى رئيس اركان الجيش وقائد القوة الجوية. بحث المؤتمرون خطورة الوضع في الجبهة المصرية وناقشوا سبل مساعدة مصر بعد ان تبين ضعف القيادة العسكرية المصرية وترددها. إذ كان المتوقع شن القطعات المصرية هجوماً مدمراً واسع النطاق عقب صد الهجوم الاسرائيلي المفاجىء بينما تندفع القطعات السورية داخل اسرائيل وبذلك تتحقق المناورة على الخطوط الخارجية (المتقاربة) ويلتقي الجيشان داخل الأراضي المحتلة.

وتبين ان وزارة الدفاع قد سبقت النظر وطلبت من الأردن الموافقة على مرور القطعات العراقية التي ستتحشد في الجبهة السورية اثر تأزم الموقف واغلاق مضائق العقبة لكن الأردن رفض مرور القوات العراقية ثم وافق قبل العدوان الاسرائيلي بثلاثة أيام فقط وهو وقت ضيق لا يسمح بتحشيد قطعات عراقية كثيرة حيث أن أغلب الجيش العراقي موزع في المنطقة الشمالية ومع ذلك بدأت القطعات تتحشد تباعاً في سورية برغم شحة ناقلات الدبابات..

اتفق المؤتمرون بالاجماع على ضرورة نجدة مصر ودعمها مادياً وعسكرياً وتقرر نقل وحدات مشاة إلى مصر جواً بالإضافة إلى سرب طائرات الهنتر المقاتلة الذي سبق إرساله إلى مصر، ثم توجهت إلى قائد القوة الجوية العميد جسام محمد الشاهر فقلت هل بوسع القاصفات العراقية القيام بغارات على اسرائيل تخفيفاً للضغط على مصر ريثما تعد القواعد والمطارات السورية لاستقبال المقاتلات العراقية أجاب: إن بوسع طائرات (الباجر) القاصفة ذات المدى البعيد ضرب أهداف داخل اسرائيل وسيتحقق ذلك قريباً وأردف قائلاً أن الاتصال قد تمّ بالحكومة السورية لاعداد قواعدها الجوية لاستقبال المقاتلات العراقية وأخيراً خاطبت رئيس الجمهورية قائلاً: سيادة الرئيس هناك عدد غير قليل من الضباط القوميين المعتقلين من ضمنهم بضع طيارين ممتازين آن لهم ان يساهموا جميعاً في معركة العروبة المحتدمة، نظر إليّ باستغراب ثم قال سأنظر في الأمر قريباً ان شاء الله.

تقرر ارسال فوج مشاة مصر ونقله بالطائرات.. ذهبت إلى مطار الرشيد العسكري لتوديع الفوج الذي يقوده المقدم الركن طارق محمود جلال وكان من ضمن الضباط الملازم قيس نجل رئيس الجمهورية وسنحت لي الفرصة خلال التوديع للتحدث على انفراد مع رئيس أركان الجيش اللواء حمودي مهدي لمعاونتي في التوسط واقناع رئيس

الجمهورية بإطلاق سراح الضباط القوميين للمساهمة في المعركة كما تحدثت إلى قائد القوة الجوية لاقناع رئيس الجمهورية باطلاق سراح الطيارين لحاجة القوة الجوية إليهم في هذه الظروف العصيبة، وبعد قليل واثر اقلاع أول طائرة ذهبنا نحن الثلاثة إلى رئيس الجمهورية وتحدثنا باسم المصلحة القومية وحاجة الجيش لكل ضابط فوافق مبدئياً على اطلاق سراح المعتقلين وفي اليوم التالي ذهبت إلى القصر الجمهوري ثم لحق بي اسماعيل خير الله وزير الدولة وعبد الستار عبد اللطيف وزير الداخلية.. قابلنا رئيس الجمهورية وكلفنا باعداد صيغة برقية العفو عن الضباط القوميين المعتقلين.. ثم خرجنا لنعد البرقية وبدأنا في صياغتها واقتراح عبد الستار عبد اللطيف ان يشمل العفو الضباط البعثيين فوافقنا على ذكرهم في البرقية وتعهد اسماعيل خير الله بإقناع رئيس الجمهورية.. وصدرت البرقية بتوقيع رئيس الجمهورية وأطلق سراح جميع الضباط والتحقوا بوحداتهم السابقة ثم صدر الأمر إلى عارف عبد الرزاق بالتوجه إلى الأردن وسوريا للاطلاع على الموقف وتفقد ترتيبات القواعد الجوية والمطارات.. وعاد بعد أيام معدودة وقدم تقريراً إلى قائد القوة الجوية.. ولقد قابلته اثر عودته لاعرف معنويات القطعات العراقية وحقيقة الموقف في الجبهة وذكر لي عرضياً أثناء الحديث أن الرتل الذي يقوده العميد الركن حسن النقيب قد ظل طريقه وتأخر في تنفيذ مهمته.

لقد انكشفت أبعاد الضربة الجوية الاسرائيلية الغادرة والمفاجئة على مصر وأكدت سبق استعداد الجيش الاسرائيلي وتخطيطه حيث يقول الجنرال هود قائد الطيران الاسرائيلي "كنا نعيش مع تلك الخطة، وكانت هي قوتنا التي نقتات منها، وكنا نحسنها بلا انقطاع" كان يوم ٥ حزيران هزيمة للعرب ومأساة دامية فقد انهار الجيش المصري وتمزق وشبه الرئيس جمال عبد الناصر الحالة التي ألمت بالجيش المصري (بالسكتة القلبية)[٩٤] وحقق الاسرائيليون نصراً لم يحلموا به يرجع قبل كل شيء لاخطاء القيادة المصرية الاستراتيجية، واستقال الرئيس جمال عبد الناصر بعد هذه الكارثة، وآلم كل عربي تركه للميدان في هذا الوقت الحرج ولعدم وجود من يحل محله ليخرج بمصر من محنتها، بالرغم من مسؤوليته العامة وتقصيره غير المباشر. ذهبت إلى رئيس الجمهورية وكان معي اسماعيل خير الله

---

٩٤ ـــ توجه وفد عراقي الى مصر برئاسة طاهر يحيى كنت من ضمن اعضائه بعد نكسة ٥ حزيران بفترة قصيرة لتنسيق التعاون وبحث طلبات مصر الملحة.. زار الوفد بجميع اعضائه الرئيس جمال عبد الناصر زيارة مجاملة قصيرة، وقبيل منتصف الليل وصلت من القصر الجمهوري سيارة مرسيدس فخمة كان يستخدمها عبد الحكيم عامر لتقلني وطاهر يحيى الى بيت الرئيس جمال عبد الناصر حيث تحدث الرئيس بألم عن الشلل والارتباك الذي أصاب القيادة المصرية والساعات الأخيرة التي قضاها في حوار مع عبد الحكيم عامر واضطراره الى ترك الجلسة لعدم جدوى الحوار والنقاش وتعذر اقناع عبد الحكيم عامر.

واقترحنا على الرئيس ارسال برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر تهيب به بالبقاء ريثما تنجلي هذه المحنة ووقوف العراق بكل طاقاته وموارده إلى جانب مصر فوافق وقمت بصياغة البرقية بالتعاون مع اسماعيل خير الله، ثم قرر العراق خصم ربع رواتب الموظفين بناء على اقتراحي وشمل ذلك المستخدمين والعمال للمجهود الحربي، وكتبت مقالاً في صحيفة الثورة العربية عنوان (متى نبدأ.. وماهو الحل!؟) لرفع المعنويات واستعادة الثقة بالنفس وتفنيد اسطورة اسرائيل التي لا تقهر تلاه مقال آخر بعنوان (عبر – ودروس) كتبته استجابة لرسائل القراء ورداً على تعليق صحيفة التآخي على مقالي الأول ذكرت فيهما ان اسرائيل لم تأت بجديد لكنها أحسنت اختيار مادتها، وكانت إدارتها للمعركة تتفق مع مبادىء الحرب واسس السوق..

جولات واصلاحات ادارية

١ ـ جولتان:

آن لي أن ابدأ جولاتي التي توقفت بسبب العدوان الاسرائيلي على مصر فقد كنت أنوي زيارة مختلف أرجاء العراق للاطلاع على نشاط الوزارة وتفقد المشاريع والمزارع الحكومية والجمعيات الفلاحية وحلّ بعض المشاكل ميدانياً تمهيداً لاتخاذ اجراءات وتغييرات اساسية تتناول تنظيم الوزارة وتعيينات الموظفين.

توجهت إلى محافظة الكوت في الصباح الباكر سالكاً الطريق الرئيس شرق نهر دجلة، يرافقني المستشار الفني السيد أنور الحسني.. توقفت في مزرعة الصويرة وبحثت بعض الأمور مع المسؤولين ثم اتجهت إلى العزيزية وزرت الوحدة الميكانيكية ثم واصلت الرحلة فانضم إلينا مدير ري الكوت، كنت حريصاً على الاقتراب من ضفة نهر دجلة لتفقد المضخات والمنشأت كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً وجلبت انتباهي بناية حديثة تضم مضختين لا تشتغلان بينما تشتغل بالقرب منهما مضخة تعود لـ(حاشوش كينهر) تزود الفلاحين بالماء بثمن معلوم حددته تعليمات وزارة الاصلاح الزراعي عجبت للأمر ولدى سؤال مدير الري لجأ إلى المغالطة وكانت أقواله يناقض بعضها بعضاً ثم توجهنا مع دليل للأرض المستولى عليها وأخيراً اعترف بالتقصير والاهمال.. ثم زرت مشروع (الدلمج) وهو مشروع اروائي جديد يسقي عشرات الألوف من الدونمات عهد إلى احدى الشركات والتقيت مدير الشركة واتفقت معه على عدم هدم مقر الشركة التي قاربت مهمتها على الانتهاء وتسليمه لوزارة الاصلاح فوافق بعد أن تعهدت الوزارة بصرف السلف إلى الشركة في مواعيدها المحدودة كما اتفقنا على تسليم ما ينجز تباعاً وتوزيعه على الفلاحين لاستزراعه بالمحصول الملائم كسباً للوقت وكافأت المهندس المشرف على تنظيم الري بمنحه

مخصصات اضافية كما تفقدت الدور المنشأة حديثاً لسكن موظفي المشروع، توجهت بعدها إلى الوحدة الميكانيكية وناقشت مع مديرها مشاكل الوحدة ومقترحاته ثم عدنا مساءً إلى بغداد.. داومت في الوزارة بضعة أيام ثم قررت زيارة لواء الحلة.. ذهبت مباشرة إلى دائرة الاصلاح الزراعي وكنت عند مدخل الدائرة اثر ابتداء الدوام ولم يحضر من الموظفين في الوقت المعين سوى فتاة مستخدمة في الدائرة أما بقية الموظفين فبدأوا يصلون تباعاً.. لقد دأبت على عدم اخبار الجهة التي سأزورها لاطلع على الوضع الحقيقي.. قضيت حوالي الساعة في الدائرة وتحدثت إلى أكثر من موظف فيها وفي طريقي زرت جمعيتين فلاحيتين كانت احداهما نشيطة وفعالة ولقد اشترت الوزارة حاصلاتها الزراعية بأكثر من السعر المحدد تشجيعاً لها ثم وصلت بغداد عصراً.

داومت في اليوم التالي في المكتب وكنت أحرص أن أحضر في المكتب قبل ساعة من ابتداء الدوام لأدرس وأطالع الأوراق السابقة ثم استدعيت وكيل الوزارة عبد الجليل الحديثي لمعرفة وجهة نظره في أمور وقرارات سأتخذها لاسيما وانه يشغل منصبه منذ فترة طويلة وكان سابقاً محافظاً للواء كركوك لقد أيدّ وجهة نظري بزيادة الموظفين وقلة الفنيين وضرورة دمج وزارة الاصلاح الزراعي ووزارة الزراعة.

٢ ـ تدابير واجراءات.

١ ـ اصدرت أمراً بإيقاف التعيينات الجديدة باستثناء المهندسين والفنيين لاسيما وقد هيمن الجانب الاداري وبلغت زيادة الموظفين حوالي أربعين في المائة بضمنهم عدد كبير من خريجي كلية الحقوق والضباط، والموظف الزائد عبء يضر ولا ينفع.

٢ ـ الغيت مديرية التفتيش العامة وكان أغلب موظفيها من الضباط ذوي الرتب الكبيرة بعد أن ثبت عملياً عدم جدواها حيث لم تقدم تقريراً يعتد به طيلة فترة وجودها.

٣ ـ تأكد لي ارتشاء بعض الموظفين واستغلالهم لوظيفتهم فقد روى لي الدكتور شامل السامرائي وزير الصحة واقعة حدثت في منطقة سامراء أقسم على صحتها، لكنه رفض ذكر اسم الموظف، ثم باح باسمه بعد أن أقسمت له ان اجراءات الوزارة ستقتصر على نقل الموظف فقط، كما روى اللواء الركن عدنان أحمد عبد الجليل المرافق الأقدم لرئيس الجمهورية واقعة أخرى مشابهة أكثر تفصيلاً لذلك أجريت التنقلات التالية:

أولاً: نقل مدير الاستيلاء العام إلى منصب آخر وحل محله السيد خليل إبراهيم الخالد وهو يساري عرف بالنزاهة والصلابة.

ثانياً: أُ بدل الموظف المسؤول عن منح اجازات مقالع الحصى بآخر عرف بالأمانة والاستقامة.

ثالثاً: نقل مدير الري العام [٩٥] إلى مقر الوزارة بعد تنبيهه ثلاث مرات لتأخره عن الدوام الصباحي واستعانته بفراش مكتبه لاخفاء الحقيقية وتلكؤ المديرية في صرف سلف المقاولين، وأنيطت المديرية بالسيد حسن السماوي وكالة ريثمايلتحق المهندس سعيد مالك العلي الذي اقترحت الوزارة نقله من وزارة التخطيط، لكن وزير التخطيط الدكتور محمد يعقوب السعيدي لم يستجب للاقتراح لحاجة وزارة التخطيط إليه.

٤ ــ بدأت الوزارة باجراء تنقلات لتطعيم الدوائر والمؤسسات خارج بغداد بكفاءات حرصت على البقاء في العاصمة، وتشبثت بكل الوسائل، بغية رفع مستوى الأداء وبعث الحيوية والنشاط في تلك الدوائر، ولم تحفل الوزارة بوساطات الآخرين وبعضهم أصدقاء وذوي مكانة، ولجأ بعض المنقولين إلى الاستقالة وبخاصة المهندسين أملاً في تعيينهم بوزارة أخرى ومازلت أذكر واقعة بكل تفاصيلها أذكرها على سبيل المثال فقد نقل أحد المهندسين إلى مزرعة الصويرة لكنه رفض الالتحاق واستقال ثم عين في وزارة أخرى الأمر الذي اضطرني إلى توجيه كتاب إلى مجلس الوزراء راجياً تعاون الوزارات من أجل المصلحة العامة، ثم ألغت الوزارة المعنية أمر تعيينه وعاد إلى وزارة الاصلاح نادماً يرجو تعيينه، وعين من جديد في الوزارة ونقل إلى مزرعة الصويرة.

٥ ــ واكبت الخسارة مزرعة الصويرة منذ تأسيسها وتبين ان سببه يعود إلى عطل معدات الزراعة الميكانيكية من جرارات وحفارات وحاصرات وقلابات وأغلبها روسية الصنع واضطرار المزرعة إلى استئجار معدات من القطاع الخاص بأجور مرتفعة وهذا تطلب تعبئة الطاقات وحشد الجهود لرفع كفاءة منظومة التصليح والأدامة. فزودت المزرعة بالمهندسين والفنيين والأدوات الاحتياطية وتمّ اصلاحها في خلال ثلاثين يوماً كما أضفت اربعة آلاف دونم إلى مساحة المزرعة ثم شيد فيها (معمل تنقيح البذور) بالتعاون مع منظمة الزراعة والتغذية الدولية (الفاو) بزمن قياسي وربحت المزرعة لأول مرة أكثر من عشرة آلاف دينار بالاضافة إلى تشغيل الكثير من العمال الفنيين والزراعيين من ابناء المنطقة.

٦ ــ اشتكى المقاولون والشركات من تأخر مديرية الري العامة في دفع السلف المستحقة على الأعمال المنجزة وعجزهم في بعض الأحيان عن تأمين رواتب العمال[٩٦] وتبين ان السبب الأول يرجع إلى سرعة نفاذ المبلغ الذي تضعه وزارة المالية تحت تصرف مديرية الري العامة ثم الروتين المتبع في الحصول على مبلغ جديد أو في دفع السلف بالاضافة إلى تعقد

---

٩٥ ــ تجنبت ذكر الاسماء، فأنا أكره الاساءة الى أي شخص وليس من المصلحة نبش الماضي بعد أن طواه الزمن.

٩٦ ــ راجعني المقاول المهندس محمد المخزومي مع حسن توحله والذي عهد اليه تنفيذ مشروع الخالص وأظهر عجزه عن تسديد رواتب العمال لتأخر دفع السلف وخوفه أن يؤدي التأخير الى توقف العمل.

التعليمات الحسابية التي تصر وزارة المالية على اتباعها.

قدمت الوزارة أكثر من اقتراح إلى وزارة المالية لكن وزير المالية الدكتور عبد الرحمن الحبيب لم يستجب وتمسك بالتعليمات واصرّ عليها وطالت المكاتبات وأخيراً تدخل رئيس الوزراء فوافقت وزارة المالية على ابلاغ المبلغ إلى ثلاثة أرباع المليون دينار في كل مرّة كما اختصر (الروتين) وبسطت التعليمات.

٧ ـ ظهر هناك تداخل وازدواج وترابط بين دوائر ومؤسسات كل من وزارة الزراعة ووزارة الاصلاح الزراعي ناهيك من تشابه الميادين والنشاط وهذا استدعى الاتفاق مع وزير الزراعة عبد المجيد الجميلي على قيام تعاون وتنسيق بين الوزارتين ريثما تدمجان في وزارة واحدة.

٨ ـ لقد اسرفت الوزارات والدوائر والمؤسسات في استخدام الفراشين والرزامين وكان أغلب هؤلاء من الفلاحين من جنوب العراق الأمر الذي أدّى إلى خلو الريف وعدم استغلال أراضيه لذلك اقترحت وزارة الاصلاح على مجلس الوزراء ايقاف تعيين الفراشين عدى فراشي المستشفيات والمدارس ثم تأهيل الموجودين واعدادهم كعمال زراعيين.

٩ ـ لم تحقق مديرية الإنعاش الريفي الآمال المعلقة عليها ولم تقدم شيئاً يذكر لانعاش الريف وتطويره فالريف مهمل والنزوح منه مستمر أما الخدمات فتكاد تقتصر على المدن لذلك اقترحت الوزارة تأليف لجنة وزارية عليها تضم وزراء: الاصلاح الزراعي، الزراعة، الداخلية، الصحة، التربية والتعليم، الشؤون الاجتماعية،مهمتها انعاش الريف وتطويره وتوفير الخدمات بغية ايقاف الهجرة منه.

١٠ ـ دأبت وزارة الاصلاح الزراعي على تعيين يوم واحد في الأسبوع لمراجعة الوزير وتبين ان معظم الملاجعين من بقايا الاقطاعيين وملاك الأراضي، أما الفلاحون فقلما يراجعون ناهيك عن عدم تمكنهم من الانتظار[٩٧] لذلك اصدرت الوزارة بلاغاً عممته على جميع الدوائر والمؤسسات سمحت فيه للفلاحين مراجعة الوزير يومياً ثم يسلم المراجع كتاباً للدائرة ذات العلاقة يتضمن خلاصة القضية ووجوب اخبار الوزارة في غضون اسبوعين باجراءات الدائرة المعنية.

١١ ـ بلغ عدد الجمعيات الفلاحية رقماً مذهلاً وكان الغرض من تشكيلها الآخذ بيد

---

٩٧ ـ في صباح أحد الأيام وكان يوم جمعة، رن جرس الدار فخرجت لأتبين القادم.. كان رجلاً متوسط العمر، يرتدي عباءة وعقالاً؟. سلم ثم تطلع اليَّ قائلاً أنت الوزير، قلت نعم. قال تسمح لي بمراجعتك. قلت اليوم عطلة وكان بوسعك مراجعتي في المكتب.. قال لقد خص[illegible] الوزارة يو[illegible] يضطرني الى الانتظار وأنا رجل فقير لا أملك اجرة الفندق.. سجل [illegible] وكان من أهل الناصرية وقلت له سافر على بركة الله....

الفلاح وإرشاده وتقديم العون المادي له ثم تبين ان معظمها عاجز وضعيف لذلك اصدرت الوزارة أمراً بعدم تأليف أية جمعية جديدة واجراء مسح عام يعقبه فرز كل الجمعيات الخاملة ودعم وتشجيع الجمعيات الفعالة ريثما يوضع نظام جديد تقدم فيه الوزارة السلف والبذور المحسنة كما تقوم بتمليك الجمعية المضخات والجرارات لقاء ثمن مناسب.

تشكيل حكومة جديدة

في الأسبوع الأول من شهر آب ١٩٦٧ وفي يوم لا أتذكره دخلت داري عصراً فأخبرتني زوجي ان السيدين ناجي طالب ورجب عبد المجيد قد مرا منذ قليل وسألا عنك وهما ينتظرانك في دار ناجي طالب..

توجهت إلى دار ناجي طالب وهو قريب من داري.. رحب بي كعادته ووجدت في غرفة الضيوف رجب عبد المجيد والدكتور أحمد عبد الستار الجواري.. شربت القهوة ثم بدأ ناجي حديثه قائلاً: ان السيد رئيس الجمهورية كلفه بتشكيل حكومة جديدة وقد بدأ اتصالاته وفاتح بعض الاخوان و يرجوني أن انضم للحكومة الجديدة.. قلت له اننا اخوان وثوار ويسعدني أن نعمل معاً لكن أود الآن ان أعلم الأشخاص الذين ستضمهم الحكومة الجديدة فقد علمتني الأحداث ان الانسجام والتجانس ضروريان وقد عانيت الأمرين سابقاً ثم بدأ يعدد بعض الأسماء ذكر من بينهم محمود شيت خطاب، صحبي عبد الحميد، أديب الجادر، رجب عبد المجيد، أحمد عبد الستار الجواري، باقر الدجيلي.. ولما فرغ من ذكر الأسماء، قلت له ان محمود شيت خطاب لا يؤمن بالوحدة، ثم نظرت إلى رجب عبد المجيد وقلت له ألا تتذكر انك قلت ان محمود شيت خطاب ألح بإضافة اسمه للوفد المفاوض الذي توجه إلى مصر بشأن الوحدة عقب الإطاحة بعبد الكريم قاسم بحجة انه الوحيد القادر على خدع عبد الناصر، فضلاً عن كرهه للاشتراكية وعطفه على الرأسمالية فقد كان أول المعترضين على وزير الاقتصاد عزيز الحافظ حينما اقترح اصدار تعليمات تحدد اسعار المواد الغذائية وأرباح التجار والمستوردين للحد من جشع التجار ارتفاع الأسعار وكان حينئذ وزيراً للبلديات فقد اقترح ارجاء اصدار التعليمات وتخويله عقد مؤتمر للتفاوض مع التجار والمستوردين وأصحاب العلاوي، وتمخض المؤتمر عن مهزلة فقد وافق المؤتمرون على انقاص خمسين فلساً من (تنكة السمن) و(كيس التمن) واضطر وزير الاقتصاد لاصدار تعليماته للحد من جشع التجار.. وعندما سمع محمود شيت بقرب سفر الرئيس عبد السلام عارف إلى الباكستان هرع إلى والد عبد السلام عارف يرجو توسطه باضافة اسمه للوفد. أما باقر الدجيلي يمثل عهداً انتهى لكني احترمه فاختلاف الرأي لا يفسد للود قضية وأخيراً شكرت ناجي طالب على ثقته واعتذرت عن المشاركة في الوزارة التي ينوي تشكيلها.. ثم اتصل ناجي طالب بصبحي عبد الحميد وأديب الجادر فاعتذرا عن الاشتراك.

لم يستطع ناجي طالب تشكيل الوزارة فكلف الرئيس عبد الرحمن عارف طاهر يحيى بتأليف الحكومة، وتشكلت الوزارة الجديدة بعد استبعاد بعض الوزراء وادخال وزراء جدد وابقاء وزارتي الداخلية والخارجية شاغرتين تدار وكالة[٩٨] واضطر رئيس الجمهورية إلى سحب ترشيحه للدكتور عدنان الباجه جي في اللحظة الأخيرة.

أسندت إليّ وزارة الاصلاح الزراعي أصالة ووزارة الزراعة وكالة ريثما تدمجان في وزارة واحدة هي (وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي) بعد أن اقتنع الجميع بضرورة الدمج، قرر رئيس الجمهورية زيارة سورية والأردن وطلب ان أرافقه بالاضافةالى اسماعيل خير الله حيث سيجري بحث مشكلةمياه الفرات في سوريا، بالاضافة للقضايا العسكرية.. توجه الوفد إلى سورية في ٩ آب وجرى له استقبال شارك فيه كبار المسؤولين وفي المساء أقام الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الجمهورية السورية حفلة عشاء تكريماً للوفد حضرها صلاح جديد ويوسف زعين وحافظ الأسد وإبراهيم ماخوس، وكان يجلس إلى يميني صلاح جديد، وهذه أول مرة التقي به.. تحدثنا كثيراً عن هموم الأمة العربية وفي صباح اليوم التالي زرنا الجبهة وكان يرافقنا رئيس أركان الجيش السوري ثم عدنا، وبدأت المباحثات الرسمية وطلب السوريون مجيء لواء عراقي، وافق الرئيس عبد الرحمن على الطلب وثبتت كافة القضايا المتعلقة به، مهمته، الاسكان، الاعاشة، الاجازات.. الخ.

ثم بدأت المفاوضات بيني وبين السيد يوسف زعين رئيس الوزراء حول مياه نهر الفرات فاقترح ان نوحد جهودنا لنبدأ التفاوض مع تركية. قلت له ينبغي أولاً أن نتفق فللعراق حقوق مكتسبة وتاريخية وحصة مائية معلومة وهناك قوانين و قواعد دولية تحكم مياه الأنهار المشتركة لابدّ ان تراعى عند انشاء السدود وهذا ينطبق على سدى كيبان والطبقة فضلاً عن الحاق ضرر بالمزارعين العراقيين وأكثرهم من الفلاحين وبخاصة المنطقة الجنوبية حيث يزرع (الشلب) وهذا يسيء إلى مفهوم الوحدة والتضامن. ان تثبيت حصة العراق من مياه الفرات بعد دخوله الأراضي السورية مهم ولنفرض ان الكمية (س) فماذا تقترحه قال نقتسمه مناصفة ونحن على استعداد ايضاً لاضافة مليوني متر مكعب إلى حصة العراق.. قلت ان هذا يشجع على استئناف المفاوضات التي توقفت منذ فترة طويلة والعراق على استعداد لاستقبال وفد فني سوري عالي المستوى لبحث كافة التفاصيل تمهيداً لاعداد اتفاقية يوقعها الجانبان، أيدّ الفكرة، ووعد بإرسال وفد سوري في غضون اسابيع معدودة..

---

٩٨ ــ اتفقت مع طاهر يحيى واسماعيل خيرالله على ابقاء الوزارتين شاغرتين املاً في اقناع رئيس الجمهورية باسناد الداخلية الى عارف عبد الرزاق والخارجية الى صبحي عبد الحميد.

ثم اجتمعنا أي أنا واسماعيل خير الله بوزير الخارجية السورية السيد إبراهيم ماخوس فأكد لنا تعاون الرجعية العراقية مع المملكة السعودية وحدثنا عن برقيات صادرة من القصر الجمهوري استطاعت المخابرات السورية التقاطها وحلّها تبين انها صادرة من رئيس الديوان..

حاول عدد من اللاجئين العراقيين في سورية مقابلة الرئيس عبد الرحمن عارف لكن موظف التشريفات العراقي المرافق للوفد حال دون ذلك فاستنجد بي بعضهم وتدخلت فقلت لرئيس الجمهورية إن هؤلاء عراقيين ومن حقهم أن يتحدثوا إلى رئيسهم واللجوء حالة وقتية والتحدث إليهم خير من تجاهلهم.. فوافق على التحدث إليهم وبحث مشاكلهم وكان من ضمنهم بعض الضباط.

توجه الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف مع الوفد المرافق له إلى الأردن صباح يوم السبت ١٢ آب وبعد استراحة قصيرة بدأت المحادثات بين الوفد العراقي (الذي انضم إليه العميد الركن محمود عريم قائد الفرقة الثالثة المرابطة في الأردن) والوفد الأردني الذي يرأسه الملك حسين ويضم في عضويته ولي العهد الأمير حسن ورئيس الوزراء ووزير الخارجية وقائد الجيش الأردني.

شرح الملك حسين وضع الضفة الغربية المؤلم وما يعانيه السكان من تعسف المحتل وتضييقه على حريات الفلسطينيين، وخشيته من تسرب اليأس إلى نفوسهم وفتور المقاومة الذي ينذر بالاستسلام والخضوع إلى مشيئة المحتل وتساءل متى يدرك الحكام العرب خطورة الوضع وماذا ينتظرون ولماذا يحجمون عن تقديم المساعدة المالية..؟؟ وتكلم الرئيس عبد الرحمن عارف وأشاد بدور الأردن ووعد بتقديم كتيبة دبابات (سنتوريون) هدية إلى الجيش الأردني فقد تخلى الجيش العراقي عنها وحلت محلها دبابات روسية ثم اهدى قلادة الرافدين إلى الملك حسين وأهدى الملك بدوره أرفع وسام للرئيس العراقي ومنح الوفد العراقي أوسمة عسكرية ومدنية وفي اليوم التالي زار رئيس الجمهورية القطعات العراقية ثم زرنا الجبهة الأردنية، وكان يرافقني السيد بهجت التلهوني.. وقد لمست عدم ارتياح السيد أكرم زعيتر للمعاملة الكريمة التي لقيتها واستغرابه لمنحي وسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى لاسيما واني من ثوار ١٤ تموز الذين أطاحوا بالنظام الملكي..

ثم ركبنا الطائرة للعودة إلى العراق وجلس بجانبي اسماعيل خير الله وسنحت لي فرصة للتحدث معه بصراحة ومهمته المنتظرة.. فقد اتفقنا ان الرئيس عبد الرحمن عارف رجل طيب ومسالم إلى أبعد حد، لانشك في وطنيته واخلاصه لكنه حسن النية يتأثر بالمحيطين به ويثق بهم، يتبنى عادة رأى آخر من يقابله ولابدّ أن يكون أحد هؤلاء الثلاثة الدكتور بديع شريف رئيس الديوان، والعقيد الركن ابراهيم عبد الرحمن الداود، آمر لواء الحرس الجمهوري والرائد الركن عبد الرزاق النايف معاون مدير الاستخبارات العسكرية وقد وثق

بالاخيرين ثقة مطلقة بعد وقوفهما إلى جانبه في حركة عارف عبد الرزاق، وقد عرف هؤلاء بالتعصب الطائفي والمذهبي والسير في ركاب الرجعية والركض وراء مصالحهم الشخصية ثم اقترحت على اسماعيل خير الله باعتباره وزير دولة أن يكون على مقربة من رئيس الجمهورية ولاسيما وانه يثق به، لمراقبة نشاط هؤلاء المريب، وافق على الفكرة وتعهد بالقيام بهذه المهمة.

في وزارة الزراعة

داومت ثلاثة ساعات في وزارة الاصلاح الزراعي ثم توجهت إلى وزارة الزراعة التي كانت تشغل معظم عمارة المصرف العقاري الواقعة في محلة الميدان. لم أجد في المكتب سوى أوراق معدودة ومعاملة واحدة تستوجب البت، فوزارة الزراعة قد أصبحت وزارة ثانوية منذ فترة طويلة ولم تعد تنال الاهتمام الذي تستحقه.. وهكذا دأبت على تقسيم وقت الدوام مناصفة بين الوزارتين وكنت أحياناً أحابي وزارة الزراعة فأخصص لها معظم الوقت. ثم زرت مزرعة الزعفرانية جنوب معسكر الرشيد وتداولت مع مديرها وبعض موظفيها في المشاكل والعوائق ووافقت على بناء مخزن جديد لحفظ البطاطا مؤيداًوجهة نظر المسؤول السيد عفتان الراوي كما تفقدت مؤسسات ودوائر وزارة الزراعة في (أبو غريب) وزرت البناية الجديدة التي أنشئت لاجراء التجارب لاستخلاص الحرير الطبيعي من دودة القز، ووافقت على صرف مبردتين للبناية لكي لا يتعرض دود القز للهلاك، ثم طلبت اجراء تحقيق عن سبب عدم استخدام البيت الزجاجي الذي تمت اقامته منذ فترة طويلة كما طلبت من السيد هشام أيوب صبري استغلال الأرض المتروكة المحيطة بدائرته وزرعها لتبدو خضراء تسر الناظر.. ثم زرت مصلحة شؤون الألبان علماً أنها تتبع وزارة الصناعة وتعرفت على مديرها الدكتور خالد تحسين علي ثم عدت فمررت بحي المأمون، وتوقفت عند بناية وزارة الزراعة الجديدة التي لما تكتمل بعد وأجريت بعض التعديلات بالمذاكرة مع المقاول والمهندس المشرف بغية زيادة عدد الغرف وتفقدت مخزن وزارة الاصلاح الزراعي القريب من البناية المذكورة وقررت توسيعه باضافة الأرض القريبة منه والتابعة للادارة المحلية.

لقد تبين من خلال زياراتي وتفقدي لبعض مؤسسات ودوائر وزارة الزراعة، أن الوزارة شبه مشلولة فقد دأبت الحكومات المتعاقبة قبل ثورة تموز وبعدها إلى اهمال شؤون الزراعة وعولت على النفط كثيراً، والنفط ثروة ناضبة، واسندت هذه الوزارة لأشخاص يفتقرون إلى الكفاءة والحرص، وكانت تراعى الاعتبارات الطائفية والحزبية و(التوازن) قبل كل شيء، فغادرت البلاد كفاءات ذات مستوى رفيع واختصاصات نادرة تعمل الآن في مصر وليبيا وسورية وايطالية والسعودية لسد الأبواب في وجهها وغموض مستقبلها، والرواتب العالية التي يحصلون عليها في الخارج، وهكذا بدأت الزراعة تتدهور برغم توفر كل مقوماتها مر

مياه كثيرة وتربة خصبة ومناخ ملائم وأصبحت بلاد الرافدين مهد الحضارة والزراعة تستورد الحبوب من الولايات المتحدة وكندا واسترالية وحتى تركية وتبين أيضاً وجود زمر عاجزة ارتدت رداء الوطنية دأبت على معاكسة الخبراء الأجانب من يابانيين وصينيين وهولنديين وانكليز وأمريكان ومراقبة اتصالاتهم وتنقلاتهم بدعوى انهم جواسيس، فشلت نشاطهم ورغب أكثرهم في ترك العراق.

كانت الوزارة أسيرة الروتين والبيروقراطية، ولابدّ من صدمة وتغييرات أساسية علماً أنيّ اعتبرت دمج الوزارتين قد تحقق حكماً فتصرفت على هذا الأساس وبدأت الاجراءات تترى:

١ ـ عين الدكتور حسن كتاني وكيلاً لوزارة الزراعة.

٢ ـ بدأت اجراءات دمج الوزارتين في ١٩٦٧/٨/٢٠ وألفت لجنة عليا برئاسة الوزير تجتمع عصراً في وزارة الاصلاح الزراعي كان من أعضائها الدكتور خالد تحسين علي ومجيد حسيب مدير الإدارة العام في وزارة الاصلاح الزراعي وكانت تستدعي أحياناً الدكتور يوسف المعمار الذي سبق أن شغل منصب وكيل وزارة الاصلاح الزراعي.

٣ ـ صدر نداء عام يهيب بجميع العراقيين من دكاترة واختصاصيين وفنيين من العاملين في الخارج بالعودة إلى العراق لخدمة بلدهم وتعهد الحكومة بتحمل نفقات عودتهم مع أفراد عوائلهم واعتبار عملهم في الخارج خدمة تراعى عند تحديد رواتبهم واسناد أعمال إليهم تتفق واختصاصهم وتوفير السكن الملائم لهم ومنحهم الحد الأقصى من المخصصات الاضافية كما قررت الوزارة في الوقت نفسه عدم الموافقة على تحديد خدمة اي عراقي في الخارج بعد انتهاء عقده مع الحكومة أو المؤسسة.

وكثرت الوساطات والرجاءات لاستثناء بعضهم لكن الوزارة اتخذت موقفاً ثابتاً صلباً وبدأ العراقيون يعودون تباعاً ولن أنسى تشبثات الدكتور ضاري الحردان الذي كان يعمل في مصر واستعانته برئيس الوزراء طاهر يحيى والعميد سعيد صليبي، لكن الوزارة اصرّت على وجوب عودته وسمحت له بالبقاء ريثما تنتهي السنة الدراسية وعاد فعلاً للعراق والتحق بمشروع المسيب الكبير.

٤ ـ أحيل مدير الزراعة العام على التقاعد واجريت بعض التنقلات لبعث الحيوية والنشاط ورفع كفاءة الدوائر والمؤسسات.

٥ ـ جرى الاتصال بالسيد عمر عديل ممثل منظمة الأمم المتحدة في العراق بهدف طمأنة الخبراء الأجانب العاملين في وزارة الزراعة وترغيبهم بالبقاء وقد رجوت شخصياً من الدكتور (بان) الخبير الصيني في زراعة الرز تمديد بقاءه (بحضور السيد رئيس الجمهورية اثناء وضع حجر الأساس لمعمل تنقيح البذور في مزرعة الصويرة) فوافق على البقاء سنة اخرى وكان ينوي احالة نفسه على التقاعد.

٦ ـ صدرت التعليمات بتجميع دوائر مؤسسات الوزارتين في بناية واحدة في سائر أرجاء العراق كلما كان ذلك ممكناً وفضلت الأبنية الحكومية على الأبنية المستأجرة.

٧ ـ شكلت مديرية تخطيط وتصاميم ضمت جميع مهندسي وزارة الزراعة برئاسة المهندس المصري أحمد الأزهري عهد إليها وضع التصاميم والخرائط بدلاً من تكليف مهندسين آخرين لقاء أجور عالية.

مهمات كثيرة وانجازات مثمرة

أصبحت عضواً في لجنة التموين العليا التي يرأسها رئيس الوزراء وتضم وزراء الاقتصاد الداخلية والزراعة والمالية كما أصرّ رئيس الوزراء على ضمي إلى عضوية اللجنة الوزارية (لاعادة الأوضاع الطبيعية إلى شمال الوطن) على الرغم من اقتناعه بوجاهة حججي، وكانت اللجنة تضم عبد الفتاح الشالي وزير شؤون الشمال، وعبد الهادي الراوي، وخليل إبراهيم وزير الصناعة وزكي حلمي حسين قائد الفرقة الأولى، وكمال مصطفى آمر كلية الأركان، وعبد المنعم المصرف محافظ أربيل وثلاثة أعضاء يختارهم الملا مصطفى نفسه، ولقد علقت الحكومة آمالاً كبيرة على هذه اللجنة التي سارعت للاجتماع بالملا مصطفى في كلاله أثر تأليفها:

لقاء وحوار مع الملا مصطفى:

توجهت اللجنة إلى كلاله برئاسة رئيس الوزراء طاهر يحيى وقد سبقها اتصالات تمهيدية بين الجانبين تم الاتفاق عليها، ضمنت سلامة تنقل ووصول اللجنة واستعداد الملا مصطفى لاستقبال اللجنة والحوار معها. وصلت اللجنة كلاله وما ان ترجلت من سياراتها حتى تقدم الملا مصطفى لمصافحة أعضائها وكان يرافقه ابنه ادريس وأحد الشيوخ الأكراد. وبدأ حديث مجاملة بينه وبين رئيس الوزراء، وقبل الدخول إلى غرفة الاجتماع توجه وزير الصناعة خليل إبراهيم إلى الملا مصطفى قائلاً من المسؤول عن القتل والتدمير الذي أصاب الشمال؟ غضب الملا مصطفى وكان رده قاسياً إذ حمل الحكومات المتعاقبة المسؤولية وبرأ نفسه والأكراد.. حينئذ تدخلت بعد أن اكفهر الجو وبدأت حديثي بآية كريمة ارتاح لها الملا مصطفى ثم قلت ما مضى أصبح جزءاً من التاريخ وطي الماضي أولى من إثارته ان مهمتنا الآن التفاهم واحلال السلام في ربوع وطننا الحبيب كي تنصرف جميع الجهود للبناء والتعمير ونعوض ما فات ثم اقترحت ميثاقاً وطنياً تضمن النقاط الأربع التالية:

١ ـ إن استئناف القتال جريمة وخيانة بحق الوطن والمواطن.

٢ ـ تعود الإدارة المحلية وبعد انسحاب المسلحين الأكراد، للأقضية والنواحي والقرى لممارسة نشاطها وتأدية خدماتها.

٣ ـ يعود جميع الأكراد لمزاولة أعمالهم السابقة، فالموظف يرجع إلى وظيفته والعسكري إلى وحدته، والفلاح إلى أرضه والعامل إلى عمله وحرفته.

٤ ـ يسلم الثوار الأكراد أسلحتهم المتوسطة والثقيلة.

لم يعلق أحد والظاهر انها لقيت قبولاً ضمنياً ثم أكد رئيس الوزراء للملا مصطفى حرص الحكومة على تنفيذ البيان الصادر في ٢٩ حزيران ١٩٦٦ وقرب إعادة منطقة كندناوة في لواء اربيل إلى أصحابها الأكراد اثر جلاء حواس صديد وجماعته من عشيرة الصائح عنها، وذكر ان وزير الاصلاح الزراعي سيتوجه قريباً لهذا الغرض..

تناولنا الطعام وشربنا الشاي وقبيل العودة اقترب إدريس البارزاني مني وكلفني ببعض الأمور وعدته بتحقيقها اثر رجوعي إلى بغداد.

جولة في لواء الموصل

توجهت إلى الموصل لتفقد شؤون الزراعة والاصلاح الزراعي واختيار منطقة ملائمة لاسكان حواس صديد وجماعته. وتبين لي بعد جولة واسعة ظهور اقطاع جديد بدأ يستشري ويستغل فقر الفلاحين فقد دخل ميدان الزراعة عدد من أغنياء الموصل (اصحاب المصالح) يملكون جرارات وحاصدات وسيارات نقل.. اتفقوا مع الفلاحين الذين هجروا أراضيهم ولجأوا إلى المدن للعمل فيها على استئجار أراضيهم لقاء نسبة من ناتج القمح و(أصحاب المصالح) هؤلاء يؤمنون البذور وحراثة الأرض وحصاد الزرع وجمع الناتج ونقله لاسيما وان الزراعة تعتمد على مياه الأمطار وقد سهل مهمة هؤلاء عجز الجمعيات الفلاحية عن تأدية واجباتها ومهامها. ناهيك عن توقف بعض الآبار الارتوازية عن العمل، وتقاعس الموظفين فالمحجر الزراعي المقام عند الحدود السورية العراقية في ناحية ربيعة مهجور، تصدع سقفه بسبب الأمطار، وانتاج الموصل من الزيتون بدأ يتناقص، وقطعت جميع أشجار الفستق التي كانت تحيط بمدينة الموصل نتيجة توسع المدينة لذلك تقرر:

١ ـ انشاء بستان للزيتون والفستق تبلغ مساحته عشرة آلاف دونم قريب من نهر دجلة وفي منطقة خصبة ومستوية يمكن سقيها.

٢ ـ انشاء مصلحة الجزيرة لاستغلال الأراضي الأميرية والأراضي التي تخلى عنها الفلاحون (لأصحاب المصالح) لقاء نسبة من الناتج على أن يضم قسماً للتعاون والارشاد والتسليف وقسماً للادارة ووحدة مكيانيكية كبيرة تضم (٥٠) جراراً وعشر حاصدات وثلاثة مفارز تصليح سيارة،احداها لتصليح الآبار الارتوازية.

٣ ـ اجراء مسح عام مع المتعاقدين مع الاصلاح الزراعي وفسخ عقود الذين تركوا الزراعة وسكنوا المدن أو تخلوا عن أراضيهم (لأصحاب المصالح).

٤ ـ حل جميع الجمعيات الفلاحية.

٥ ـ البدء بتطعيم أشجار (حبة الحلوة) بالفستق لكثرة الأشجار ولتعويض نقص الفستق.

٦ ـ صرف النظر عن اسكان حواس صُديد وجماعته في المنطقة ولوجود عداء بين شمر والصائح وتجنباً للاحتكاك الذي قد يؤدي إلى نزاع يهدد أمن واستقرار المنطقة.

لجنة التموين العليا:

يرأس اللجنة عادة رئيس الوزراء أما سكرتيرها فوزير الاقتصاد. كنت شديد الحرص على حضور اجتماعات اللجنة، ولفت نظري غرابة القضايا التي تنظرها وكنت أحياناً اعترض على بعضها فتُرفض، فقد كان رئيس الوزراء طاهر يحيى يسعى إلى مرضاة اصدقائه من مدنيين وعسكريين، وكان وزير الاقتصاد عبد الكريم لنونة يستجيب في الغالب لضغط رئيس الوزراء ورجاله، ففي احدى المرات رفضت معاملة استيراد كمية كبيرة من القمح السوري كما لم تسمح اللجنة بتصدير الرز إلى إيران على الرغم من وفرته لئلا يؤدي ذلك إلى ارتفاع سعره ومن أغرب القضايا التي عارضتها استيراد سيارات خردة (سكراب) من الكويت، وتبين ان وراءها آمر الانضباط العسكري العقيد صعب حردان حيث ستدخل العراق سيارات بحالة جيدة وان الهدف الحقيقي تقليل الرسوم الكمركية، وأخيراً اتفقت مع السيدين منير سعيد وعبد المنعم الدوري وهما من كبار موظفي وزارة الاقتصاد على اخباري مسبقاً بالمعاملات المريبة والقضايا المهمة قبل عرضها على لجنة التموين العليا لأكون على بينة من أمرها، وبذلك حلت دون واستشراء الفساد، الاستغلال وصنت سمعة اللجنة ولم أحفل بغضب التجار وأصدقاء المسؤولين.

مؤتمر خطير في القصر الجمهوري

اتصل بي مرافق رئيس الجمهورية هاتفياً طالباً حضوري لإجتماع سيعقد في القصر الجمهوري. توجهت إلى القصر وبدأ الاجتماع الذي حضره رئيس الوزراء طاهر يحيى وشاكر محمود شكري وزير الدفاع والعميد الركن محمود عريم قائد القوات العراقية في الأردن.. قال رئيس الجمهورية ان العميد محمود عريم قد اتفق مع الملك حسين على خطة هجومية تقوم بها القوات العراقية مع الجيش الأردني لاسترداد بعض أراضي الضفة الغربية ثم طلب من محمود عريم ذكر تفاصيل الخطة.. بيّن العميد محمود عريم تفاصيل الخطة واستعان بخريطة مؤشرة وكان شديد التفاؤل وشبه واثق من نجاحها.. وجرى نقاش مستفيض حولها وبيّن كل عضو رأيه وجاء دوري للكلام فقلت قد تنجح الخطة وتحقق هدفها المحدود باستعادة (الجيب) بفضل المباغتة وسرعة الحركة، لكن هل تستطيع القوا

الاحتفاظ بالأرض بعد شن الاسرائيليين هجومهم المقابل المدبر وقد تتطور المعركة وتستجر إلى حرب لم يستعد لها العرب بعد.. ليس المهم تحقيق نجاح تعبوي في هذه الظروف. ان النصر الاستراتيجي هو الهدف والغاية وهذا لا سبيل إليه، وأخشى أن تتطور المعركة لصالح اسرائيل فتستولي على أراضي أردنية. وأخيراً اتفقنا جميعاً على ارجاء الهجوم لعدم ملائمة الظروف الاقليمية والدولية وعاد محمود عريم إلى الأردن وأخبر الملك حسين بما تم الاتفاق عليه.

مشروعا الجزمية ونهر سعد

١ – يقع مشروع الجزمية في جنوب بغداد شرق مصب نهر ديالي في دجلة، وهو مشروع كبير يضم آلاف الدونمات، تقرر ان تنقل له مولدات كهربائية استغنى عنها في مشروع سد دربندخان بعد اكمال السد، خطط له وبدء تنفيذه قبل أن أتولى وزارة الاصلاح وأرصد له ربع مليون دينار كلفة تفكيك المعدات ونقلها ونصبها، لكن استعنت بوزارة الدفاع لتأمين الناقلات لحمل المعدات من (دربندخان) واستعنت أيضاً بمهندس في مديرية السكك الحديدية الدكتور نور الدين الربيعي فوفر الفنيين الذين تولوا تفكيك المعدات ثم نصبها وبلغت النفقات خمسة وعشرين ألف دينار فقط، وحين زرت المشروع بعد نصب المولدات وكانت ترافقني الصحفية السيدة سلام خياط رجاني مدير المشروع الموافقة على تبليط أرض المولدات بالكاشي فوافقت تشجيعاً له وتقديراً لجهوده وحرصه.

ولما بدأت المياه تتدفق في الجدول الرئيسي أخذت أعداد كبيرةمن عشائرالرمادي وبعضها مسلح بالبنادق تتوافد للسكن في المنطقة ليشملها توزيع الأرض، وتبين ان هناك اتفاق بين رئيس الجمعيات الفلاحية ابراهيم الشلال، ورؤساء العشائر ولعلهم قد ضمنوا موافقة القصر ولست أشك أن آمر لواء الحرس الجمهوري ابراهيم الداود ومعاون وزير الاستخبارات العسكرية عبد الرزاق النايف، كانا من المؤيدين للعملية اتصلت هاتفياً بالسيد رئيس الجمهورية وأطلعته على الوضع واحتمال تصادم المحليين مع الوافدين الجدد كما اتصلت بوزير الداخلية بالوكالة الدكتور شامل السامرائي وأخيراً عاد هؤلاء من حيث أتوا.

٢ – يقع مشروع نهر سعد في لواء العمارة وهو مشروع اروائي كبير، ظل ينتظر المضخات لرفع المياه ثم أتفقت مع وزير المواصلات عبد المجيد سعيد على شراء الوزارة مولدين كبيرين، كانا يستخدمان سابقاً لتجهز البصرة بالكهرباء وبدأت وزارة الاصلاح الزراعي في تفكيك المولدين تمهيداً لنقلهما إلى المشروع ثم نقلا وشرع نصبهما وبعد الاطاحة بنظام عبد الرحمن عارف في ١٧ تموز ١٩٦٨ افتتح المشروع سعدون غيدان وكان يرافقه صدام حسين.

مفاوضات عقيمة:

اعلمتنا الحكومة السورية بموعد وصول الوفد المفاوض بشأن مياه الفرات وعدد أعضائه، وصل الوفد في الموعد المحدد ونزل في فندق بغداد وزارني في صباح اليوم التالي في مكتبي بوزارة الاصلاح الزراعي. رحبت بالوفد وأهبت به ان تحل هذه القضية التي اضرت بالعلاقات السورية العراقية وأدت إلى شحة المياه وتقليص الزراعة في لواء الناصرية لكي يتسنى للجانبين الشقيقين التفاوض مع تركية بعد ذلك. رد رئيس الوفد فقال ان مهمتنا الاتفاق على حل عادل ولابدّ من التوصل إليه وان المسؤولين في سورية أبلغوه بوجوب ان يحقق الاتفاق مصلحة العراق ويضمن حقوقه المكتسبة. شكرت رئيس الوفد واخبرته ان الوفد العراقي برئاسة الدكتور باقر كاشف الغطاء مستعد للتفاوض.. انصرف الوفد وبقي رئيسه. وبعد قليل قال ان رئيس الحكومة أبلغه بوجوب الرجوع إليّ عند اختلاف وجهات النظر بين الوفدين فأنا الحكم ورأيي حاسم، قلت له أشكر رئيس الحكومة على ثقته وأرجو ان أكون عند حسن ظنه وهذا يضطرني إلى البقاء في بغداد وايقاف الجولات والزيارات التفقدية طيلة فترة المفاوضات.

وبدأت المفاوضات، وكان رئيس الوفد العراقي يلطعني على سيرها واصرّ الوفد السوري على استثناء مياه الأنهر الداخلية التي تنبع من سورية أي الخابور وفروعه ثم اتضح ان مياه الصرف والبزل السورية التي ترجع إلى النهر ثانية تدخل في حصة العراق وبعملية حسابية بسيطة تبين ان نصيب العراق من نهر الفرات بعد دخوله الأراضي السورية لا تتجاوز الـ٣٤٪ كما ان الوفد السوري رفض تزويد الوفد العراقي بأية معلومات فنية عن سد الطبقة وطاقته الاستيعابية فضلاً عن ان سورية كانت تستخدم حجج العراق عند مفاوضتها مع الجانب التركي لكنها ترفضها عند تفاوضها مع العراق.

آلمني جداً موقف الوفد السوري وتنكره للاتفاق المبدئي الذي جرى مع رئيس الوزراء يوسف زعين ولعدم جدوى الاستمرار في المفاوضات، طلبت من رئيس الوفد العراقي قطع المفاوضة، عاد على اثرها الوفد السوري ثم كتبت الوزارة إلى مجلس الوزراء كتاباً لخصت فيه الموقف.

حزم وحرص

١ ـ كان وزير اصلاح زراعي سابق قد حابى عائلة آل فياض في منطقة الراشدية من ضواحي بغداد الشمالية فلم يخضع أراضيهم وبساتينهم للاستيلاء، وأصبحت هذه القضية مصدر اشاعات تسيء إلى سمعة الوزارة.

قررت الوزارة فتح ملف القضية فدرستها من جديد وأخذت رأي أحد حكام الهيئة

الاستشارية في الوزارة قررت على اثرها اخضاعهم للاستيلاء وصمدت بوجه كافة الضغوط بشتى أنواعها بما فيها التهديد والرشوة وبدأت الاجراءات تمضي في طريقها المرسوم.

٢ ـ انتهت مدة الاستبدال التي تمّ الاتفاق عليها بين الشيخ حامد السيد وكان وكيله المحامي عبد الستار علي الحسين، ووزارة الاصلاح الزراعي دون أن تتم العملية في خلالها، فقررت الوزارة ضم الأراضي التي كان يطمح حامد السيد اضافتها إلى مزرعته في الحفرية، إلى مزرعة الصويرة الحكومية على الرغم من وقوف رئيس الوزراء السيد طاهر يحيى بجانبه.

٣ ـ رفضت جميع طلبات الشيخ أحمد عجيل الياور لمجافاتها للعدل والحق وكان ينشد من ورائها توسيع مساحة الأرض التي يستغلها كما لم يحصل على جميع التعويض الذي كان يطالب به ولقد ذكرني مرّة بوقوفي إلى جانبه عندما كنت قائداً للفرقة الأولى في الموصل، قلت له ان الوضع مختلف الآن فأنا وزير للاصلاح الزراعي ولابدّ أن أؤدي مهمتي بمنتهى الاخلاص والتجرد ولقد استاء رئيس الوزراء من موقفي هذا وعاتبني عليه.

٤ ـ كانت وزارة الاصلاح في الغالب تخسر معظم القضايا التي تعرض على المحاكم لعدم حضور من يمثلها، لكن الوزارة اتخذت قراراً بوجوب حضور من يمثلها وتخويله صلاحيات واسعة فكسبت الكثير من القضايا، وخسرتُ من جراء ذلك اصدقاء ومعارف في لواء الكوت والناصرية.

اسكان حواس صديد وجماعته.

أوشك مشروع الاسحاقي الواقع شمال بغداد والذي تنفذه شركة هندسية اسبانية على الانتهاء وهو مشروع كبير متكامل من حيث الري والصرف قسمت أراضيه إلى قطع مساحة كل قطعة ثلاثين دونماً. قررت الوزارة اسكان حواس وجماعته في المشروع المذكور وتخصيص قطعة واحدة لكل فلاح.

اتصلت هاتفياً بالدكتور شامل السامرائي وزير الداخلية بالوكالة لأطلعه على قرار الوزراة الأخير راجياً في الوقت نفسه اخبار حواس صديد بمراجعة وزارة الاصلاح الزراعي. حضر حواس صديد وبينت له قرار الوزارة بإسكانه وجماعته في مشروع الاسحاقي وشرحت له مزايا المشروع وفضلته على منطقة الجزيرة في الموصل حيث تعتمد الزراعة على مياه الأمطار ثم سألني عن مساحة القطعة التي ستخصص لكل فلاح.. قلت له حوالى ثلاثين مشارة (دونم) وان التقسيم قد تم على أسس فنية واقتصادية وأخذ في الاعتبار خصوبة الأرض وطاقة الفلاح والناتج السنوي.. لم يقتنع بما قلت وقال ألاَ بوسعك زيادة المساحة؟ قلت له لا سبيل إلى ذلك، فالتحديد لم يأت اعتباطاً وإنما روعيت فيه جميع الاعتبارات بما في ذلك ضمان دخل مناسب للفلاح.. قال (انت تعطينا بالقطّارة) غضبت لقوله.. قلت له ان

مهمتي قد انتهت إذ لا سبيل إلى التفاهم معك وعليه مراجعة الدكتور شامل السامرائي.

استقالة من اللجنة الوزارية

علمت بصرف خمسين ألف دينار إلى حواس صديد وجماعته تعويضاً لهم عن مزروعات اضطروا إلى تركها قبل جني كل ناتجها بسبب اخلاء منطقة كندناوه تنفيذاً لوعد الحكومة. كان المبلغ كبيراً جداً.. لقد استغل الأرض سنوات عديدة ومازال مديناً للاصلاح الزراعي حيث لم يدفع أجور الجرارات والحاصدات.

اتصلت هاتفياً بوزير الشمال عبد الفتاح الشالي وسألته عن صرف هذا المبلغ الكبير بحجة ترك المنطقة قبل نهاية الموسم الزراعي ودون اخبار وزارة الاصلاح الزراعي قال ان رئيس الوزراء ضغط عليه واصرّ على دفع المبلغ فوراً.. قلت له ستصلك صورة من استقالتي غداً.

لقد تبينّ لي ان حواس صديد عرف من أين تؤكل الكتف فوثق علاقته بكبار الضباط وآمر الانضباط العسكري صعب حردان ومعاون مدير الاستخبارات عبد الرزاق النايف عن طريق اقامة الولائم ودعوات الشرب.. لم يكن أمامي سوى الاستقالة، فقدمت استقالة تحريرية مسببة إلى رئيس اللجنة وقد تعمدت تزويد كل عضو بنسخة منها.

صدور نظام نقابة الزراعيين:

كان نظام نقابة الزراعيين قد قدم إلى مجلس الوزراء منذ عدة سنوات لاقراره والمصادقة عليه لكنه لم يصدر، ثم زارني نقيب المهندسين الزراعيين المصري وتحدث معي طويلاً بشأن منح خريجي الزراعة لقب مهندس زراعي اسوة بجمهورية مصر العربية وأهمية صدور نظام للنقابة ليتسنى انتخاب رئيسها وهيأتها الادارية.. وعدته بقرب تحقيق ذلك، ثم صدر نظام نقابة المهندسين الزراعيين وجرى الانتخاب في جو ديمقراطي لم تتدخل فيه السلطة مطلقاً وفاز برئاسة النقابة الدكتور كامل مولود عبد أحد أعضاء حزب البعث.

زراعة قمح جديد

خصصت منظمة التغذية والزراعة (فاو) طناً واحداً من بذور (الماكس باك) وهو قمح ممتاز يقاوم الأمراض النباتية وافر الغلة. كانت الكمية قليلة جداً والوقت ضيق لذلك قررت الاستعانة بسفير الباكستان.. زارني السفير في مكتبي.. تحدثت معه بشأن صلاح تربة العراق ومناخه لقمح (ماكس باك) وضآلة الكمية المخصصة للعراق وقرب انتهاء موسم البذر.. قال سيتصل بحكومته ثم ودعني وانصرف، وبعد أيام معدودة زارني ليخبرني ان

حكومته قد شحنت أربع أطنان للعراق.. شكرته وشكرت حكومته ثم رجا مني تزويد الباكستان بـ(٢٠٠) فسيل من فسائل النخل. وعدته بتأمين ذلك قريباً ثم انصرف شاكراً.

استدعيت الدكتور خالد تحسين علي لأخبره بشحن القمح من الباكستان وتأمين الفسائل للباكستان فقال لي ان هناك قرار قديم يمنع تصدير فسائل النخيل إلى الخارج حماية للثروة الوطنية[٩٩] قلت له لم أكن أعرف هذا من قبل ولابد أن أحرص على تنفيذه وأرى أن نكتب لمجلس الوزراء نخبره بمبادرة الحكومة الباكستانية بشحن البذور ونقترح في الوقت نفسه تجهيزهم ببضع فسائل لغرض اجراء التجارب عليها وبذلك أتجنب اخلاف وعدي وأحقق جزءاً يسيراً من طلب السفير لقاء عدة ملايين من الدولارات.

معمل قصب السكر:

قرر مجلس التخطيط احالة إنشاء معمل قصب السكر في العمارة إلى شركة ايطالية قدمت أقل الأسعار وكان تأخر انشاؤه سنة كاملة سبب انتقاد الوزير المسؤول فخسر العراق مبلغاً كبيراً نتيجة ارتفاع الأسعار والتضخم وخول وزير الزراعة توقيع العقد مع الشركة والسعي لاقناعها بالتنازل عن التحفظات الواردة في عرضها الذي قدمته، قمت بمفاوضة الشركة في وزارة الزراعة واشترك معي وزير المالية الدكتور عبد الرحمن الحبيب والدكتور محمد الغضنفري من وزارة الصناعة والسيد أنور فرنكول.. بدأت المفاوضات واستغرقت عدة ساعات وأخيراً تنازلت الشركة عن جميع تحفظاتها وأنقصت مائتي ألف دينار من السعر المقدم، ثم راجعني بعد توقيع العقد المحامي جميل السعودي ممثلاً لشركة يابانية عارضاً سعراً أقل.. قلت له لقد فات الآوان ووقع العقد ومع ذلك سأقدم العرض إلى وزارة التخطيط لتنظر فيه.

جولات في جنوب العراق:

١ ـ بدأت بزيارة لواء العمارة وكان يرافقني كل من المستشار الفني الأستاذ أنور الحسني وفخري جاسم الذي كان يقوم بمهمة السكرتير خلال تجوالي.. توغلنا في منطقة الأهوار مستخدمين (المشحوف) الذي توقف لضحالة المياه واضطررت إلى المشي وتحدثت مع بعض الفلاحين من زراع الشلب ووعدتهم بتذليل بعض مشاكلهم وبخاصة تأمين شتلات التمن العنبر ثم ركبنا في المشحوف ووصلنا قرية (صحين) وهي قرية في قلب

---

٩٩ ــ لم يحفل حردان التكريتي أحد وزراء البعث بالقرار وتدخل شخصياً فزودت امارة أبو ظبي بعشرات الآلاف من الفسائل.

الأهوار يستخدم سكانها (المشاحيف) في تنقلاتهم والغريب إني شاهدت بقايا سجن كان قد أقامه أحد شيوخ الاقطاع وماكنة لطحن الحبوب.. ثم عدنا إلى (المشرّح) واستخدمنا السيارة التي كانت في انتظارنا فزرت مزرعة قصب السكر وهي مزرعة حديثة تشرف عليها وتديرها شركة أمريكية ثم زرت دائرة الاصلاح الزراعي ومديرية زراعة العمارة. ولقد استغربت وجود أرض واسعة لم تستغل بقرب المديرية المذكورة الأمر الذي دعاني إلى عقد مؤتمر مصغر مع المسؤولين لاستغلال الأرض بغرسها بأشجار النخيل والفواكه الأخرى، ثم الحمضيات وتعهدت دائرة الاصلاح الزراعي بتأمين الجرارات والحفارات وخوّل مدير الزراعة استخدام العدد اللازم من العمال لغرس الأشجار واقامة السياج وفي اليوم التالي ركبنا زورقاً تجارياً قديماً يعود لمديرية الري العامة مضى بنا في جدول الكحلاء، وكنت اشاهد ضفتيه بوضوح فأرى مظاهر البؤس والفقر والإهمال، وتوقفت في مواقع كثيرة، وتحدثت مع احد المرشدين الزراعيين، كما أطلعت على الأسلوب البدائي لرفع مستوى المياه (لتطييب الأرض) بغية زراعة الشلب والجهد الذي يبذله الفلاح، وأخيراً توقفت في موقع أستخدِمَ فيه جرار حراثة لتشغيل (جنزيرة) المضخة ــ بعد ان نقلت المضخة لغرض تأمين الماء لسقي المزروعات تحدثت مع عدد من الفلاحين، وتبين ان مالك المضخة قد نقلها، وأشاروا إلى أنقاض البناء واضطروا إلى اللجوء إلى هذه الطريقة.. وعدتهم بقرب نصب مضخة لهم في نفس الموقع وبقوة (٤٢) حصاناً واثر وصولي إلى بغداد استدعيت مدير المكائن والآلات الزراعية وطلبت منه نصب مضخة في الموقع المذكور بأقصى سرعة ممكنة.

ثم زرت العمارة بعدئذ فشاهدت المضخة الجديدة، كما وجدت ان العمل في انشاء البستان يجري كما قدّر له ولأول مرة بدأ المواطن يثق بأقوال المسؤول.

٢ ــ زرت الناصرية وتفقدت مزرعة الشطرة الحكومية والتي أنشئت لزراعة الشلب وتحدثت مع مديرها عن أسباب خسارتها الدائمة وتبين لي ان صغر حجم المزرعة، وعدم صلاح المخازن لحفظ الناتج والتي أصبحت مأوى للجرذان والفئران وضعف الرقابة والروتين أدت كلها إلى تدهور شؤون المزرعة وانخفاض انتاجها وفي طريق العودة استقبلني عدد كبير من الفلاحين بالهوسات حيث كانوا يشقون جدولاً باستخدام (مساحيهم) أثنيت على جهودهم ووعدتهم بقرب ارسال الحفارات الميكانيكية إلى المنطقة لتشاركهم وتخفف العبء عنهم، بت في دار الضيافة ثم توجهت في اليوم التالي إلى منطقة الجبايش، ثم ركبت في احدى زوارق وزارة الصحة الصغيرة سالكاً نهر الفرات للوصول إلى البصرة فيما سلكت السيارة الطريق البري.

قضيت اليوم التالي في زيارة دوائر وزارة الزراعة، ومنشأت وزارة الاصلاح الزراعي، كما زرت احدى الجمعيات الفلاحية وتذاكرت مع الفنيين بشأن زيادة ملوحة شط العرب التي أدت إلى موت بعض الأشجار. ثم عدت صباح اليوم التالي إلى بغداد سالكاً طريق

البصرة ـ العمارة ـ الكوت.

٣ ـ زرت مشروع المسيب الكبير، ويقع جنوب شرق بغداد وكان في استقبالي مديره صلاح الطبقجلي ضابط اعاشة سابق رعاه السيد طاهر يحيى واعتبره من أنصاره وبالرغم من تركه حزب البعث إلا ان علاقته لم تنقطع ببعض أقطابه، وقد سبق ان زاره السيد مرعي من مصر وكتب تقريراً عالج فيه نواقص المشروع والاصلاحات الضرورية والمؤسف ان المشروع رغم أهميته لم يلق العناية والاهتمام من قبل المسؤولين وان القريتين اللتين انشئتا فيه لم يسكنها الفلاحون، وبعض قنواته لم تعد قادرة على تصريف المياه بسبب القصب والحلفاء التي نبتت نتيجة اهمال (التطهير والكرى).

بحثت مع مديره معظم المشاكل وكان أغلبها مالياً كما وعدته بالاتصال بوزارة المواصلات لتبليط الطريق الترابي الذي يربطه بالمدينة.

٤ ـ قمت بجولة واسعة مستخدماًطائرة هلكوبتر عسكرية رافقني فيها أحد الخبراء المصريين ومدير الزراعة العام الدكتور علي الراوي فزرت منطقة السماوة والبادية الجنوبية. وهبطت الطائرة في موقع السماح في منطقة الحياد بين العراق والسعودية لغرض الاطلاع على مراكز مكافحة الجراد التي أقامتها الوزارة بعد أن أشار التقرير إلى قرب غزو الجراد لجنوب العراق. ساءت الأحوال الجوية وهطلت الأمطار وهبت الزوابع فتأخر وصولنا إلى مطار البصرة حيث كان ينتظرنا المتصرف واضطررنا إلى الهبوط في بقعة سيجتها الوزارة لتحافظ على النباتات الصحراوية، ريثما تهدأ العاصفة ثم واصلنا الطيران وهبطنا في مطار البصرة بعد أن تقدم الليل وأوشك المتصرف أن يتصل بالسلطات المختصة في بغداد للبحث عن الطائرة.

فساد واستغلال وابتزاز

في ظهر يوم لا أتذكره..دخل وكيل الوزارة وما ان جلس حتى قال ان السيد عبد الحليم الراوي المهندس المقيم في مشروع الاسحاقي يرغب بالتحدث إليك وهو جالس الآن في غرفة السكرتير ينتظر الأذن بالدخول. ثم دخل وكان بادي الانفعال قلت له. تفضل اجلس.. ثم طلبت ثلاثة أقداح شاي.. وفجأة قال: أستاذ هل تسمح لي بالهجرة من العراق. عجبت لطلبه ثم قلت له أنا رئيسك الأعلى ولابدّ أن أعرف سبب رغبتك في الهجرة وقد نهاجر معاً إذا تطلب الأمر، قال كنت قبل قليل في وزارة الدفاع حيث استدعتني مديرية الاستخبارات العسكرية وطلب مني معاون مدير الاستخبارات عبد الرزاق النايف عدم مشاكسة المقاول عبد الحسين الموسوي أو رفض الأعمال التي ينجزها ثم هددني وحذرني..

عجبت لذهابه مباشرة للمديرية المذكورة دون اخبار مرجعه الأعلى وموافقة الوزارة واستغربت تدخل معاون مدير الاستخبارات في أمور لا تعنيه وخارج اختصاصه واتضح ان المقاول الموسوي لا يتقيد بالشروط والمواصفات طمعاً في زيادة ربحه كما دأب على تهديد المهندس المقيم بأصدقائه الضباط سواء في القصر الجمهوري أو مديرية الاستخبارات العسكرية كلما رفض أو اعترض على ما ينجزه من أعمال ترابية لا تتفق وشروط المواصفات وأخيراً قلت له لقد أخطأت بذهابك وليس من حقهم طلب حضورك وهذه سابقة لن تتكرر وستصدر الوزارة بلاغاً عاماً بهذا الشأن كما ستتصل بوزارة الدفاع للحد من تدخل مديرية الاستخبارات بأمور لا تعنيها.. انك موظف مخلص وحريص، وحين أعجز عن حمايتك سأهاجر معك.. شكرني ثم انصرف.

ثم أخبرني وكيل الوزارة أن آمر لواء الحرس الجمهوري العقيد ابراهيم عبد الرحمن الداود قد اتصل به هاتفياً قبل بضعة أيام وسأله عن سبب اخضاع أراضي آل فياض للاستيلاء.. قلت له ليس من حقه أن يسالك فهذا أمر من صميم اختصاص الوزارة وإذا ما اتصل بك في المستقبل فقل له ان مثل هذه القرارات تعني وزير الاصلاح الزراعي ومن الأفضل أن تتصل به مباشرة.

أصدرت الوزارة بلاغاً عاماً منعت فيه جميع موظفيها من مراجعة اية دائرة أو مؤسسة حكومية خارج الوزارة، إلاّبعلم الوزارة وموافقتها، ثم كتبت إلى وزير الدفاع راجياً منع مديرية الاستخبارات من التدخل في أمور لا تعنيها يترتب عليها الإساءة إلى سمعة الضباط ومكانة وزارة الدفاع.

لقد تحولت مديرية الاستخبارات العسكرية إلى أداة بطش وتخويف وابتزاز من تولى السيد عبد الرحمن عارف رئاسة الجمهورية وبخاصة بعد فشل حركة عارف عبد الرزاق الثانية لضعفه وثقته المفرطة بأبناء الرمادي من الضباط، واستغل عبد الرزاق النايف هذه الثقة أبشع استغلال فدأب على تزويد رئيس الجمهورية بأخبار تافهة عن نشاط الضباط القوميين بعضها غير صحيح، فمرة روى له مخابرة هاتفية بين العقيد خالد حسن فريد وضابط في الحرس الجمهوري قال فيها خالد (لماذا لا تراجع عمك) ويقصد بعمك رئيس الجمهورية، وقد غضب رئيس الجمهورية من كلمة (عمك) واعتبرها اهانة له، وروى له واقعة بالغ في عدد الأشخاص إذ زعم ان العقيد محمد مجيد قد دخل إلى وزارة الدفاع يحيط به عدد من الملازمين النقباء مستدلاً من ذلك على نشاط القوميين وفعاليتهم، كما سبق له استدعاء فؤاد الركابي وضربه بأخمص المسدس في حكومة ناجي طالب فيما كان رجب عبد المجيد وزيراً للداخلية.. ثم استدعى الشكرجي للتحقيق معه ولم يعرف مصيره ودخل في عداد المفقودين..

وأنشأ عبد الرزاق النايف تنيظماً ضم الوكلاء والمتعاونين مع مديرية الاستخبارات

العسكرية اصدر بضع نشرات ساهم في تحريرها شكري صالح زكي واحد من أساتذة الاقتصاد في جامعة بغداد هاجمت بعض المسؤولين وطعنت في نزاهتهم.

وكانت تقام بين حين وآخر مأدبة غداء في دار رئيس الجمهورية المطلة على نهر دجلة والقريبة من القصر الجمهوري باسم نجله الملازم قيس دفعاً للحرج يحضرها عادة آمر وحدات الحرس الجمهوري وآمر الانضباط العسكري ومعاون مدير الاستخبارات العسكرية وقد حضرت احدى هذه الدعوات بناء على إلحاح رئيس الجمهورية وضغط طاهر يحيى..

كان رئيس الجمهورية يستقبل المدعوين بنفسه ويبالغ في مجاملة الضيوف وبخاصة الملازمين أصدقاء قيس فشاهدت آمر لواء الحرس الجمهوري العقيد إبراهيم عبد الرحمن وتحدثت مع صعب حردان وجرى نقاش بيني وبين سعدون غيدان.

لقد نجح النايف في استعداء رئيس الجمهورية وإيغار صدره على الضباط القوميين وبذلك تعذر ضم عارف عبد الرزاق وصبحي عبد الحميد إلى الحكومة واضطر أخيراً رئيس الوزراء إلى اسناد منصب وزارة الخارجية إلى اسماعيل خير الله والداخلية إلى شامل السامرائي، كما لم يتورع النايف عن الدس وتحذير رئيس الجمهورية مني كلما وجد إلى ذلك سبيلا

تأزم الموقف في الشمال

استشرى الخلاف بين الملا مصطفى وجلال الطالباني وألف الأخير حزباً جديداً بعد انشقاقه واتخذ من مزرعة (بكره جو) في السليمانية مقراً له ولجماعته، وقويت علاقته بوزارة الدفاع وبخاصة قيادة قوة الميدان التي اتخذت من مدينة السليمانية مقراً لها وفيما كان بعض أتباع الملا مصطفى على ضفة رافد صغير انصبت عليهم نيران من كمين قريب فقتلت سبعة منهم.

غضب الملا مصطفى وصممّ على مهاجمة مدينة السليمانية والفتك بجلال الطالباني وجماعته وبدأ يستعد للزحف على المدينة.. اتصل بي هاتفياً رئيس الوزراء طاهر يحيى ولخص لي موقف الشمال المتوتر وعزم الملا مصطفى على مهاجمة السلمانية.. ثم قال إن وزير الداخلية سيتوجه بعد قليل إلى الملا مصطفى لتهدئته واقناعه بالعدول عن الهجوم واقترح ان اذهب معه.. قلت له سبق ان استقلت من اللجنة ولدي أعمال كثيرة، والقضية تعني وزير الداخلية ومن اختصاصه. قال ان ذهابك ضروري فأنت قادر على التفاهم مع الملا مصطفى ولابدّ من ذهابك باسم المصلحة وحقناً للدماء.

ركبنا طائرة هلكوبتر ثم هبطنا في القرية التي يسكنها الملا مصطفى.. استقبلنا الملا خارج داره وما إن جلسنا حتى بدأ يشتم جلال الطالباني ونعته بأوصاف في غاية السوء.. كان لا يزال في منتهى الغضب والانفعال.. ثم أعلن عن عزمه على مهاجمة جلال

الطالباني..

بدأت حديثي معه مستعيناً بآية كريمة وحديث نبوي ثم قلت له ان الحكومة جادة في نقل جلال الطالباني وجماعته إلى لواء أربيل واني كوزير زراعة أرغب باخلاء مزرعة (بكره جو) الحكومية لاستغلالها واجراء بعض التجارب فيها ولن يعترض جلال على الانتقال من المزرعة المذكورة وكل ما أرجوه أن تؤخر هجومك بضعة أيام لتستطيع الحكومة تدارك الأمر.. اقتنع بوجهة نظري ووعد بتأجيل الهجوم.. ثم تحدث شامل السامرائي وأكد على الجانب الاسلامي واهاب بالملا مصطفى الذي عرف بالحكمة والتقوى أن يدع أمر جلال وجماعته للسلطات المختصة.. ثم ودعنا الملا مصطفى وأقلعت بنا طائرة الهلكوبتر متجهة إلى مدينة السليمانية.. هبطت الطائرة على مقربة من قيادة قوة الميدان وكان في استقبالنا عدد من ضباط قوة الميدان يتقدمهم اللواء الركن محمد نوري خليل ذهبنا إلى غرفة الاجتماع وما ان شربنا الشاي حتى بدأت الحديث.. بينت للمجتمعين عدول ملا مصطفى عن مهاجمة السليمانية وضرورة انتقال جلال وجماعته إلى اربيل واخلاء المزرعة الحكومية وهذا في رأي حل مناسب لابد أن نحرص جميعاً على تنفيذه وتبين من خلال المناقشة ان جماعة جلال الطالباني لا يتجاوزون المائتين.. طال الحديث وتوسعت المناقشة وحاول أحد ضباط الركن القاء اللوم على الملا مصطفى في تأزم الموقف ووصول القضية الكردية إلى طريق مسدود وأرانا برقية صادرة من أحد المواقع العسكرية تبين تعرض الموقع لنيران الأكراد وأخرى تبين هجوم مجموعة من أتباع الملا مصطفى على إحدى القرى الكردية الموالية لجلال الطالباني.

لقد استشفيت من خلال الحديث والنقاش، تعاطف ضباط قوة الميدان مع جلال الطالباني وحرصهم على دعمه وتأييده كقوة منافسة للملا مصطفى كما اتضح لي سعيهم لاحباط أي حل واتفاق يعيد السلام للمنطقة، وتبين لي ان بعض البرقيات غير صحيحة وان أغلبهم راغب في استئناف القتال من جديد ليضمن البقاء في منصبه متمتعاً بمزايا المنصب ورتبته العالية.. لقد استقر في أذهانهم ان حل القضية الكردية وعودة السلام يتبعه احالتهم على التقاعد لتقدمهم في العمر ورتبهم العالية - فجميعهم برتبة لواء - وعدم مساعدة الملاك على بقائهم.

وأخيراً قلت لهم ياالخوان ان مصلحة الوطن فوق كل اعتبار وحقن الدماء واجب ديني وانساني ووطني ولابدّ من ان نتعاون جميعاً لحلّ المشاكل قبل استفحالها.. ثم ركبنا الطائرة عائدين إلى بغداد.

تحدثت هاتفياً في اليوم التالي إلى رئيس الوزراء وسره عدول الملا مصطفى عن الهجوم وأثنى على الحل الذي طرحته وأكد انه سيتبناه وسيتصل حالاً بوزير الدفاع شاكر محمود شكري.. ثم قلت له ان القضية في غاية الأهمية ولابدّ من الحزم وتدارك الأمر قبل فوات

الآوان، فقوة الميدان راغبة في استئناف القتال، تعمل على تخريب أي اتفاق ولا تجد بأساً في تزييف البرقيات وتضخيم المشاكل وتعقيد الأمور.. ان ترك جلال للمنطقة والسكن في اربيل يضمن للحكومة ضرب عصفورين بحجر واحد فبالاضافة لعدول الملا مصطفى من الهجوم تستطيع وزارة الزراعة اعادة تنظيم واصلاح المزرعة الحكومية واستغلالها من جديد.

ربان عاجز وحرس متآمر

ركب الغرور مجموعة الداود ـ النايف وشجعها ضعف رئيس الجمهورية واستجابته لجميع الطلبات والمقترحات وثقته المطلقة بها، وبدأوا يعملون لاقصاء عبد الرحمن عارف واحلال العقيد ابراهيم الداود محله وجرى الاتصال بصعب حردان أمر الانضباط العسكري وغيره.

وعهد إلى العميد الركن فيصل شرهان العرس مهمة التحقق من نوايا الدواد، فزاره وتحدث معه. وقال له الداود معتداً ومتباهياً لقد كان جمال عبد الناصر برتبة مقدم أما أنا فعقيد، وسخر من ضعف رئيس الجمهورية.

ثم جاء لزيارة بغداد طلعت صدقي بناء على دعوة تلقاها من طاهر يحيى فدعاه الداود وحضر الدعوة عبد الرزاق النايف وشرب الثلاثة، فتحدث الداود عن نواياه، وسهولة تحقيقها وقرب التخلص من عبد الرحمن عارف، وفي اليوم التالي توجه طلعت إلى رئيس الوزراء وحدثه بما سمع.

في ضحى أحد الأيام دخلت سيدة مكتب عدنان الجبوري في المجلس الوطني.. قالت له انها أخت عبد السلام عارف.. رحب بها وما أن جلست حتى قالت أريد أن أقابل رئيس الوزراء لأمر هام، خرج عدنان ودخل مكتب رئيس الوزراء، ثم أخبر طاهر يحيى ان أخت عبد السلام عارف تريد مقابلتك الآن.. ودخلت غرفة رئيس الوزراء وتحدثت إلى طاهر وأوصته بأخيها فطمأنها وبدد مخاوفها.

ذهب صعب حردان ليخبر رئيس الجمهورية بتآمر الحرس الجمهوري فلم يصدق النبأ، وحذره آخر من مجموعة الداود ـ النايف فرد عليه قائلاً "إن هؤلاء مخلصون وقفوا إلى جانبي في المحنة.. اشك في زوجي ولا أشك فيهم.."

وبدا لي أن أبذل آخر محاولة لايقاف التدهور وتنبيه الغافلين.. اتصلت هاتفياً بطاهر يحيى واسماعيل خير الله واتفقنا على أن نذهب إلى القصر الجمهوري لمقابلة رئيس الجمهورية وكلمه اسماعيل خير الله فرحب بقدومنا.

دخلنا غرفة الرئيس وتحدثنا في أمور عامة ثم أخرجت ورقة تضمنت مسودة ميثاق مجلس أمن وطني برئاسة رئيس الجمهورية ويضم في عضويته طاهر يحيى وعبد الكريم فرحان واسماعيل خير الله.. بدأت بقراءة الوثيقة التي تناولت مهمة المجلس وسرية نشاطه

بحقه في استدعاء أي خبير أو مختص عند الحاجة وعهدت بمهمة السكرتير إلى اسماعيل خير الله ثم تنتهي بقسم الأعضاء على المصحف الكريم.. أقسمنا جميعا ثم تسلم الرئيس الوثيقة ووضعها في الخزانة الحديدية

لقد توخيت من الوثيقة تحقيق الأهداف التالية كآخر سهم في الكنانة وقبل أن ترتطم السفينة.

١ ـ تطمين رئيس الجمهورية وتبديد شكوكه ومخاوفه.

٢ ـ شد أزره بالوقوف إلى جانبه.

٣ ـ التخطيط معه للتخلص من زمرة الداود ـ النايف ـ وهي مهمة يسيره إذا تحلى الجميع بالحزم.

ثم اتفقنا على عقد اجتماع اسبوعي مساء كل يوم اثنين.. وحلّ يوم الاثنين واجتمعنا وطالت الجلسة وامتد النقاش.. وفجأة رن جرس الهاتف.. كانت زوجة الرئيس هي المتكلمة.. ثم خرج الرئيس فكان هذا أول وآخر اجتماع.

ومرت تحت الجسور مياه كثيرة وحدثت أمور كشفت ضعف كبار المسؤولين وحرصهم على البقاء في مناصبهم بأي ثمن بدءاً برئيس الوزراء طاهر يحيى وانتهاءً بوزير الدفاع شاكر محمود شكري، وانقطع اسماعيل خير الله من زيارة القصر الجمهوري وتناسى ما اتفقنا عليه في دمشق وتفرغ نهائياً لوزارة الخارجية ودأب على الحضور فيها بعد ساعتين من ابتداء الدوام بحجة انه يبقى في الوزارة إلى ساعة متأخرة وذات صباح طلبه طاهر يحيى لأمر هام فتبين له انه لم يداوم بعد، وصب جام غضبه على سكرتيرة الوزراء الآنسة فائزة النجار.

سمعت بالنبأ فتدخلت ووعد اسماعيل خير الله بالتقيد بأوقات الدوام واعتذر طاهر يحيى من السكرتيرة ثم زرت وزير الخارجية في مكتبه وتحدثت معه بصراحة منتقداً سلوكه وتصرفاته كصديق يحرص على سمعته وأتفقنا ان أتصل بداره هاتفياً عقب وصولي إلى مكتبي في وزارة الاصلاح الزراعي لايقاظه من نومه.. علمت بانعقاد مؤتمر في وزارة الدفاع تناول أمور كثيرة من ضمنها الأمن وسمعة الحكومة وتفشي الرشوة والفساد، وتقاعس الموظفين واهمالهم.. وفي ختام المؤتمر قال معاون مدير الاستخبارات عبد الرزاق النايف ما معناه هيهات ان يوثق بحكومة يرأسها حرامي.. توجهت إلى القصر الجمهوري وقابلت الرئيس عبد الرحمن عارف وذكرت له ما قاله عبد الرزاق النايف. فنفى ذلك أول الأمر، واستمر حديثنا زهاء ساعة ثم رجوته الأمر بالتحقيق في القضية باعتباره القائد العام للقوات المسلحة بغية وضع حد لهذا الاستهتار فوعد به. ثم عدت إلى مكتبي وأخبرت رئيس الوزراء بمقابلة رئيس الجمهورية وخلاصة حديثي معه ووعده باجراء التحقيق وكان رد طاهر يحيى غريباً إذ قال، لقد جاء إلى مكتبي عبد الرزاق النايف وأقسم انه لم يقل في المؤتمر ما نسب إليه.

ومرت أيام وجرت أحداث ولم يبدأ التحقيق فاضطررت إلى تقديم استقالتي وهذا نصها:

السيد رئيس الوزراء المحترم

قبلت المساهمة في المسؤولية بعد مفاوضات طويلة مدركاً خطورة الوضع وضرورة وضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار وتقدمت لخدمة بلادي بتجرد ونكران ذات بعد أن تردت الأوضاع واستشرى الفساد وضاعت المقاييس والقيم، وفقد المواطنون ثقتهم في الحكومة واندفعت غير هياب ولا وجل أساهم مع المخلصين وهم قلة في البناء والتطوير ليل نهار ولم أبال بالصعاب وهي كثيرة ولقد تحدثت معكم ومع السيد رئيس الجمهورية بخصوص المرحلة التي تجتازها أمتنا ووجوب تعبئة الطاقات والموارد وتنسيق الجهد العربي وقيام العراق بدوره الايجابي البناء وأكدت على وجوب التخطيط الشامل وانشاء مجلس أعلى للامن والتخطيط القومي ورسم سياسة واضحة المعالم محددة الأهداف واعادة النظر بتنظيم الجيش وتسليحه وبنائه على أسس علمية حديثة وتطعيمه بقيادات جديدة وأبعاد القيادات الضعيفة العاجزة، ووضع مقاييس ملزمة في الترفيع واسناد المناصب وخاصة بعد أن دبّ الانحلال في صفوفه وتردى الضبط، وهبطت المعنويات وضعفت الثقة في القيادات بمختلف المستويات وتحول الحماس والاندفاع والتعاون في اداء الواجب إلى تقاعس وعدم مبالاة فسمعنا الكثير من الوعود، وعقدنا الآمال ولم يحقق أي وعد منها وها هي الأخطار تزحف علينا من كل حدب وصوب، والمشاكل تستفحل وتتحول إلى أزمات فنقابلها بعدم الاكتراث، وبحلول آنية مرتجلة، ويؤلمني أن أقول اننا لم نستفد من التجربة والنكسة المؤلمة ولجأنا إلى التسويف وانصاف الحلول وارضاء الأصدقاء والأقارب على حساب المصلحة، كأن العراق مزرعة لنا أو مقاطعة غنمناها في الحرب وتحولنا إلى حكام – بدلاً من جنود وثوار جاءوا لخدمة شعبهم وأمتهم – يرضيهم الملق والتزلف ويطربهم المديح والثناء، وراحت بطانات السوء التي تتظاهر بالاخلاص والولاء كذباً، تعيث فساداً وتتدخل في كل شيء، همها منافعها الخاصة، وتلاحقت الاهانات توجه إلى المسؤولين والحكومة في شتى المناسبات سراً وعلناً من قبل ضباط يفترض فيهم الانصراف إلى الواجب وعدم التدخل في السياسة وأخيراً شُتم المسؤولون والحكومة في مؤتمر رسمي، فقابلت رئيس الجمهورية وتحدثت معه على انفراد أكثر من ساعة ورجوته التحقيق باعتباره القائد العام للقوات المسلحة بغية وضع حد لهذه الفوضى والتخريب وعدم الشعور بالمسؤولية فوعد باجرائه ومضت الأيام ولم يتخذ أي اجراء رادع كما لجأ مؤخراً بعض الوزراء إلى تشويه الوقائع بشأن قرارات ولوائح وافقوا عليها غير مقدرين لمهمتهم ومسؤولياتهم وواجباتهم الخطيرة والخلاصة فأن جواً كهذا لا يساعد على العمل والبناء ويؤدي بالتالي إلى اضاعة الوقت والجهود، وهذا مالا أرضاه ولن يرضاه أي مواطن مخلص نذر نفسه لوطنه وأمته ولم يبق

أمامي بعد أن يئست من العلاج سوى تقديم هذه الاستقالة متمنياً لكم النجاح والتوفيق فاسحاً المجال لغيري والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الكريم فرحان
وزير الاصلاح الزراعي
١٩٦٨/٢/٢٤

توجهت إلى المجلس الوطني وسلمت رئيس الوزراء الاستقالة ثم ذهبت إلى القصر الجمهوري وسلمت الرئيس نسخة منها.. أصرّ الرئيس على جلوسي.. ثم قال ألسنا اخوان؟ قلت نعم.. قال ألم نتفق على أن نعمل ونتعاون وأن لا نفترق؟. قلت نعم ولكن الأمور تسوء والوضع يتدهور بسرعة، وقد أديت كل ما عليّ ولم يبق سوى الاستقالة.. ألحّ على بقائي والانتظار ووعد باجراء اصلاحات كثيرة وتغييرات تعيد للحكومة هيبتها ورجا العدول عن الاستقالة قلت له سأنتظر وذكرته إنيّ قدمت استقالة قبل هذه بتأريخ ٨/٣١/ ١٩٦٧ لكنها جمدت باسم المصلحة العامة أيضاً.

تياران مختلفان

ظهر الانقسام بوضوح في مجلس الوزراء وتبلور تياران: الأول محافظ، حريص على البقاء وارضاء رئيس الجمهورية دأب على الاعتراض على أي قرار أو اجراء تقدمي، والثاني متحمس للاصلاح يهدف إلى استغلال ثروات العراق من نفط وكبريت لمصلحة العراق وتخفيف أعباء المواطنين أما رئيس الوزراء فقد حرص على ارضاء كبار الضباط وساد جلسات مجلس الوزراء توتر وانفعال في مواقف كثيرة.

١ ـ اقترحت ضرورة عودة العراقيين المنفيين والمقيمين في الخارج هرباً من الظلم وخوفاً من بطش السلطة وقدمت مسودة بيان وكان أول المعترضين عليه السيد مصلح النقشبندي فقال ان صدور البيان معناه اعتراف ضمني بوجود ظلم واعتداء على حقوق الإنسان مارسته الحكومات السابقة.. عجبت لرده وقلت ألم يقع ظلم واعتداء ولماذا تخشى الحقائق؟. وطال النقاش وهُزم الاقتراح...

٢ ـ عرضت مسودة قانون رقم ٩٧ الذي يخول شركة النفط الوطنية العراقية الاشراف على صناعة النفط وتطورها تنفيذاً للقانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ .. عارض المسودة عدد غير قليل من الوزراء وحذر أحدهم من نتائجه وبالغ في رد فعل الحكومة البريطانية عند صدوره وطال النقاش ثم قلت انه قانون يخص ثروة عراقية ولابدّ من اتخاذ قرار ثوري، فقد تغيرت الظروف وانتهى عهد الاستعمار وتهديد الأساطيل، غضب مصلح النقشبندي واستاء من تعليقي اسماعيل مصطفى واضطر رئيس الوزراء إلى سحب مشروع القانون ثم عرض مرة ثانية وبعد فترة مناسبة تمت الموافقة عليه.

٣ ـ عرض رئيس الوزراء تعيين عدد من كبار ضباط الجيش (أقدم من اللواء ابراهيم فيصل الأنصاري الذي تقرر تعيينه رئيساً لأركان الجيش) سفراء في وزارة الخارجية.. كنت المعارض الوحيد للاقتراح المذكور فقلت ان هؤلاء قضوا مدة طويلة في الخدمة وأرى ان يحالوا على التقاعد برتبة أعلى تكريماً لهم وتقديراً لخدماتهم وزيادة راتبهم التقاعدي وهو في الأساس مرتفع ومجزي إذا قورن بتقاعد بقية الموظفين لاسيما وان المصلحة قضت بذلك لافساح المجال لرئيس أركان جيش جديد والتقاعد مرحلة نهائية لابد من بلوغها يستوي في ذلك الضابط والموظف، أما نقلهم لوزارة الخارجية فيقتل طموح موظفيها أولاً ويؤدي إلى انخفاض مستوى الأداء ثانياً لقلة خبرة الضباط في هذا الميدان الجديد فيما يتدرج موظف الخارجية في وظيفته ويمضي سنوات كثيرة قبل أن يصبح سفيراً إذا قدر له وواتته الظروف.

.استغرب رئيس الوزراء معارضتي وعين الضباط وتسرب النبأ إلى الخارج واستغله عبد الرزاق النايف كدأبه لتأليب الضباط واستعدائهم..

٤ ـ جرت مناقشة حول استثمار الكبريت في العراق، وظهر اتجاه لمنحه لشركة أمريكية، فقد زار (أندرسن) بغداد وحمل هدايا إلى عدد من المسؤولين وكبار موظفي القصر الجمهوري واستخدم كل وسائل التأثير فزعم انه صديق حميم للرئيس جمال عبد الناصر وانه من أشد المؤيدين للقضايا العربية ونشط في الوقت نفسه سغد صالح جبر ممثل الشركة في بغداد وبدأ في مراجعة الدوائر الرسمية لجمع المعلومات والتقارير والخرائط المتعلقة بحقل الشراق، لكن وزير الصناعة خليل ابراهيم حسين فضل استثماره بالتعاون مع البولنديين الذين يستخدمون طريقة حديثة، لقد أيدته، واضطر كثيرون إلى الصمت بعد أن عرف رجل الشارع عزم الحكومة على منح الامتياز للشركة الأمريكية والوسائل التي لجأت إليها الشركة..

٥ ـ عرضت اتفاقية النفط المعقودة بين شركة (إيراب) الفرنسية وشركة النفط الوطنية العراقية فأثنى عليها رئيس الوزراء طاهر يحيى وتحمس لها بعد ان أقنعه الدكتور خير الدين حسيب بأهميتها وجدواها، فقد كسر العراق لأول مرة الطوق الذي فرضته الشركات النفطية البريطانية وتحدى نفوذها ومارس حريته وحقه في استغلال ثروته الوطنية.

لقد بذل خير الدين حسيب جهداً جباراً في المفاوضة وعقد الاتفاقية يعاونه أديب الجادر، كما لم يبخل الاستاذ صديق شنشل بتقديم المشورة القانونية كلما استدعت المفاوضة، وصودق عليها ولم يعترض سوى قلة من الوزراء تأثروا بما تشيعه وتنشره جماعة غانم العقيلي المناوئة.

استقالة ثانية

أصبح أغلب الوزراء يسعون إلى كسب رضا رئيس الجمهورية وظهر حرصهم على تحقيق رغبات القصر وبعضهم لا يستقر على رأي.. لقد تحول اثنان منهم مع الأسف إلى موظفين في القصر وكان أحدهم يتوجه إلى القصر مباشرة اثر انتهاء جلسة مجلس الوزراء ليقص على الرئيس تفاصيل ما دار في الجلسة من نقاش وانتقاد وبدأت قلة منهم بالتودد إلى عبد الرزاق النايف بعد أن عرفوا اتصاله الوثيق بالرئيس واستجابة الأخير لاقتراحاته وتبني آرائه.

بدأت أنباء جلسات مجلس الوزراء تتسرب إلى الخارج وعرف الناس ما يدور في مجلس الوزراء، ففي مرة عاتبني المحامي زكي جميل حافظ على كلام قلته بعد أن ضُم إلى مجلس إدارة جريدة الجمهورية وأقصي عضو سابق قدم الكثير من الخدمات للمجلس، كما عاتبني الطيار المتقاعد كاظم العبادي عن رأي أبديته عندما رشحه رئيس الوزراء لمنصب سفير...

قرر ضباط ثورة ١٤ تموز عقد اجتماع في دار أحدهم لمناقشة الوضع الذي تردى كثيراً تمهيداً لمقابلة رئيس الجمهورية، أخبرني صبحي عبد الحميد بموعد الاجتماع ومكانه ورجا مني الحضور بناء على اقتراح الاخوان.. وعدته بالحضور ثم قلت له سأسعى لاختصار الطريق وتسهيل مهمة الاخوان.. اتصلت برئيس الجمهورية واقترحت عليه أخذ زمام المبادأة بعقد مؤتمر في القصر يحضره ضباط ثورة ١٤ تموز، فاستجاب للاقتراح وعقد المؤتمر الذي حضره معظم الضباط.. افتتحه رئيس الجمهورية وتكلم كلاماً لا يسمن ولا يغني إذ ناشدهم التعاون واستعداده لسماع آرائهم والترحيب بزياراتهم في كل وقت..

تكلم كثيرون وآثرت الاستماع..تكلم محمود شيت خطاب وناجي طالب ورشيد مصلح وأحمد حسن البكر..وكانت كلمة أحمد حسن البكر أقسى الكلمات إذ قال ما معناه: أنت رجل طيب، حسن الظن نواياك خيرة، لكنك تجهل ما يدور ويقع في البلد وليس بوسعك اصلاح الوضع وايقاف التدهور لانك تفتقر إلى الحزم.

وحدثت مشادة بيني وبين رجب عبد المجيد الذي تحدث عن موضوع سبق ان اختلفنا فيه منذ فترة طويلة ولعله أراد أن يؤكد سبق تعاطفه مع البعثيين أمام أحمد حسن البكر فقد قال (لقد لمتني على رعايتي للبعثيين ومعاونتهم...) قلت له ما دمت قد بدأت فسأذكر الحديث بكامله.. لقد سألتني المشاركة في حكومة ناجي طالب.. فقلت لك كيف أشارك في حكومة عجزت عن حماية فؤاد الركابي.. لماذا آثرت الصمت عندما استدعى فؤاد الركابي إلى مديرية الاستخبارت العسكرية وضرب هناك وأنت وزير للداخلية لكنك استخدمت صلاحيات وزير الدفاع عندما قمت بمهمته وكالة لسفره للخارج فأطلقت سراح

عدد من البعثيين.

لم يحالف التوفيق رئيس الجمهورية في المؤتمر الذي عقده وظهر ضعفه وعدم تقديره لخطورة الوضع وأخيراًوعد باصلاحات كثيرة واجراءات قريبة ثم انفض المؤتمر.

لقد زهدت حقاً في البقاء ويئست من الاصلاح فاليد الواحدة لا تصفق، وآلمني تسرب أنباء جلسات مجلس الوزراء للخارج بهدف نيل الحظوة لدى الرئيس وارضاء الاصدقاء وبناء المجد على حساب الآخرين، فقول الحق لا يرضي كل الناس وصاحب الحاجة أعمى، وليس من الحكمة أن أخسر المزيد من الأصدقاء وتحولهم إلى أعداء... وأخيراً بدأ اسماعيل خير الله بالتعاون مع آمر لواء الحرس الجمهوري العقيد ابراهيم عبد الرحمن وعاد سيرته الأولى فلم يحفل بالدوام ولم يتقيد بالمدة المحددة عند ذهابه بمهمة خارجية.. لقد انتقدته في مجلس الوزراء اثر عودته من الخارج والانتهاء من تقريره..

تردت صحتي، وارتفعت نسبة الكالسترول في الدم بدرجة أقلقت الدكتور شامل السامرائي ورئيس الوزراء طاهر يحيى ولما علم رئيس الجمهورية بذلك اتصل بي هاتفياً للاطمئنان على صحتي هذا وغيره دفعني إلى كتابة الاستقالة التالية:

السيد رئيس الوزراء الفريق طاهر يحيى المحترم

كنت قد قدمت استقالتي الأولى بتأريخ ١٩٦٧/٨/٣١ وأردفتها بثانية ورجوتم باسم المصلحة العامة الانتظار لفترة مناسبة ريثما يبدأ ببعض المشاريع وتحل بعض القضايا الهامة، ثم جاء الفيضان وأخطاره فكرهت التخلي والهرب من الميدان في وقت المحنة، والآن وقد زال خطر الفيضان وأقرت الميزانية وعدل الدستور أجدد رغبتي في الاستقالة وأصرّ عليها لاسيما وان موظفي الوزارة يتعرضون لمختلف أنواع الأذى والاهانات بالاضافة إلى العراقيل والقيود التي تعيق عملية التنمية الزراعية، ومحاولة بعض المسؤولين والأجهزة تجميد قانون الاصلاح الزراعي ومنع تطبيقه بحجج بعيدة عن الواقع وفي الختام أود أن أشيد بالدعم والتأييد الذي لقيته منكم في شتى المناسبات راجياً لكم التوفيق والنجاح والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الكريم فرحان
١٩٦٨/٥/٦

توجهت إلى مجلس الوزراء وسلمت الاستقالة التي كتبتها بنسخة واحدة إلى السيد طاهر يحيى ورجوت منه سرعة قبولها وتعيين وزير آخر لاستريح في بيتي وانعم بالراحة.

زارني في بيتي الدكتور خير الدين حسيب ورجا مني والّح بالعدول عن الاستقالة باسم المصلحة القومية وأرجح ان رئيس الوزراء أخبره وكلفه بالوساطة.

قلت لخيري حسيب لم تعد هناك فائدة، وذكرته بعزمي على الاستقالة سابقاً اثر تعيين عدد من (جنرالات) الجيش سفراء في وزارة الخارجية ورجائه الشديد واضطراري إلى البقاء

أما الآن فقد طفح الكأس وتردت صحتي وأرجح انه بعد ان يئس أخير الجمهورية العربية المتحدة فقد زارني فجأة وفي الصباح الباكر سفير مصر أحمد لطفي المتولي.. عجبت لمجيئه إذ لم يمضي سوى أيام معدودات على مغادرته العراق لقضاء اجازته.. قال ان الرئيس جمال عبد الناصر قد استدعاه على عجل وأمره بالتوجه إلى بغداد لاقناعي بالعدول عن الاستقالة وأردف قائلاً ان وجودك في الحكومة يضمن عدم انحراف العراق عن الخط القومي ولابد من التضحية والتحمل في سبيل القضية الكبرى ويرى الرئيس ان الظروف غير طبيعية والتآمر قائم على قدم وساق.. هذا ما جئت لأجله ورفض أن يدخل الدار لشرب القهوة إذ كان في غاية العجلة.

لم يكن هناك مفرّ من البقاء فتجمدت الاستقالة تلقائياً فرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء يحرصان على بقائي ومن اليوم توجهت لزيارة بعقوبة فزرت دائرة الاصلاح ومديرية زراعة اللواء ومخازن الري، والمشتل وعدت في اليوم نفسه إلى بغداد.

اتفاق لم ينفذ

حضرت دعوة اقامها سفير الاتحاد السوفييتي في داره الواقعة في كرادة مريم على شرف رئيس الوزراء طاهر يحيى حضرها بضعة وزراء.. بالغ السفير في الكرم وتبادل انخاب الفودكا مع طاهر يحيى فثمل الاثنان.. وفجأة سألني السفير هل زرت الاتحاد السوفييتي؟ قلت كلا وكان بجواري وزير الصناعة خليل ابراهيم الذي استغرب عدم زيارتي للاتحاد السوفييتي.

... وبعد أيام معدودة تلقيت دعوة لزيارة الاتحاد السوفييتي فقبلتها وتحدد يوم السفر، وبدا لي ان أزور السيد رئيس الجمهورية قبل توجهي إلى موسكو كما تقضي الأصول، فقد كانت فرصة لابدّ من اهتبالها للتحدث معه.

ذهبت إلى القصر الجمهوري وطال حديثنا ولم يكن بيننا ثالث.. كان شبه منهار ويائس من اصلاح الوضع المتردي.. كان لابد من تطمينه وبعث الثقة في نفسه قلت له أنت القائد العام ورئيس الجمهورية وسلطاتك واسعة وبوسعك أن تعالج كثيراً من العيوب والأخطاء.. ثم قلت له لا تنسى ياسيادة الرئيس ان الضابط كالسمكة التي تموت عند اخراجها من الماء، وبإحالة الضابط على التقاعد ينتهي أمره ويزول خطره.. ثم حذرته من آمر لواء الحرس الجمهوري العقيد ابراهيم الداود.. وأخيراً اتفقنا على ضرورة تشكيل حكومة جديدة حازمة وفعالة.. قال وهل ستشترك فيها.. قلت نعم بشرط استبعاد ثلاثة وزراء ذكرت أسماءهم والتخلص من بعض موظفي القصر قال متى ستسافر؟ قلت غداً ان شاء الله.. قال ستسمع بنبأ الحكومة الجديدة خلال وجودك في موسكو.. قلت له سأخبر طاهر يحيى بحديثنا وقرارك الأخير ليتصل بك للاتفاق على أسماء الوزراء ثم ودعته وخرجت...

ذهبت إلى مجلس الوزراء وتحدثت إلى طاهر يحيى ورجوته الاسراع بتشكيل الحكومة الجديدة ورأيت خير الدين حسيب وأديب الجادر فأوجزت لهما حديثي مع رئيس الجمهورية وقرب تشكيل حكومة، ورجوت من خيري أن يمر على رئيس الوزراء بعد يومين ليذكره ويحثه على ضرورة الذهاب إلى القصر للتداول مع رئيس الجمهورية.

سافرت في اليوم التالي إلى موسكو وكان يرافقني(أديب المتولي)المختص بزراعة القطن وصلاح الطبقجلي مدير مشروع المسيب الكبير.. وصلت الطائرة موسكو بعد رحلة طويلة.. كان من ضمن المستقبلين سفيرنا العميد الركن محسن حسين الحبيب.

ثم ذهبنا إلى مطعم أحد الفنادق بعد أن انضم إلينا المترجم (مايكل) وكان يحسن اللغة الانكليزية فيما نقلت حقائبي إلى (فيلا) قرب أحد المتاحف أما حقائب عضوي الوفد فقد نقلت إلى فندق مشهور..

تحدثت مع السفير كثيراً وناقشنا العلاقات السوفييتية ـ العراقية وظهر من حديثه انه يلاقي بعض الصعوبات وهذا يعكس في رأيه سوء الأوضاع في العراق وضعف الحكومة.. ثم سألني عن حقيقة الوضع في العراق قلت له انه سيء ولا يبشر بخير لكنني أتوقع حدوث تغييرات قريبة بتشكيل حكومة جديدة قد تستطيع تدارك الأمر قبل فوات الأوان.. واتفقنا ان نكون باتصال دائم.. وبدأ منهج الزيارة وكان مهماً وحافلاً وممتعاً واستخدمنا السيارة والطائرة والقطار تبعاً لبعد الموقع والمكان.. زرنا كثيراً من المدن والمواقع والمصانع والمشاريع الزراعية، روستوف، مينسك، طاشقند، لينينغراد، تالين وشاهدت في منطقة كازخستان مشروعاً زراعياً ضخماً حيث استزرعت منطقة (السهوب الجائعة) ونقل إليها الماء من مسافة بعيدة تزيد على مائة وخمسين كيلومتراً بجدول مبطن عريض.. وشاهدت مزارع نموذجية للقطن حيث تروى بطريقة فنية حديثة وتستخدم المعدات الميكانيكية في البذر وجني القطن وقد وصل انتاج القطن حداً لم يبلغه من قبل كما زرت أضخم معمل لانتاج الجرارات وكتبت كلمة في دفتر الزيارة ثم انتقلنا إلى منطقة قريبة من سواحل البحر الأسود حيث تكثر مزارع الكروم وتنتج عشرات الأنواع من النبيذ، وتوقفنا في موقع تمتد فيه البيوت الزجاجية لمسافات طويلة حيث تنتج الخضرة من طماطم وخيار وكوسة كانت التدفئة عملية وفي غاية البساطة كما استخدم البلاستك بدلاً من الزجاج وفجأة اتصل بي السفير العراقي ليعلمني انه سمع تخلي أديب الجادر من وزارته وتكليفه بمهمة أخرى فسألته عن تشكيل حكومة جديدة فنفى سماعه أي شيء... عجبت لهذا التغيير وأقلقني تأخر تشكيل الحكومة ورجحت ان رئيس الوزراء قد أحجم عن تقديم استقالته خوفاً من عدم تكليفه بتشكيل الحكومة مرة ثانية فهو لا يثق بأقوال الرئيس عبد الرحمن عارف ويخشى من مناورات ودسائس مجموعة الداود ـ النايف.

ثم توجهنا إلى لينيغراد بالقطار فزرنا المتحف والطراد المشهور وقصر القيصر وصادف

وصولنا حلول أطول نهار فتجولنا في المدينة إلى ساعة متأخرة وزرت السجن القديم في عهد القيصر وكانت غرفة السجين تضم سريراً ومنضدة، وتذكرت سجون الشرق ومعتقلاته وزنزاناته حيث يحشر العشرات في غرف لا تتسع الواحدة لأكثر من اثنين ومرت بخاطري فترة اعتقالي في كتيبة الدبابات بمعسكر الرشيد.

عدنا إلى موسكو وقضيت الليلة الأخيرة في الفيلا الجميلة.. ثم اتصل السفير هاتفياً مسألني عن موعد السفر فقلت له غداً الساعة الواحدة.

وصلنا بغداد بسلام ثم زرت طاهر يحيى في مجلس الوزراء وسألته عن سبب عدم تشكيل الحكومة الجديدة وخروج أديب من الوزراء.. قال لم يستدعني الرئيس ولم أذهب إلى القصر، أما أديب فقد رغب بمنصبه الجديد وطلب بالحاح التخلي عن وزارته ثم سلمته هدية بسيطة في علبة صغيرة وانصرفت.. وفي طريقي إلى الوزارة أدركت خطأ سفري إلى موسكو بعد مقابلة رئيس الجمهورية وموافقته على تغيير الحكومة وبدا لي لو أرجأت السفر لكان أفضل على الرغم من ضعف الرئيس وتردده وتراجعه.

وجدت أمور الوزارة على غير ما تركت واستجاب بعض المسؤولين فيها للضغوط وصدرت قرارات لمصلحة بعض الأشخاص.

تنامت قوة الداود ـ النايف وانضمت إليها عناصر بدافع العصبية العشائرية أو طمعاً في المكافأة عندما تتسلم مقاليد الحكم الذي بات قريباً، ضباط وموظفون كبار وأخيراً انضم للمجموعة الدكتور بديع شريف ورئيس الجمعيات الفلاحية ابراهيم الشلال وبدأت تعاونها عناصر مشبوهة خارج القطر وداخله وكثرت سفرات النايف إلى الخارج وواكب ذلك حملة تشكيك وافتراءات لاضعاف الحكومة.. وذات مرة وجدت في صندوق الرسائل ورقة مخطوطة مليئة بالشتائم عرفت مصدرها وهدفها تنذرني بقرب مثولي أمام محكمة الشعب لأنال جزائي، لقد احتفظت بالورقة لأنشرها في كتابي هذا، إلاّ أنها وقعت صدفة بيد زوجتي فمزقتها.. ثم سمعت بنبأ قرب عقد مؤتمر للفلاحين فاستدعيت المسؤول لأعرف أغراض المؤتمر وموعده ومكانه فتبين لي ان الوزارة تجهل كل شيء عن المؤتمر.. وأخيراً اتضح ان المؤتمر قد خطط له النايف وبديع شريف بالتعاون مع رئيس الجمعيات الفلاحية ابراهيم الشلال تحدياً للوزارة واضعافاً لمكانتها.. لقد أصبحت نهاية النظام قريبة ولن يجدي بقائي أو يغير من النتيجة وحسبي اني بذلت كل ما في طاقتي فلم أبخل بجهد أو نصح وكتبت الاستقالة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس الوزراء المحترم

استشرى الفساد ودب الانحلال في سائر مرافق الدولة وأجهزتها حتى في صفوف الجيش واصبح حديث الساعة (انصر أخاك وقريبك مستغلاً ومهرباً ومرتشياً متقاعساً) وهان

لا بالنسبة للعملاء وأعداء البلاد بل تعداه إلى أجهزة الدولة وموظفيها وصحافتها، لقد شتم معاون مدير الاستخبارات الحكومة في اجتماع رسمي وهو الآن يصدر نشرة سرية مع حفنة من المشبوهين لمهاجمة المسؤولين والنيل منهم ولعلّها احدى وسائل الضغط لاعطاء الكبريت إلى (أندرس) ولكن بعض الظن اثم.

ان مسؤولية الوزير تتعدى نطاق وزارته، ولقد حاولت ان انبه واحذر دون جدوى كما أن حرصي وأخلاصي يمنعني من السكون وعدم المبالاة وهيهات أن أمثل دور النعامة أو أتجاهل ما يحدث كما يصنع بعض المسؤولين، والمؤسف ان بعضهم يساهم في التخريب طمعاً في البقاء، أن يأسي من صلاح الأحوال وفقدان الأمل يدعواني إلى تقديم استقالتي وهي الرابعة راجياً لكم التوفيق والسلام على من اتبع الهدى.

عبد الكريم فرحان

١٩٦٨/٦/٣٠

صورة منها: إلى السيد رئيس الجمهورية.

وما ان فرغت منها حتى توجهت إلى مجلس الوزراء لاسلم الاستقالة إلى رئيس الوزراء ثم أذهب بعد ذلك إلى القصر الجمهوري لتسليم النسخة الثانية إلى رئيس الجمهورية.. حاول رئيس الوزراء كدأبه اقناعي بالبقاء باسم المصحلة الوطنية والقومية لكني أفهمته ان قراري نهائي ولن أعدل عن الاستقالة مهما كلف الأمر، وسأتوجه إلى بيتي بعد تسليم نسخة منها إلى الرئيس عبد الرحمن عارف واقترحت عليه الاستقالة أيضاً، وفجأة رفع سماعة التلفون وطلب القصر الجمهوري ثم كلم بديع شريف بعصبية ظاهرة وحاول بديع شريف أن يدافع عن موقفه وتصرفاته وكنت أسمع صوته في منتهى الوضوح وأخيراً قال (واشيلاه ومنو يمّه) وكان يقصدني طبعاً فغضب رئيس الوزراء وقطع المكالمة.. وبعد قليل حاولت الاتصال ببديع شريف من مكتب رئيس الوزراء لاعاتبه واحذره في الوقت نفسه، لكنه لم يرد على النداء بل رد أحد الموظفين زاعماً ان رئيس الديوان خارج القصر.

توجهت إلى القصر الجمهوري وقبل أن أدخل غرفة الرئيس عبد الرحمن رجوت من المرافق استدعاء رئيس الديوان فطلبه هاتفياً وحضر بعد دقيقتين ولقد فاجأه وجودي الذي لم يكن يتوقعه.. وجهت إليه بضع كلمات ثم دخلت غرفة رئيس الجمهورية وسلمت الاستقالة، توجهت بعد ذلك إلى بيتي فلم ابرحه وانقطعت عن الدوام وفي اليوم التالي ارسل صعب حردان آمر الانضباط العسكري والذي انضم أخيراً (للمجموعة) برقية إلى القصر الجمهوري يستنكر فيها الاعتداء الذي وقع على رئيس الديوان بديع شريف ويطالب بحمايته واتخاذ الاجراءات المناسبة ضد عبد الكريم فرحان.. ثم قبلت استقالتي وصدر المرسوم الجمهوري الرقم ٥٨٦ وهذا نصه

بناء على ما عرضه رئيس الوزراء رسمنا بما هو آت

قبول استقالة عبد الكريم فرحان وزير الزراعة والاصلاح الزراعي
على رئيس الوزراء تنفيذ هذا المرسوم. كتب ببغداد في اليوم العاشر من ربيع الثاني لسنة ١٣٨٨ المصادف السادس من شهر تموز ١٩٦٨

الفريق عبد الرحمن محمد عارف

رئيس الجمهورية

طاهر يحيى

رئيس الوزراء

بعد ذلك قدم رئيس الوزراءطاهر يحيى استقالته التحريرية والتي كتبها الأستاذ صديق شنشل بعد أن اقتنع بعدم جدوى بقائه ولكنها مع الأسف جاءت متأخرة

الفصل الخامس

مخاض طويل وولادة مشبوهة

طال الانتظار وتعسرت الولادة، فاستقدم طبيب أجرى عملية قيصرية تمت بنجاح وعاونته ممرضتان عراقيتان، ومرض الطفل بعد اثنى عشر يوماً وأوشك على الموت فانقذه طبيب أطفال أجنبي أيضاً.

تميز النصف الأول من شهر تموز بنشاط غير اعتيادي شمل معظم الكتل والجماعات وبعض السفارات وتمت لقاءات بين أطراف طامعة متربصة للاتفاق على توزيع الأنصبة والمناصب بعد النجاح وواكب ذلك اشاعات لا تبشر بخير.

كانت بداية العد التنازلي استقالة رئيس الحكومة طاهر يحيى.. لقد توقع عبد الرحمن الداود آمر لواء الحرس الجمهوري وشريكه عبد الرزاق النايف معاون مدير الاستخبارات العسكرية مجيء حكومة جديدة بشروط تضر بخططهما وأهدافهما وقد يكلف طاهر يحيى نفسه فينتقم منهما لما أصابه.

تحرك عبد الرزاق النايف وبدأ يتصل ويتفاوض فيما لازم إبراهيم عبد الرحمن مقره في ثكنة الحرس ليحكم سيطرته ويراقب ما يدور في القصر واستبد القلق بعبد الرزاق لعدم توصله إلى اتفاق يرضيه فأجرى اتصالات هاتفية ببيروت واستشار ملحق عسكري لدولة غربية.. وتوفر المال وانعقدت اجتماعات كثيرة بين اشخاص ذوي مكانة ونفوذ في بيوت معلومة ومكتب احدى الشركات التجارية.

اتصل عبد الرزاق النايف بعبد العزيز العقيلي وأحمد حسن البكر ورجب عبد المجيد وعبد الستار عبد اللطيف و.. كان يفضل الاتفاق مع عبد العزيز العقيلي لولا شروطه القاسية وصلابته وعدم مرونته.. وأخيراً تمّ الاتفاق مع أحمد حسن البكر الذي كان سخياً مع المتآمرين إلى درجة كبيرة.. وافق على جميع الطلبات لأنه سيسترد كل شيء بعد حين.. ودوت بضع طلقات قرب القصر الجمهوري استسلم على اثرها عبد الرحمن عارف بعد أن تبين له ان لواء الحرس الجمهوري هو القائم بالانقلاب، وأنّى له أن يقاوم وبمن يستعين إذا غدر به وخانه حراسه أبناء لواء الرمادي.. كان غافلاً لا يميز العدو من الصديق فقد اتصل به

وزير الداخلية قبيل وقوع الانقلاب بخبره بخطورة الحالة وتحركات مريبة في الشوارع وفي ثكنات الحرس الجمهوري وحول القصر فأشار إليه بالاستعانة بالعميد حماد شهاب آمر اللواء العاشر ثم نقل إلى بيت حردان التكريتي وتقرر نفيه إلى الخارج فاختار الأقامة في تركية.

في صباح ١٧ تموز أذيع البيان الأول وكان يلقيه حردان التكريتي وبعد دقائق زارني الدكتور عبد المنعم السيد علي وبيته يقابل بيتي لا يفصل بيننا سوى الشارع.. سألني عن القائمين بالانقلاب.. قلت له أرجح جماعة أحمد حسن البكر بالتعاون مع لواء الحرس الجمهوري فالذي أذاع البيان الأول حردان التكريتي وفيما نشرب القهوة رنّ جرس الهاتف.. كان المتكلم أحد رجال الأمن سألني عن موقع بيتي ومكانه فذكرته له العنوان ثم خرجت وأخبرت الضيف بالمكالمة فأنصرف.

شرعت بارتداء ملابسي، ووضع حاجتي في حقيبة صغيرة ورزم فراشي.. وفجأة رن جرس الهاتف.. لم يذكر المتكلم اسمه لكنه هنأني بنجاح الانقلاب ولست أشك أن الباعث على التهنئة تقديره لجهودي في وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي التي لمسها عن كثب واعتقاده بقرب انتهاء عهد الفساد والاستغلال أرجح انه المهندس.. الذي قررت وزارة الزراعة ايفاده إلى الولايات المتحدة.. لكنه لم يصمد طويلاً فسار مع التيار وأسند إليه منصب مهم.. لم يفاجئني الانقلاب وكنت أتوقعه وحذرت منه وكنت أعرف نشاط مجموعة البكر من الضباط التي تضم جاسم الفرحان، عمر الهزاع، حماد شهاب، عدنان شريف و... كانت رابطتهم عشائرية صرفة لا علاقة لها بحزب البعث.. وطال انتظاري فاتصلت هاتفياً بالأمن، وأخبرني المسؤول انهم في طريقهم إلى داري.. كنت أتوقع اجراءات كهذه فهي تلازم كل الانقلابات، لكنها لن تطول ويؤلمني اني أحسنت الظن وأخطأت التقدير حين تصورت البعثيين تعلموا من الماضي، ثم وقفت سيارة الأمن عند باب داري فنقلت إليها حقيبتي وفراشي.. واتجهت إلى مديرية الأمن.. كان الطريق شبه خالٍ من المارة.. دخلت غرفة الانتظار فوجدت ثلاثة وزراء سابقين.. نقلنا جميعاً بعد ساعة تقريباً إلى السجن العسكري رقم (١) في معسكر الرشيد.. ودخلنا جناحاً طويلاً يضم غرفاً كثيرة.. شغل كل منا غرفة اختارها..بدأ العدد يتزايد: وزراء سابقون، ضباط، مقاولون، تجار من الشورجة، طيارون مدراء عامون، بعضهم لم أرهم من قبل لا أتذكر أسماءهم الآن.. وبينهم اصدقاء وزملاء، شامل السامرائي، عبد الكريم هانيء، الطيار جاويد عمر دراز، أديب الجادر، صديق شنشل.. ودخلت الجناح وجبة من المعتقلين: طاهر يحيى، عبد الرحمن الحبيب، مالك دوهان الحسن، شاكر محمود شكري، طه محمد أمين.. مضى اليوم الأول.. كانت المعاملة اعتيادية وكان مدير السجن ومعاونه مؤدبان أما ضباط الصف فكانوا في غاية الطيبة.

وحل اليوم الثاني.. وصلت وجبة جديدة: نافع أحمد، محمد الغضنفري، عبد الرزاق محي الدين، رحيم قبلي وعشرات لا أعرفهم.. فتح جناح جديد بعد ان اكتظ الجناح الأول واستمر تدفق المعتقلين: صديق عزيز، عبد الواحد زكي، عبد الواحد السكران الطيار جسام محمد الشاهر، الطيار حسين حياوي وأخيراً خير الدين حسيب الذي ألقى القبض عليه أثناء دخوله دكان الحلاق، بعد اختفاء دام بضعة أيام..ونجح بعض المعتقلين في اقامة علاقة حسنة مع المسؤولين من ضباط وضباط صف وتطوع أحد العرفاء لنقل رسائل عبد الكريم هانيء إلى أهله كما توثقت علاقة خير الدين حسيب بمدير السجن وأحد ضباط الصف وبتنا نعرف كل ما يدور ويحدث في السجن من تحقيق واعتداء وإطلاق سراح المعتقلين.

ثم جاءت لجنة تحقيق فاستدعتني كشاهد لمعرفة أسباب عدم غلق الحكومة لمصنع (الكوكا كولا) قلت لهم بصفتي عضواً في لجنة التموين العليا، ان الحكومة قد أرجأت اغلاق المصنع ريثما تنفذ الكمية المستوردة من المادة وتأمين عمل بديل للعمال الذين سيتعطلون نتيجة اغلاق المعمل.. لقد اتخذت اللجنة هذا القرار خلال ذهابي لزيارة مزرعة الصويرة لكنني أيدت القرار واستحسنته بعد علمي به.

قالوا هل تعلم ان طاهر يحيى قد تقاضى رشوة بلغت خمسين ألف دينار من مدير الشركة مقابل عدم غلق المصنع؟ قلت لهم ان هذه دعاية مغرضة لا أساس لها من الصحة فطاهر يحيى في رأيي رجل دولة عفيف.

قالوا يملك طاهر يحيى أسهماً كثيرة في الشركة وكذلك عبد السلام عارف فماذا تستنتج؟ قلت بوسع أي شخص أن يشتري أسهم أية شركة مساهمة تعرض اسهمها في السوق. ثم وقعت أفادتي وعدت إلى جناحنا.

وفي صباح يوم لا أتذكر تاريخه علمنا بوفاة عبد الواحد زكي مدير شركة الكوكا كولا اثناء تعذيبه الذي استمر حتى الفجر فقد عُلق وضرب بقسوة عقب التحقيق معه وقام بضربه أحد العرفاء وبحضور الدكتور ناجي علوش. قدم مدير السجن تقريراً مفصلاً بالحادث بعد تنبيهه وتحذيره من قبل بعض المعتقلين فسكوته يعرضه للمسؤولية في المستقبل، نقل على اثره مدير السجن ثم أطلق سراح صهر عبد الواحد زكي الضابط المتقاعد السكران وكان مديراً للمعمل فخرج شبه مرعوب وهو يردد بصوت عال (كتلوه.. كتلوه).

جاء مدير السجن الجديد فتغيرت المعاملة فلم يسمح لنا بالتمشي وبدأوا بغلق الأبواب بوقت مبكر وتقرر نقلي وصديق شنشل وعبد الرزاق محي الدين ومالك دوهان الحسن إلى قاعة اخرى وقطع التيار الكهربائي وزعم المسؤول ان التيار انقطع من مصدره الرئيسي وبذلك تعطلت المراوح السقفية وتسربت أنباء للخارج عن سوء المعاملة وفجأة زارنا ناجي طالب بطلب من السلطة للتأكد من حسن المعاملة.

وفي صباح أحد الأيام تقرر نقلي إلى مكان آخر داخل المعتقل.. كانت قاعة مظلمة

تضم غرفاً صغيرة تشبه الزنازين يوضع فيها عادة المحكومون بالاعدام من ضباط وضباط صف وبعد قليل انضم إليّ الضابط المتقاعد صديق عزيز.. عجبت لهذا الاستثناء الظالم وتبين لي ان هذا يرجع إلى شدة حقد بعض المسؤولين وفي المساء جاء أحد المسؤولين، وفتح الباب الحديدية الرئيسية وعدنا إلى غرفنا السابقة.. ثم جاءت لجنة التحقيق السابقة واستدعتني هذه المرة كمتهم باعتباري أحد لجنةأعضاء التموين العليا التي أحجمت عن غلق معمل (الكوكا كولا) لم تختلف الأسئلة كثيراً عن الأسئلة السابقة أما أجاباتي فلم تتغير كثيراً.

وزعت علينا نماذج طلب منا املائها حول ثرواتنا وثروات زوجاتنا كانت حقول النموذج كثيرة تشمل العقار والحلي والأسهم والرصيد والديون على الآخرين، مقدارها ومصدرها.. فجأة سمعنا باقصاء عبد الرزاق النايف وابعاده إلى المغرب، وكان هذا متوقعاً وبدء بإطلاق سراح كثير من المعتقلين ولم يبق سوى طاهر يحيى وستة وزراء، والحاكم العسكري نافع أحمد وصديق شنشل وخير الدين حسيب وأديب الجادر ونقلت مجموعتنا إلى الجناح الكبير لخلو كثير من الغرف.. ودخل الجناح فجأة الدكتور طه الحاج ياسين الذي عين وزيراً في حكومة النايف فعجبنا لاعتقاله.. كان متألماً ونادماً وبرر قبوله المساهمة للمساعدة في اطلاق سراحنا ثم قال والدموع تترقرق من مآقيه لقد ورطني مصلح النقشبندي سامحه الله.. طالبنا بزيارة أهلنا والسماح لنا بقراءة الصحف فاتصل مدير السجن بالمسؤولين فلم يوافقوا.. كان المستثنى الوحيد الأستاذ صديق شنشل فقد كانت تأتيه الكتب تباعاً وبعضها كان يطلبها من أهله استجابة لرجائي وقد قرأت عدداً منها.

في مساء يوم أظنه كان الجمعة فتح باب الجناح ولما يمضي سوى نصف ساعة على اغلاقه ثم دخل معاون مدير السجن ونادى طاهر يحيى، خير الدين حسيب.. ثم قال استعدوا للذهاب للتحقيق خارج السجن وسآتي بعد ساعة.. كان الطلب غريباً آثار شكوكنا وتحمس شامل السامرائي وغلبته عواطفه فقال لن أوافق على خروجكما وأيدّه عبد الكريم هانيء وبدأ الاثنان بوضع أسرة حديدية وراء الباب ليتعذر فتحها.. ثم هدأت النفوس وتغلب العقل فأزاحا الأسرة الحديدية وجاء الضابط بعد قليل وخرج الاثنان يرتديان (بجاميتهما) وانقضى الليل وطلعت الشمس وتقدم النهار فلم يعودا ثم جاء مدير السجن وطلب اعداد حقائب وفراش طاهر يحيى وخير الدين حسيب لينقلها إليهما.

أطلق سراح الدكتور طه الحاج ياسين. وعند المساء جاء مدير السجن وطلب من شامل السامرائي وعبد الكريم هانيء أن يستعدا للذهاب إلى التحقيق وعاد بعد ساعة وخرجا ولم يعودا وفي اليوم التالي جاء المسؤول وأخذ أمتعتهما وفراشهما. وعند المساء جاء مدير السجن وطلب مني ومن أديب الجادر الاستعداد للذهاب إلى التحقيق وملأ صديق شنشل

(ترمساً) بالماء البارد، وسلمني إياه وألحّ علي أخذه فوافقت وبعد قليل جاء معاون مدير السجن فخرجنا نتبعه وعند الباب كانت سيارة مرسيدس سوداء في انتظارنا ركبنا في الخلف وجلس بيننا أحد رجال الأمن ومضت السيارة من باب المعسكر الشمالية وسلكت طريقاً ترابياً واجتازت مناطق لم أتبينها لشدة الظلام ثم توقفت على مقربة من بناية رجحت انها مخفر قديم وشاهدت بوضوح حارساً عند مدخلها.. نزل رجل الأمن وتقدم إلى الحارس وتحدث إليه بصوت خافت لم نسمعه ترك على أثره مكانه ثم نزلنا من السيارة ودخلنا البناية يتقدمنا رجل الأمن وتوقف عند أحد الأبواب واشار إليّ قائلاً هنا تنام وفتح الباب فدخلت واغلقها وادخل أديب غرفة اخرى صغيرة.. كانت الغرفة خالية مظلمة تحسست بيدي الجدران فتبين انها مكسوة بالورق (كشطت الورق) بأظافري وبسطته على أرضية الغرفة المبلطة بالاسمنت لأنام عليه. ثم ناديت الحارس وقد انتصف الليل أو كاد. طلبت منه ان أخرج إلى المراحيض ففتح الباب الحديدية ومشى أمامي فتبعته، رأيت رأس عبد الكريم هانيء ظاهراً من فتحة في أعلى الباب غطيت بجنفاص.. وقبل أن أدخل المرافق الصحية سمعت (كحّة) من غرفة تقع يسار الداخل، أكدّت لي وجود طاهر يحيى.. ثم خرجت وعند المدخل أشار علي الحارس بشرب الماء إذ قال ان الغرف لا تفتح في الليل إلاّ مرة واحدة. عدت إلى غرفتي وأدركت اننا في معتقل رجحت انه معتقل الفضيلية.. لم أراه من قبل ولكنيّ سمعت به وقد أغلق منذ عهد بعيد.

في معتقل الفضيلية

دخلت غرفتي وأغلق الحارس الباب لم أنم على الرغم من تمددي فوق الورق الذي صنعت منه فراشاً وتذكرت حديثي الأخير مع أديب الجادر في السجن رقم (١) واعتراضي عليه عندما قال (اليوم خير من باجر) وإيماني بقوله الآن.. ثم استعرضت ما آل إليه حالنا وسوء المعاملة التي تنم عن طيش وحقد.. وغلبني الكرى فنمت واستيقظت في الصباح على صوت فتح باب الغرفة المجاورة.. ثم فتحت غرفتي وناولني الحارس الفطور وجاء الظهر وفتحت الباب وناولني الحارس طعام الغداء وحل العصر ولمّا يصل فراشي وحقيبتي وجن الليل ونمت على الأرض أيضاً.. في الصباح فتح الحارس الباب.. ناولني طعام الفطور ثم أغلقها وبعد ساعتين أو ثلاث. فتحت جميع أبواب الغرف بناء على أمر معاون شرطة جاء يتفقد شؤون المعتقل عرفت فيما بعد ان اسمه فاروق، تكلم فأصغينا.. ثم قلت له ان فراشي لم يصل بعد ونمت ليلتين متواليتين على الأرض.. وقبيل المساء، فُتحت الباب والقى الحارس حقيبتي وفراشي على الأرض. ومضى اليوم التالي كسابقه، وانضم إلينا شاكر محمود شكري، ومالك دوهان الحسن ونافع أحمد، وبدأت الأمور تسير في سياق رتيب بعد تعيين مدير

شرطة لادارة المعتقل وسمح لأهلنا بزيارتنا مرة في كل شهر ثم قلصت الفترة فأصبحت اسبوعين.. والحق أربعة من رجال الأمن أحدهم نائب عريف لمعاونة ادارية في السيطرة والتفتيش قررنا صيام شهر رمضان.. اتصلنا بآمر المعتقل راجين منه الغاء تعهد تأمين الطعام وصرف المخصصات لنا مباشرة فوافق وبدأنا نعد طعام الافطار بأنفسنا.. وقبيل انتهاء الشهر نقل أديب الجادر إلى مديرية الأمن العامة بطلب من وزير الداخلية صالح مهدي عماش بناء على توسط الصحفي البريطاني (مايكل آدمز) ثم أطلق سراحه بعد أن مكث أربعين يوماً.

ذهبت إلى محكمة الثورة التي يرأسها (وتوت) للادلاء بشهادتي بناء على طلب المهندس علي عبيدة أحد موظفي وزارة الاعلام كما استدعتني لجنة التحقيق في وزارة الداخلية والتي تضم أحد الحكام والمشاور العدلي عبد الوهاب القره غولي وثالث من موظفي وزارة الداخلية.. كان الهدف الرئيسي من استدعائي ايجاد مبرر لاعتقالي هذه الفترة الطويلة واضفاء الشرعية في الوقت نفسه على قرار اتخذه رئيس الوزراء عبد الرزاق النايف في الساعات الأولى من صباح ١٧ تموز بدافع الحقد والكراهية. سألتني اللجنة بضعة أسئلة، لم تكن بصيغة الاتهام وانما أقرب إلى الاستفسار ومعرفة رأي أتذكر منها: كنت تستشير الدكتور خير الدين حسيب وكان يتدخل في أمور وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي.. قلت ان خيري صديقي يستشيرني واستشيره والاستشارة ليست بنقص أو عيب وتقول الآية الكريمة وفوق كل ذي علم عليم وهي تدلّ على حرص المسؤول واخلاصه، أما التدخل في شؤون الوزارة فلم أسمح مطلقاً لأي إنسان مهما كان مركزه ومواقفي معلومة مع رئيس الوزراء والقصر الجمهوري و...

قالوا انك حققت منافع لمزرعتك أثناء توليك الوزارة كما يشاع.. قلت انني أملك مزرعة ورثتها عن والدي مع ورثة أخرين ثم اشتريت حصة أخي مضطراً كي لا يشتريها غريب بعد ان عرضها للبيع. اني من المؤمنين بقانون الاصلاح الزراعي واكبت على نفسي على أن لا أراجع أية دائرة مهما كلف الأمر وعهدت إلى ابن أخي وشريكي في نفس الوقت بشؤون المزرعة ومراجعة الدوائر ذات العلاقة إذا اقتضى الأمر.. انها اشاعة املاها الحقد والحسد..

قالوا هل تعلم ان الدكتور ضياء الدين أحمد قد سافر إلى مزرعة قصب السكر في العمارة وتجول فيها؟.. قلت لا أعلم ولو فرضنا صحة الواقعة فما الضرر الذي سينجم عن الزيارة ولماذا أسأل عنها؟ ثم قلت ان الدكتور كان وكيل وزارة الزراعة عندما انشئت مزرعة قصب السكر ثم احيل على التقاعد بناء على طلبه ثم عمل في منظمة التغذية والزراعة الدولية (فاو) ولا زال يعمل فيها، دأب على زيارة العراق في كل عام ولعلّ رغبته لمعرفة شؤون المزرعة والمستوى الذي بلغته دفعه إلى زيارة المزرعة. وكان آخر الاسئلة على ما أتذكر هو: إن دمج الوزارتين قد أدى إلى البطالة وتأخر بعض الأعمال.. قلت لا أتفق معكم ان

دمج الوزارتين قد أدىّ إلى سرعة الانجاز واختصر الوقت وقلصّ الروتين وذكرت لهم مثلاً واحداً يؤيد وجهة نظري فقلت: قررت وزارة الزراعة اجراء تجربة على استصلاح الأرض وتخليصها من الأملاح في منطقة أبي غريب بغسل التربة وغمرها بالماء فترة معينة.. طلب المختص تعيين حصة مائية فكتبت وزارة الزراعة إلى وزارة الاصلاح الزراعي، وكتبت وزارة الاصلاح الزراعي إلى مديرية الري العامة المرتبطة بها لتخصيص الحصة المائية ومرت سنة ولم تتم التجربة وحينما اسندت إلى وزارة الزراعة وكالة وقبيل الدمج حلت هذه القضية بمكالمة هاتفية. ثم سألتهم من قال ان الدمج أدى إلى التأخير؟ قالوا صلاح الطبقجلي مدير مشروع المسيب الكبير.. عجبت لقوله. ثم قلت ان نشاط المشروع وفعاليته قد ازدادا بعد الدمج إذ رفعت القيود المائية وبدء بتنفيذ المشاريع الموقوفة وتبليط الطريق الترابي الذي يربط المشروع بالمدينة.

مضت أمور المعتقل تسير على وتيرة واحدة واتفقنا أن يأتينا الطعام من بيوتنا وأعد الجدول لتعرف كل عائلة دورها، وتنافس أهلونا في تنويع الطعام وكميته وبالغوا في مقدار الفاكهة وكنا نشرك معنا رجال الأمن لوفرته.. وفجأة جاء وافدون كانوا قد انشقوا عن حزب البعث وأطلق عليهم (البعث اليسار) كان من ضمنهم الطيار حارث الوفي والنقيب المهداوي والمهندس طلال عزيز عودة والمعلم محمد الداهري فخصصت لهم أكبر غرف جناحنا.

وحان موعد الزيارة فجاءت زوجتي وبناتي ومعهن صديقي ووكيلي المحامي جعفر صادق، الذي أعلمني بقرار صدر حديثاً على احالة جميع أعضاء لجنة التموين العليا للمحاكمة ثم بدأ يقرأ الدفاع الذي اعده وكان على مقربة مني طاهر يحيى فسمع فقرة أوردها المحامي في دفاعه اعتقد انها في مصلحتي إذ ذكر ما معناه ان موكله السيد عبد الكريم فرحان قد استقال من الحكومة السابقة وهذا يؤكد عدم تجاوبه معها.. وما ان خرج المحامي حتى جاءني الدكتور شامل السامرائي يرجو مني حذف الفقرة آنفة الذكر.. قلت له لن أحذف الفقرة فحسب بل سأدافع عن الحكومة السابقة وستسمع دفاعي الشفهي وليطمئن طاهر يحيى وذكرته ان رئيس اللجنة الجديدة صالح عماش قد أيد قرارنا السابق فلا داعي للقلق...

زار المعتقل الدكتور العمري وهو طبيب مختص في الأمراض الداخلية بناء على طلب آمرية المعتقل ففحص طاهر يحيى وسألني عن صحتي ولقى الدكتور، خير الدين حسيب رعايةخاصة من آمر المعتقل بعد أن عرف صلته بمديرالأمن العام عبد الخالق القزاز صهر آل توحله وبدأت المجلات والكتب تترى عليه وكنت استعير بعضها وفي ذات صباح جاء آمر المعتقل ليخبرنا بارتداء ملابسنا للذهاب إلى المحكمة.. كانت المحكمة في معسكر الرشيد وبعد قليل توجهنا بسيارة واحدة.. دخلنا قاعة المحكمة ووقفنا في قفص الاتهام بعد ان انضم إلينا الدكتور عبد الكريم كنونه وزير الاقتصاد وسكرتير لجنة التموين العليا في حكومة

طاهر يحيى. كان رئيس المحكمة برتبة عقيد أما المدعي العام فكان السيد القشطيني وحضر ممثل عن شركة الكوكا كولا السيد سنان عبد الجبار الراوي وقبيل بدء المرافقة تبين ان اثارة القضية مجدداً يعود إلى كتاب جديد وصل إلى الجامعة العربية يسأل الحكومة عن مصير التوصية التي سبق ان اصدرتها الجامعة بمقاطعة الكوكا كولا رأى فيه رئيس الوزراء ونائبه فرصة للتشهير والاساءة ولعله تخيل احتمال فرض عقوبة علينا وكان يجلس عند مدخل القاعة بضعة أشخاص تحلقوا حول منضدة عليها أوراق أرجح انهم من الأمن والاستخبارات.

أجبنا على كل الأسئلة ودافع عن عبد الكريم كنونه المحامي محسن الدوري ثم ارتجلت دفاعي فأثنيت على الحكومة السابقة وبينت صواب قرارها الذي توخى مصلحة العمال وعدم هدر مادة أصبحت ملك للشركة العراقية لا الشركة الأمريكية المصدرة والتي استوفت ثمنها ثم قلت اني لم أحضرالجلسة لكنّي أيدت القرار علماً ان نائب رئيس الوزراء صالح مهدي عماش أيدّ القرار أيضاً..

كان ممثل الشركة خائفاً يتجنب متعمداً ذكر العمال ومصيرهم.. حاصرته بأسئلتي واضطر إلى الاعتراف بصواب القرار الذي توخى مصلحة العمال، وأخيراً قال المدعي العام قرار اللجنة صائب واللجنة جديرة بالتقدير.. ثم أعلن رئيس المحكمة تأجيل الجلسة وعند الخروج اقترب مني المحامي محسن الدوري وهنأني على دفاعي.. عدنا إلى المعتقل وارتفعت معنويات طاهر يحيى وزال قلقه ولم تمض سوى أيام معدودات حتى جاءنا عصراً قبل مغيب الشمس آمر المعتقل ومعه اثنان من الأمن طلب من طاهر يحيى ومني ارتداء الملابس وحزم الفراش ووضع حاجتنا في الحقيبة إذ تقرر ذهابنا إلى الأمن.. رزمت فراشي ووضعت قسم من حاجاتي في الحقيبة وكان من ضمنها مصحف كريم ضخم ترجمت سوره وآياته إلى اللغة الانكليزية وأبقيت بعض الكتب والحاجات لتسليمها إلى أهلي عند مجيئهم غداً الذي هو موعد الزيارة المقررة.

وخرجنا يتقدمنا اثنان من الأمن عرفت فيما بعد ان احدهما سالم الشكرة.. كانت السيارة قريبة من المدخل.. ركبنا في الخلف واخرج سالم الشكرة جامعة يد ذات حلقتين وضع يد طاهر اليسرى في الحلقة ثم ضغط عليها فانغلقت ووضع يدي اليمنى في الحلقة الثانية وسارت السيارة وانضمت الينا سيارة سوداء كانت تنتظرنا وفجأة التفت سالم الشكرة وقال لي لماذا لم تغلقها؟. سأضعها في خشمك ثم ضغط عليها فأنغلقت كانت السيارتان تتبادلان مواقعهما فتارة تتقدم سيارتنا وطوراً تتأخر وأحياناً تتوقف السيارتان.. كان كل شيء يثيرالريبة وأخيراً عبرنا الجسر إلى جانب الكرخ وسلكنا الطريق المؤدي إلى المنصور ثم استدارت سيارتنا إلى قصر النهاية..

في قصر النهاية

أطول ليلة

دخلنا غرفة ناظم كزار وكان واقفاً أمامه السيد عبد الرحمن البزاز.. كان ناظم يسأل ثم يجيبه البزاز فيما يقف حارس يصفع البزاز بعد كل اجابة ويشتمه..

تقدم سالم الشكره ففك قيد طاهر يحيى ومد يده إلى جيبه ثم قال لم أجد المفتاح.. لا يهم لتقطع يده.. وفجأة صفعني أحد الزبانية بقوة فحطم نظارتي.. مازال ناظم يسأل والبزاز يجيب قال له.. أنت تتآمر علينا وايران تهددنا فأجاب البزاز قائلاً أطلقوني لاتفاوض لكم مع ايران أو دعوني في بيتي وبين كتبي... خرج البزاز وفك قيدي.. ثم قال الجلواز فرج الأسود تعال اقترب.. قف بالاستعداد أمام المقدم.. اقتربت.. لم يسألني ناظم بل سألني فرج قال أنت وزير زراعة ماذا قدمت.. انّ أمي شكت من ارتفاع أسعار الحبوب عند زيارتها لي في السجن أجبته ان الفترة قصيرة والزراعة تختلف عن الصناعة ومع هذا انجزت بعض الامور التي تستحق التقدير وفيما أرد على سؤاله أصبح ورائي كما قفز وضغط على ساقي قرب الركبة ليسقطني.. تماسكت وبعد قليل جاء الحلاق وقصّ شعرنا.. ثم خرجنا يتقدمنا أحد الزبانية صعد السلم فتبعناه ودخلنا في غرفة واسعة غاصة بالمعتقلين كان من ضمنهم عبد الرحمن البزاز وفاضل محمد علي.

وزع علينا العشاء.. حاولت الأكل.. مضغت اللقمة طويلاً لكنني لم أستطع بلعها.. كنت حريصاً على الأكل لا بسبب الجوع ولكن لاتماسك وأصمد... تمددت استعرض المسرحية التي شهدتها قبل قليل في مكتب ناظم كزاز.. كان الهدف منها إذلالنا وتحطيم معنوياتنا.. نذالة في الاخراج وخسة في الحوار وقديماً قيل إذا لم تستح فاصنع ما شئت.. كان يرقد بجانبي شاب تبين من حديثه انه يساري وفجأة صعد جلواز طويل أسمر عرفت فيما بعد ان اسمه فوزان من الموصل.. وقف عند باب الغرفة وقال اتبعني.. اخرجت ساعتي من جيبي وسلمتها إلى جاري وكانت ساعة رولكس اهداها لي شيخ الكويت عند زيارته العراق.. دخلت غرفة.. علق في سقفها بكرة يتدلى منها سلك في احدى نهايته كلاب ربط الجلواز يديّ بحبل من القنب وهو يردد (عدمت الطعين) كان يقصد اعدام ممتاز قصيرة في الموصل لم أرد عليه ثم وصل الكلاب بالحبل الملتفّ حول معصمي وسحب السلك من طرفه الآخر فارتفعت عن الأرض وانهال ضرباً في غاية الشدة على رأسي.. ثم فقدت الوعي.. وفجأة سمعت صوتاً يقول انهض.. كنت ملقى على الأرض.. لم استطع الوقوف.. تكرر طلب النهوض واستطعت الوقوف بصعوبة.. رأيت شخصاً طويلاً واقفاً لم أتبين ملامحه بالضبط أرجح انه صدام حسين ومضيت اتمايل

وتسلقت الدرج بصعوبة واستعنت بـ(المحجر) إذ كنت في غاية التعب والألم والاعياء.. تمددت لكنّي لم أستطع النوم.. لا أدري كم مضى من الوقت سمعت وقع أقدام على الدرج.. ثم وقف بباب الغرفة جلواز صاح: طاهر يحيى، عبد الكريم فرحان.. قال بعد ذلك اتبعاني.. صعدنا إلى سطح القصر.. دخلنا غرفة صغيرة مكتظة بالمعتقلين.. جلست بجوار شخص عرفني بنفسه وتبين انه محامي..لم نمكث طويلاً إذ جاء الحارس نفسه وطلب منا اللحاق به وما ان تقدم طاهر يحيى حتى أنهالت الضربات على رأسه وأصابني بعضها وتعمدوا سد الطريق ولم نخرج الاّ بصعوبة، تركنا البناية وقطعنا ساحة القصر يتقدمنا الحارس ووقف عند باب كراج.. دخلنا الكراج.. كان الكراج في الأصل يتسع لسيارتين ثم استخدم لايواء المعتقلين بعد ان زاد عددهم ريثما ينتهي بناء زنزانات جديدة.. كان غاصاً بالمعتقلين الذي بلغ عددهم حوالي الثمانين جميعهم من الشيوعيين.. جلست بجوار شاب مسيحي تبين لي انه عامل في مطبعة جريدة الجمهورية..اسندت ظهري إلى الحائط فيما وجد طاهر يحيى وكانا قرب باب الكراج ثم ظهرفجأةاللواء الركن عبد العزيز العقيلي يدفعه أحد الحراس بعد أن ألبسوه طرطوراً ورقياً كتب عليه بحروف انكليزية كبيرة (A.I.C) وقال الحارس لأحد المعتقلين إقرأ وقل ماذا تعني الحروف وسأل ثانٍ وثالث ثم خرج جلس عبد العزيز قريباً من موقع الأحذية إذ تعمد الشيوعيون مضايقته.. انقضى معظم الليل ونام الجميع.. كان رأس عبد العزيز قريباً من قدمي بينما رأسي ملاصق للجدار.. كان المكان في غاية الضيق وليس بوسع النائم أن يرقد على ظهره إذ لابدّ له ان يرقد على جنبه ليتسع المكان.. نهضت وغيرت الوضع فجعلت رأسي ملاصق لرأس عزيز وبدأنا نتحدث بصوت خافت علمت انه عانى الكثير فقد اعتقل في السرداب وتعرض لأقسى أنواع التعذيب... كانت تهمته الجاسوسية وقد شهد عليه الحسامي وهو فلسطيني يسكن في العراق منذ فترة طويلة، فقد اعترف الحسامي بقيامه بالتجسس وأكدّ انه كان يتعاون مع عبد العزيز العقيلي وكانا يلتقيان على الدوام في مكتب الكبيسي لبيع المواد الانشائية في شارع الداوودي.. اقسم عبد العزيز ولست أشك في وطنيته واخلاصه واستقامته انه لم يسبق له أن رأى هذا الشخص لكن المحقق أصرّ على وجوب اعتراف عبد العزيز، وصمد وقاوم وكفوا أخيراً عن تعذيبه بعد أن اصيبت احدى رجليه بعاهة ثم انتقد موقف طاهر يحيى فقال لقد أخطأ كثيراً باتباع مشورة خير الدين حسيب وهو يحصد الآن ما زرعه.. قلت له ليس هذا وقت انتقاد ولوم فكلنا قد ساهمنا في الخطأ ولا يجدي اللوم ثم قلت له لقد قررت الانتحار إذ لم يعد بوسعي تحمل الأذى والاهانة وقلت له تطلع إلى تلك الزجاجة المكسورة في الشباك فبعد قليل سأدخل رأسي فيها وأحرك رقبتي بقوة ليقطع الزجاج أوردتي فينزف دمي. قال أنت مسلم تقي وحرام الانتحار.. لابدّ من الصبر والانتظار.. ثم غلبنا النعاس فنمنا ولم استيقظ إلا بعد أن فتح

الحارس الباب ونادى هياً إلى المرافق وكانت المراحيض قريبة.

قصص واحاديث

وزعت علينا الشوربة ثم جمعت الصحون ونقلت إلى الغرفة المجاورة لغسلها بمسحوق الصابون فالواجبات قد قسمت وكل إنسان يعرف دوره ووقته والشيوعيون ذوو خبرة في إدارة شؤونهم داخل السجون والمعتقلات.

تطلعت إلى وجوه المعتقلين فلم أعرف أحداً منهم، اعمارهم مختلفة ومهنهم متباينة، شباب وكهول وشيوخ، رجال دين ودكاترة وعمال ومهندسون، طلاب كليات في السنة الأخيرة.. سألني جاري عامل المطبعة، قال ألم تسمع اذاعات العراق السرية قلت كلا.. قال لماذا قبلت ان تعمل وتتعاون مع طاهر يحيى قلت له المصلحة الوطنية قضت ذلك. وفجأة علا صوت شاب أرمني يمزح مع طاهر يحيى ويسخر منه.. وصبر طاهر وابتسم مكرهاً وتمادى هذا الشاب النزق ولم ينقطع عن مزاحه ونكاته حتى انتقلنا إلى الزنزانات... وحلّ موعد الغداء ووزعت القصع وتحلق حول كل قصعة أربعة وأكل معي ياسين دهله والألوسي ومحمود شلال.. كان الأول رأس عرفاء في الجيش أما الألوسي فنائب ضابط مخابرة وكان محمود شلال قصاباً في الكرادة الشرقية.. وانتهى الطعام وجمعت القصع ونقلت إلى الغرفة المجاورة ودخل بعد قليل الحارس أبو جبار، وتوقف بجوار شاب فني كان قد وعده بصنع طائرة نفاثة من لب الصمون.. فأراه جسمها.. وبدأ الألوسي يحدثني عن فظاعة التعذيب الذي تعرض له الشيوعيون في هذا المعتقل وقتلهم لابن عمه الشاب الذي رفض الاعتراف وواصل حديثه فقال، لقد انهار عزيز الحاج اثر مقتل أحد أعضاء القيادة أمام عينيه فاعترف، بكل شيء فتحسنت المعاملة واسكن،عزيز الحاج في غرفة صغيرة في القصر تحت السلم.. وقصّ على كيفية القاء القبض على بيتر يوسف في كركوك.

ودنا مني شاب فقال انا ابن العميد كاظم حسن قلت له أعرف والدك وقد عملنا سوية في منطقة رواندوز وسألته عن عمله فقال أنا تلميذ في كلية طب الأسنان.. ثم اقترب مني رجل يناهز الأربعين عاماً وقال سيد هل اشتركت في (التطبير) لقد أدركت ما يعني ثم ذهبت إلى النافذة ونظرت في زجاجتها كان رأسي وارماً تعلوه الكدمات والسموج ووجهي أيضاً من شدة الضرب الذي تعرضت له.. وحلّ المساء وتناولنا طعام العشاء وخرجنا إلى المرافق ثم اغلقت الباب وسرعان ما نمت ونهضت في منتصف الليل واتجهت إلى (التنكة) الموضوعة قرب الباب لابول فيها ففقدت توازني فجأة وسقطت على أحد النائمين، اعتذرت منه وأدركت ان شيئاً ما أصاب رأسي أثناء ضربي.. وبدأ الصباح وحل يوم جديد وفي العصر دخل الحاكم العسكري السابق نافع أحمد مع حارس يجره من رباط عنقه..

طُلب منه ان يرقص.. كان رأسه متورماً تعلوه الكدمات،طلب الحارس من المعتقلين ضربه فضربوه وامتنعت فشتمني الحارس..

وبعد يومين انضم إلينا شامل السامرائي وعبد الكريم هانيء وشاكر محمود شكري.

جماعة شغل المعتقل

عهد إلى مجموعتنا التي أصبحت تضم طاهر يحيى وشامل السامرائي وعبد الكريم فرحان وشاكر محمود شكري، وعبد العزيز العقيلي ونافع أحمد أمر تنظيف المعتقل ساحاته ومكاتبه ومرافقه الصحية ويشمل ذلك الكنس والمسح والرش والويل لم يعترض أو يتهاون.. كنا نخرج بعد تناول الشوربة فيأتي أحد الحراس وكان يطلب من طاهر يحيى أن يلبس حزمة مطاطية ويضع على رأسه خوذة فولاذية كرئيس للعمال وفي أحياناًنادرة يصبح رئيس العمال نافع أحمد.. لقد أطلق على المجموعة اسم (جماعة الشغل) وعندما انتهت البناية الجديدة قامت (جماعة الشغل) بكنس الزنازين والقاعات وجمع بقايا مواد البناء ونقلها في عربات يدوية وكانت مجموعة الشغل تخرج عصراً في بعض الأحيان لكنس ورش الساحة حيث يتجمع المعتقلون لسماع قصائد شعبية في هجاء نافع أحمد والعقيلي وطاهر يحيى وفي أحدى المرات طلب أحد المسؤولين من بعض المعتقلين ذكر نكتة عربية.. وسمعنا نكات، وروى الشيوعيون قصصاً مختلقة عن محاكمات المجلس العرفي الذي رأسه نافع أحمد قبل تعيينه حاكماً عسكريا، ومرة حرضوا طاهر يحيى على عبد الرحمن البزاز وبدأ التنابز والمهاترات فقال طاهر مخاطباً البزاز (أنت زيدت السفن اب فلساً) وقال البزاز (أنت قلت إذا أصبح البزاز رئيساً للوزراء، فسأقول ياناس تعالوا...) ضحك الحراس وقهقه الشيوعيون.. ونظرت إلى عبد الكريم هانيء ونظر إليّ وأسفت وتألمت.. كانت (جماعة الشغل) في بعض الأحيان تدخل القصر لتنظيف غرفه، لقد رأيت في القصر أشخاصاً فاجأني وجودهم، رأيت عبد العزيز البدري ممدداً على سرير في المدخل ظاهر الاعياء والتعب وبجانبه الدكتور عبد الكريم هانيء يحاوره ووقف بجانبي فؤاد الركابي عندما كنت أغسل الصحون مع عبد العزيز العقيلي.. ابتسم وقال لا تصدق ما يردده أعدائي سأخرج قريباً رغم أنفهم.. ورأيت عبد الكريم كنونه وزير الاقتصاد السابق وسمعت انه حاول الانتحار كما رأيت مدير الأمن العام السابق جليل أحمد ملقى على الأرض يضربه الحارس بشدة لامتناعه عن تنفيذ أمر أصدره.

شاهدت عزيز الحاج بعد أن ترك غرفته وكلف أحد أفراد (جماعة الشغل) بتنظيفها كما رأيت عبد الوهاب الأمين، كانت لحى الجميع طويلة باستثناء عزيز الحاج الذي نال رعاية خاصة بعد اعترافه فقد كانت أدوات الحلاقة والشفرات وحتى المرايا تصادر وأظن ان ذلك

يرجع إلى الخوف من انتحار المعتقل. كما علمت بوجود اسماعيل خير الله وزير الخارجية في القصر وعرفت مكانه لكن لم اره فقد طلب إلى مجموعتنا ان يحمل كل منا ملابسه ويخرج من زنزانته. اخرجنا ملابسنا من حقائبنا وحملناها في أيدينا ثم توجهنا إلى القصر يتقدمنا حارس ومن الباب تلقانا الحراس بالصياح فهذا يقول جاء الذين حكم عليهم بالاعدام وأخر يقول ادخل طاهر يحيى، وعلق ملابسك في تلك الغرفة لنسلمها إلى أهلك، وثالث يقول انتظر ياشامل، وآخر ينادي ياعبد الكريم فرحان تعال.. علق ملابسك كانت الغرفة التي عقلنا بها ملابسنا ملاصقة لغرفة اتضح أنّ فيها اسماعيل خير الله. كانت مسرحية حقيرة لتخويف اسماعيل خير الله والحصول منه على اعتراف يرضيهم.. كان الحراس أشراراً في غاية السوء وبعضهم قتلة ومجرمين تعرف عليهم ناظم كزار خلال سجنه أو اعتقاله بينهم السارق ومهرب الحشيشة وقاتل أخته.. خصص لهم رواتب عالية ومنحهم رتبة ملازم ينتقلون بسيارات حكومية أو مصادرة من أشخاص اتهموا بالتجسس والتآمر فلا عجب إذا تفانوا في خدمته ونفذوا أوامره..لقد سلمنّي أحدهم حقيبتي فلم أجد فيها المصحف الكريم ولا ماكنة الحلاقة الكهربائية ولا البجامة الجديدة..كانت شتائمهم في غاية البذاءة والفحش والسوء وكان أشرسهم سعد ابن وحيدة خليل المطربة الريفية ولقد طغا وبالغ في اهانة الأخيار بعد أن لقبه الشيوعيون بسعد الحديدي... كان قميئاً قصير القامة يتعمد اظهار مسدسه ليراه المعتقلون ولقد قيل انه كان يبيع (الحب) والمرطبات في سينما الاعظمية اثناء فترة الاستراحة، وكان سالم الشكره لا يقل سوءاً عن سعد وقد يتفوق في صياغة الشتائم والبصق في أوجه المعتقلين.

اطلاق سراح الشيوعيين

شرعت أدارة المعتقل باطلاق سراح الشيوعيين عقب أعتراف عزيز الحاج وكشف كل تنظيماتهم وخلاياهم ففي كل مساء يدعى عدد منهم الى أحدى المكاتب فيسلموا ورقة مكتوبة تضم ثلاثة عشر سؤالاً يرد عليها تحريريا،ثم يبلغ بعد يومين باطلاق سراحه ونودي على عدد من المعتقلين في غرفتنا كان من ضمنهم طالب كلية طب الأسنان وعاد الطالب في ساعة متأخرة وفي الصباح رجوت منه أخبار إبنتي مليحة في كلية الطب بما نلقى من عذاب وأذى وهوان ظنا مني أن كبار المسؤولين في الحكومة يجهلون تعذيبنا ولابّد انهم سيمنعون آمرية المعتقل اذا بلغهم نبأه،وبعد يومين وفي المساء طلبني ناظم كزار.. دخلت غرفته فسألني بغضب من الذي كلفته باخبار أهلك عن تعذيبك..اجبته لاأعرف أحداً ولم أكلف انساناً ..لكني أسكن في غرفة تضم معلمين وعمال وطلاب وثلاث من بناتي يدرسن في كليات مختلفةوربما سمعت أحداهن بالنبأ صدفة..قال لا..هناك طالب قام

بالمهمة كان ينام بجوارك.ثم بدأ يشتم ويهدد ويتوعد..قال سأدخلكم في البلاليع وأعذبكم حتى الموت،ثم ألتفت الى الحارس وقال ابحثوا في السجلات لتعرفوا اسم الطالب ثم استدعوه وقال بعصبيته أخرج.. دخلت الى الغرفة وتأكد لي بعد هذه الواقعة علم كبار المسؤولين بالتعذيب الذي يجري والمعاملة السيئة التي يلقاها المعتقلون وربما يشجعون عليها.

الأنتقال الى البناية الجديدة

كانت البناية الجديدة تضم جناحين:جناح يضم عدة قاعات كبيرة شغلها الشيوعيون وجناح يضم عشرات الزنازين وهو عبارة عن ممر طويل تقع على جانبيه زنازين مساحة كل زنزانة ٢ × ٥ر١ متر لاتتسع لأكثر من أثنين في أحدى نهايتيه مرافق صحية تضم عددا من المراحيض وحماماً واحداً.

حملنا فراشنا ومتاعنا يتقدمنا أحد المسؤولين..بدأ في توزيعنا،ضمتني زنزانة مع عبد العزيز العقيلي فيما شغل الزنزانة المجاورة طاهر يحيى وشامل السامرائي ..بدأنا نتحدث ثم قال عبد العزيز العقيلي لقد كنت في غرفة واحدة مع عارف عبد الرزاق وعرض علينا أمر اطلاق سراحنا وتسفيرنا الى خارج العراق ولكن عارف رفض العرض ثم قال،ليته وافق..وفجأة فتح أحد الحراس الزنزانة وطلب مني حمل فراشي..دخلت زنزانة أخرى يشغلها المحامي السهيل من محلة الرحمانية في جانب الكرخ..كان طيباً متفائلاً،لم أعرف تهمته ولم أسأله عن سبب توقيفه وكان يتردد عليه الملازم طارق أحد حراس المعتقل فينقل اليه بعض أخبار أهله وأتضح انهم ابناء محلة واحدة وأن أسمه الحقيقي ناصر فنجان وأطلق سراحه بعد عشرين يوما وبقيت وحدي في الزنزانة ثم انتقلت الى زنزانة نافع أحمد لمجيء معتقلين جدد وأسكان أكثر من أثنين في الزنزانة.

كانت الزنزانات لاتفتح الاّ عند توزيع الطعام وعند الذهاب الى المراحيض..مظلمة رطبة شديدة الحرارة.كان الحراس في منتهى القسوة والخشونة والفظاظة وسوء الأدب يفتحون الزنزانات بالتناوب عند توزيع طعام الغداء والعشاء،لكنهم يسألون المعتقل في الصباح ان كان يريد شوربة ثم تفتح اذا رغب،كنا نتردد ونحتار لكننا لم نرفضها تجنبا لشتائم الحارس وتعليقاته المرة.ثم يوزع الشاي بعد أكثر من ساعة،أما الصحون فتلقى من فتحة صغيرة في أعلى الباب وكذلك الفاكهة وهي نادرة(شيف رقي)أو عنقود عنب صغير..كان الذهاب الى المراحيض يتم بشكل مجموعات تتناسب مع عدد المراحيض اذ تفتح الزنزانات مرة ويظل المعتقل في زنزانته ينتظر دوره والويل لمن يتكلم مع اخر أو يقف عند باب الزنزانة أو يتطلع الى من بداخلها..لقد مّر من أمام زنزانتنا كثيرون لم أكن أعرف بوجودهم وبعضهم عرفت بوجودهم عندما نودي عليهم للذهاب للتحقيق في ساعة متأخرة من الليل.

وفي المساء كان يأتي المسؤول عن الحانوت فيسجل الطلبات ليأتي بها في اليوم التالي،وفي بعض الأحيان يأتي مضمد صحي يضمد الجروح والحروق ثم يأخذ من المريض ثمن الدواء الذي سيجلبه له في اليوم التالي.كان كل شيء في غاية السوء،الطعام والخدمات والمعاملة..لا يوجد في المرق غير العظام أما اللحم فكان يشوى للحراس.

كان الأستهتار والاهمال وعدم المبالاة في غاية الوضوح.فقد مات عبد العزيز البدري وأدى التعذيب والضرب الشديد وعدم وجود طبيب الى أصابةالمعتقلين بعاهات.فهاشم المحامي يتلعثم في كلامه وعبد العزيز العقيلي يعرج وشامل السامرائي أصيبت أحدى أذنيه بالصمم وآخر نسيت أسمه أصيبت يده اليمنى بالشلل،كما مات عبد العزيز بركات أثناء التعذيب.

أيام مرة ووقائع لاتنسى

كانت الأيام مرة كما العلقم حافلة بالأذى والأهانة.كان النهار أطول،لم يكن معتقلا وأنما غابة مليئة بالضواري والوحوش .كان الحراس والجلاوزة في غاية الطيش والأستهتار لايسألون عما يفعلون يحار الأنسان في معرفة دوافعهم ويعجز عن تفسير تصرفاتهم.يفتح الحارس الباب فيصفعك،أو يطلب منك أن تصهل كالحصان أو تنفخ مستخدما يديك كالبوق..

١ ـ فتح الحارس عبد الله الزنزانة قال أخرج أريد أن اجرب قوتي.خرجت ووقفت أنظر اليه قال اياك أن تقع،ثم صفعني بكل قوته ثم رأى أنور ثامر يطل برأسه من فتحة الباب العليا ففتح زنزانته وطلب منه الخروج فأنهال عليه ضرباً وصفعاً،قال له بعد ذلك هل عبد السلام من اقربائك قال له لا،قال أشتم عبد السلام فشتمه ثم قال أشتم زوجته فشتمها وأعاده الى الزنزانة فأغلق بابها ومضى.

٢ ـ نادى الحارس بصوت مرتفع بعد تناول العشاء بساعة :زكي عبد الوهاب،هاشم الحلي،هشام الدباغ ثم عادوا يهرولون بعد ساعتين تلاحقهم ضربات الخراطيم المطاطية.

٣ ـ نودي على طاهر يحيى ورشيد مصلح وبعد نصف ساعة نودي على نافع وفتح الحارس باب زنزانتنا ومضى نافع يتبع الحارس لم أستطع النوم وكنت أتوقع أن أستدعى أيضاًوجاء نافع بعد ان تقدم الليل وسألته لماذا طلبوكم..قال كان التلفزيون مفتوحا ظهرت على شاشته راقصة مصرية جاءت للعراق بمناسبة ثورة ١٧ تموز فطلب ناظم من طاهر يحيى ورشيد مصلح أن يرقصا مثلها..ثم قال لي أرقص أنت أيضا..قال نافع أجبته لا أعرف الرقص وانما ساقرأ لكم نشيدا باللغة الألمانية وقرأت النشيد.

٤ ـ دأب جلواز من الموصل أسمه برهان روضان أن يفتح زنزانتي كلما جاء الى المعتقل

ينهال عليّ بالضرب بخرطوم مطاطي وكان يأتي مرة في كل يومين وأصبحت أعرف موعده وأشعر بوقع خطواته فأرتدى فانيلة ثانية بسرعة على الرغم من شدة الحر ليخفف وقع الضربات.عجبت لأمره وتبين لي انه من أقارب سالم كبابجي الذي أصدرت امر توقيفه لاعتدائه على الطيارين في ملهى الموصل عندما كنت قائداً للفرقة الأولى..ومرة قلت له الله يهديك فاشتد الضرب وكان يصّر على جلوسي قبل أن يبدأ الضرب وتكررت زياراته وذات مرة فتح زنازين أخرى وضرب من فيها فأخبر عبد الكريم هانىء أحد المسؤولين فتوقفت زياراته.

٥ ـ جاء سالم الشكره وفتح زنزانتنا وطلب مني أن أتبعه..دخلت مكتب ناظم كزار فسألني عن ما أعرفه عن هاشم الحلي قلت لا أعرف عنه شيئا قال انه يسكن في منطقتك قلت له انه في الجانب البعيد من شارع الضباط،لكن التقيت به مرة واحدة في لجنة برمجة زراعة الجوت في العراق لانه عضو فيها لكونه صاحب معمل الجوت.اننا على طرفي نقيض فهو من مؤيدي العهد الملكي،ثم قال ماذا تعرف عن الدكتور كاظم شبر،قلت انه طبيب أخصائي وأن الحكومة فكرت في أستملاك مستشفى أبن سينا العائد له ثم عدلت،قال هذه أشياء نعرفها ثم ذكر أسماً غريبا لم أسمع به من قبل..قلت له لا أعرف عنه شئيا ولم أسمع بأسمه،وأتضح لي بعدئذ انه موظف في البنك المركزي،ثم قال أخرج،خرجت يرافقني سالم الشكره وكان يردد على طول الطريق وبصوت مرتفع لقد دونا إفادة الجاسوس عبد الكريم فرحان ليسمعه المعتقلون.

٦ ـ فتح الحارس فجأة زنزانة مقابلة لزانزانتنا خرج على أثرها حسن الشيرازى.أمسك الحارس بلحيته وصفعه ثم شتمه قائلاً(جاسوس ايراني)وأرجعه الى الزنزانة.

كان قصر النهاية مرعباً وصلاحيات ناظم كزار واسعة لا حدود لها يصادر ويقتل ويختطف من الشارع.

٧ ـ سمعت فجأة عقب طعام العشاء بنصف ساعة صياحا وضجة وشتائم اثر فتح زنزانة (آل كشمولة) فقد انهال عليه الحارسان(محمود وبرهان) بالضرب وهو يصيح ويستغيث كان طاعناً في السن من أهل الموصل وتبين انه كان قد سأل منذ أيام أحد الشيوعيين وقبل الانتقال لجناح الزنزانات عن أثنين من الحراس أستشف من لهجتهما أنهما من الموصل وهاهما بفتحا زنزانته ويضربانه بالخراطيم المطاطية وهما يرددان بصوت عالٍ (قواد لماذا تسأل عنا..نحن لانخاف من أحد)لقد تحول صياح الرجل الى بكاء ونشيج من شدة الألم.

٨ ـ أصيب أحد الكهول من مدينة الفلوجة بانهيار عصبي من جراء الضرب والتعذيب، وكانت تعتريه نوبه هستيرية عندما يحل الظلام فيبدأ بالهذيان والكلام بصوت مرتفع لساعة متأخرة. وذات مرة أستدعي الدكتور عبد الكريم هانىء لمعالجة أحد المرضى فأخبر الحراس

بأمر الشخص وأزعاجه للمعتقلين،فجأة فتحت زنزانته اثر بدئه بالهذيان والكلام وأنهال عليه الحارس بالضرب والركل فقد على اثرها الوعي.

٩ ـ تقدم الليل قليلاً. فتحت أحدى الزنزانات القريبة.خرج على اثرها عدنان صبري مراد الموظف في تشريفات القصر الجمهوري،يتبعه أحد الحراس الذي بدأ بشتمه وضربه واتهامه بالجاسوسية والخيانة وهو في طريقه الىناظم كزار ثم عاد بعد قليل بعد ان سلبت أزرار كم قميصه الذهبية.ولقد ظل عدة أيام لايقوى على الوقوف وكلف نافع أحمد باسناده عند ذهابه الى المراحيض.

وفي ضحى ١آب ١٩٦٩ فتح زنزانتنا الملازم طارق(ناصر فنجان)وأخبرنا بصوت خافت قائلاً لقد تقرر نقلكم اليوم الى السجن رقم(١)في معسكر الرشيد ثم فتح زنزانة طاهر يحيى وشامل السامرائى فأخبرهما أيضاً.شرعنا أنا ونافع برزم فراشنا فيما أرتدى شامل السامرائي ملابسه الكاملة.لقد فرحنا كاننا سنذهب الى الفردوس،وفتحت الزنزانات وطلب منا رزم أمتعتنا والتجمع في الساحة الصغيرة المقابلة لقاعات الشيوعين وما أن رأى شاملاً مرتدياً ملابسه حتى شتمه وقال له من أخبرك..قال لم يخبرني أحد لكن عجبني ارتداء ملابسي.ثم جيء بالحلاق،فحلق رؤسنا بماكينة حلاقة(نمرة صفر) صدئة فغمسها بالنفط اولاً ثم بدأ بحلاقة شعر نافع أحمد..وتوجهنا الى دائرة ناظم كزار وحثنا الحارس المرافق على اخباره بما نفذنا..ودخلنا الدائرة وكان يحيط به الجلاوزة..وسألني ماذا فقدت قلت مصحفا،فرد علّي سالم الشكرة وماعلاقتك بالمصحف أنت جامع(طخومة قنفات) ثم ذكر شامل مافقده فبصق في وجهه سالم الشكره..وكف الأخرون عن ذكر ما فقدوه وخرجنا فركبنا السيارة مع أمتعتنا وكنا خمسة فيما بقي عبد الكريم هانيء .

عودة الى السجن رقم(١)

وقفت السيارة عند مدخل السجن،بدأنا في انزال أمتعتنا فيما دخل حراسنا الثلاثة مكتب مدير السجن ليخبروه بوصولنا والحكم علينا بالأعدام،وأنتشر نبأ الحكم بسرعة في السجن وبدأ رأس عرفاء الوحدة يوزعنا على الغرف،وخصصت غرفة لكل معتقل ومرت الأيام وبدأ الطعام يصلنا من أهلنا وألتحق عبد الكريم هانيء والظاهر أن جهود ناظم كزار لم تفلح في اطلاق سراحه.

وخصصت له غرفة بعيدة عن جناحنا لعدم وجود غرفة خالية فيه.لم يكن الحارس يقف في نقطة ثابته بل كان متحركا يذرع الطارمة جيئة وذهاباً وهذا أتاح لي ولشاكر نتبادل أحاديث قصيرة لقرب شباكي غرفتينا وعند ابتعاد الحارس.كنت أول من سمع بنبأ الأنقلاب في ليبيا من المعتقلين اذ كان معي راديو صغير جداً أستطعت الأحتفاظ به.أخبرت شاكر محمود شكري به فقال أن السنوسي سيقضى عليه بعد عودته من الأجازة ولن يكتب له

النجاح وكان شاكر محمود شكري قد رأس البعثة العراقية في ليبيا فترة من الزمن.

كان الحراس وضباط الصف يؤدون واجبهم على أفضل وجه،ينفذون التعليمات حرفيا فلم يسمحوا لنا بالتحدث الى بعضنا أثناء المشي وما ان ينتهي الوقت المحدد حتى نعود الى غرفنا وتغلق الأبواب. كانوا يحترموننا وكان أحد العرفاء يتعاطف معنا.وفجأة رأيت من الشباك الدكتور عبد الكريم هانىء يمشي بأتجاه المدخل يرافقه أحد العرفاء وجندي يحمل بعض أمتعته ولمايمض على مجيئه سوى ثلاثة أيام تصورنا جميعاً أن سراحه قد أطلق وتوقعنا قرب أطلاق سراحنا،ثم تبين أنه أعيد الى قصر النهاية.ففي اليوم التالي لوصوله الى السجن جاءت زوجته لتأخذ أمتعته الزائدة وفي الباب فتش العريف الحقيبة قبل تسليمها فوجد تحت الملابس أوراق كثيرة لفتت أنتباهه سلمها لمدير السجن.أطلع عليها مدير السجن فكانت تتضمن مذكرات عبد الكريم وأنطباعاته ورأيه في المسؤولين عن أدارة السجن.أخبر مدير السجن آمرية قصر النهاية فقرر ناظم كزار أعادته ثانية.

وفي صباح أحد الأيام جاء مدير السجن ليخبرنا بقرار نقلنا الى الفضيلية بعد قليل رجونا منه إخبار عوائلنا هاتفيا بنبأ الأنتقال الى الفضيلية لنوفر عليهم مشقة المجيء الى المعسكر فوعد بذلك.

رزمنا أمتعتنا وحاجاتنا ثم أتجهنا الى المدخل ركبنا في سيارة واحدة مع أمتعتنا يرافقنا عريف وحارس واحد ومضت السيارة نحو المعتقل.

عودة الى الفضيلية

دخلنا المعتقل وسكنا أنا وطاهر يحيى وشاكر محمود في غرفة واحدة لكثرة عددالمعتقلين اذ لم يعد يقتصر على السياسين فقط بل دخله المهربون والصاغة والتجار والعمال والمتهمون بالقتل وأخيراً دخله عمار علوش وجبار كردي.

بدأ الطعام يأتي من بيوتنا كالسابق بموجب جدول تعرفة عوائلنا،ووافق آمر المعتقل على جلب أسرة حديدية لننام عليها فكلف شامل السامرائي اخوه عبد الرحمن بهذه المهمة. كانت ادارة المعتقل تواجه صعوبه بسبب كثرة المعتقلين ومشاكسة جبار كردي على الرغم من سعي آمر المعتقل لأرضائه اذ أبقاه وحده في الغرفة..لقد تشاجر مع كثيرين وكان ينتقد بعض أعضاء قيادة البعث علناً.

نشط خير الدين حسيب فجأة وبدأ يكتب رسائل الى بعض اصدقائه..كان يرسل الرسالة الى زوجته بواسطة (كامل) أحد رجال الأمن الأربعة الذين خصصوا للمعتقل لمعاونة آمرية المعتقل في ضبط وادارة المعتقل وبخاصة في أيام الزيارات حيث تمتلىء باحتا المعتقل بالعوائل . لقد وثق به خيرى الدين كثيرا ثم علمت من أحد الزوار أن كامل يتجه بعد خروجه حاملا الرسالة الى مديرية الأمن العامة حيث تقرأ وتصور ثم تطوى كالسابق

ويذهب بها الى خزيمه زوجة خير الدين حسيب، قلت لخيري كل هذا فلم يصدق ..تناقشنا طويلا ثم بدأ يناقش الأحتمالات ويحسب الوقت والمسافة وواصل كتابة الرسائل..وبعد أيام معدودة نقل الى قصر النهاية.

زاد عدد المعتقلين وكثرت المشاكل وتشاجر جبار كردي مع الطيار حارث الوفي ولم يتدخل آمر المعتقل. ثم عاد عبد الكريم هانيء بعد ان لاقى الأمرين من ناظم كزار وزبانيته وعاد بعد ذلك خيرالدين حسيب وسكن في غرفتنا كان بادي التعب والأعياء وشبه منهار .. أنفقد الانسجام في الغرفة وحدثت بعض المشاكل لن أخوض فيها دفعا لضرر قد يصيب الأحياء وأحتراماً للموت الذى طوى آخرين .ذهبت الى آمر المعتقل أرجو موافقته على انتقالي الى غرفة أخرى بعد أن ضاقت غرفتنا بانضمام خيري لنا... أنتقلت الى غرفة في الجناح الآخر يسكنها علي عبد السلام وآخر صاحب مخبز في الباب الشرقي من مدينة النجف لا أتذكر أسمه الآن... نقلت سريري وحاجاتي فرحبا بي ثم رتبنا أمر الطعام والثلج وأتفقنا مع صبي معتقل فقير على تنظيف الغرفة . ومضت الأيام الاولى هنية يسيرة ثم تغير سلوك الخباز فجأة ولسبب لاأعرفه فأصبح عدوانيا فتجاهلته ولم أحفل بانتقاده للوزراء السابقين عملاًبالأية الكريمة أدفع بالتي هي أحسن كما تجاهلت دخول عمار علوش للغرفة أحياناً وفي غيابي لياخذ ورق تواليت أو فاكهة .وفجأة سمعنا بنبأ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر.ألمني النبأ وحزنت لأنه رحل قبل أن يكمل مهمته ومرت ليلة طويلة نمت فيها قبيل الفجر، وبدأت تعليقات المعتقلين على وفاته ومنجزاته ودوره لكن تعليق عمار علوش كان في غاية السوء.

وفي مساء ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ واظنه كان يوم خميس أخبرنا بصدور قرار أطلاق سراحنا وطلب منا أن نرتدي ملابسنا لنذهب الى مديرية الأمن العامة مع حقائبنا ...وصلنا مديرية الأمن العامة صعدنا الى الطابق الثاني...أنتظرنا وقتا قصيرا ثم خرج أحد المسؤولين وبلغنا وجوب تقديم كفالة مصدقة من قبل كاتب العدل ثم أنصرفنا عائدين الى بيوتنا..

في بيتي

قضيت يوم الجمعة في البيت وبدأ الأقارب والأصدقاء يتوافدون لزيارتي وتهنئتي ثم ذهبت بعد ظهر السبت الى كاتب عدل شرق بغداد مع خال زوجتي لتنظيم الكفالة وعدت الى داري عصراً..

لم تنقطع الزيارات وأستمرت الى ساعة متأخرة من الليل وكثرت الخرفان وذبحت كلها ووزعت لحومها .. كان من ضمن المهنئين أشخاص لم يسبق لي معرفتهم وجاء عصر يوم الأحد الشيخ مصلح النقشبندي وتعمد أن يطيل جلوسه لتفرغ الغرفة من الزوار ثم أنتقل الى كرسي قريب منّي قال أريد أن أؤكد لك ان سبب قبولي الأشتراك في حكومة عبد

الرزاق النايف كان من أجلك وأجل الأخوان الآخرين قلت له أشكرك
اليوم الثالث وقابلت الرئيس أحمد حسن البكر وكان حاضراً في الغرفة العربي
عماش فرجوت منه إطلاق سراح المعتقلين من الوزراء، وكلما ذكرت إسماً علق
وعندما ذكرت أسمك لاذا بالصمت.. قلت له أشكرك وأحمد الله

قدمت عريضة الى رئيس الجمهورية لرفع الحجز عن أموالي
كل شيء وأطلق سراحي أرجو رفع الحجز عن أموالي المنقولة وغير
داري في الأعظمية تسديداً لدين المصرف الزراعي ومدين
الأصدقاء .. أنتظرت طويلاً فلم أتسلم أي رد ثم جاءني
ووكيلي قال رأيت البارحة الأستاذ جابر عاشور فقال أن
الكريم فلينتظر وسأخبرك لتبليغه بتقديم عريضة ثانية .

زرت الدكتور مالك دوهان الذي أفتتح مكتباً للمحاماه قال
أن المراجعين قليلون والرقابة مستمرة ثم سألته عن ما تم بشأن الحجز على أمواله . قال
قدمت عريضة الى السيد رئيس الجمهورية أرسلها الى القصر بالبريد المسجل فرفع الحجز
بعد بضعة أيام..

عدلت عن فتح مكتب للمحاماة وفضلت الأنصراف الى القراءة . كنت أقضي أغلب
الوقت في بيتي وكانت رقابة البيت مستمرة ثم زارني المحامي جابر صادق قال رأيت
البارحة الأستاذ جعفر عاشور وأشار بتقديم العريضة.

كتبت عريضة أخرى وبعد فترة أتصل بي الأخ عبد اللطيف الكمالي قال أن الحجز قد
رفع عن أموالك أتصلت بالدلال ليقوم باجراءآت بيع الدار لصديقي لقاء دينه وأفرغت الدار
بأسمه وقسطت بقية الدين.

وصلنا كتاب من شركة المنصور تطالبني فيه سداد بقية ثمن الأرض . ذهبت
الشركة وأتفقت مع المحاسب (أبو جنان) على تقسيط المبلغ شهريا وبدأت أدفع
ديناراً في نهاية كل شهر . ومرت شهور عجاف ودخلت في أزمة خانقة
سوى تأجير بيتي في المنصور . أتصلت بالدلال الذي عرضه على سفير
السودان ، ثم سفير موريتانيا وأنتظرت ثم اتصلت بالدلال فتبين ان السلطات لا
تأجيره بحجة قربه من دار القائد المؤسس ميشيل عفلق وبدأت الديون تتناقص
الأقساط وخفت الأعباء بعد تخرج بناتي من الكليات وتوظفهن فقد عينت ال
مدينة الطب وأخرى في الشركة الأفريقية وفضلت الكبرى العمل في الكويت
الدين من جديد بسبب ايفاد الدكتورة الى السويد للتدريب على الأجهزة ور
الصحة الدكتور عزت مصطفى ان تتحمل الوزارة نفقات السفر كما رفض
مخصصات اضافية لها، فأستحصلت الموافقة على تحويل مبلغ يكفيها، أخذت نصف

وحولت الباقي بعد أربعة أشهر ثم قررت التخصص فلم ترجع ودفعت الكفالة أيضاً.

الغاء أمر منع السفر

لم أفكر بالسفر الى الخارج مطلقاً اذ لاسبيل لالغاء أمر منع السفر ناهيك عن تردي وضعي المالي لكن الصدفة لعبت دورها اذ تعرفت أبنتي في السويد وفي مستشفى اوبسالاعلى أبنة الرئيس أحمد حسن البكر وزوجها اللذان قصدا السويد للعلاج، وقبيل عودتهما للعراق سألا أبنتي عن حاجتها فرجت منهما الغاء أمر منع السفر وأرجاع مبلغ الكفالة الذي دفعته بسبب عدم رجوعها فوعداها خيْراً.

زارني المحامي هادي العجيل وعرض عليّ تأسيس شركة تجارية فوافقت شريطة أن يتولى هو أمر مراجعة الدوائر والمؤسسات، قبل الشرط فألفنا شركة الاستثمارات العربية، وبدأ نشاط الشركة وأصبح مكتبه في عمارة الباجچي مقراً للشركة ...

أتصل بي هاتفياً مرافق رئيس الجمهورية وبلغني تحيات الرئيس والغاء أمر المنع ..راجعت الدائرة المختصة وتعمد مديرها جمال الطائي عرقلة وتأخير سفري ومّر شهران وسافرت في بداية فصل الشتاء . قضيت تسعة أشهر في الخارج ثم عدت الى بغداد . بدأت أداوم بانتظام في مقر الشركة التي بدأ نشاطها يتسع ويزداد ... وتبين لي أن شركة المنصور رفضت تسلم الأقساط التي إتفقنا عليها ... ثم جاءني شبة إنذار منها بوجوب تسديد المبلغ دفعة واحدة وفي خلال مدة عشرة أيام ... ذهبت الى مقرالشركة .. كانت الشركة قد بدأت تصفي نفسها وعينت لجنة تضم منير سعيد وفائق هوشيار وثالث لا أتذكره ... فاوضت اللجنة وأتفقت معها على أن أسدد المبلغ كله بعد تنزيل الفوائد المضافة اليه وتمديد المهلة، وأقرضني الدكتور شامل السامرائي معظم المبلغ وسددت الدين في موعده المحدد وتسلمت كتاباً منها الى دائرة الطابو ونقلت ملكية الأرض فأنزاح هم ثقيل ...

أصدرت الحكومة نظاماً أو قانوناً سمته قانون الوساطات غير المشروعة تناول نشاط الشركات التجارية وبالذات الوكالات ... عدلنا نظام الشركة ثم أتفقنا على حلّها بعد أن ندر العمل .

علمت انّ أسمي كان ضمن القائمة التي قررت السلطات المختصة توقيفهم إثر حوادث صفر عام ١٩٧٥ ثم شطبه الرئيس أحمد حسن البكر عند عرض القائمة عليه، وعصر يوم لا أتذكره رنّ جرس الهاتف فذهبت ورفعت السماعة وكان أول ماسمعت (نحن نعرف ماذا تعمل، سأسلك أبوك ..) ضبطت أعصابي وكان ردّي هادئا... وتبين أن المتكلم أتصل قبل ذلك بأهل زوجتي حيث رقم هاتفهم مازال باسمي ... قررت السفر، وبعد أسبوع تركت العراق متوجها الى السويد.

اقامة دائمة في السويد

لم تدر في خلدي فكرة الأقامة في السويد وانما كنت أنوي قضاء فترة الصيف فقط ولكن الرياح جرت بما لاتشتهي السفن ... فقد مرضت وراجعت طبيباً مختصاً رجح ان سبب فقدان توازني يعود الى قطرة دم تخثرت في الدماغ من جراء ضرب على الرأس .

توقف صرف راتبي التقاعدي وما أن علمت بنبأ تعيين السيد هشام الشاوي رئيساً لديوان رئاسة الجمهورية حتى كتبت اليه راجياً توسطه بصرف راتبي التقاعدي . صدرت الموافقة وبدأت أتسلم جزءاً من الراتب التقاعدي وتتسلم عائلتي في بغداد بقيته ودأبت على تقديم تقرير طبي سنوي مع كتاب من جامعة لوند يؤيد أنتمائي لها . بالأضافة الى املاء (استمارة) شهادة الحياة وتوقيعها ثم تعينت في جامعة اوبسالا بنصف راتب لدوامي نصف الوقت وكان بعلم السلطة المختصة في العراق وبموافقتها. وتوقف صرف راتبي التقاعدي منذ سنوات لأسباب أجهلها .

في الميزان

حقبة طويلة مرت من> ١٤ تموز ١٩٥٨ وأنتهت باستقالة الرئيس أحمد حسن البكر في ١٧ تموز ١٩٧٩ . واحد وعشرون عاماً حفلت بأحداث خطيرة ومرت تحت الجسور مياه كثيرة وسارت الأمور كما يشتهي الرؤساء لا كما تريد الجماهير وتتمنى .

أربعة رؤساء ـ فعبد الكريم رئيس جمهورية حكماً وفعلا لم يعلن نفسه لوجود مجلس السيادة، ثلاثة رحلوا وواحد مازال حياً في بغداد .

أختلفت النهايات فقد أعدم عبد الكريم قاسم ومات عبد السلام عارف أثر سقوط طائرة الهلكوبتر وأحتراقها وأزيح عبدالرحمن عارف بانقلاب أبيض كاد أن يكون صامتاً لولا بضع طلقات ولفظ أحمد حسن البكر أنفاسه في بيته .

فترة عصيبة أهتزت فيها القيم وتغيرت المقاييس وتبدلت المفاهيم وبذرت أموال كثيرة ولم يعد شكر الموظف الجاد والعامل المخلص يقتصر على كتاب يحفظ في ملفه بل أصبح سيارة مرسيدس تهدى اليه، ورحم الله عمر أبن الخطاب حين سأل أبنه عبد الله قائلا كم أنفقنا في حجنا ..؟ قال ستة عشر ديناراً ... فقال لقد أسرفنا في هذا المال .

لم يعد القانون أداة خير وأمن وعدل وطمأنينة، أما الوحدة العربية هدف الأمة الكبير فظلت تراوح في مرحلة الشعارات ترددها أجهزة الأعلام بين حين وآخر وعند الطلب ... أستشرت الطائفية والعصبية العشائرية وعولّ الحكام عليها كثيراً وتحكمت عند أسناد المناصب والمهام والواجبات .

زاد دخل العراق بعد تأميم شركة النفط وأرتفاع أسعاره زيادة كبيرة، وكثرت نفوسه،

وتطور التعليم فتوفرت كفاءات وأختصاصات هرب قسم كبير منها الى الخارج أو آثر البقاء في الأقطار الغربية ولم يعد .

كان البناء و الأعمار بطيئين فلم يلعب العراق دوره المنتظر لأسعاد أبنائه وخير أمته . أهمل الريف وهجره سكانه، فتدهورت الزراعة وقلّ الأنتاج وأضطر العراق بلاد الرافدين الى أستيراد القمح واللحوم والبطاطة والدجاج والبيض والفاكهة حتى الخضرة ... وأمتدت فترة الأنتقال وطالت ريثما يبلغ الشعب رشده ويشب عن الطوق .

شاءت الأقدار وسنحت فرصة طال إنتظارها فحققا حلماً أنتظرته الجماهير طويلا.اذ قامت ثورة ١٤ تموز وأنتهى عهد بغيض ذاق فيه شعبنا ألواناً من الظلم والأضطهاد والقمع والعذاب ليبدأ عهد التحرر والبناء وظهر على المسرح ثائران جريئان أتفقا على إقتسام السلطة والنفوذ، رفضا مشاركة أحد ولم يحفلا بمقررات سبق الأتفاق عليها ...وسرعان ما أختلفا وإدعى كل منهما انه بطل الثورة ومفجرها وراح يجمع أنصاره ومؤيديه للأطاحة بآلاخر وإنعكس ذلك على الشعب فتمزقت وحدته وتصارعت قواه وأحزابه، وخلا الجو لعبد الكريم قاسم بعد توقيف عبد السلام عارف أثر وصوله من ألمانية ثم الحكم عليه بالإعدام وأنحرفت الثورة وتعثرت فكانت حركة عبد الوهاب الشواف في الموصل أعقبها مجزرة الموصل وأخرى، أفظع منها في كركوك ومآسي كثيرة في البصره والديوانية والكاظميةو... وأحتدم الخلاف بين الشيوعيين والقومين فأنتقل الى المدارس والكليات وفاز الشيوعيون في الأنتخابات التي جرت في النقابات والأتحادات والمنظمات ومرت فترة عصيبة وجرت أكثر من محاولة لأغتيال عبد الكريم قاسم وأخيراًأعدم أثر وصوله دار الأذاعة التي أتخذت مقراً مؤقتاً لقيادة حركة ٨ شباط ١٩٦٣ دون محاكمة وأصبح نهر دجلة قبره ومثواه الأخير .

تولى عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية ونسى كل ما نادى به من قبل ارضاء للحزب الذي نصبه رئيساً للجمهورية ومنحه رتبة مشير فكان دائم الثناء على الحرس القومي ودوره في حماية الجمهورية ، ثم تخلص من سلطان الحزب وهيمنته بحركة ساهم فيها الضباط القوميون والبعثيون وآن له أن يمض في طريق الوحدة، لكن (الوحدة الفورية)تحولت الى مناقشات وحوار واجتماعات لم تثمر سوى القليل وأنتعشت العصبية العشائرية والبلدية والطائفية واستخدم صلاحياته لنفع الأقارب وحظي أبناء محافظة الرمادي برعايته وأهتمامه. وتوفي بعد سقوط طائرة الهلكوبتر محترقة في طريقها للبصرة .

لقد رحل الأثنان، وطوى الموت ما بيني وبينهما ولابّد أن أختم كتابي هذا بالحديث عنهما، كنت أول من حذرهما من إستفحال الخلاف بينهما ورجوتهما تسويته وقطع الطريق على المنافقين والأنتهازيين لتمض الثورة بسرعة في طريقها الطويل ... كنت أحلم وأتخيل دور العراق البارز في قيام وحدة عربية تعيد الأرض المغتصبة وهذا سبب إنتمائي لمنظمة الضباط الأحرار وإستهانتي بالأخطار ... ولم أكف عن إنتقاد أي تصرف أو سلوك

أو قرار يؤخر بلوغ هذا الهدف المقدس ... لقد أغضبتهما ولم يرتاحا لجرأتي وصراحتي وتعرضت من جراء ذلك لأذى تحملته صابراً . كان الحصاد في غاية المرارة وأمر مافيه خيبة الأمل وتبدد الحلم وتجاهل عمل دؤوب وكفاح سري طويل بدأه رجل شهم شجاع آثر الصمت ونكران الذات فلاقى الجحود وتكثرت عليه السهام فكان جزاؤه الأعدام رمياً بالرصاص في ميدان أم الطبول في ضواحي بغداد...

كان عبد الكريم قاسم شجاعاً وجريئاً أبلى بلاء حسناً في معارك فلسطين،عفيف اللسان نظيف اليد وفيا لاصدقائه فأعاد بعضهم للخدمة بعد أن أحيلوا على التقاعد وأوشك الملحق العسكري العراقي في واشنطن أن يطلب اللجوء السياسي إثر ثورة ١٤ تموز خوفاًمن بطش عبد السلام عارف لولا رسالة عبد الكريم قاسم اليه. أخلص لوطنه وشعبه وحرص على مصالح العراق فصدر قانون الأصلاح الزراعي في ٣٠ أيلول ١٩٥٨ تلاه بعد فترة طويلة قانون رقم (٨٠) في عام ١٩٦١ الذي حرر الثروة النفطية واستعاد العراق بموجبه ٥ ، ٩٩٪ من الأراضي الممنوحة لشركات النفط بعد مفاوضات طويلة وعقيمة مع شركات النفط رأس بعض جلساتها عبد الكريم قاسم نفسه.

لم يتعاطف مع القوى القومية ولعلّ ذلك يرجع الى إغتيال القوميين لابن خالته المقدم محمد علي جواد قائد القوة الجوية وأحد قادة حركة الفريق بكر صدقي أثناء هبوط الاثنين في مطار الموصل عام ١٩٣٦ في طريقهما الى تركية .لقد آثر الصمت إزاء شعاري الوحدة الفورية أو الاتحاد الفدرالي ظناً بمنصبه بعد أن أصبح عبد الناصر بطلاً قومياً وشخصية عالمية وركب عبد السلام عارف الموجه القومية ومضى بعيداً في مسايرة التيار العروبي والأسلامي.

آمن عبد الكريم قاسم بمقولة (الرحمة فوق القانون) وكان شعاره (عفا الله عما سلف) فقد تأخر في تصديق الاحكام التي صدرت بحق الضباط والقوميين المشتركين في حركة العقيد الركن عبد الوهاب الشواف في الموصل وأوشك أن يبدلها لولا ضغط حاشيته والحزب الشيوعي . حرص عبد الكريم قاسم على تطبيق القانون والتعليمات ولم يستخدم صلاحياته الواسعة لمنفعته الشخصية أو لمصلحة أقاربه، فقد بقي أخوه عبد اللطيف ضابط صف في القوة الجوية وترفع ابن خالته العقيد عبد الجبار جواد وزوج أخته عندما حان موعد ترقيته وبعد أكمال المدة القانونية وتردد عبد الكريم قاسم في الترقية الى رتبة لواء مفضلا البقاء برتبة زعيم لكن عبد الوهاب أمين ضابط ركن القيادة وعبد الكريم الجدة وغيرهما أقنعاه بأن الترفيع حق من حقوقه بعد أن أكمل المدة القانونية .لقد أستخدم صلاحياته لمنفعة غيره فقد أصدر في ٣١ آذار ١٩٦٠ بياناً الغى فيه الاحكام الصادرة بحق البعثيين الذين نفذوا عملية إغتياله في ٧ تشرين الأول ١٩٥٩ وأصيب جرائها أصابة بالغة في ذراعه، اطلق سراحهم قبيل ساعات من موعد تنفيذحكم الأعدام بهم كما عفا عن عبد السلام

عارف الذي شرع بقتله وأمر بالأفراج عن كثير من المعتقلين والموقوفين وأحتج القضاة على تسامحه الزائد .لكنه أعاد النظر برسوب ثلاثة ضباط في كلية الأركان مضى عليه سنين كثيرة فأعتبرهم ناجحين ومنحهم لقب (ركن) وكان قد أسند اليهم مناصب مهمة (٩٨) ،كما عين عبد الجبار جواد مديراً للتجنيد العام، وفاضل عباس المهداوي رئيساً لمحكمة الثورة وفاضل محمد البياني مديراً عاماً للأسكان وأصبح شقيقه حامد قاسم عضواً في لجنة مشتريات الحبوب من تركية ورئيس لجنة تبرعات إنشاء مستشفى الطفل العربي في كرادةمريم وشريكاً لكبار تجار مستوردي المواد الأنشائية فأثري بسرعة وأشترى بيتاً فخماً لاحد الوجهاء في كرادة مريم يقع على نهر دجلة مباشرة.

قرر عبد الكريم قاسم السكن نهائياً في وزارة الدفاع فأمر بتشييد جناح خاص له يطل على نهر دجلة يتصل بمكتبه وقد قامت طائرة نقل عسكرية بجلب زجاج خاص له لايخترقه الرصاص من بيروت هذه قضايا يسأل عنها الثوار فقط وتحسب عليهم لكنها تبدو تافهة بالنسبة للحكام العرب وبخاصة خلفاؤه في العراق ولو طبق قانون (من أين لك هذا) لغصت السجون بالحكام العرب وأقاربهم وبطانتهم، فالسلطة تفسد الحاكم ،وحاشيته تضلله ولو أحسن عبد الكريم قاسم اختيار أعوانه لكان الافضل. فقد نجح في كسب ثقة الأكراد وأسند إليهم مناصب مرموقة وأطلق سراح المعتقلين وسمح للمنفين بالعودة وقضت المادة الثالثة من الدستورالعراقي المؤقت الذي أعلن في ٢٧ تموز ١٩٥٨ على أن المجتمع العراقي يقوم على التعاون الكلي بين جميع المواطنين وان الاكراد والعرب شركاء في هذه الامة وردّ الاكراد جميل عبد الكريم قاسم فوقفوا بجانبه في صراعه مع عبد السلام عارف وساهموا في إخماد حركة الشواف في مدينة الموصل...ثم تدهورت العلاقات بين عبد الكريم قاسم والأكراد بعد تزايد قوة ونفوذ البرزانيين والتفاف الأكراد حول زعامة الملامصطفى فنشبت الثورة الكردية من جديد وعجز عبد الكريم قاسم عن اخمادها وظلت مستقرة حتى ساعة الاطاحة به وطالب بالكويت أثر منحها الاستقلال وخروج الأنكليزمنها وهمّ بأرسال قوات عراقيةلاحتلالها . ودخلت قوات عربية لحماية الكويت من الغزو العراقي المحتمل وشنت الكويت حملة اعلامية على شخص عبد الكريم قاسم بالذات ودأبت أذاعتها على تقديم برنامج يومي مليء بالسخرية والأنتقاد لم يتوقف الاّ بعد الأطاحة به، وأجرت الحكومة الكويتيةاتصالا بالثورة الكردية وقدمت لها المال لشراء السلاح .

ومهما قيل في عبد الكريم قاسم أو وصف به أو نسب اليه بدافع الكراهية والحب فقد كان وطنياً مخلصاً شجاعاً ونزيهاً... وجاء بعده عبد السلام عارف وهو شجاع وجريء مندفع لا يهاب الموت أو يفكر في العواقب وهذه الصفات هي التي أهلته (لتعليق الجرس) كما يقولون فبدأ الثورة غير هياب ولاوجل... ثم أقصى بعد ان تكاثر أعداؤه وزج في السجن وعفا عنه عبد الكريم قاسم .. وأصبح رئيساً للجمهورية بعد الأطاحة بالنظام وإعدام

عبد الكريم قاسم .. وبدأ العهد الجديد بالخروج على القوانين والتعليمات وإسناد المناصب للحزبيين والآقرباء والأصدقاء وداس بقدمه على مقولة (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب) فأصبح عبد السلام عارف مشيراً والعقيد طاهر يحيى رئيسا لاركان الجيش والمقدم صالح مهدي عماش فريقاً ووزيراً للدفاع ورشيد مصلح حاكماً عسكرياً عاماً وصدرت قائمة كبيرة رقي فيها جميع الضباط الذين ساهموا في حركة ٨ شباط وأسند منصبا مدير الأمن العام ومدير الأستخبارات العسكرية الى ضابطين بعثيين ناهيك عن مناصب محافظي الألوية بدءاً ببغداد وأنتهاءاً بلواء الموصل . أما وكلاء الوزارات والمدراء العاملون فحل محلهم حزبيون، وسرعان ما أستشرى نفوذ الحرس القومي فتحدى النظام والقانون وأصبح قوة يخافها حتى الحكام أنفسهم وأضطر الرئيس عبد السلام عارف الى تأيد الحرس القومي والثناء على دوره وأرتدى في أحدى المناسبات ملابس الحرس القومي وأدى واجبهم في ساحة تقع على طريق بغداد الأعظمية بالأشتراك مع رئيس الوزراء أحمد حسن البكر والمؤلم أنه آثر الصمت عندما أصر الحرس القومي على نقل محافظ لواء الموصل العقيد عبد اللطيف الدراجي وأحلال مدحت ابراهيم جمعة محله وجلس على التل عندما أحتدم الخلاف بين قيادة الفرقة الأولى في الموصل من جهة والحرس القومي ومحافظ الموصل من جهة أخرى وأضطر قائد الفرقة الى تقديم أستقالته ... وأطيح بالنظام في حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وتخلص عبد السلام عارف من أقطاب حزب البعث وتحرر من سلطانهم وساير التيار القومي الوحدوي في الأسابيع الأولى وسعى في الوقت نفسه لطمأنة التيار الأسلامي، وأنتقد الحكم الفردي ريثما يحكم قبضته . ثم بدأ بمهاجمة الأشتراكية وندد بقراراتها الأخيرة وهاجم الأتحاد الأشتراكي وغمز من الوحدويين وأنتقد النظام المصري وحدد من نشاط مجلس قيادة الثورة وأخيراً إنفرد في الحكم فأستخدم صلاحياته لمصلحة أقاربه وأبناء محافظة الرمادي فأنتعشت العصبية القبلية والطائفية وأصبح معظم جنود وضباط صف وحدات لواء الحرس الجمهوري وقيادة موقع بغداد من محافظة الانبار (الرمادي) وكذلك آمرى وحدات هذين التشكليلين بأستثناء أمر فوج الحرس الجمهوري العقيد داوود عبد المجيد فكان من أبناء الأعظمية ثم تآمر عليه الضباط وضغطوا على رئيس الجمهورية فنقل الى القاهرة ناهيك أن مدير الآستخبارات العسكرية شفيق الدراجي ومعاونه عبد الرزاق النايف من المحافظة نفسها.

وقبيل مصرع الرئيس عبد السلام عارف كانت محافظة الانبار (الرمادي) هي المسيطرة على العراق برموزها

١ ـ عبد السلام عارف رئيس الجمهورية والقائد العام ـ مدينة عانة .

٢ ـ عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء ـ مدينة عانة .

٣ ـ عبد الرحمن عارف رئيس أركان الجيش ـ مدينة عانة .

٤ ـ سعيد صيلبي قائد موقع بغداد ـ مدينة عانة .
٥ ـ عبد اللطيف الدراجي ـ وزير الداخية ـ مدينة الرمادي .
٦ ـ نافع أحمد الحاكم العسكري ـ مدينة عانة .
٧ ـ بديع شريف مدير ديوان رئاسة الجمهورية ـ مدينة عانة .

وسرعان ماأصبح أخوه الكبير عبد السميع عارف وكان يملك محلاً (لكي الملابس) من الأثرياء مستغلا وجود أخيه . وأخيراً بعد أستقالة القوميين من الوزارة ضغط رئيس الجمهورية على مجلس الوزراء فمنح مخصصات ملابس شهرية قدرها مائة دينار .

لقد أندفع عبد السلام عارف في تعيين الأقارب وأبناء العشيرة والبلدة وفتح باباً أتسع بمرور الأيام حتى أصبح تعيين القريب هو الأصل في إسناد المنصب بصرف النظر عن مؤهلاته وقابلياته وخلفه أخوه في رئاسة الجمهورية بعد أن فرضه بالقوة العميد سعيد صليبي وأكره منافسة عبد الرحمن البزار على الأنسحاب .

كان عبد الرحمن عارف آمر كتيبة عند قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . أنضم للضباط الأحرار بعد أنضمام اخيه عبد السلام ثم أصبح عضواً في اللجنة العليا . اذ كانت الأولوية تعطى لآمري الوحدات وعند قيام ثورة ١٤ تموز عين في نفس اليوم أمر لواء المدرع السادس الموجود في الأردن لكنه لم يلتحق به وظل في بغداد .

عرف الرئيس عبد الرحمن عارف بالطيبة والدماثة والضعف منذ كان آمر كتيبة وكان أقصى ما يتمناه أن يترفع ويقود لواء شأن كل ضابط . هذه الصفات هي التي د فعتا سعيد صليبي الى الأصرار على ترشيحه لمنصب رئاسة الجمهورية وهي التي دفعت ضباط لواء الحرس الجمهوري للألتفاف حوله في حركة عارف عبد الرزاق الثانية .

لقد تبوأ عبد الرحمن عارف منصباً لم يحلم به فهو رئيس جمهورية والقائد العام للقوات المسلحة. ولم يدرك أهميته وخطورته فيحرص على الأحتفاظ به ولديه من القوة والصلاحيات مايضمن ذلك . كانت ثقته بضباط الحرس الجمهوري شديدة فتجاهل كل التحذيرات ولم يتخذ أي أجراء كا لنقل أو الأحالة على التقاعد .

كان طيباً الى أبعد الحدود متسامحاً يكره العنف والقسوة، يستجيب للرجاء ، فقد أمر باطلاق سراح المعتقلين في حركة عارف عبد الرزاق الثانية ولما يمض على أعتقالهم سوى أشهر معدودة ودون أن يحاكمهم وفيهم طيارون قصفوا القصر الجمهوري . لايعرف الحقد وينسى الأساءة، كان متردداً لايستقر على رأي وكان يتبنى رأي أخر من-يقابله في القصر وعرف عبد الرزاق النايف معاون مدير الآستخبارات العسكرية هذه الصفة أو أكتشفها فأستغلها ودأب على مراجعته كلما سنحت له الفرصة .

كان حسن النية لم يميز العدو من الصديق ولايدري مايدور حوله . أتصل به الدكتور شامل السامرائي وزير الداخلية قبيل الأنقلاب يحذره ويستشيره فقال له أتصل بالعميد

حماد شهاب ليزحف بلوائه الى بغداد .

ثم جاء بعده الرئيس أحمد حسن البكر فأنفتح الباب على مصراعيه لتعيين ألأقارب والأصهار وأبناء العشيرة والبلدة، والأصدقاء في مناصب حساسة وخطيرة.

لم أشاهده ينفعل أو يغضب لكنه لاينسى وعندما تحين الفرصة ينتقم بقسوة . كان محدود الثقافة لكن الحياة علمته الكثير . كان صبوراً يتحكم في أعصابه وعواطفه ، بارعاً في أختيار الوسيلة وارضاء النفوس .

كان شجاعاً وجريئاً، يهمه بلوغ هدفه بصرف النظر عن الوسيلة وهذا سر اتفاقه مع مجموعته الداود ـ النايف وتساهله معهما لأنه كان مصمماً على التخلص منهما بأقرب فرصة وتخلص منهما بعد أثنى عشر يوماً في ٣٠ / ٧ / ١٩٦٨ وكان القتل مصير معظم الأقطاب والشركاء مثل: ناصر الحاني، عبد الرزاق النايف، حردان التكريتي، ونجا ابراهيم عبد الرحمن الداود بلجوئه الى السعودية ومازال مقيماً فيها .

مصادر البحث

١ ـ أدمون غريب ـ الحركة القومية الكردية ـ دار النهار ـ بيروت ١٩٧٣ .
٢ ـ المنحرفون ـ بغداد ١٩٦٤ .
٣ ـ أمين هويدي ـ كنت سفيراً في العراق ـ دار المستقبل العربي ـ القاهرة ١٩٨٣ .
٤ ـ دليل الجمهورية العراقي ـ بغداد ١٩٦٠ .
٥ ـ دينيس لويد ـ فكرة القانون ـ تعريب سليم الصويص ـ الكويت ١٩٨١ .
٦ ـ سمير عبد الكريم ـ أضواء على الحركة الشيوعية في العراق ـ الجزء الثاني ـ بيروت .
٧ ـ صبيح علي غالب ـ قصه ثورة ١٤ تموز والضباط الأحرار ـ بيروت ١٩٦٨
٨ ـ صلاح نصر ـ عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ مطبعة الوطن العربي .
٩ ـ عبد الكريم فرحان ـ ثورة١٤ تموز في العراق ـ بيروت ١٩٧٨ .
١٠ ـ محاكمات المحكمة العسكرية الطبعة / خاصة ـ الجزء الخامس ـ مطبعة حكومة بغداد .
١١ـ محمد باقر شرى ـ العراق الثائر ـ دار الكاتب العربي ـ بيروت .
١٢ ـ يوسف الشهاب ـ رجال في تاريخ الكويت ـ الجزء الأول ١٩٨٤ - الكويت .
١٣ ـ ليث عبد الحسن الزبيدي ـ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ـ وزارة اللثقافة والأعلام ١٩٧٩ .



الكاتب في اول زيارة للرئيس
جمال عبد الناصر "١٩٦٤"

أثناء زيارة للرئيس جمال عبد
الناصر ضمن وفد ضم رئيس
وزراء العراق وعدد من
الضباط "١٩٦٧"

المؤلف مع الملا مصطفى
قبيل مغادرة كلالة

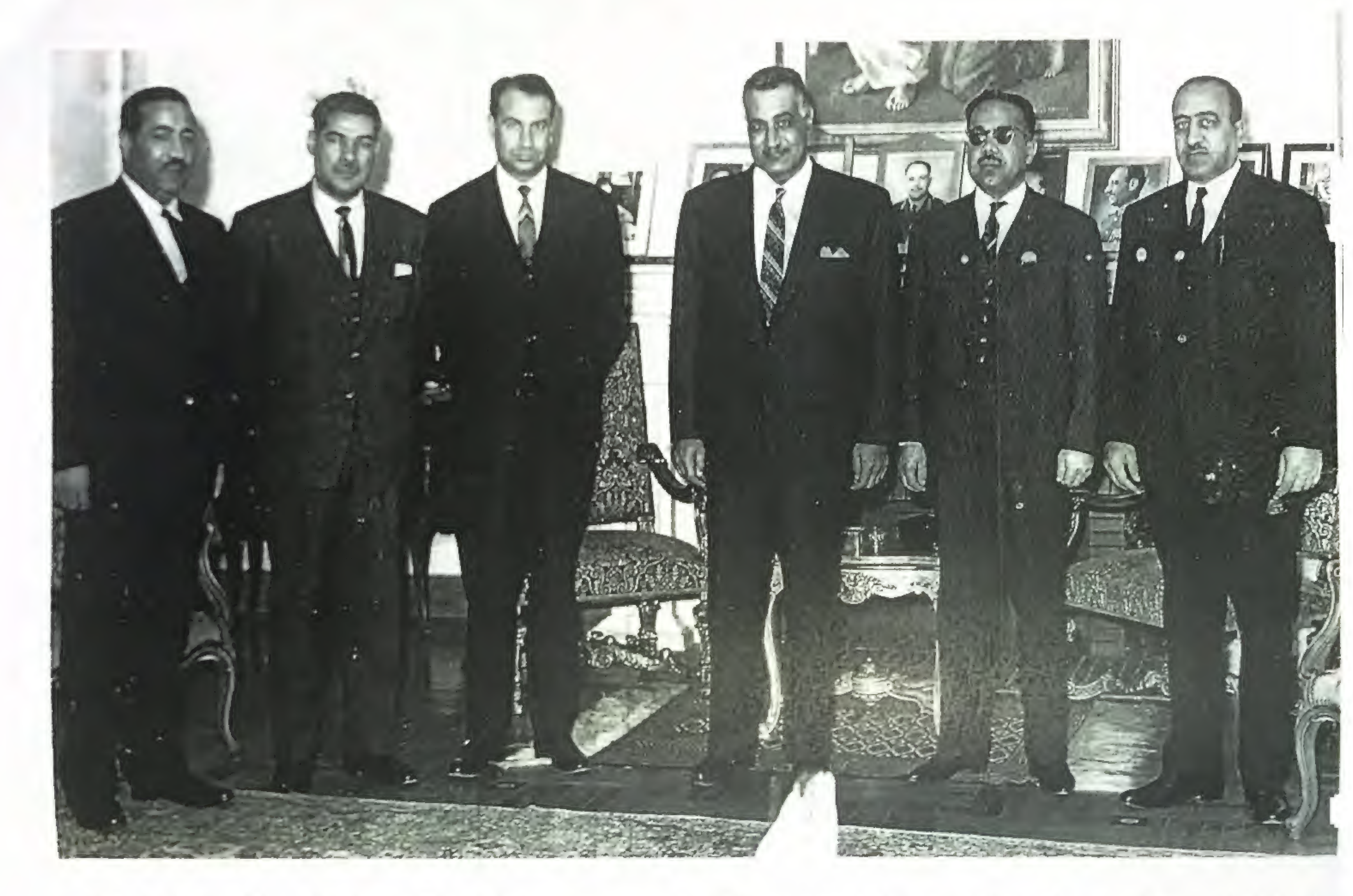


أثناء زيارة الملا مصطفى في كلاله
وضمت الصورة متصرف لواء اربيل
عبد المنعم المصرف وقائد الفرقة
الاولى وطاهر يحي والمؤلف الذي
كان وزيراً للزراعة والاصلاح
الزراعي "١٩٦٧"

كلاله اثناء مفاوضة الملا مصطفى البارزاني الملا يتحدث الى الكاتب وقد ضمت الصورة رئيس الوزراء طاهر يحى وقائد الفرقة الاولى ووزير الدولة عبد الهادي الراوي

وفد المفاوضة العراقي يودع شيوخ الاكراد وقد ظهر المؤلف خلف رئيس الوزراء طاهر يحي "١٩٦٧"





في زيارة للرئيس جمال، ضمت الصديق السفير عبد الحميد نعمان، وعبد الكريم فرحان، وصبحي عبد الحميد وشكري صالح زكي والدكتور شامل السامرائي.



زيارة لفيف من المحامين للرئيس عبد الناصر ضمت المحامي توفيق المؤمن واحمد الحبوبي وزكي جميل حافظ وعبد الكريم فرحان وصبيح الكبيسي ومحمود حلمي



في زيارة للرئيس ضمت الكاتب واديب الجادر والمرحوم محسن حسني الحبيب وعبد الحسن زلزلة
"١٩٦٥"

زيارة عدد من المحامين العراقيين للرئيس جمال عبد الناصر من ضمنهم الكاتب ضمت احمد الحبوبي
وزكي جميل حافظ ومحمود حلمي آل كتاب وصبيح الكبيسي "١٩٦٦"



رئيس واعضاء مجلس السيادة في مكتب رئيس المجلس

عبد الكريم قاسم، عبد السلام عارف، صديق شنشل، محمد حديد

احدى الاجتماعات المشتركة بين مجلس السيادة ومجلس الوزراء



عبد الجبار الجومرد وزير الخارجية، أحمد صالح العبدي الحاكم العسكري العام ومحمد حديد وزير المالية

في احتفال للادباء لنصرة الجزائر، يبدو في الصورة الشعراء محمد مهدي الجواهري وبحر العلوم وبلند الحيدري



صورة تجمع عبد الكريم قاسم مع الربيعي والنقشبندي

الرئيس عبد السلام محمد عارف والى يساره احمد حسن البكر عندما ظهرا معاً في فندق بغداد
في اول مؤتمر صحفي يوم ٨ / ٢ / ١٩٦٣

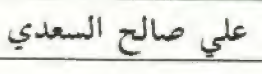

محمد حديد


فاروق صبري


ناجي طالب


صديق شنشل


حسين جميل



علي صالح السعدي


فؤاد الركابي


عبد الوهاب الشواف


ناظم الطبقجلي



محمد عزير



صبحي عد الحميد



نوري السعيد



صالح جبر



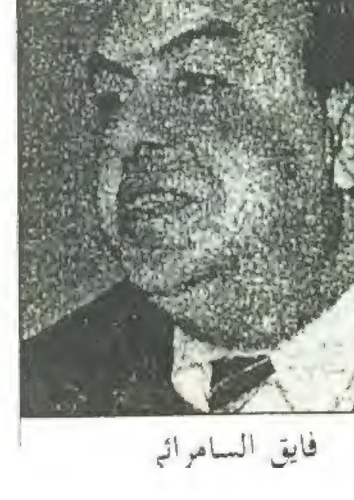
محمد مهدي كبه



طه الهاشمي



كامل الجادرجي



فايق السامرائي



سعد صلب



عبد السلام عارف مع
جمال عبد الناصر
في دمشق في أول لقاء يتم
بعد ١٤ تموز ١٩٥٨

عبد الكريم قاسم،
المهداوي، وأحمد صالح
العبدي



عبد الكريم قاسم مع ناظم الطبقجلي وأحمد محمد يحيى وزير الداخلية بعد سفر عبد السلام عارف وخلافه مع قاسم.

المهداوي في محكمة الشعب والى يمينه المقدم عبد الهادي الراوي، وشاكر محمود السلام والى يساره المقدم فتاح سعيد الشالي ثم ابراهيم عباس اللامي.



رفعت الحاج سري



حردان التكريتي



محسن حسين الحبيب



رجب عبد المجيد



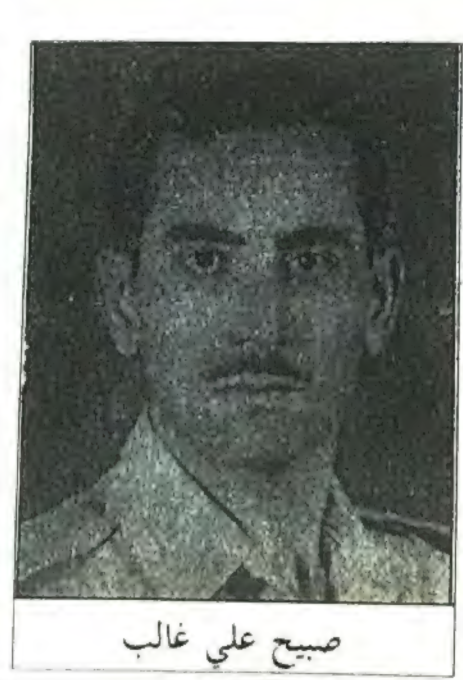
عبد الإله النصراوي



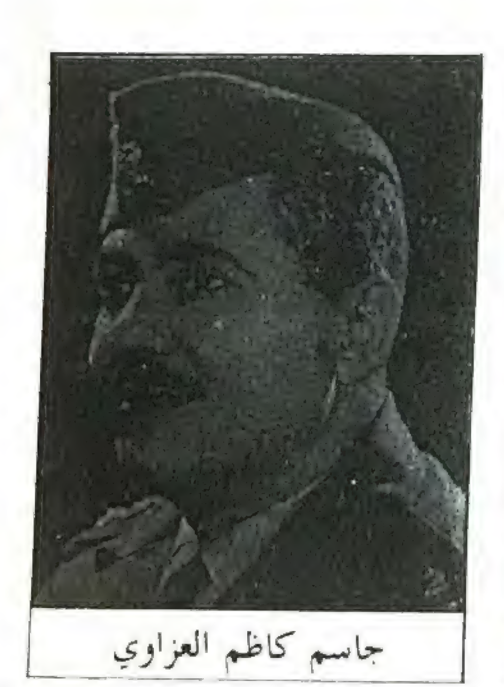
محمد مجيد



عبد الرحمن عارف



صبيح علي غالب



جاسم كاظم العزاوي

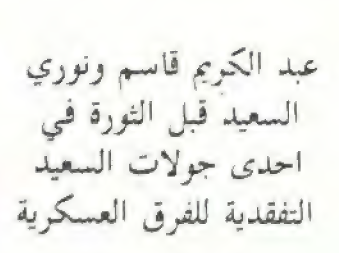
من اليسار اسماعيل عارف، محمد الشواف، فيصل السامر، وصفي طاهر، عبد الكريم قاسم، احمد صالح العبدي، محمد حديد وطلعت الشيباني في اقصى اليسار

مع الدكتورة نزيهة الدليمي - اول امرأة عراقية تتسنم منصب الوزارة



عبد الكريم قاسم، عبد
السلام محمد عارف،
وصفي طاهر





عبد الكريم قاسم ونوري
السعيد قبل الثورة في
احدى جولات السعيد
التفقدية للفرق العسكرية



مدخل
وزارة
الدفاع
العراقية

. الرحمن عارف في استقبال شقيقه عبد السلام الذي استقبله وحيدا في المطار والذي وصل على متن طائرة مصرية خاصة بعد فشل محاولة انقلاب عارف عبد الرزاق الاولى/ ايلول ١٩٦٥



عبد الكريم قاسم ومجموعة من الضباط في احدى مناورات الجيش



العميد الطيار الركن عارف عبد الرزاق بعد القاء القبض عليه ونزع رتبته العسكرية داخل القصر الجمهوري

عارف عبد الرزاق والطيار ممتاز السعدون وبقية الطيارين الذين شاركوا في قصف القصر

محتويات الكتاب

حقبة طويلة مرت منذ ١٤ تموز ١٩٥٨ وأنتهت باستقالة الرئيس أحمد حسن البكر في ١٧ تموز ١٩٧٩ . واحد وعشرون عاماً حفلت بأحداث خطيرة، ومرت تحت الجسور مياه كثيرة، وسارت الأمور كما يشتهي الرؤساء لا كما تريد الجماهير وتتمنى .

أربعة رؤساء ـ فعبد الكريم رئيس جمهورية حكماً وفعلا، لم يعلن نفسه لوجود مجلس السيادة، ثلاثة رحلوا وواحد مازال حياً في بغداد .

أختلفت النهايات، فقد أعدم عبد الكريم قاسم، ومات عبد السلام عارف إثر سقوط طائرة الهلكوبتر وأحتراقها، وأزيح عبدالرحمن عارف بانقلاب أبيض ،كاد أن يكون صامتاً لولا بضع طلقات، ولفظ أحمد حسن البكر أنفاسه في بيته .

فترة عصيبة، أهتزت فيها القيم، وتغيرت المقاييس، وتبدلت المفاهيم، وبذرت أموال كثيرة . لم يعد القانون أداة خير وأمن وعدل وطمأنينة، أما الوحدة العربية هدف الأمة الكبير فظلت تراوح في مرحلة الشعارات، ترددها أجهزة الأعلام، بين حين وآخر وعند الطلب ... استشرت الطائفية والعصبية العشائرية، وعولّ الحكام عليها كثيراً، وتحكمت عند إسناد المناصب والمهام والواجبات .

زاد دخل العراق، وكثرت نفوسه، وتطور التعليم فتوفرت كفاءات وأختصاصات متعددة.

خلال هذه الحقبة كان المؤلف أحد المساهمين الأساسيين، وفي مواقع مختلفة، وها هو يقدم للقارىء شهادته.



التجمع الوحدوي الناصري / العراق /

تصميم الغلاف: طالب الداوود